

International Islamic University

Islamabad - Pakistan

Faculty of Islamic Studies  
(Usuluddin)

Department of Tafseer & Quranic Studies



الجامعة الإسلامية العالمية

إسلام آباد - باكستان

كلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين)

قسم التفسير وعلوم القرآن

# تفردات الطاهر بن عاشور في تحريره

عن الزمخشري في كشافه وابن عطية في محرره والبيضاوي في أنواره

(دراسة مقارنة تقويمية)

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

إشراف

الأستاذ الدكتور سر الختم سعيد محمد - رحمه الله -

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم درمان الإسلامية بالسودان

(سابقاً) وأستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية

(أصول الدين) بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد.

والدكتور سميع الحق ابن المفتي عبد الديان

رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بالكلية.

إعداد

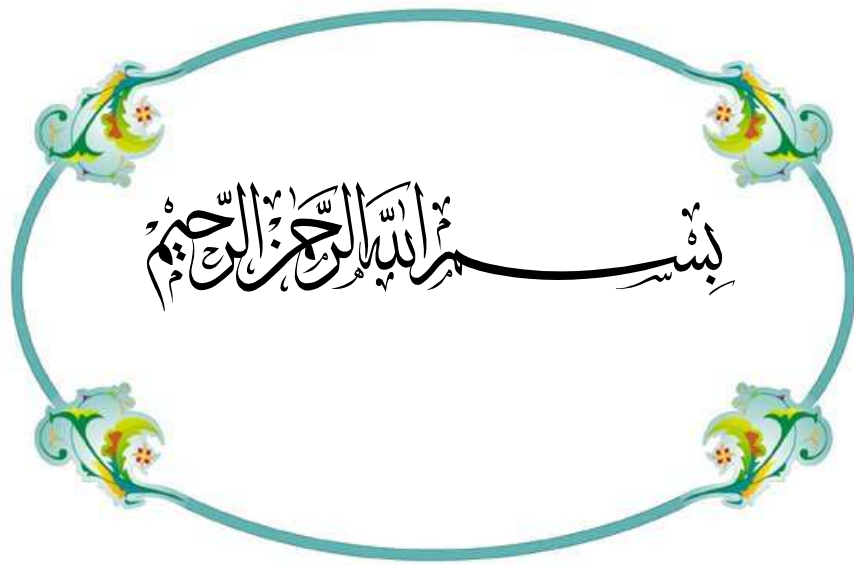
الضيف نطور

رقم التسجيل

47-FU/Ph.D/2003

العام الجامعي

١٤٢٩ - ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩ م



( أ )

تمت مناقشة هذه الرسالة المقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

بعنوان:

## تفردات الطاهر بن عاشور في تحريره

عن الزمخشري في كشافه وابن عطية في محرره والبيضاوي في أنواره

( دراسة مقارنة تقويمية )

بتاريخ: ١٤٣١/١/٦ هـ الموافق ٢٠٠٩/١٢/٢٤ م

أسماء أعضاء لجنة المناقشة

م	الاسم
١	الأستاذ الدكتور / سميع الحق ابن المفتي عبد الديان رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين). الجامعة الإسلامية العالمية. إسلام آباد - باكستان
٢	الأستاذ الدكتور / شير علي شاه أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة دار العلوم الحاقانية. أكوراختك نوشهرة - باكستان
٣	الأستاذ الدكتور / عباس محبوب أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة القرآن الكريم. أم درمان - السودان والأستاذ بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية. إسلام آباد - باكستان
٤	الأستاذ الدكتور / محمد أحمد الشنواني أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر - مصر وأستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين). الجامعة الإسلامية العالمية. إسلام آباد - باكستان

ومنح الباحث: الضيف نظور درجة 98% بتقدير ممتاز بمرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطباعة رسالته

ونشرها على نفقة الجامعة وتوزيعها على جميع الجامعات العربية والإسلامية في جميع أنحاء العالم.

والله الموفق.

(ب)



إلى علماء الأمة الإسلامية العاملين

وإلى دعواتها المخلصين.

أهدى هذه الرسالة، سائلاً من الله العليّ القدير

أن يوفقنا جميعاً لخدمة الإسلام والمسلمين.

أمين.



( ج )

## كلمة شكر وثناء

قال تعالى ﴿لَإِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>(١)</sup> وقال ﷺ " مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ " (٢).  
انطلاقاً من هذه الآية الكريمة وهذا الحديث النبوي الشريف أرى من الواجب عليّ أن أقدم  
شكري وثنائي لأهل الشكر والثناء.

فأشكر فضيلة رئيس هذه الجامعة الموقرة الذي أتاح لي فرصة الدراسة فيها.  
وأشكر الشيخ الفاضل الأستاذ الدكتور سر الختم سعيد محمد - رحمه الله - أستاذ  
التفسير وعلوم القرآن بهذه الجامعة، الذي تفضل بقبول الإشراف عليّ في هذه الأطروحة.  
فله جزيل الشكر والثناء على ما أفادني به من نصائح غالية وتوجيهات عالية، وقد وافته المنية  
قبيل تسليمي هذا البحث لقسم الامتحانات وأسأل الله تعالى أن يتغمده برحمته ويسكنه الفردوس  
الأعلى. كما أشكر مشرفي الثاني الدكتور سميع الحق ابن المفتي عبدالديان رئيس قسم التفسير  
وعلوم القرآن بالكلية على تفضله بالإشراف عليّ إلى غاية إتمام هذا البحث، وأشكر شيخي وأستاذي  
الدكتور محمد عبد التواب حامد الذي درسنى لوحده سنتين كاملتين بمرحلة الدكتوراه.  
وكذلك أشكر كل من ساعدني من زملائي الأساتذة وإخواني الطلاب برأي أو مشورة،  
وأمدني بمصدر أو كتاب.

كما لا يفوتني أن أقدم شكري الجزيل لزوجتي الفاضلة التي أفادتني بملاحظاتها  
العلمية القيمة، ووفرت لي الجو المناسب لإتمام هذه الرسالة، وإخراجها على هذه الصورة التي  
هي عليها الآن.

والله أسأل أن يجزي الجميع خير الجزاء وأن يجعل كل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم. آمين.

### الأستاذ: الضيف بن رابح نظور

محاضر بقسم التفسير وعلوم القرآن كلية الدراسات الإسلامية

(أصول الدين) الجامعة الإسلامية العالمية. إسلام آباد

الثلاثاء ٢٧ ربيع الأول ١٤٣٠هـ - ٢٤ مارس ٢٠٠٩م

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ج ٢ ص ٦٧١ كتاب الأدب. باب في شكر المعروف حديث رقم ٤٨١١. ط ١  
س ١٤٠٩هـ=١٩٨٨م. دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت - لبنان.  
وأخرجه الترمذي في الجامع الصحيح ج ٤ ص ٢٩٨ باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك. حديث رقم ١٩٥٤  
وقال: هذا حديث حسن صحيح. ط ١ س ١٤٠٨هـ=١٩٨٧م. مط: دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. قال الشيخ  
الألباني: صحيح. انظر صحيح سنن الترمذي باختصار السند للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ج ٢ ص ١٨٥.  
أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك.  
حديث رقم ٢٠٣٧. ط ١ س ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م، مط: المكتب الإسلامي. بيروت - لبنان.

# أهمية المقدم

وتتمثل على العناصر التالية:

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياري له.

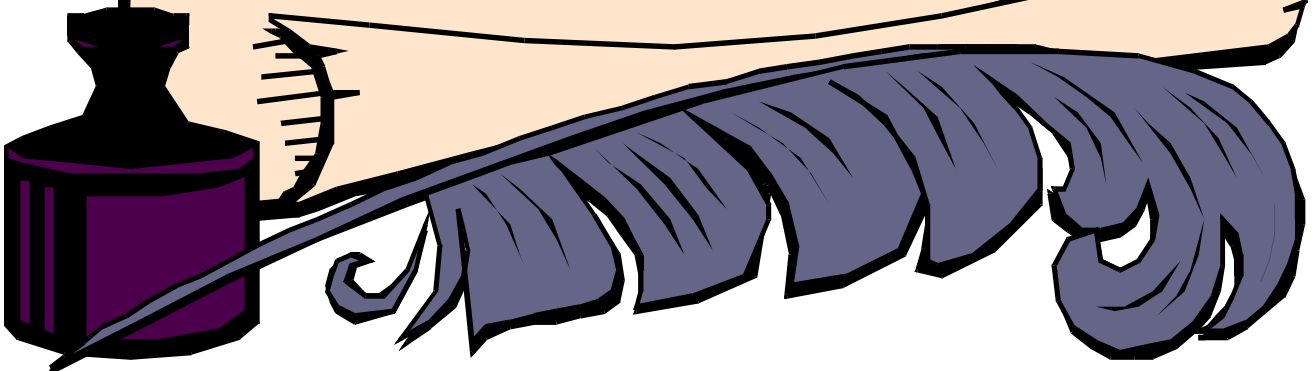
ثانياً: أهداف البحث.

ثالثاً: الدراسات السابقة.

رابعاً: بيان خطة البحث.

خامساً: منهجي في كتابة البحث وبيان الخطوات

المتبعة فيه.



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سلك طريقه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد؛

فإن القرآن الكريم بحر محيط لا ساحل له، وموضوعاته كثيرة ومتشعبة، تتفاوت في بيانها وإيضاحها جهود المفسرين، بحسب اجتهاداتهم، وابتكاراتهم، وسعة علومهم.

وإن من التفاسير التي نالت إعجابي، ودخل حباها فؤادي: تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور - رحمه الله - وذلك لما يشتمل عليه من نكت ودرر وفوائد وعبر، حيث شددت انتباهي كثرة ما يذكره ابن عاشور من مسائل لغوية ونحوية وبلاغية وتفسيرية، أو ما يبينه من جوانب مهمة في علوم القرآن والتاريخ...

كما شدَّ انتباهي ما ذكره في مقدمة تفسيره حين قال: (فجعلت حقا عليَّ أن أبادي في تفسير القرآن نكتا لم أر من سبقني إليها)<sup>(١)</sup> وقال: (...فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير)<sup>(٢)</sup> وذكر في موضع آخر من مقدمته أنه جمع في تفسيره أحسن ما ذكره المفسرون، وأتى بأشياء جديدة أحسن مما ذكرته التفاسير، فقال: (وفيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير).<sup>(٣)</sup>

كل هذا جعلني أفكر وأتساءل:

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ج ١ ص ٧.

(٢) المصدر السابق: ج ١ ص ٨.

(٣) المصدر السابق: ج ١ ص ٨.

- هل تفسير التحرير والتتوير يحوي بين دفتيه أحسن مما في التفاسير؟
- وهل كشف ابن عاشور -حقا- عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير؟
- ما هو الجديد الذي جاء به ابن عاشور ولم يُسبق إليه؟
- وهل باستطاعة المتأخر كابن عاشور المتوفى سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م أن يصل إلى ما لم يصل إليه المتقدم كالزمخشري<sup>(١)</sup> المتوفى سنة ٥٣٨هـ، وابن عطية<sup>(٢)</sup> المتوفى سنة ٥٤٦هـ، والبيضاوي<sup>(٣)</sup> المتوفى سنة ٦٩١هـ....
- وهل هذه الأقوال التي صرح بها ابن عاشور في مقدمته تدل على أن لهذا المفسر تفردات عن غيره من كبار المفسرين؟
- وإذا افترضنا -ابتداءً- أنها تدل على ذلك، فما هي الموضوعات العلمية التي تناولتها؟
- وهل كل ما تفرد به ابن عاشور يُعدُّ ميزة له أم أن هناك مآخذ تحسب عليه؟

إن كل هذه التساؤلات فرضت عليَّ أن أنتقل من الناحية النظرية إلى الناحية العملية، وجعلتني أكثف قراءتي في هذا التفسير، وكلما وقفت على نكتة علمية في تفسير ابن عاشور لأية قرآنية أسجلها، وأقارنها بما كتبه ثلاثة من كبار المفسرين: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في تفاسيرهم لتلك الآية؛ فوقففت على مجموعة هائلة من التفردات في موضوعات مختلفة.

(١) ستأتي ترجمته مفصلة في تمهيدي لهذا البحث: من ص ٤٩ إلى ص ٥٢.  
 (٢) ستأتي ترجمته مفصلة في تمهيدي لهذا البحث: من ص ٦٣ إلى ص ٦٥.  
 (٣) ستأتي ترجمته مفصلة في تمهيدي لهذا البحث: من ص ٧٦ إلى ص ٧٩.

وقد ألحّت عليّ هذه التفردات في التفكير بإفرادها بمصنف أو تأليف، أجمع فيه شتاتها، وأتعبها بالدراسة والتقويم؛ فأبين قيمتها العلمية بإبراز مزاياها، وتسجيل ما أجده من مآخذ عليها.

واطلعت في المكتبة الإسلامية، فلم أجد أحداً سبقني لهذا الموضوع مما شجعني على التقدم به والكتابة فيه لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، وجعلته بعنوان: تفردات الطاهر بن عاشور في تحريره عن الزمخشري في كشافه وابن عطية في محرره والبيضاوي في أنواره (دراسة مقارنة تقويمية).

### أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياري له:

للموضوع الذي اخترت الكتابة فيه أهمية كبيرة، وتكمن أهميته فيما يلي:

- ١- كونه متعلقاً بدراسة مصادر مهمة في التفسير لا يمكن أن يستغني عنها أي باحث في قسم التفسير وعلوم القرآن.
- ٢- كون هذا الموضوع يبرز جوانب مهمة من أوجه الإعجاز القرآني، خاصة ما يتعلق منه بجانب اللغة والبلاغة، ولابن عاشور تفردات في ذلك، إضافة إلى ما لديه من تفردات في بعض المسائل النحوية.
- ٣- كون هذا الموضوع يعالج موضوعات مهمة في التفسير وعلوم القرآن، والتاريخ، ويبرز تفردات نفيسة للشيخ ابن عاشور - الذي عاش في القرن الرابع عشر الهجري عن أئمة كبار كالزمخشري وابن عطية والبيضاوي - الذين عاشوا قبله بقرون كثيرة. مما يدل على أن مجال العلم والتعمق فيه ما يزال مفتوحاً، وسيبقى لمن جدّ واجتهد، ونقب وبحث، وبإمكان المتأخر أن يصل إلى ما لم يصل إليه المتقدم.

## وأما أسباب اختياري لهذا الموضوع فأهمها ما يلي:

- ١- كون هذا الموضوع الذي أكتب فيه جديداً - فيما أعلم - لم أقف على من كتب فيه أو سبقني إليه.
- ٢- رغبتني في جمع تفردات ابن عاشور في تفسيره، وبيان قيمتها العلمية وتقديمها لأهل العلم ثمرات يانعة.
- ٣- رغبتني في قراءة ودراسة مصادر مهمة في التفسير كالكشاف للزمخشري والمحزر الوجيز لابن عطية، وأنوار التنزيل للبيضاوي، لتعميق تخصصي في ميدان التفسير وعلوم القرآن، ولما أجد في ذلك من راحة في صدري، وانشرح في قلبي. وصدق الإمام أبو حيان<sup>(١)</sup> حين قال:

(نعم السمير<sup>(٢)</sup> كتاب الله إن له  
به فنون المعاني قد جمعن فما  
أمر ونهي وأمثال وموعظة  
لطائف يجتليها كل ذي بصر  
حلاوة هي أحلى من جنى<sup>(٣)</sup> الضرب<sup>(٤)</sup>  
يفتن من عجب إلا إلى عجب  
وحكمة أودعت في أفصح الكتب  
وروضة يجتليها كل ذي أدب<sup>(٥)</sup>)

- (١) هو محمد بن يوسف بن علي. أبو حيان الأندلسي. ولد بـ"مطخشادش" مدينة حضرة غرناطة في آخر شوال سنة ٦٥٤هـ، وتوفي سنة ٧٥٤هـ. وقد كان عالماً بالتفسير والحديث والقراءات... من آثاره المشهورة: البحر المحيط في التفسير. انظر طبقات المفسرين للداودي ج ٢ ص ٢٨٧ رقم ٦٠٨ مط: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان بدون تاريخ.
- (٢) يقال: سمر سمرًا وسمورًا: لم ينم وهو السُّمَّار، والسامرة. والسمر في النهار من باب المجاز. ورجل سَمِيرٌ صاحب سمر. انظر لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ج ٤ ص ٣٧٦، ٣٧٧. حرف السين، فصل الراء، الفعل: سمر. مط: دار صادر بيروت- لبنان.
- (٣) يقال: جَنَى التَّمْرَةَ اجْتَنَاهَا: والجَنَى: الذهب، والرطب والعسل، جمع أجناء. انظر القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ص ١١٦٩، باب الواو والياء. فصل الجيم. الفعل: جَنَى. ط ١ س ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م. مط: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت- لبنان.
- (٤) هو العسل الأبيض. انظر لسان العرب لابن منظور مج ١ ص ٥٤٦. حرف الباء فصل الضاد، الفعل ضَرَبَ. وانظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١١٣. باب الباء فصل الضاد. الفعل: ضرب.
- (٥) انظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. تح: عبدالرزاق المهدي ج ١ ص ٧. ط ١ س ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت- لبنان.

٤- ما لهذه التفاسير المذكورة في عنوان البحث، من قيمة علمية كبيرة يمكن بيانها والاستفادة منها.

٥- رغبتى في دراسة شخصية كل من الزمخشري وابن عطية والبيضاوي والطاهر بن عاشور ومعرفة حياتهم العلمية لأستفيد منهم في طلبي للعلم والاجتهاد في تحصيله.

### ثانياً: أهداف البحث:

إن أهم الأهداف التي أرغب في تحقيقها من خلال هذا البحث ما يلي:

١- أنني أطمح إلى إبراز أهمية تفسير التحرير والتتوير لابن عاشور من خلال بيان ما تفرد به عن ثلاثة من كبار المفسرين.

فالذين كتبوا في منهجه أو في بعض اتجاهاته التفسيرية لم يتطرقوا إلى بيان تفرداته، حيث اكتفوا بذكر بعض الإشارات التي تدل على ذلك، وبالتالي فهذا الموضوع الذي أتناوله سيكون مصنفاً جديداً - إن شاء الله - يُرجع إليه في المكتبات العامة.

٢- أهداف إلى بيان مزايا تفردات محمد الطاهر ابن عاشور، والمآخذ التي تؤخذ عليها إذ ليس كل ما تفرد به صاحب التحرير والتتوير نسلم به ونعتبره صواباً، بل يوجد في تفرداته ما هو مخالف للحق يجب عليّ توضيحه، وبيانه ليعرفه الناس ويكونوا منه على حذر.

٣- وأهدف إلى دفع مقولة من قال: إن القدامى قد استأثروا بالعلم كله، ولم يتركوا شيئاً لمن بعدهم، وأن الجديد لا يأتي بجديد.



وأبين أن باب التفسير واسع جداً وأن القرآن الكريم بحر لا ساحل له، وأنه مهما اجتهد المفسرون، فإن آيات الإعجاز وأسرار هذا الكتاب لا تنتهي.

### ثالثاً: الدراسات السابقة:

يعتبر تفسير ابن عاشور موسوعة علمية، اهتم به الباحثون اهتماماً بالغاً خاصة في السنوات الأخيرة، وقد كان اهتمامهم مركزاً حول منهجه وبيان الجانب اللغوي والبلاغي والإصلاحي فيه.

وأما موضوع تفرداته في تحريره عن كبار العلماء المتخصصين في ميدان التفسير، فلم أقف على من أفرده ببحث مستقل، ولم أحصل إلا على بعض الإشارات من بعض أهل العلم لا تروي غليلاً ولا تشفي عليلًا.

وإليكم ما وقفت عليه من بحوث علمية أنجزت حول المفسر وتفسيره:

١- الاستعارة التمثيلية في التحرير والتوير للدكتور علي أحمد العطار<sup>(١)</sup>. رسالة دكتوراه سنة ١٩٩٠م من كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بمصر.

٢- الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتوير للدكتور: هيا ثامر مفتاح العلي<sup>(٢)</sup> رسالة دكتوراه طبعت سنة ١٩٩٤م بدار الثقافة بالدوحة - قطر.

٣- التفسير ورجاله للأستاذ الدكتور محمد الفاضل ابن عاشور<sup>(٣)</sup>، ذيله الأستاذ الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة<sup>(٤)</sup>، وكان تذييله يشمل موضوعين:

(١) باحث مصري معاصر.

(٢) باحثة أردنية معاصرة.

(٣) ابن الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وأحد تلاميذه. ستأتي ترجمته ضمن تلاميذ الشيخ ابن عاشور، ص ٢٣، ٢٤.

(٤) أحد تلاميذ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور المشهورين، ستأتي ترجمته ضمن تلاميذ الشيخ ابن عاشور، ص ٢٤، ٢٥.

الأول: بعنوان من محمد عبده<sup>(١)</sup> إلى الطاهر بن عاشور.

الثاني: بعنوان: التحرير والتنوير.

والكتاب: التفسير ورجاله مطبوع سنة ١٩٩٩م بدار سحنون للنشر والتوزيع. تونس.

٤- أهم اتجاهات التفسير في بلاد المغرب في القرنين الثالث والرابع الهجريين للدكتور هلال خزاري<sup>(٢)</sup>. رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن سنة ٢٠٠٤م من كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد - باكستان.

وقد تكلم فيها صاحبها عن بعض الاتجاهات في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور بصفته أحد علماء المغاربة الذين شملهم البحث.

٥- أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه: التحرير والتنوير للدكتور مشرف بن أحمد جمعان الزهراني<sup>(٣)</sup>. رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن سنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، من جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية.

(١) من مؤسسي النهضة المصرية الحديثة، ومن كبار الدعاة إلى التجديد والإصلاح في العالم الإسلامي، مفسر، اشتغل بالصحافة والتدريس والقضاء. ولد بمحلة نصر بمحافظة البحيرة بمصر سنة ١٨٤٥م، وتوفي سنة ١٩٠٥م، وقد تأثر به جماعة من العلماء أبرزهم محمد رشيد رضا ومصطفى المراغي وابن باديس.. انظر الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة للدكتور ياسين صلاواتي مج ٧ ص ٣١٧١. ط ١ س ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. مؤسسة التاريخ العربي بيروت - لبنان.

(٢) باحث جزائري معاصر.

(٣) باحث سعودي معاصر.

والحق أن هذه الموضوعات لم تفرد ولو مبحثاً واحداً لبيان تفردات ابن عاشور في تفسيره، وذلك يرجع - في تقديري - إلى أن موضوع التفردات هو موضوع آخر، غير هذه الموضوعات التي تناولها أصحابها.

والملاحظ أنه قد أشار كل من الأستاذ الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة والدكتور: هياتامر والدكتور مشرف بن أحمد جمعان الزهراني إلى وجود تفردات لابن عاشور في تفسيره عن غيره من العلماء<sup>(١)</sup>.

بل إن الدكتور الزهراني ذكر أن تفردات ابن عاشور في تفسيره تحتاج إلى دراسة مستقلة<sup>(٢)</sup>. علماً بأنني لم أطلع على رأيه هذا إلا بعد ما قضيت شوطاً كبيراً في كتابة هذا البحث.

والنتيجة التي توصلت إليها هي أن موضوع تفردات ابن عاشور - الذي قمت بإنجازه - هو موضوع جديد لم تتناوله الدراسات السابقة برسالة علمية أو بحث أو مقال مستقل.

#### رابعاً: بيان خطة البحث:

قسمت بحثي هذا إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

وقد تحدثت في المقدمة عن العناصر التالية:

(١) انظر: التفسير ورجاله لمحمد الفاضل ابن عاشور. قدم له وزيه الأستاذ الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة ص ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠.

وانظر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره. تأليف الدكتورة هيا ثامر مفتاح العلي ص ٢٥٦ ط س ١٤١٤هـ-١٩٩٤م. دار الثقافة الدوحة - قطر.

وانظر: أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه: التحرير والتنوير للدكتور مشرف الزهراني ص ١٦٦، ١٦٧. (رسالة دكتوراه لم تنشر بعد).

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٦٦.

- ١- أهمية الموضوع وأسباب اختياري له.
- ٢- أهداف البحث
- ٣- الدراسات السابقة.
- ٤- ذكر خطة البحث التي أنا بصدد بيانها.
- ٥- منهجي في كتابة البحث وبيان الخطوات المتبعة في ذلك.

أما التمهيد، فقد عرفت فيه بالأئمة المفسرين: ابن عاشور والزمخشري وابن عطية والبيضاوي، وبينت مناهجهم في تفاسيرهم - باختصار - كما بينت معنى كلمة "تفرد" ووضحت وجه الاختصار في رسالتي على هؤلاء الأئمة الثلاثة. وأما فصول الرسالة فقد جعلت الفصل الأول خاصا بتفردات ابن عاشور اللغوية والنحوية والبلاغية، وبينت هذه التفردات في ثلاثة مباحث وفق الترتيب المثبت في عنوان الفصل.

وأما الفصل الثاني فقد تحدثت فيه عن تفردات ابن عاشور في علوم القرآن، وقسمته إلى ثلاثة مباحث - بناءً على التفردات التي وقفت عليها - بينت في المبحث الأول تفردات ابن عاشور في المناسبات، ووضحت في المبحث الثاني تفرداته في أسباب النزول، وجعلت المبحث الثالث خاصا بما تفرد به في النسخ. وخصصت الفصل الثالث لتفردات ابن عاشور التفسيرية وقسمته إلى خمسة مباحث.

تناولت في المبحث الأول تفردات ابن عاشور في التفسير الفقهي.

وبينت في المبحث الثاني تفرداته في التفسير العلمي، وأما المبحث الثالث فجعلته لتفرداته في بيان مراد بعض الكلمات القرآنية.

في حين جعلت المبحث الرابع لبيان تفرداته في استتباط قواعد تفسيرية عن طريق الاستقراء.

وبينت في المبحث الخامس تفردات ابن عاشور في تفسير القرآن بحوادث تاريخية.

أما الفصل الرابع فقد جعلته بعنوان: مزايا تفردات ابن عاشور والمآخذ عليها. وقسمته إلى مبحثين.

بينت في المبحث الأول مزايا تفرداته، ووضحت في المبحث الثاني المآخذ عليها. وأما الخاتمة فقد بينت فيها نتائج البحث، وقدمت بعض التوصيات.

وذيلت البحث بخمسة فهارس جعلت الأول للآيات القرآنية، والثاني، للأحاديث النبوية، والثالث للأعلام المترجم لهم، والرابع لقائمة المصادر والمراجع، والخامس لموضوعات الرسالة.

### خامساً: منهجي في كتابة البحث وبيان الخطوات المتبعة فيه:

إن المنهج الذي سلكته في كتابة هذا البحث هو المنهج الوصفي والتحليلي.

وقد تتبعت المنهج الوصفي خاصة عندما قارنت تفسير ابن عاشور بتفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي، واستخرجت بذلك تفرداته عنهم في موضوعات مختلفة.

ثم انتقلت إلى المنهج التحليلي فقمت بمناقشة وتقويم ما تفرد به ابن عاشور، فخرجت بنتيجة أن هناك تفردات راجحة وأخرى مرجوحة.

وفي ظل هذا المنهج قمت باتباع مجموعة من الخطوات أبينها على النحو

التالي:

١- قرأت تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، وقابلت ما جاء فيه بما ورد في تفسير الكشاف للزمخشري وتفسير المحرر الوجيز لابن عطية وأنوار التنزيل للبيضاوي.

٢- قمت بجمع التفردات التي وقفت عليها أثناء القراءة والمقارنة.

٣- قسمت هذه التفردات التي وقفت عليها إلى الفصول والمباحث وفق الخطة المرسومة.

٤- عرفت بالأئمة المفسرين: ابن عاشور، والزمخشري، وابن عطية، والبيضاوي، وبينت مناهجهم في تفاسيرهم باختصار، تمهيدا لهذا البحث.

٥- ذكرت تعاريف موجزة عن النحو والبلاغة والمناسبة وسبب النزول، والنسخ، والتفسير العلمي، والتفسير الفقهي، وقواعد التفسير، والاستقراء، وبينت أهمية اللغة العربية والتاريخ في تفسير القرآن الكريم، وذلك كله قبل أن أشرع في بيان تفردات ابن عاشور في هذه الموضوعات.

٦- قمت بدراسة تقويمية لتفردات ابن عاشور، فعقبت على كل ما يحتاج منها إلى تعقيب، وبينت الرأي الراجح بالدليل.

٧- قمت بعزو كل الآيات الواردة في رسالتي إلى سورها وفهرستها وفق ترتيب المصحف.

٨- قمت بتخريج كل الأحاديث الواردة في رسالتي وبينت درجتها: إن لم تكن في الصحيحين- وفهرستها وفق الحروف الهجائية مكثفيا - في الغالب - بذكر طرف الحديث.

٩- عرفت بالأعلام الموجودين في رسالتي، وذلك بتقديم ترجمة موجزة عن كل واحد منهم، وفهرستهم وفق الحروف الهجائية.

١٠- شرحت الكلمات الصعبة والغريبة التي أوردتها في رسالتي.

١١- اعتمدت في بيان تفردات محمد الطاهر ابن عاشور في تحريره عن الزمخشري في كشافه وابن عطية في محرره والبيضاوي في أنواره على الطبقات التالية:

أ- التحرير والتنوير لابن عاشور: الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م. مؤسسة التاريخ العربي بيروت - لبنان.

ب- تفسير الكشاف للزمخشري الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م. دارالكتب العلمية. بيروت - لبنان.

ج- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

د- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م. دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان.

١٢- اعتمدت في رسالتي هذه على المصادر والمراجع الأصلية، وحينما أذكر المصدر أو المرجع لأول مرة، أذكر اسمه واسم مؤلفه واسم محققه - إن كان محققا - وأذكر رقم الجزء، ورقم الصفحة أو الصفحات التي رجعت إليها، وسنة الطبع، والمطبعة أو دار النشر إن وجدت في الكتاب.

وإذا تكرر عندي المصدر أو المرجع أكتفي بذكر اسم الكتاب واسم المؤلف ورقم الجزء ورقم الصفحة. ولكن إذا تكرر في نفس الصفحة أو ذكر في التي قبلها بدون فاصل، أذكر المصدر السابق أو المرجع السابق والجزء والصفحة، ولا أذكر الطبعة وسنتها..إلا إذا كان الكتاب يحمل طبعة أخرى.

١٣- إذا قلت الأئمة الثلاثة، فالمقصود بهم: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي.

١٤- إذا قلت: (التحرير والتنوير) فالمقصود به: تفسير ابن عاشور.



١٥- استعملت في رسالتي بعض الرموز كالتالي:

ج: جزء، مج: مجلد، ط: طبعة، مط: مطبعة، ن: نشر أو الناشر، تح: تحقيق، تع: تعليق، س: سنة، هـ: هجرية، م: ميلادية، ق.م: قبل الميلاد، ا.ه: انتهى.

١٦- حاولت في كل ما كتبت التزام الدقة والموضوعية وفق المنهج العلمي مدعماً كل ما ذهبت إليه بالدليل.

# المهيد

أولاً: التعريف بالأئمة المفسرين: ابن عاشور، والزمخشري، وابن عطية، والبيضاوي

وبيان مناهجهم في تفاسيرهم باختصار.

١. التعريف بابن عاشور وبيان منهجه في تحريره.

٢. التعريف بالزمخشري وبيان منهجه في كشافه.

٣. التعريف بابن عطية وبيان منهجه في محرره.

٤. التعريف بالبيضاوي وبيان منهجه في أنواره.

ثانياً: معنى كلمة تفرد وبيان سر الاقتصار على الأئمة الثلاثة في الرسالة.

اعتمد الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره على عدد هائل من كتب العلماء والمفسرين من أبرزها تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية، والبيضاوي. وبالرغم من رجوعه إلى تفاسير هؤلاء الأئمة، فإنه أتى في تفسيره بأشياء جديدة ونكت فريدة لم يأتوا بها؛ فتفرد بها عنهم.

وقبل أن أشرع في بيان هذه التفردات، يجدر بي ابتداءً أن أعرف - باختصار - بهؤلاء الأئمة الأربعة وأبين مناهجهم في تفاسيرهم، ثم أبين معنى كلمة تفرد وأوضح سر الاقتصار في رسالتي على هؤلاء المفسرين الثلاثة. وذلك لأن التعريف بهم يطلعنا على نشأتهم العلمية وعلى العلوم الواسعة التي تحلوا بها، خاصة في ميدان التفسير وعلوم اللغة العربية، ويعرفنا بالمؤلفات الكثيرة التي تركها هؤلاء المفسرون للمكتبة الإسلامية في شتى الميادين العلمية.

وإن معرفة مناهجهم في التفسير - ولو بإيجاز - نعرفنا بأهم العلوم التي اهتم بها هؤلاء الأئمة وركزوا عليها في تفاسيرهم للقرآن الكريم، وتبين لنا الطريقة التي سلكوها في توضيح المسائل العلمية ومناقشتها.

## ١- التعريف بابن عاشور وبيان منهجه في تحريره

### أ- التعريف بابن عاشور:

#### ١- مولده ونشأته العلمية<sup>(١)</sup>:

ولد محمد الطاهر ابن عاشور بضاحية المرسى بتونس في جمادى الأولى سنة ١٢٩٦هـ الموافق لسبتمبر سنة ١٨٧٩م. وقد نشأ نشأة علمية ابتدأها منذ السنة السادسة من عمره، فحفظ القرآن الكريم، ودرس اللغة والنحو والبلاغة والسيرة والحديث والتفسير، والفقه وأصول الفقه والفرائض والمنطق والعقائد وعلم الكلام. ولما بلغ عمره أربع عشرة سنة عام ١٨٩٣م دخل جامع الزيتونة، وواصل تعليمه هناك بكل جد واجتهاد حتى حصل على الشهادة العالمية سنة ١٨٩٩م.

#### ٢- تدريسه ووظائفه

##### أ- تدريسه:

بعدما أكمل ابن عاشور دراسته بجامع الزيتونة سنة ١٣١٦هـ=١٨٩٩م شرع في التدريس بنفس الجامع والمدرسة الصادقية، وقد كان نشيطاً جداً في

- (١) انظر ترجمته في المراجع التالية: الأعلام لخير الدين الزركلي، ج ٦، ص ١٧٤. دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، بدون تاريخ.
- معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر لعادل نويهض مج ٢ ص ٥٤١، ٥٤٢، مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر. بدون تاريخ.
  - المفسرون حياتهم ومنهجهم للسيد محمد علي أيازي من ص ٢٤٠ إلى ص ٢٤٦. ط ١ س ١٤١٤هـ. مؤسسة الطباعة والنشر. وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي طهران.
  - معجم تفاسير القرآن الكريم تأليف الدكتور عبد القادر زمامة والدكتور فاضل عبد النبي والدكتور عبد الوهاب التازي سعود والدكتور محمد الكتاني ص ١٢٣، ١٢٤، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو. ط س ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م. مطبعة إيديال. الدار البيضاء - المغرب.
  - الموسوعة العربية الميسرة والموسعة. تأليف الدكتور ياسين صلاواتي مج ١ ص ٩٦. ط ١ س ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م. مؤسسة التاريخ العربي بيروت - لبنان.
  - الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير للدكتورة هيا ثامر مفتاح العلي ص ٢٥، ٢٦.

تدريسه، وصاحب ثروة علمية كبيرة، يحضر دروسه بإتقان قبل إلقائها على تلاميذه ومناقشتها معهم.

وما إن مرت سنوات قليلة من بداية تدريسه حتى سطع نجمه في سلك التعليم، وأصبح مدرساً في الرتبة الأولى<sup>(١)</sup>، يدرس مختلف العلوم والفنون، منها التفسير ومقاصد الشريعة، واللغة، وأصول الفقه، وديوان الحماسة بشرح المرزوقي<sup>(٢)</sup> ودلائل الإعجاز للجرجاني<sup>(٣)</sup> والبلاغة من مصادرها الأصلية...

يقول عنه تلميذه الشيخ الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة<sup>(٤)</sup>: (ولم يأل هذا المصلح الشهير والعلامة المنقطع النظير جهداً في السير بالتعليم الزيتوني إلى أقصى ما بلغ إليه في حياته فكان المدرس الناجح المثالي فيما ألقاه على طلبته من دروس في مختلف العلوم والفنون، الشرعي منها واللغوي. وإنا لا نزال نذكر من دروسه في التفسير وفي مقاصد الشريعة وفي الأصول وفي الفقه، كما أننا لا ننسى عنايته بالجانب اللساني والأدبي، إذ درس ديوان الحماسة بشرح المرزوقي، وعلوم البلاغة من أمهات مصادرها، شارحاً لما احتوته من القواعد وقوانين النظم، ومناقشاً لآراء الأئمة المتقدمين، مدلياً بدلوه بما أفاء الله عليه من دقيق الفهم وعمق النظر وجودة التعليق والملاحظة.)<sup>(٥)</sup>

(١) للتدريس بجامع الزيتونة في زمن ابن عاشور مراحل ومراتب: مرحلة التطويغ، ثم مدرس في الرتبة الثانية وآخرها مدرس في الرتبة الأولى.

(٢) هو أحمد بن محمد بن الحسن أبو علي المرزوقي عالم بالأدب من أهل أصبهان توفي سنة ٤٢١هـ - ١٠٣٠م من آثاره شرح ديوان الحماسة لأبي تمام في أربعة مجلدات - والأمالي وغريب القرآن .. انظر الأعلام للزركلي ج ١ ص ٢١٢. ط ١٦ يناير ٢٠٠٥م دار العلم للملايين بيروت. وانظر الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة للدكتور ياسين صلاواتي ص ٣٢١٤. ط ١ س ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م مؤسسة التاريخ العربي بيروت - لبنان.

(٣) هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني أبو بكر. واضع أصول البلاغة. من أهل جرجان (بين طبرستان وخراسان). توفي سنة ٤٧١هـ - ١٠٧٨م من آثاره أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز. انظر الأعلام للزركلي ج ٤ ص ٤٨، ٤٩.

(٤) ستأتي ترجمته عند ترجمة تلاميذ ابن عاشور ص ٢٤، ٢٥.

(٥) انظر التفسير ورجاله لمحمد الفاضل بن عاشور. تذييل محمد الحبيب ابن الخوجة ص ٢٢٢ ط س ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م. الناشر: دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس.

## ب - وظائفه

إضافة إلى وظيفة التدريس التي مارسها الشيخ ابن عاشور في جامع الزيتونة، ومدرسة الصادقية، اشتغل - رحمه الله - في وظائف أخرى هامة ومعتبرة، حيث عين قاضياً للقضاة سنة ١٣٣٩هـ = ١٩٢١م. وعُيِّن شيخاً للإسلام مالكيًا سنة ١٣٥٠هـ = ١٩٣٢م، وسمي شيخ الجامع الأعظم وفروعه عام ١٣٦١هـ = ١٩٤٢م ثم شيخاً عميداً لجامعة الزيتونة عام ١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م. كما شارك في تأسيس الجمعية الزيتونية والجمعية الخلدونية، وانتخب عضواً بمجمع اللغة العربية بمصر سنة ١٣٦٩هـ = ١٩٥٠م، وبالمجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م.<sup>(١)</sup> وشارك في مختلف مجالات الإصلاح بتونس وخاصة الإصلاح التعليمي والاجتماعي.<sup>(٢)</sup>

## ٣. شيوخه وتلاميذه

أ- شيوخه: تتلمذ الشيخ ابن عاشور على مشايخ كثيرين أشهرهم ما يلي:

### ١. الشيخ صالح الشريف:

هو صالح الشريف بن محمد المختار، ولد في حدود سنة ١٢٨٥هـ. وقد تعلم في جامع الزيتونة وحصل على شهادة التطويح سنة ١٣٠٤هـ، وانتخب للتدريس، فكانت دروسه كثيرة في جامع الزيتونة وغيره من المساجد والزوايا بالحاضرة حتى زاد عدد دروسه التي يلقيها يوميا عن سبعة دروس.

(١) انظر معجم المفسرين لعادل نويهض مج ٢ ص ٥٤١، ٥٤٢..

● وانظر الأعلام للزركلي ج ٦ ص ١٧٤.

● وانظر كتاب الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر للدكتور تركي رابح ص ١٥٩. ط ٥ س ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م. مط: المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار - الجزائر. وقد تعرض الدكتور تركي رابح للكلام عن ابن عاشور عند بيانه لشيوخ ابن باديس، الذي يعتبر ابن عاشور من أبرزهم.

(٢) انظر التفسير ورجاله للفاضل بن عاشور تذييل محمد الحبيب ابن الخوجة ص ٢٢٢-٢٢٣.

ومن أهم الكتب التي كان يدرسها؛ تفسير الكشاف وشرح السعد على العقائد النسفية.

ولمَّا التحق الشيخ ابن عاشور بجامع الزيتونة سنة ١٣١٠هـ، كان الشيخ صالح أول المشايخ الذين عُيِّنوا لتدريسه.

توفي - رحمه الله - في جمادى الأولى سنة ١٣٣٨هـ.<sup>(١)</sup>

## ٢. الشيخ سالم بوحاجب:

هو سالم بن عمر بوحاجب، ولد بقرية نبلة بتونس سنة ١٢٤٤هـ. تلقى تعليمه الابتدائي وحفظ القرآن الكريم، ودخل جامع الزيتونة أواخر سنة ١٢٥٨هـ، وأقبل على أخذ العلم بعناية وجد.

وقد كان ذكائه العجيب واعتناؤه النادر ومحبته للبحث وجراءته في مراجعة الشيوخ تجلب إليه الأنظار حتى اشتهر في الأوساط العلمية كافة وأشير إليه بالنبوغ وعلو المنزلة العلمية وسلمت له رشاقة الأبحاث وصواب الآراء.

يقول عنه الشيخ الأستاذ الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة:

(تصدر للتدريس بالجامع الأعظم<sup>(٢)</sup> بتونس مدة خمسة وستين عاماً فألحق في حلقات دروسه الأحفاد بالأجداد وتخرج عليه الفحول من العلماء في العلوم العربية وأسرارها ومصادر السنة ودواوينها، والعلوم الشرعية أصولها وفروعها. وكان من أبرز المتخرجين به الملازمين له الآخذين بنصحه وأدبه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور..<sup>(٣)</sup>)

توفي - رحمه الله - في ذي الحجة سنة ١٣٤٤هـ.<sup>(٤)</sup>

(١) انظر تراجم الأعلام لمحمد الفاضل ابن عاشور من ص ٢٠٩ إلى ص ٢١٧. ط س ١٩٧٠م. مط: الدار التونسية للنشر تونس.

(٢) هو جامع الزيتونة. وأهل تونس يطلقون عليه اسم الجامع الأعظم.

(٣) التفسير ورجاله لمحمد الفاضل ابن عاشور تذييل محمد الحبيب ابن الخوجة ص ٢١٩.

(٤) انظر تراجم الأعلام لمحمد الفاضل ابن عاشور من ص ٢٢١ إلى ص ٢٣٣.



### ٣. الشيخ عمر ابن الشيخ:

هو عمر بن أحمد ابن الشيخ، ولد في قرية من قرى تونس سنة ١٢٣٩هـ، ووجهه والده إلى طلب العلم منذ الصغر، حيث انتقل به وبالعائلة كلها ليسكن بالحاضرة التونسية، واختار له الفقيه العلامة المحقق الشيخ أحمد بن الطاهر - أحد شيوخ جامع الزيتونة - ليكون له أستاذاً خاصاً ومربياً ووصياً، وطلب منه أن يتفرغ لابنه مقابل منحه قيمة الراتب الذي يتقاضاه في جامع الزيتونة، فوافق الشيخ أحمد بن الطاهر على ذلك، وتولى تعليم ابنه وتربيته، ثم وجهه إلى الدخول في الجامع الأعظم؛ فدخله وتعلم من مشايخ آخرين علوماً كثيرة، وأصبح مشهوراً بعلمه في وسط الطلاب وانتخب للتدريس بالإذن من شيوخه، واستمر عليه نحواً من ستين عاماً.

وفي سنة ١٣٠٨هـ عُيِّنَ مفتياً على المذهب المالكي، وقد كان آخر كتاب درّسه بالجامع هو تفسير البيضاوي، ومن تلاميذه المشهورين الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور.

توفي - رحمه الله - ليلة الثلاثاء، الثالث محرم سنة ١٣٢٩هـ.<sup>(١)</sup>

### ٤. الشيخ محمد بن يوسف

هو محمد بن يوسف بن إبراهيم، ولد سنة ١٢٧٤هـ بمدينة تونس وابتدأ تعلمه في الخامسة من عمره بالمكتب القرآني القريب من بيته. ولما أتقن حفظ القرآن الكريم والمبادئ الضرورية لطلب العلم دخل جامع الزيتونة سنة ١٢٨٩هـ، فأخذ العلم عن أشهر أساطين التدريس بالجامع. وقد دخل امتحان التطويع سنة ١٢٩٧هـ، فحصل عليه بامتياز ثم انتخب

(١) انظر تراجم الأعلام لمحمد الفاضل ابن عاشور من ص ١٦٣ إلى ص ١٧٢.

للتدريس سنة ١٢٩٨هـ، وبقي في التعليم أربعة وخمسين عاماً تناول فيها كتباً معتبرة في فنون مختلفة من أهمها تفسير البيضاوي وشرح القسطلاني على البخاري ...

تخرج عليه طبقات عديدة من أعلام التحقيق والتدريس منهم الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، رحم الله الجميع رحمة واسعة.<sup>(١)</sup>

### ب - تلاميذ الشيخ الطاهر بن عاشور

تخرج على الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور تلاميذ كثيرون من أشهرهم ما يلي:

#### ١. الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس:

هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكّي بن باديس. ولد سنة ١٣٠٨هـ - ديسمبر ١٨٨٩م بمدينة قسنطينة الواقعة بالشرق الجزائري. أتم حفظه للقرآن الكريم في السنة الثالثة عشرة من عمره. ثم اختار له والده الشيخ حمدان لونيّسي<sup>(٢)</sup> لتعليمه مبادئ العربية والمعارف الإسلامية، وتوجيهه وجهة علمية أخلاقية، فتعلم منه ابن باديس علوماً مختلفة نافعة. وفي سنة ١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م سافر إلى تونس وانتسب إلى جامع الزيتونة، وأخذ العلم عن جماعة من علماء الجامع الأعظم، من أبرزهم الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور.

(١) المرجع السابق، من ص ٢٦١ إلى ص ٢٧٠.

(٢) هو أحد علماء الجزائر المشهورين وأحد مشايخ الشيخ ابن باديس. من أهل مدينة قسنطينة بالشرق الجزائري، درس بها ثم هاجر إلى الديار المقدسة بعد سنة ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م واستقر بالمدينة إلى أن مات. انظر معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض ص ٢٤٦. ط ٢ س ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م. مط: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر بيروت - لبنان.

يقول ابن باديس: (وإن أنس فلا أنسى دروساً قرأتها من ديوان الحماسة على الأستاذ ابن عاشور، وكانت من أول ما قرأت عليه، فقد حببني في الأدب والتفقه في كلام العرب وبيّنت فيّ روحاً جديداً في فهم المنظوم والمنثور، وأحيت مني الشعور بعزّ العروبة والاعتزاز بها كما أعتز بالإسلام.)<sup>(١)</sup>

وبعد ما أكمل ابن باديس دراساته العليا بتونس مدة أربع سنوات وتدرّسه لسنة بجامع الزيتونة، رجع إلى الجزائر بعزيمة قوية وبدأ نشاطه في المجال التعليمي والصحفي والسياسي.

ولما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة ١٣٤٩هـ = ١٩٣١م، عُيّن ابن باديس رئيساً لها. توفّي - رحمه الله - سنة ١٣٥٩هـ الموافق ليوم ١٦ إبريل سنة ١٩٤٠م.

ومن آثاره العلمية: تفسير القرآن الكريم، ومجالس التذكير من حديث البشير النذير، والعقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وتراجم أعلام، والفتاوى...<sup>(٢)</sup>

## ٢. محمد الفاضل ابن عاشور

هو محمد الفاضل ابن محمد الطاهر ابن عاشور. ولد يوم ٠٢ شوال سنة ١٣٢٧هـ الموافق لـ: ١٦ أكتوبر سنة ١٩٠٩م.

وجهه والده منذ الصغر إلى طلب العلم، وقام بتعليمه بنفسه في مراحل حياته؛ فتعلم القراءة والكتابة واشتغل بحفظ القرآن الكريم والمتون، فحفظ

(١) ابن باديس حياته وآثاره جمع ودراسة الدكتور عمار الطالب ج ٣ ص ٧٥. ط ٢ س ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م. مط: دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان.

(٢) انظر معجم أعلام الجزائر لعادل نويهيض ص ٢٨، ٢٩. وانظر ابن باديس حياته وآثاره. جمع ودراسة: الدكتور عمار الطالب ج ١ من ص ٧٢ إلى ص ٨١ ط ٢ س ١٩٨٣م. دار الغرب الإسلامي بيروت- لبنان.

## القرآن والألفية. (١)

وفي السنة العاشرة من عمره أعاد حفظ القرآن الكريم مرة ثانية،  
وابتداً في تعلم اللغة الفرنسية على معلمين خصوصيين في منزله.

وفي سنة ١٣٤٠هـ = ١٩٢٢م التحق بمسجد سيدي أبي حديد المجاور لبيته  
فتعلم القراءات والتوحيد والفقهاء والنحو، ثم التحق بجامع الزيتونة، ونجح في  
امتحان التطويع سنة ١٣٤٧هـ = ١٩٢٨م، وواصل تعليمه العالي. ثم انتسب إلى  
كلية الآداب بجامعة الجزائر سنة ١٣٤٩هـ = ١٩٣١م.

وفي سنة ١٣٥٠هـ = ١٩٣٢م عُيِّن مدرساً وعمره إحدى وعشرون سنة. مثلاً  
تونس في مؤتمرات عديدة، وفي سنة ١٣٦٤هـ = ١٩٤٥م شغل منصب رئاسة  
الجمعية الخلدونية، وتولى منصب الإفتاء المالكي في نوفمبر ١٣٧٢هـ = ١٩٥٣م  
وفي سنة ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م عُيِّن عميداً لكلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين  
ومفتياً للجمهورية. وفي نفس السنة ١٣٨٠هـ أختير عضواً لمجمع اللغة العربية في  
القاهرة. توفى - رحمه الله - قبل والده سنة ١٣٩٠هـ = ٢٠ إبريل سنة ١٩٧٠م،  
ودفن بمقبرة الزلاج بتونس.

من آثاره: التفسير ورجاله، تراجم الأعلام، الحركة الأدبية والفكرية  
في تونس. (٢)

### ٣- محمد الحبيب ابن الخوجة:

هو الأستاذ الدكتور الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة أحد التلاميذ

(١) الألفية: ألفها ابن مالك محمد الطائي الأندلسي الشامي المتوفى سنة ٦٨٢هـ وهي تلخيص لكتابه "الكافية  
الشافعية" حيث لخصه أرجوزة ضمت ألف بيت وهي على البحر الكامل، وضمها جميع قضايا النحو  
والإعراب بصورة مكثفة. وقد ألفت حول الألفية شروح كثيرة جداً كشرح ابن هشام وابن عقيل  
والسيوطي. انظر الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة للدكتور ياسين صلاواتي مج ١ ص ٥٥١.

(٢) انظر تراجم الأعلام للمترجم له (محمد الفاضل بن عاشور) من ص ٩ إلى ص ٢٠.

● وانظر الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٣٢٥، ٣٢٦.

المشهورين للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ومفتي الجمهورية التونسية. اهتم بكتابة البحوث العلمية عن شيخه ابن عاشور، وكان تفسير التحرير والتنوير من أهم مصادره في تدريسه للتفسير لطلاب الدراسات العليا بجامع الزيتونة.

كما عكف أكثر من إحدى عشرة سنة على دراسة تفسير ابن عاشور في مجالس أسبوعية ببيته مع ثلة من إخوانه وأبنائه من طلاب العلم.<sup>(١)</sup> صرح بانتسابه للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وملازمته له وتخرجه عليه، فقال:

(وبحكم الاختلاط والاتصال الدائمين اللذين كانا لي بالشيخ من سنة ١٣٦٢هـ = ١٩٤٣م إلى حين وفاته في صائفة ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م، وبحكم ملازمتي له ولابنه العلامة البحر المقدس المبرور شيخي محمد الفاضل ابن عاشور وترددي عليهما بمنزلهما العامر يتحقق إن شاء الله انتسابي له وتخرجي عليه، فهو أستاذي إقراءً ومذاكرةً وشيخي توجيهاً وإفادةً، وهو شيخي وشيخ شيوخي وشيوخهم، شمله الله برحمته وبوأه مع الصديقين المتقين والأئمة الصالحين مقعد صدق في عليين).<sup>(٢)</sup>

### ٣- وفاته وآثاره العلمية

أ- وفاته: توفي الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله بتونس سنة ١٣٩٣هـ الموافق لسنة ١٩٧٣م.<sup>(٣)</sup>

(١) انظر التحرير والتنوير ومنهج الشيخ ابن عاشور فيه للشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة مجلة الأصالة

ص ٢٧٤. ط س ١٩٨١م. مط: البعث. قسنطينية - الجزائر.

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٣، ٢٧٤.

(٣) انظر الأعلام للزركلي ج ٦ ص ١٧٤.

## ب - آثاره العلمية<sup>(١)</sup>

كتب الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور كتباً قيمة، منها ما تمَّ طبعه ومنها ما يزال مخطوطاً.

أولاً: المؤلفات والتحقيقات المطبوعة. أهمها ما يلي:

- ١- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور وهو أهم وأشهر ما كتب.
- ٢- كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ.
- ٣- مقاصد الشريعة الإسلامية.
- ٤- حاشية على التنقيح للقراي<sup>(٢)</sup> في أصول الفقه سمي "التوضيح والتصحيح".
- ٥- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام.
- ٦- الوقف وأثره في الإسلام.
- ٧- أصول الإنشاء والخطابة في فن الأدب.
- ٨- موجز البلاغة.
- ٩- أليس الصبح بقريب.
- ١٠- ديوان النابغة الذبياني<sup>(٣)</sup> جمع وتحقيق وشرح.

- (١) انظر في المراجع التالية: معجم المفسرين لعادل نويهض مج ٢ ص ٥٤١، ٥٤٢.
- وانظر الأعلام للزركلي ج ٦ ص ١٧٤.
  - معجم تفاسير القرآن الكريم للدكتور عبد القادر زمامة والدكتور فاضل عبد النبي والدكتور عبد الوهاب التازي سعود والدكتور محمد الكتاني ص ١٢٣، ١٢٤.
  - التفسير ورجاله لمحمد الفاضل بن عاشور ص ٢٢٢، ٢٢٣.
  - الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير للدكتورة هيا ثامر مفتاح العلي من ص ٧٥ إلى ص ١١٧.
- (٢) هو محمد بن يحيى بن عمر بن أحمد بن يونس بدر الدين القرافي فقيه مالكي لغوي من أهل مصر. ولي قضاء المالكية فيها. ولد سنة ٩٣٩هـ، وتوفي سنة ١٠٠٨هـ. انظر الأعلام للزركلي ج ٧ ص ١٤١.
- (٣) هو زياد بن معاوية ضباب الذبياني المصري. أبو أمانة. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى من أهل الحجاز أحد شعراء المعلقات الجاهليين. ولد سنة ٥٣٥م وتوفي سنة ٦٠٤م. انظر معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م لكامل سلمان الجبوري مج ٢ ص ٢٨٦ ط ١ س ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م دار الكتب العلمية بيروت - لبنان. وانظر الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة للدكتور ياسين صلاواتي مج ٨ ص ٣٤٣٦.

١١. ديوان بشار بن برد<sup>(١)</sup> شرح وتحقيق.
١٢. شرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي<sup>(٢)</sup> على ديوان الحماسة لأبي تمام<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: المؤلفات المخطوطة من أهمها:

١. قضايا وأحكام شرعية.
٢. الفتاوى.
٣. شرح معلقة: امرؤ القيس<sup>(٤)</sup>.
٤. تراجم بعض الأعلام.
٥. كتاب تاريخ العرب.
٦. أمالي على دلائل الإعجاز.

### ب: منهج ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير

#### ١. التعريف بتفسير ابن عاشور

أ. اسم التفسير: سَمَّى ابن عاشور تفسيره: (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ثم اختصر هذا الاسم ليصير: (التحرير

- 
- (١) هو بشار بن برد العقيلي. أبو معاذ. ولد سنة ٩٥هـ - ٧١٤م ونشأ بالبصرة، وقدم بغداد. وأدرك الدولتين الأموية والعباسية. كان ضريراً، وشعره كثير متفرق من الطبقة الأولى. توفي سنة ١٦٧هـ - ٧٨٤م. انظر معجم الشعراء لكامل سليمان الجبوري مج ١ ص ٣٤٧.
  - (٢) هو أحمد بن محمد بن الحسن أبو علي الأصفهاني. عالم بالأدب من أهل البصرة. توفي سنة ٤٢١هـ - ١٠٣٠م. من آثاره: شرح الحماسة لأبي تمام. انظر الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة للدكتور ياسين صلاواتي ج ٧ ص ٣٢١٤.
  - (٣) هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام: الشاعر الأديب أحد أمراء البيان ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) سنة ١٨٨هـ - ٨٠٤م، وتوفي سنة ٢٣١هـ - ٨٤٦م. من آثاره: فحول الشعراء وديوان الحماسة. انظر معجم الشعراء لكامل سليمان الجبوري مج ٢ ص ١٦.
  - (٤) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي. أشهر شعراء العرب - يمانى الأصل، ومولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن. ولد نحو ١٣٠ ق. هـ - ٤٩٧م وتوفي نحو ٨٠ ق. هـ - ٥٤٥م. انظر معجم الشعراء لكامل الجبوري مج ١ ص ٣٠٣، ٣٠٤.



والتنوير من التفسير).

وقد صرح ابن عاشور بهذين الاسمين في مقدمة تفسيره.<sup>(١)</sup> كما اشتهر تفسيره بين الناس باسم: التحرير والتنوير أو تفسير ابن عاشور.  
ب مدة كتابته:

بدأ ابن عاشور تفسيره لكتاب الله تعالى وعمره أربعة وأربعون عاماً وستة أشهر، وانتهى منه عندما بلغ أربعاً وثمانين عاماً. فكانت مدة كتابته تسعة وثلاثين عاماً وستة أشهر على فترات متقطعة.  
وفي هذا الصدد يقول مؤلف التفسير:

(وكان تمام هذا التفسير عصر يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب عام ثمانين وثلاثمائة وألف، فكانت مدة تأليفه تسعا وثلاثين سنة وستة أشهر، وهي حقبة لم تخل من أشغال صارفة، ومؤلفات أخرى أفنانها وارفة ... وأرجو منه تعالى لهذا التفسير أن ينجد ويفور، وأن ينفع به الخاصة والجمهور، ويجعلني به من الذين يرجون تجارة لن تبور، وكان تمامه بمنزلي ببلد المرسي شرقي تونس، وكتبه محمد الطاهر ابن عاشور.)<sup>(٢)</sup>  
ج هدف ابن عاشور من كتابة تفسيره:

إن الهدف الذي كان ينشده ابن عاشور ويسعى إلى تحقيقه من خلال تفسيره هو الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه لم يسبق إليها، وبيان كلييات من التشريع، وتفاصيل من مكارم الأخلاق وتهذيب بعض ما كتبه الأقدمون في التفسير.

وقد صرح ابن عاشور بهذا الغرض في مقدمة تفسيره فقال:

(١) انظر التحرير والتنوير ج ١ ص ٨.

(٢) المصدر السابق ج ٣٠ ص ٥٥٨.

(أما بعد فقد كان أكبر أمنيّتي منذ أمد بعيد تفسير الكتاب المجيد، الجامع لمصالح الدنيا والدين، وموثق شديد العرى من الحق المتين، والحاوي لكليات العلوم ومعاهد استنباطها، والآخذ قوس البلاغة من محل نياطها، طمعاً في بيان نكت من العلم وكلّيات من التشريع، وتفاصيل من مكارم الأخلاق، كان يلوح أنموذج من جميعها في خلال تدبره، أو مطالعة كلام مفسّره).<sup>(١)</sup>

وقال في موضع آخر من مقدمته:

(فجعلت حقاً عليّ أن أبدي في تفسير القرآن الكريم نكتاً لم أر من سبقني إليها، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها، فإن الاقتصار على الحديث المعاد، تعطيل لفيض القرآن الذي ماله من نفاذ. ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجُلَيْن: رجل معتكف فيما أشاده الأقدمون، وآخر أخذ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون، وفي كلتا الحالتين ضُرٌّ كثير، وهنالك حالة أخرى يجبر بها الجناح الكسير، وهي أن نعمد إلى ما شاده الأقدمون فنهدبه ونزيده، وحاشا أن ننقضه أو نبيده، عالماً بأن غمض فضلهم كُفران للنعمة، وجحد مزايا سلفنا ليس من حميد خصال الأمة، فالحمد لله الذي صدّق الأمل، ويسرّ إلى هذا الخير ودلّ).<sup>(٢)</sup>

د. أهم مصادره في تفسيره

اعتمد ابن عاشور في تفسيره للقرآن الكريم على مصادر كثيرة في التفسير وعلوم القرآن والحديث والفقه، واللغة والنحو والأدب والشعر، والعقيدة وعلم الكلام، والفلسفة والتاريخ وغيرها.

(١) المصدر السابق، ج ١ ص ٥.

(٢) المصدر السابق، ج ١ ص ٧.

وانظر التفسير ورجاله للفاضل عاشور تذييل الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة، ص ٣٣٢، ٣٣٣.

### ١. أهم مصادره من كتب التفسير:

صرح ابن عاشور في مقدمة تفسيره بأهم كتب التفسير التي رجع إليها فقال:  
 (والتفاسير وإن كانت كثيرة فإنك لا تجد الكثير منها إلا عالة على  
 كلام سابق بحيث لاحظ مؤلفه إلا الجمع على تفاوت بين اختصار وتطويل. وإن  
 أهم التفاسير تفسير «الكشاف»<sup>(١)</sup> و«المحرر الوجيز» لابن عطية<sup>(٢)</sup> و«مفاتيح  
 الغيب» لفخر الدين الرازي<sup>(٣)</sup>، و«تفسير البيضاوي»<sup>(٤)</sup> الملخص من «الكشاف»  
 ومن «مفاتيح الغيب» بتحقيق بديع، و«تفسير الشهاب الألوسي»<sup>(٥)</sup>، وما كتبه  
 الطيبي<sup>(٦)</sup> والقزويني<sup>(٧)</sup> والقطب<sup>(٨)</sup> والتفتزاني<sup>(٩)</sup> على «الكشاف»، وما كتبه

(١) هو الكشاف للزمخشري وستأتي ترجمته ص ٤٩.

(٢) ستأتي ترجمته ص ٦٣.

(٣) هو محمد بن عمر بن الحسين، أبو عبد الله فخر الدين الرازي، الإمام المفسر المتكلم. أوجد زمانه في المعقول وعلوم الأوائل. أصله من طبرستان. ولد بالري سنة ٥٤٤هـ - ١١٥٠م، وتوفي في هراة سنة ٦٠٦هـ - ١٢١٠م. من آثاره: مفاتيح الغيب في تفسير القرآن.

انظر معجم المفسرين لعادل نويهض ج ٢ ص ٥٩٦.

(٤) ستأتي ترجمته ص ٧٦.

(٥) هو محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش الحسيني الألوسي، شهاب الدين، شيخ علماء العراق في عصره. مفسر، محدث، فقيه، لغوي... نسبته إلى جزيرة ألس في وسط نهر الفرات. ولد ببغداد سنة ١٢١٧هـ - ١٨٠٢م وتوفي بها سنة ١٢٧٠هـ - ١٨٥٤م. من آثاره: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني. انظر معجم المفسرين لعادل نويهض ج ٢ ص ٦٦٥.

(٦) هو الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي شرف الدين: عالم بالحديث والتفسير والعربية والمعاني والبيان. توفي سنة ٧٤٣هـ - ١٣٤٢م. من آثاره: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب وهو حاشية على الكشاف للزمخشري. انظر المرجع السابق ج ١ ص ١٥٩. وانظر الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٢٥٦.

(٧) هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي جلال الدين القزويني الشافعي المعروف بخطيب دمشق ولد سنة ٦٦٦هـ - ١٢٦٨م وتوفي سنة ٧٣٩هـ - ١٣٣٨م. من آثاره تلخيص المفتاح في المعاني والبيان. انظر الأعلام للزركلي ج ٦ ص ١٩٢.

(٨) هو محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي، قطب الدين الشيرازي: قاضٍ، مفسر ولد بشيراز سنة ٦٣٤هـ - ١٢٣٦م. وتوفي بتبريز سنة ٧١٠هـ - ١٣١١م. من آثاره: فتح المنان في تفسير القرآن في نحو ٤٠ مجلدا. انظر معجم المفسرين لعادل نويهض ج ٢ ص ٦٦٧-٦٦٨. وانظر الأعلام للزركلي ج ٧ ص ١٨٧، ١٨٨.

(٩) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتزاني سعد الدين عالم بالعربية والبيان والمنطق. ولد بتفتازان من بلاد خراسان سنة ٧١٢هـ - ١٣١٢م وتوفي بسمرقند سنة ٧٩٣هـ - ١٣٩٠م. من آثاره: حاشية على الكشاف في التفسير للزمخشري. انظر معجم المفسرين لعادل نويهض ج ٢ ص ٦٧٠.

الخفاجي<sup>(١)</sup> على «تفسير البيضاوي»، و«تفسير أبي السعود»<sup>(٢)</sup> و«تفسير القرطبي»<sup>(٣)</sup> والموجود من «تفسير الشيخ محمد بن عرفة التونسي»<sup>(٤)</sup> من تقييد تلميذه الأبي<sup>(٥)</sup> وهو بكونه تعليقا على «تفسير ابن عطية» أشبه منه بالتفسير، لذلك لا يأتي على جميع آي القرآن، و«تفسير الأحكام»<sup>(٦)</sup>، وتفسير الإمام محمد بن جرير الطبري»<sup>(٧)</sup>، وكتاب «درة التنزيل» المنسوب لفخر الدين الرازي<sup>(٨)</sup>، وربما ينسب للراغب الأصفهاني<sup>(٩)</sup>. ولقصد الاختصار أعرض عن العزو إليها، وقد ميزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه وما أجلبه من

- (١) هو أحمد بن محمد بن عمر قاضي القضاة. شهاب الدين الخفاجي الحنفي ولد بمصر سنة ٩٧٧هـ - ١٥٦٩م وتوفي بها سنة ١٠٦٩هـ - ١٦٥٩م. من آثاره: حاشية الشهاب المسماة: عناية القاضي وكفاية الرازي على شرح البيضاوي. انظر معجم تفاسير القرآن الكريم للدكتور عبد القادر زمامة والدكتور فاضل عبد النبي والدكتور عبد الوهاب التازي سعود والدكتور محمد الكتاني من ص ٢٨٧ إلى ص ٢٩٧.
- (٢) هو أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي. ولد بقرية قريبة من مدينة استنبول بتركيا سنة ٨٩٣هـ. وقد كان كاتباً شاعراً فقيهاً، قاضياً، مفسراً. وتوفي باستنبول سنة ٩٨٢هـ. من أهم آثاره تفسيره المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. انظر المرجع السابق ص ٢٦٣.
- (٣) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر. أبو عبد الله القرطبي من العلماء العارفين توفي سنة ٦٧١هـ. انظر طبقات المفسرين للداوودي ج ٢ من ص ٦٩ إلى ص ٧١.
- (٤) هو محمد بن محمد بن عرفة ولد ونشأ وتعلم بتونس. وكانت ولادته سنة ٧١٦هـ - ١٣١٦م. وتوفي سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠١م. من مؤلفاته المشهورة: تفسيره المسمى: تفسير ابن عرفة برواية تلميذه الأبي. انظر معجم تفاسير القرآن الكريم ص ١١٨، ١١٩. وانظر الأعلام للزركلي ج ٧ ص ٤٣.
- (٥) هو محمد بن خليفة الوشتتاتي الأبي، نسبة إلى "أبة" من قرى تونس. كان من أعلام تلاميذ ابن عرفة حيث لازمه كثيراً وتأثر به. توفي سنة ٨٢٧هـ - ١٤٢٤م. من مؤلفاته: إكمال المعلم جمع فيه بين شرحي الإمامين المازري وعباس .. انظر معجم تفاسير القرآن الكريم للدكتور عبد القادر زمامة ورفقائه. ص ١١٨، ١١٩. وانظر الأعلام للزركلي ج ٦ ص ١١٥.
- (٦) منها أحكام القرآن لابن العربي المتوفى سنة ٥٤٣هـ. وأحكام القرآن للجصاص المتوفى سنة ٣٧٠هـ.
- (٧) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر. ولد سنة ٢١٠هـ. استوطن بغداد وأقام بها إلى حين وفاته سنة ٣١٠هـ من آثاره المشهورة جامع البيان عن تأويل آي القرآن. انظر طبقات المفسرين للداوودي ج ٢ ص ١١٠.
- (٨) سبقت ترجمته ص ٣٠.
- (٩) هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني المعروف بالراغب. أديب من الحكماء العلماء من أهل أصبهان وسكن بغداد. توفي سنة ٥٠٢هـ - ١١٠٨م. من آثاره: المفردات في غريب القرآن، وحل متشابهات القرآن. انظر الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٢٥٥.

المسائل العلمية، مما لا يذكره المفسرون.<sup>(١)</sup>

٢. أهم مصادره من كتب علوم القرآن:

وقفت على رجوعه إلى أسباب النزول للواحي<sup>(٢)</sup> والإتقان في علوم القرآن  
القرآن للسيوطي.<sup>(٣)</sup>

٣. أهم مصادره من كتب الحديث:

وقفت على اعتماده على مصادر كثيرة أهمها صحيح البخاري<sup>(٤)</sup> وصحيح  
وصحيح مسلم<sup>(٥)</sup> وموطأ مالك<sup>(٦)</sup>.

- 
- (١) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١ ص ٧.
- (٢) انظر المصدر السابق مثلاً: ج ١ ص ٣٥٢، ٣٥٣ - ج ٢ ص ٥٩. ج ٢٨ ص ١٥١.
- والواحي هو علي بن أحمد بن محمد أبو الحسن النيسابوري، كان أوحد عصره في التفسير. توفي بنيسابور في جمادى الآخرة سنة ٤٦٨هـ. من آثاره المشهورة: أسباب النزول. والتفسير البسيط، والوسيط والوجيز. انظر معجم تفاسير القرآن الكريم للدكتور عبد القادر زمامة ورفقائه ص ٦٢٩.
- (٣) انظر التحرير والتنوير مثلاً: ج ١ ص ٨٨، ص ١٢٣.
- والسيوطي هو عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين أبو الفضل السيوطي ولد في رجب سنة ٨٤٩هـ وتوفي في ١٩ جمادى الأولى سنة ٩١١هـ. من آثاره: الإتقان في علوم القرآن. انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج ٥ ص ١٢٨ دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان. بدون تاريخ.
- (٤) انظر التحرير والتنوير مثلاً ج ١ ص ٢٥٩. ج ٢ ص ١٥٤، ص ١٦٤.
- والبخاري هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله. صاحب الصحيح. ولد في شوال سنة ١٩٤هـ. وتوفي في قرية خرتنك على فرسخين من سمرقند سنة ٢٥٦هـ. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٢ من ص ٢٩١ إلى ص ٤٧١ ط ٧ س ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.
- (٥) انظر التحرير والتنوير مثلاً ج ١ ص ١٣٨، ص ٤١٤، ج ٢ ص ١٧٩ - ص ٤٤٦.
- ومسلم هو مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد النيسابوري أبو الحسين صاحب الصحيح. ولد سنة ٢٠٤هـ وتوفي بنيسابور في شهر رجب سنة ٢٦١هـ. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٢ من ص ٥٥٧ إلى ص ٥٨٠.
- (٦) انظر التحرير والتنوير مثلاً ج ١ ص ١٣٨، ج ٢ ص ١٦٣. ج ٣ ص ١٦٨.
- ومالك هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر. أبو عبد الله. إمام دار الهجرة وإليه تنسب المالكية. ولد سنة ٩٣هـ = ٧١٢م، وتوفي بالمدينة سنة ١٧٩هـ - ٧٩٥م. ودفن بالبقيع. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٨ من ص ٤٨ إلى ص ١٥٣. وانظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج ٨ ص ١٦٨.

#### ٤. أهم مصادره في الفقه:

فقه أئمة المذاهب الأربعة<sup>(١)</sup> وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد<sup>(٢)</sup>،  
والمحلى لابن حزم<sup>(٣)</sup>.

#### ٥. أهم مصادره في اللغة والنحو والبلاغة والشعر

إن مصادره في هذا الجانب كثيرة جداً ومتعددة أهمها: الصحاح  
للجوهرى<sup>(٤)</sup> ولسان العرب لابن منظور<sup>(٥)</sup> والقاموس المحيط للفيروز آبادي<sup>(٦)</sup>

- 
- (١) انظر التحرير والتنوير مثلاً ج ٢ ص ٦٣، ج ٥ ص ١٠٠.  
وأئمة المذاهب الأربعة هم: أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل.
- (٢) انظر التحرير والتنوير مثلاً ج ١ ص ١٣٦ - ج ٢ ص ٣٩٨ - ج ٥ ص ٢١٤.  
وابن رشد هو أبو الوليد محمد بن أبي القاسم أحمد بن محمد القرطبي ولد سنة ٥٢٠هـ وتوفي سنة ٥٩٤هـ. من آثاره: بداية المجتهد ونهاية المقتصد. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٥ من ص ٤٥١ إلى ص ٤٥٣. ط ١ س ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م. دار الفكر بيروت - لبنان.
- (٣) انظر التحرير والتنوير مثلاً ج ٢ ص ٢٣٠. ج ٤ ص ٨٣ ج ٨ ص ١٨١.  
وابن حزم هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم أبو محمد. ولد في قرطبة عام ٣٨٤هـ - ٩٩٤م. وتوفي سنة ١٠٦٣م. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان مج ٣ من ص ٣٢٥ إلى ٣٢٨. ط ٢ منشورات الرضا. قم - إيران بدون تاريخ.
- (٤) انظر التحرير والتنوير - مثلاً - ج ١ ص ٢٠٧ - ج ٣ ص ٧٥ - ج ١١ ص ٣٠١.  
● والجوهرى هو إسماعيل بن حماد الجوهرى. لغوي أديب أصله من بلاد الترك ورحل إلى العراق وتعلم العربية هناك. توفي بنيسابور سنة ٣٩٣هـ-١٠٠٣م. انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج ٢ ص ٢٦٧.
- (٥) انظر التحرير والتنوير - مثلاً - ج ٢ ص ٢٤٤ - ج ٣ ص ٧٥ - ج ٨ ص ٢١٩.  
● وابن منظور هو جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري ولد بطرابلس الغرب أو مصر سنة ٦٣٠هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٧١١هـ. لغوي مؤرخ من آثاره لسان العرب. انظر الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة للدكتور صلاواتي مج ١ ص ١٣٥.
- (٦) انظر التحرير والتنوير مثلاً ج ١ ص ١٧٣ - ج ١١ ص ٣٠١ - ج ٢٨ ص ١٠٨.  
● والفيروز آبادي هو محمد بن يعقوب بن محمد أبو الطاهر من أئمة اللغة والأدب والفقه ... ولد بكارزين من أعمال شيراز سنة ٧٢٩هـ وتوفي سنة ٨١٧هـ. من آثاره: القاموس المحيط. انظر المعجم المفصل في اللغويين العرب. إعداد الدكتور إميل بديع يعقوب ج ٢ ص ١٥١، ١٥٢. ط ١ س ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م. مط: دارالكتب العلمية بيروت- لبنان.

والكتاب لسبويه<sup>(١)</sup> وشرح المفصل والأمالى لابن الحاجب<sup>(٢)</sup> ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني<sup>(٣)</sup> وإعجاز القرآن للباقلاني<sup>(٤)</sup> ومفتاح العلوم للسكاكي<sup>(٥)</sup> وشعر: امرؤ القيس<sup>(٦)</sup> والحماسة لأبي تمام<sup>(٧)</sup> وديوان المتنبي<sup>(٨)</sup> وغيرهم.

## ٦. أهم مصادره في العقيدة وعلم الكلام والفلسفة والتاريخ:

رجع ابن عاشور إلى مصادر كثيرة منها: الإحياء والمستقصى وتهافت

- (١) انظر التحرير والتنوير مثلاً ج ٢ ص ٤٥٩ - ج ٤ ص ٣١٢.
- وسيبويه هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي. أبو بشر الملقب سيبويه. إمام النحاة وأول من بسط علم النحو. ولد في إحدى قرى شيراز سنة ١٤٨هـ وتوفي سنة ١٨٠هـ. من آثاره: كتابه المسمى كتاب سيبويه في النحو. انظر الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٨١.
- (٢) انظر التحرير والتنوير مثلاً ج ٢٦ ص ٢١.
- وابن الحاجب هو عثمان بن عمر بن أبي بكر يونس. فقيه مالكي. من كبار العلماء بالعربية. كردي الأصل ولد في "أسنا" من صعيد مصر سنة ٥٧٠هـ. ونشأ بالقاهرة وسكن دمشق ومات بالإسكندرية سنة ٦٤٦هـ. من آثاره: الكافية في النحو .. انظر الأعلام للزركلي ج ٤ ص ٢١١.
- (٣) انظر التحرير والتنوير مثلاً ج ١ ص ٢٤١، ص ٣١٦، ص ٣٤٤.
- والجرجاني سبقت ترجمته ص .
- (٤) انظر التحرير والتنوير مثلاً ج ١ ص ١٢٠، ص ١٢٧، ١٢٨.
- والباقلاني هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبوبكر قاض من كبار علماء الكلام. ولد في البصرة سنة ٣٣٨هـ، وسكن بغداد وتوفي فيها سنة ٤٠٣هـ. من آثاره: إعجاز القرآن. انظر الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٦ ص ١٧٦.
- (٥) انظر التحرير والتنوير مثلاً ج ١ ص ١٧٦ - ج ٨ ص ٣٠ - ج ١١ ص ٢٦٦.
- والسكاكي هو يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي عالم العربية والأدب. ولد بخوارزم سنة ٥٥٥هـ، وتوفي بها سنة ٦٢٦هـ. من كتبه: مفتاح العلوم انظر الأعلام للزركلي ج ٨ ص ٢٢٢.
- (٦) انظر التحرير والتنوير مثلاً ج ١ ص ٣٦٢، ص ٤٠٣، وامرؤ القيس سبقت ترجمته ص ٢٧.
- (٧) انظر التحرير والتنوير مثلاً ج ١ ص ٣٧٧، ج ٣ ص ١٣٨، وأبو تمام سبقت ترجمته ص ٢٧.
- (٨) انظر التحرير والتنوير مثلاً ج ١ ص ١٨٠، ص ٥٤٤.
- والمتنبي هو أحمد بن الحسين الجعفي أبو الطيب ولد سنة ٣٠٣هـ - ٩١٥م ونشأ على حب الشعر. قتله أعداؤه بعد قتال ومبارزة. من آثاره ديوان شعر يعرف بديوان المتنبي. انظر أدباء العرب في العصر العباسية لبطرس البستاني ج ٢ من ص ٣٠٩ إلى ص ٣٣٩. دار الجيل بيروت - لبنان. بدون تاريخ.

الفلاسفة لأبي حامد الغزالي<sup>(١)</sup>، والمقاصد للتفتزاني<sup>(٢)</sup> والعواصم من القواصم لابن العربي<sup>(٣)</sup> والإشارات لابن سينا<sup>(٤)</sup>، والأناجيل<sup>(٥)</sup> وغيرها.

### هـ. أشهر طبعات التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور

١. طبع التحرير والتنوير عدة طبعات في خمسة عشر مجلداً ومن هذه الطبعات:

أ. طبعة سنة ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م الدار التونسية للنشر - تونس.

ب. طبعة سنة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م الدار التونسية للنشر - تونس.

٢. وطبع في ثلاثين مجلداً، حيث جعل لكل جزء من القرآن مجلداً خاصاً به، ومن هذه الطبعات:

أ. الطبعة التونسية سنة ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس.

ب. الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م مؤسسة التاريخ العربي بيروت - لبنان.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على هذه الطبعة الأخيرة.

- 
- (١) انظر التحرير والتنوير مثلاً ج ١ ص ١٣٧، ص ٤٦٢ - ج ٦ ص ١٣٩.
- والغزالي هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد. فيلسوف متصوف ولد في الطابران (قصبه طوس بخراسان) سنة ٤٥٠هـ. وتوفي بها سنة ٥٠٥هـ. من آثاره: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة... انظر الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٧ ص ٢٢.
- (٢) انظر التحرير والتنوير مثلاً ج ١ ص ٢٦٥ - ج ٢ ص ٣٤١، ٣٤٢.
- والتفتزاني سبقت ترجمته ص ١٠.
- (٣) انظر التحرير والتنوير مثلاً ج ٢ ص ٢٩٥ - ص ٥٤٤ - ج ٣ ص ٢٤.
- وابن العربي هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي الإشبيلي الأندلسي المالكي. ولد سنة ٤٦٨هـ وتوفي سنة ٥٤٣هـ. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٢٠ ص ١٩٧.
- (٤) انظر التحرير والتنوير مثلاً ج ١ ص ١٧٨ - ج ٧ ص ٤٢.
- وابن سينا هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا. فيلسوف وطبيب مسلم، يلقب بالشيخ الرئيس ولد في أفشنة قرب بخارى سنة ٣٧٠هـ - ٩٨٠م، وتوفي سنة ٤٢٨هـ - ١٠٣٧م ودفن في همدان وقد تجاوزت مصنفاته المائتين. انظر الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة للدكتور ياسين صلاواتي مج ١ ص ٨٤.
- (٥) انظر التحرير والتنوير مثلاً ج ١ ص ٦٦٦ - ص ٧٢٣ - ج ٣ ص ١٠٢.



## و. المقدمات العشرة

صَدَّرَ ابن عاشور تفسيره بعشر مقدمات رسم فيها منهجه العام الذي سيتبعه في تفسيره لكتاب الله.

وهذه المقدمات عبارة عن مجموعة من العلوم وقواعد وأصول جعلها ابن عاشور عوناً للباحث في التفسير وإغناء له عن الرجوع إلى كثير من المصادر والمراجع.<sup>(١)</sup>

واعتبرها الأستاذ محمد الحبيب ابن الخوجة<sup>(٢)</sup> بمثابة رسالة هامة مستقلة تلم ببعض قضايا علوم القرآن وتعلن عن آراء المفسر إزاء كثير من المسائل والاتجاهات العلمية والتفسيرية.<sup>(٣)</sup>

وأما الموضوعات التي تناولتها هذه المقدمات فهي - باختصار - ما يلي:

المقدمة الأولى: في التفسير والتأويل وكون التفسير علماً.

المقدمة الثانية: في استمداد علم التفسير.

المقدمة الثالثة: في صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي ونحوه.

المقدمة الرابعة: فيما يحق أن يكون غرض المفسر.

المقدمة الخامسة: في أسباب النزول.

المقدمة السادسة: في القراءات.

المقدمة السابعة: في قصص القرآن.

المقدمة الثامنة: في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها.

(١) انظر التحرير والتنوير ج ١ ص ٨.

(٢) سبقت ترجمته، ص ٢٤.

(٣) انظر التحرير والتنوير ومنهج ابن عاشور فيه للشيخ الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة. مقال في مجلة الأصالة ص ٢٧٩.

المقدمة التاسعة: في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها.  
المقدمة العاشرة: في إعجاز القرآن.<sup>(١)</sup>

وإن الناظر في هذه المقدمات يجد أن الأربعة الأولى منها في علم التفسير واستمداده وأنواع التفاسير وفيما يحق أن يكون غرض المفسر. والأربعة الثانية في مادة القرآن ذاته والمقدمتان الباقيتان في مقاصد القرآن ومعانيه المترامية وظواهر إعجازه.<sup>(٢)</sup>

## ٢. منهج ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير

انتهج الشيخ ابن عاشور في تفسيره لكتاب الله العزيز منهج الرواية والدراية، حيث اعتمد في تفسيره على المأثور والرأي المقبول، يفسر القرآن بالقرآن ويفسره بالأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين، كما اهتم بعلوم القرآن من مكّي ومدني وناسخ ومنسوخ، وبيان أسماء السور وأسباب النزول وترتيب النزول والقراءات، والمناسبات والقصص القرآني. واهتم أيضاً باللغة والاشتقاق والنحو والبلاغة وأكثر من الاستشهادات الشعرية وأوضح بجلاء أغراض كل سورة وأوجه الإعجاز القرآني. كما اعتنى بالمسائل الفقهية والعقدية والدعوية... وفي أغلب اهتماماته بهذه العلوم أجده يبرز نكتة علمية يتفرد بها عن غيره من كبار المفسرين. ويمكنني أن أرسم منهجه بإيجاز وفق هذه الخطوات التي اتبعها في تفسيره.

(١) انظر التحرير والتنوير ج ١ من ص ٩ إلى ص ١٢٨.

(٢) انظر التحرير والتنوير ومنهج الشيخ ابن عاشور فيه للدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة مقال نشر بمجلة الأصاله ص ٢٧٩. وانظر التفسير ورجاله للفاضل بن عاشور تذييل محمد الحبيب ابن الخوجة ص ٢٣٦.

أولاً: يبدأ تفسيره بكلام مجمل عن السورة: فيتكلم عن أسماء السورة ويبين وجه التسمية مستدلاً بالأحاديث النبوية التي وردت في ذلك مبينا مصادرها من كتب السنة.

ثم يبين هل السورة مكية أم مدنية، ويأتي بأقوال العلماء في ذلك، ويرجح ما يراه راجحاً وبعدها يتناول في بعض السور سبب النزول، ويبين في كل سورة ترتيبها في النزول ويذكر عدد آياتها.

ثم ينتقل إلى بيان أغراض السورة فيبين الأحكام الواردة فيها، ويوضح ما جاء فيها من آداب وفوائد وعبر ودروس.

وفي هذا الصدد يقول الشيخ الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة تحت عنوان: منهج الشيخ ابن عاشور في التحرير والتنوير:

(بعد التمهيد والمقدمات العشرة التي افتتح بها المؤلف كتابه، نجده يضع بين يدي كل سورة مدخلاً صغيراً لها يعرف فيه أولاً بأسماء السورة، وبمكان نزولها، وبمدة النزول وترتيبها في النزول، وبغاية الناس بها، وبعدها آياتها، وثانياً بمحتوياتها والأغراض الرئيسية التي تلتئم منها، والأسلوب المعتمد في طريقة التصرف القولي والانتقال فيه من غرض إلى غرض...)<sup>(١)</sup>

وقال ابن عاشور:

(ولم أغادر سورة إلا وبينت ما أحيط به من أغراضها لتلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصوراً على بيان مفرداته ومعاني جملة كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله.)<sup>(٢)</sup>

(١) التحرير والتنوير ومنهج الشيخ ابن عاشور فيه للشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة مقال نشر بمجلة الأصالة ص ٢٩١.

(٢) التحرير والتنوير، ج ١ ص ٨.

## ثانياً: اهتمامه بالمناسبات بين الآيات

اهتم الشيخ ابن عاشور في تفسيره بالتناسب بين الآيات اهتماماً بالغاً، دون التناسب بين السور الذي لا يراه حقاً على المفسر، واعتبر أن بيان تناسب اتصال الآيات بعضها ببعض منزع جليل اهتم به قبله الفخر الرازي<sup>(١)</sup> والبقاعي<sup>(٢)</sup> لكنهما لم يأتيا في كثير من الآيات - حسب رأيه - بما فيه مقنع. وفي هذا الصدد يقول:

(واهتمت أيضاً ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض وهو منزع جليل قد عنى به فخر الدين الرازي، وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى: "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع. أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقاً على المفسر.)<sup>(٣)</sup>

والنماذج على اهتمامه بالتناسب بين الآيات كثيرة جداً، وقد جاء في بيانها ببعض التفردات عن غيره من كبار المفسرين، سأوضحها في موضعها عند حديثي عن تفرداته في بيان المناسبات.

## ثالثاً: اهتمامه بأسباب النزول

اهتم الشيخ ابن عاشور كثيراً ببيان أسباب نزول القرآن الكريم. وقد

- 
- (١) سبقت ترجمته ص ٣٠.  
 (٢) هو إبراهيم بن عمر بن حسن بن علي بن أبي بكر البقاعي. أبو الحسن برهان الدين. مؤرخ. أديب، مفسر أصله من البقاع في سوريا. ولد سن ٨٠٩هـ - ١٤٠٦م. وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة. توفي بدمشق سنة ٨٨٥هـ-١٤٨٠هـ. انظر الأعلام للزركلي ج ١ ص ٥٦.  
 (٣) التحرير والتنوير ج ١ ص ٨.

خصص المقدمة الخامسة لبيان أهمية أسباب النزول، واعتبر أن الناس في بيان هذا العلم بين مسرف ومقتصد، ومما ذكره في ذلك قوله:

(فكان أمر أسباب نزول القرآن دائراً بين القصد والإسراف، وكان في غض النظر عنه وإرسال حبله على غاربه خطر عظيم في فهم القرآن. فذلك الذي دعاني إلى خوض هذا الغرض في مقدمات التفسير لظهور شدة الحاجة إلى تمحيصه في أثناء التفسير، وللإستغناء عن إعادة الكلام عليه عند عروض تلك المسائل، غير مُدْخِر ما أراه في ذلك رأياً يجمع شتاتها.)<sup>(١)</sup>

ويرى ابن عاشور أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ويذكر أنه تصفح أسباب النزول التي صحت أسانيدُها فوجدها خمسة أقسام، وهي - باختصار - ما يلي:

- أ - وهو المقصود من الآية يتوقف فهم المراد منها على علمه فلا بد من البحث عنه للمفسر، وهذا منه تفسير مبهمات القرآن.
- ب - هو حوادث تسببت عليها تشريعات أحكام وصور تلك الحوادث لا تُبيّن مُجَمَّلاً ولا تخالف مدلول الآية بوجه تخصيص أو تعميم أو تقييد ولكنها إذا ذكرت أمثالها وجدت مساوية لمدلولات الآيات النازلة عند حدوثها.
- ج - هو حوادث تكثر أمثالها، تختص بشخص واحد فنزلت الآية لإعلانها وبيان أحكامها وزجر من يرتكبها.
- د - وهو حوادث حدثت وفي القرآن تناسب معانيها سابقة أو لاحقة فيقع في عبارات بعض السلف ما يوهم أن تلك الحوادث هي المقصود من تلك الآيات مع أن المراد مما يدخل في معنى الآية.

(١) التحرير والتنوير ج ١ ص ٤٤.

هـ . قسم يبين مجملات ويدفع متشابهات. وقد مثل ابن عاشور لما ذكره بأمثلة كثيرة بين فيها هذه الأقسام الخمسة.<sup>(١)</sup>

### رابعاً: عنايته باللغة والنحو والبلاغة ووجوه الإعجاز وأساليب الاستعمال:

اهتم ابن عاشور في تفسيره اهتماماً كبيراً جداً بشرح المفردات اللغوية والاشتقاق، ومعالجة المسائل النحوية والبلاغية مبيناً أوجه الإعجاز القرآني وأساليب الاستعمال، حيث لا يكاد يمر بمفردة إلا ويقف عندها ويشرحها، كما يتعرض لبيان تراكيب الجملة القرآنية، فيبين ما فيها من إعراب ومعاني وبيان.

وقد جاء في كل ذلك بنكت وتفردات عن غيره من العلماء، سأرجئ بيانها إلى الفصل الأول من هذا البحث أثناء كلامي عن تفرداته في اللغة والنحو والبلاغة.

والجدير بالذكر أن ابن عاشور قد خصص المقدمة العاشرة لبيان الإعجاز القرآني، أتى فيها بكلامٍ في منتهى النفاسة.<sup>(٢)</sup> كما صرح باهتمامه بهذا الجانب قائلاً:

(وقد اهتمت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال ...

واهتمت بتبيين معاني المفردات في اللغة بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة، وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده، ويتناول منه فوائد ونكتا على قدر استعداده، فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير ومن أساليب

(١) انظر المصدر السابق، ج ١ من ص ٤٦ إلى ٤٨.

(٢) المصدر السابق ج ١ من ص ٩٩ إلى ص ١٢٨.

الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير..<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>

### خامساً: اهتمامه بالقراءات

خصَّ ابن عاشور المقدمة السادسة من مقدمات تفسيره لموضوع القراءات، وقد بيَّن موقفه منها، وطبَّق ذلك عملياً أثناء تفسيره. فهو يعتبرها علماً جليلاً مستقلاً قد أشبعه المتخصصون فيه بالتدوين والتأليف.

وبيَّن أن إقدامه للكتابة فيها في هذه المقدمة ما هو إلا لبيان مقدار تعلق اختلاف القراءات بالتفسير، وتوضيح مراتب القراءات قوة وضعفاً.<sup>(٣)</sup> وقد ابتدأ كلامه ببيان اختلاف القراءات في التفسير، ويرى في ذلك أن للقراءات حالتين: حالة لا تعلق لها بالتفسير كاختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات كمقادير المد والإمالات والجهر والهمس والغنة...<sup>(٤)</sup> وحالة ثانية لها تعلق بالقراءات من جهات متفاوتة وهي اختلاف القراء في حروف الكلمات مثل ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾<sup>(٥)</sup> و﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، و﴿نُنشِرُهَا﴾ و﴿نُنشِرُهَا﴾<sup>(٦)</sup> وكذلك اختلاف الحركات الذي يختلف معه معنى الفعل.<sup>(٧)</sup> ويرى أيضاً أنه ينبغي على المفسر أن يُبين اختلاف القراءات المتواترة لأن

(١) النحر والنحرير بكسرهما: الحاذق الماهر، العاقل المجرب، المتقن، الفطن، البصير بكل شيء، لأنه ينحر العلم نحرًا. انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٤٤٧. باب الرء. فصل النون. الفعل نحر.

(٢) التحرير والتنوير ج ١ ص ٨.

(٣) انظر التحرير والتنوير ج ١ ص ٥٠.

(٤) انظر التحرير والتنوير ج ١ ص ٥٠.

(٥) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٧) انظر التحرير والتنوير ج ١ ص ٥٤.

في اختلافها . كما ذكر . توفيراً لمعاني الآية غالباً فيقوم تعدد القراءات مقام  
تعدد كلمات القرآن.<sup>(١)</sup>

ثم تكلم عن مراتب القراءات الصحيحة والترجيح بينها وصرح بموقفه  
تجاه الزمخشري في توهينه للقراءات المتواترة إذا خالفت ما دُون عليه علم  
النحو؛ فقال:

(وأما ما خالف الوجوه الصحيحة في العربية ففيه نظر قوي لأننا لا ثقة لنا  
بانحصار فصيح كلام العرب فيما صار إلى نحاة البصرة والكوفة، وبهذا  
تُبطل كثيراً مما زيفه الزمخشري من القراءات المتواترة بعلّة أنها جرت على  
وجوه ضعيفة في العربية لاسيما ما كان منه في قراءة مشهورة كقراءة عبد الله  
ابن عامر<sup>(٢)</sup> قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ  
شُرَكَاءَهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> ببناء (زين) للمفعول وبرفع (قتل)، ونصب (أولادهم) وخفض  
(شركائهم).<sup>(٤)</sup>

والملاحظ أن ابن عاشور عند تفسيره لهذه الآية وجدته قد تعقب على  
الزمخشري<sup>(٥)</sup> في توهينه لقراءة الآية وردّ عليه بردود قوية أبطل كلامه من  
أساسه، وردّ أيضاً على ابن عطية<sup>(٦)</sup> بكلام نفيس حينما اعتبر هذه القراءة

(١) انظر التحرير والتنوير ج ١ ص ٥٥.

(٢) هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة الدمشقي. كان تابعياً جليلاً، وإماماً بالجامع الأموي في  
أيام الخليفة عمر بن عبد العزيز وقبله وبعده. جمع له بين الإمامة والقضاء ومشیخة الإقراء بدمشق.  
ولد سنة ٢١هـ وتوفي سنة ١١٨هـ. انظر معجم القراءات القرآنية. إعداد الدكتور أحمد مختار عمر  
والدكتور عبدالعال سالم مكرم ج ١ ص ٢٩. ط ١ س ١٤١٢هـ - ١٩٩١م. مط: أمير - إيران.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٣٧.

(٤) التحرير والتنوير ج ١ ص ٦٠.

(٥) ستأتي ترجمته ص ٤٩.

(٦) ستأتي ترجمته ص ٦٣.



ضعيفة في استعمال العرب، كما تعجب من كلام الطبري<sup>(١)</sup> في ذلك.<sup>(٢)</sup>  
أما منهجه في تعامله وتعرضه للقراءات أثناء تفسيره للقرآن الكريم،  
فقد وضحه بتبنيه عليه قائلاً:

(تبيه: أنا أقتصر في هذا التفسير على التعرض لاختلاف القراءات العشر  
المشهورة خاصة في أشهر روايات الراوين عن أصحابها لأنها متواترة، وإن  
كانت القراءات السبع قد امتازت على بقية القراءات بالشهرة بين المسلمين في  
أقطار الإسلام. وأبني أول التفسير على قراءة نافع<sup>(٣)</sup> برواية عيسى ابن مينا  
المدني الملقب بقالون<sup>(٤)</sup> لأنها القراءة المدنية إماماً وراوياً ولأنها التي يقرأ بها  
معظم أهل تونس. ثم أذكر خلاف بقية القراء العشرة خاصة.)<sup>(٥)</sup>

### سادساً: اهتمامه بالمسائل العقديّة

(الشيخ ابن عاشور في عقيدته سني أشعري، وهو إن كان ينتصر لمذهبه  
السني في كثير من الأحيان ويدافع عنه إلا أنه لا يتسرع في إصدار الأحكام  
المضادة على الطرف الآخر. فهو يرى أنه لا مانع من الاختلاف ما دام الجميع  
ينضوون تحت حظيرة الإسلام.)<sup>(٦)</sup>

(١) سبقت ترجمته ص ٧٦.

(٢) انظر التحرير والتنوير ج ٧ ص ٧٧، ٧٨.

(٣) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم القاري المدني أصله من أصبهان. كان من القراء الفقهاء العبّاد. مات  
سنة ١٦٩هـ. انظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج ١٠ ص ٤٠٧، ٤٠٨. ط ١ س ١٤١٤هـ-  
١٩٩٣م. الفاروق الحديثة للطباعة والنشر القاهرة - مصر.

(٤) هو عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى المدني. أبو موسى. أحد القراء المشهورين ولد بالمدينة سنة  
١٢٠هـ وتوفي بها سنة ٢٢٠هـ. انتهت إليه الرياسة في علوم العربية والقراءة في زمانه بالحجاز. وقالون:  
لقب دعاه به نافع القارئ لجودة قراءته. انظر الأعلام للزركلي ج ٥ ص ١١٠.

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١ ص ٦٢.

(٦) الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسيره: التحرير والتنوير للدكتورة هيا ثامر مفتاح العلي ص ٤٥٩.

وقد اهتم في تفسيره بالمسائل العقدية اهتماماً بالغاً، فيتكلم في المسألة العقدية بما يراه صواباً ثم يناقش فيها آراء علماء المذاهب والفرق الكلامية. فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمْ

الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup> يتناول مسألة الإيمان بإسهاب، ويأتي بآراء العلماء والمذاهب في ذلك، ويناقشها ويبين الفروق بينها.<sup>(٢)</sup>

وعندما يتكلم عن مسألة الرؤية أجده يناقش المعتزلة ويرد عليهم قولهم رداً علمياً مبنياً على الدليل.

وهكذا يصنع عندما يتكلم عن مسألة الشفاعة ومرتكب الكبيرة وغيرهما، فهو في كل هذا ينتصر لمذهبه السني ويرد على المذاهب الأخرى بالحجة والبرهان.

والملاحظ أنه بالرغم من مخالفة ابن عاشور لأفكار المعتزلة وردده عليهم، دفاعاً عن عقيدة أهل السنة والجماعة، أجده متأثراً بهم في بعض الأمور، كما تأثر بالمدرسة العقلية الحديثة<sup>(٣)</sup>، بدليل أنه أنكر أثر السحر في المسحور إذا كان هذا السحر مجرد رسم أشكال يعبر عنها بالطلاسم أو عقد خيوط والنفث عليها برقيات معينة تتضمن الاستجداد بالكواكب وبأسماء الشياطين والجن وآلهة الأقدمين ...

واعتبر هذا من التوهّمات ليس على تأثيرها دليل من الشرع ولا من العقل.<sup>(٤)</sup>

(١) سورة البقرة، الآية: ٨.

(٢) انظر التحرير والتنوير ج ١ من ص ٢٦٢ إلى ص ٢٧٠.

(٣) إمامها وأستاذها الشيخ محمد عبده. انظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير للدكتور فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي ص ١٢٣، ١٢٤. ط ٣ س ١٤٠٧هـ مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان.

(٤) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١ ص ٦١٦.

وقد أدى به إنكار هذا النوع من السحر إلى إنكار أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد سحره لبيد بن الأعصم<sup>(١)</sup>، وراح يؤول مفهوم حديث عائشة<sup>(٢)</sup>. رضي الله عنها. الثابت في الصحاح<sup>(٣)</sup> والذال على أنه - صلى الله عليه وسلم - قد سحر<sup>(٤)</sup>.

### سابعاً: اهتمامه بالأحكام الفقهية

اهتم الشيخ ابن عاشور في تفسيره بالأحكام الفقهية اهتماماً بالغاً، فهو لا يكاد يمر بآية قرآنية تتناول الأحكام والمسائل الفقهية إلا ويتكلم فيها ويعالجها بكل موضوعية.

أما مذهبه الذي اتبعه، فهو المذهب المالكي، وقد سار عليه بدون تعصب، حيث أجده يُبين الحكم الفقهي في الآية القرآنية بروح علمية متزنة، فيذكر مذهب الإمام مالك<sup>(٥)</sup> في المسألة ويبرز آراء المذاهب الأخرى ويناقشها ويرد عليها، وكثيراً ما يلجأ إلى ترجيح مذهبه المالكي بالدليل<sup>(٦)</sup>، وأحياناً

(١) هو لبيد بن الأعصم اليهودي، كان حليفاً في بني زريق كما كان ساحراً. جاءه رؤساء يهود الذين بقوا بالمدينة ممن يظهر الإسلام وهو منافق وطلبوا منه أن يسحر النبي صلى الله عليه وسلم مقابل ثلاثة دنانير، فوافق وأقدم على السحر. ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك. عفا عنه ولم يقتله. انظر الطبقات الكبرى لابن سعد مج ٢ من ص ١٩٦ إلى ص ١٩٩. دارصادر بيروت - لبنان. بدون تاريخ.

(٢) هي عائشة بنت الخليفة أبي بكر الصديق أم المؤمنين ولدت بمكة في السنة الثامنة قبل الهجرة وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بنت ست وقيل بنت سبع، وبنى بها وهي بنت تسع. توفيت بالمدينة المنورة في ١٧ رمضان سنة ٥٨هـ. ودفنت بالبقيع. انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج ٤ من ص ٣٥٩ إلى ص ٣٦١. مكتبة المثنى بغداد. العراق. بدون تاريخ.

(٣) الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله... << أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الطب. باب السحر ص ٨١٣. ط ١ س ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م مكتبة الرشد - ناشرون. الرياض - المملكة العربية السعودية.

(٤) انظر التحرير والتنوير ج ١ ص ٦١٦.

(٥) سبقت ترجمته، ص ٣٢.

(٦) انظر التحرير والتنوير مثلاً ج ٢ ص ١٦٠، ص ١٦١، ص ٤٤٥، ص ٤٤٦.

يرجح غيره ويرد على مذهبه<sup>(١)</sup>.

والذي ينبغي التنبية عليه هو أن للشيخ ابن عاشور اجتهادات وتفردات عن غيره من كبار الفقهاء والمفسرين، سأوردها وأوضحها عند كلامي عن تفرداته الفقهية ضمن الفصل الثاني من هذا البحث.

### ثامناً: اهتمامه بالقصص القرآني:

اهتم الشيخ ابن عاشور في تفسيره بالقصص القرآني كثيراً وقد أفرد له المقدمة السابعة للتعريف به وبيان مميزاته وفوائده<sup>(٢)</sup>.

فَعَرَّفَ به وذكر أن له ثلاث ميزات أساسية هي - باختصار -:

١- نُظِمَ القصص على أسلوب الإيجاز ليكون شبهها بالتذكير أقوى من شبهها بالقصص.

٢- طي ما يقتضيه الكلام الوارد كقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَأَسْتَبَقَا

الْبَابَ﴾<sup>(٣)</sup> فقد طوى ذكر حضور سيدها وطرقه الباب وإسراعهما إليه لفتحه...

٣- إن القصص بُثت بأسلوب بديع إذ ساقها في مظان الاتعاظ بها على

المحافظة على الغرض الأصلي الذي جاء به القرآن...<sup>(٤)</sup>

أما فوائد القصص القرآني فقد حصرها ابن عاشور في عشر فوائد:<sup>(٥)</sup>

(١) انظر التحرير والتنوير مثلاً ج ٢ ص ٢٢٨، ص ٢٢٩، ص ٥٦٥، ص ٥٦٦.

(٢) انظر التحرير والتنوير ج ١ من ص ٦٣ إلى ص ٦٨.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٥.

(٤) انظر التحرير والتنوير ج ١ ص ٦٤.

(٥) انظر التحرير والتنوير ج ١ من ص ٦٤ إلى ص ٦٧.

وقد تكرر ذكر بعضها في مواضع القصص القرآني.<sup>(١)</sup>  
والملاحظ أنني وجدته يوجه سهام النقد إلى الروايات الباطلة ويعتبرها من  
أوهام المؤرخين والقصاص.<sup>(٢)</sup>

إلا أن اعتماد الشيخ ابن عاشور - أحياناً - على كتب التوراة في إيراد  
القصص والتاريخ بدون أن يعلق عليها، ويبين صحتها من باطلها<sup>(٣)</sup>؛ يجعلنا  
متوقفين في قبول بعض هذا القصص بسبب عدم الثقة في تلك الكتب التي  
دخلها التحريف والتبديل.

### تاسعاً: موقفه من الإسرائيليات:

يتضح لنا موقف ابن عاشور من الإسرائيليات - باختصار - من خلال  
تعامله معها وفق النقاط الثلاث الآتية:

- ١- أحياناً ينتقد الرواية الإسرائيلية ويعتبرها من الموضوعات ويرد عليها  
وعلى من استشهد بها من المفسرين.<sup>(٤)</sup>
- ٢- وأحياناً أخرى يأتي بالرواية الإسرائيلية، ويشير إلى بطلانها ولا يتعقبها  
بالنقد والرد.<sup>(٥)</sup>
- ٣- وتارة يستشهد في تفسيره بالروايات الإسرائيلية معتمداً على ما جاء في  
أسفار أهل الكتاب<sup>(٦)</sup>، حتى ولو كان مخالفاً للعقيدة الإسلامية في  
عصمة الأنبياء. وهذا - في الحقيقة - مأخذ كبير يسجل عليه.<sup>(٧)</sup>

(١) انظر - مثلاً - ما ذكره من فوائد عند تفسيره لسورة يوسف ج ١٢ ص ٧٢٦.

(٢) انظر - مثلاً - التحرير والتنوير ج ١٥ ص ١٢٤.

(٣) انظر - مثلاً - التحرير والتنوير ج ١ ص ٤٩٢، ص ٤٩٣، ص ٥٥٩، ص ٥٦٠.

(٤) انظر التحرير والتنوير ج ١ ص ٦٤٢، ٦٤٣.

(٥) انظر التحرير والتنوير ج ١ ص ٦٣٠.

(٦) انظر التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٨٥ ج ٢٠ ص ٣٠.

(٧) انظر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسيره "التحرير والتنوير": تأليف الدكتورة هيا ثامر  
مفتاح العلي من ص ٥٠٥ إلى ص ٥٠٧.

## ٢- التعريف بالزمخشري وبيان منهجه في تفسيره

### أ- التعريف بالزمخشري

#### ١- مولده ونشأته العلمية<sup>(١)</sup>:

ولد محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري بزمخشري (من أعمال خوارزم) يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٤٦٧هـ. ونشأ في ظل أسرة فقيرة متدينة ظفرت بحظ من علم وأدب، ومات أكثر أفرادها في حياته.<sup>(٢)</sup>

ولما بلغ سن الطلب رحل إلى بخارى<sup>(٣)</sup> لطلب العلم، كما رحل إلى بغداد وإلى مكة، وكانت إحدى رجليه ساقطة فكان يمشي برجل من خشب.<sup>(٤)</sup> وقد كان الزمخشري مجتهداً في طلب العلم وتحصيله، أديباً شاعراً (متيماً بالعربية متفانياً فيها، منقطعاً لروايتها وتحقيقها وخدمة علومها، مفضلاً لها، مناصراً لخصائصها ومعارفها...)<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) انظر وفيات الأعيان وأنباء الزمان لابن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس مج ٥ ص ١٧٣. ط س ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م. دار صادر بيروت- لبنان.
- وانظر معجم الأدباء لياقوت الحموي. تحقيق الدكتور إحسان عباس ج ٦ ص ٢٦٨٨.
- (٢) انظر منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إجازته للدكتور مصطفى الصاوي الجويني ص ٢٧. ط ٣. دار المعارف القاهرة- مصر. بدون تاريخ.
- (٣) من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها وتقع في دولة أوزباكستان وإليها ينسب الإمام محمد بن إسماعيل البخاري. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي مج ١ ص ٣٥٣. ط س ١٣٩٧هـ. دار صادر بيروت- لبنان.
- (٤) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان مج ٥ ص ١٦٩، ١٧٠.
- (٥) التفسير ورجاله: لمحمد الفاضل ابن عاشور ص ٦٥.

## ٢- شيوخ الزمخشري وتلاميذه

**أ- شيوخه:** للزمخشري شيوخ كثيرون أشهرهم:

١. أبو مضر الضبي الأصبهاني:

هو محمود بن جرير الضبي الأصبهاني أبو مضر النحوي كان يلقب فريد العصر وكان وحيد دهره وأوانه في علم اللغة والنحو والطب. أقام بخوارزم<sup>(١)</sup> مدة وانتفع الناس بعلومه ومكارم أخلاقه، وأخذوا عنه علماً كثيراً، وتخرج عليه جماعة من الأكابر في اللغة والنحو منهم الزمخشري. وهو الذي أدخل إلى خوارزم مذهب المعتزلة ونشره بها، فاجتمع عليه الخلق وتمذهبوا بمذهبه، منهم أبو القاسم الزمخشري. مات بمرور<sup>(٢)</sup> سنة ٥٠٧هـ.<sup>(٣)</sup>

٢. ابن كرامة

هو المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي، مفسر، عالم بالأصول والكلام، حنفي معتزلي ثم زيدي. تخرج عليه جماعة من أهل العلم من أشهرهم الزمخشري. ولد سنة ٤١٣هـ وتوفي مقتولاً بمكة سنة ٤٩٤هـ.<sup>(٤)</sup>

**ب- تلاميذ الزمخشري:** تخرج على الزمخشري مجموعة من التلاميذ أشهرهم:

١. محمد البقالي:

هو محمد بن أبي القاسم ياجوك أبو الفضل البقالي الخوارزمي. أخذ عن الزمخشري اللغة وعلم الإعراب والحديث. توفي سنة ٥٦٢هـ.<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) إقليم أو مدينة كان يقال لها في القديم فيل ثم قيل لها المنصورة تقع في شرقي جيحون بجمهورية أوزباكستان. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي مج ٢ ص ١٢٢.
- (٢) أشهر مدن خراسان وقصبتها. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي مج ٥ ص ١١٢.
- (٣) انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي. تحقيق الدكتور إحسان عباس ج ٦ ص ٢٦٨٥، ٢٦٨٦.
- (٤) انظر الأعلام: للزركلي ج ٥ ص ٢٨٩.
- (٥) انظر معجم الأدباء: لياقوت الحموي ج ٦ ص ٢٦١٨.

## ٢. أبو الحسن الأديب:

هو علي بن محمد بن علي بن أحمد بن هارون العمراني الخوارزمي. قرأ الأدب على الزمخشري وصار من أكبر أصحابه وأوفرهم حظاً من غرائب آدابه. توفي فيما يقارب ٥٦١هـ.<sup>(١)</sup>

## ٣. أبو المؤيد:

هو الموفق بن أحمد بن أبي سعيد إسحاق المعروف بخطيب خوارزم. كان متمكناً في العربية، فقيهاً، أديباً شاعراً. قرأ على الزمخشري، وله خطب وشعر. مات سنة ٥٦٨هـ.<sup>(٢)</sup>

## ٣. وفاة الزمخشري وآثاره العلمية

توفي أبو القاسم الزمخشري ليلة عرفة سنة ٥٣٨هـ بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة.<sup>(٣)</sup>

وقد خلف آثاراً علمية هائلة منها:

الكشاف في تفسير القرآن، الفائق في غريب الحديث، الكلم النوابغ في المواعظ، الرائض في الفرائض، المنهاج في الأصول. الأنموذج في النحو، والمفصل، والأمال في النحو أيضاً. أساس البلاغة في اللغة، وجواهر اللغة، وكتاب الأسماء في اللغة أيضاً. والقسطاس في العروض والمستقصى في الأمثال، وربيع الأبرار في الأدب والمحاضرات، وشرح كتاب سيبويه<sup>(٤)</sup>. وديوان التمثيل وديوان شعر<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر معجم الأدباء: لياقوت الحموي ج ٥ ص ١٩٦١.

(٢) انظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للسيوطي. تحقيق محمد عبدالرحيم. ط ١ س ١٤٢٥هـ دارالفكر بيروت- لبنان.

(٣) انظر وفيات الأعيان: لابن خلكان مج ٥ ص ١٧٣.

(٤) سبقت ترجمته ص ٣٤.

(٥) انظر معجم الأدباء: لياقوت الحموي ج ٦ ص ٢٦٩١.



## ب - منهج الزمخشري في كشافه

### ١. التعريف بالتفسير:

أ - اسمه: هو (الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) واشتهر بين الناس باسم: (الكشاف) مراعاة للاختصار وقد طبع كثيرا، في أربعة مجلدات.

### ب. مدة كتابته:

بدأ الزمخشري في كتابة تفسيره سنة ٥٢٦هـ بجوار بيت الله الحرام،<sup>(١)</sup> وبقي في كتابته كمدة خلافة أبي بكر الصديق<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه، وهي مدة رآها الزمخشري قصيرة جداً، حيث كان من المقدر أن يتمه في أكثر من ثلاثين سنة.

وقد صرح صاحب الكشاف بذلك فقال: (ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان يقدر تمامه في أكثر من ثلاثين سنة، وما هي إلا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة أفيضت عليّ من بركات هذا الحرم المعظم).<sup>(٣)</sup>

والذي ينبغي التنبيه عليه هو أن الزمخشري لم يشرع في كتابة تفسيره إلا بعدما أجاد في كثير من العلوم والفنون.

- 
- (١) لقب الزمخشري بجار الله بسبب مجاورته لبيت الله الحرام.
- (٢) هو عبد الله بن أبي قحافة بن عامر ابن كعب التميمي القرشي. أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال. ولد بمكة سنة ٥١ق. هـ. وتوفي سنة ١٣هـ. ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر أو سنتان وأربعة أشهر إلا أياماً.
- انظر أسد الغاية في معرفة الصحابة: لابن الأثير ج ٣ من ص ٢٠٥ إلى ص ٢٢٤. ط س ١٢٨٦هـ مط: جمعية المعارف المصرية. وانظر الأعلام: للزركلي ج ٤ ص ١٠٢
- (٣) الكشاف: للزمخشري ج ١ ص ٩.

يقول الفاضل بن عاشور<sup>(١)</sup> - بعد ذكره لمجموعة من مؤلفات الزمخشري - (فبهذا التكون الأدبي الراسخ، والمعرفة العربية الواسعة مع مقامه في العلوم الإسلامية، إذ كان إماماً من أئمة المتكلمين على الطريقة الاعتزالية، وفتيها من كبار الفقهاء على المذهب الحنفي، وعلى ما سار من ذكره، واشتهر من أمره، بعد أن شاعت كتبه وقدرها العارفون حقَّ قدرها، أقبل أبو القاسم الزمخشري على تفسير القرآن)<sup>(٢)</sup>

#### ج. مصادر الزمخشري في تفسيره:

اعتمد الزمخشري في تفسيره القرآن الكريم على مصادر مختلفة من أهمها ما يلي:

#### أ. مصادره من كتب التفسير:

رجع الزمخشري إلى مجموعة من كتب التفسير أهمها: تفسير مجاهد<sup>(٣)</sup> وتفسير معاني القرآن للزجاج<sup>(٤)</sup>، وتفسير الرماني<sup>(٥)</sup>.

(١) سبقت ترجمته ص ٢٣.

(٢) التفسير ورجاله: للفاضل بن عاشور ص ٦٦.

(٣) انظر الكشاف مثلاً ج ١ ص ٢٨٤، ص ٣٠٨، ص ٣٣٧. ومجاهد هو: مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي المكي المقرئ المفسر التابعي. ولد سنة ٢١هـ وتوفي سنة ١٠٣هـ. انظر تذكرة الحفاظ للذهبي مج ١ ج ١ ص ٩٢. ط ٣. دار إحياء التراث العربي. بيروت- لبنان. بدون تاريخ.

(٤) انظر الكشاف للزمخشري مثلاً مج ٢ ص ٨٤ ص ٨٩، ص ١٥٤.

• والزجاج هو إبراهيم بن السري بن سهل. أبو إسحاق. عالم بالنحو واللغة ولد ببغداد سنة ٢٤١هـ وتوفي بها سنة ٣١١هـ. انظر الأعلام للزركلي ج ١ ص ٣٣.

(٥) انظر الكشاف للزمخشري مثلاً مج ١ ص ١٨. فالزمخشري ينقل عن الرماني ولا يعزو إليه. انظر منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه للدكتور الصاوي ص ٨٦، ٨٧. والرماني هو علي بن عيسى ابن عبدالله. أبو الحسن، نحوي ولغوي ومتكلم، معتزلي، بغدادي ولد سنة ٢٩٦هـ وتوفي سنة ٣٨٦هـ. انظر الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة للدكتور ياسين صلاواتي مج ٤ ص ١٨٤٠.

ب. أهم مصادره من كتب الحديث:

رجع الزمخشري في تفسيره إلى كتب الحديث وأهمها صحيح البخاري<sup>(١)</sup> وصحيح مسلم<sup>(٢)</sup>.

ج. أهم مصادره من كتب اللغة والنحو والأدب والشعر:

كتاب سيبويه<sup>(٣)</sup> والكامل للمبرد<sup>(٤)</sup>. وكتاب الحجة لأبي علي الفارسي<sup>(٥)</sup>، وكتاب التمام لابن جني<sup>(٦)</sup>، والحيوان للجاحظ<sup>(٧)</sup> وشعر أبي تمام<sup>(٨)</sup>.

د. اهتمام العلماء بتفسير الزمخشري:

اهتم العلماء بتفسير الكشاف اهتماماً كبيراً، ويتجلى ذلك من خلال ما كتب عليه من حواشي واختصارات.

- 
- (١) انظر الكشاف للزمخشري مثلاً: مج ١ ص ٥٤٢. مج ٢ ص ٢٥٩، ص ٢٦٠. والبخاري سبقت ترجمته ص ٣٢.
- (٢) انظر الكشاف للزمخشري مثلاً مج ١ ص ١١٨، ص ١٢٠. مج ٢ ص ٢٦٠. ومسلم سبقت ترجمته ص ٣٢.
- (٣) انظر الكشاف للزمخشري مثلاً مج ١ ص ٣١. مج ٢ ص ١٤١. مج ٤ ص ٢٢١. وسيبويه سبقت ترجمته ص ٣٤.
- (٤) انظر الكشاف للزمخشري مثلاً: مج ١ ص ٥٣٦. مج ٢ ص ٤٥٦. والمبرد هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر. إمام العربية ببغداد في زمنه ولد بالبصرة سنة ٢١٠هـ وتوفي ببغداد سنة ٢٨٢هـ. انظر الأعلام للزركلي ج ٧ ص ١٤٤.
- (٥) انظر الكشاف مثلاً مج ١ ص ٣١.
- وأبو علي الفارسي هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل. أبو علي: أحد الأئمة في علم العربية. ولد في فسا (من أعمال فارس) سنة ٢٨٨هـ. وتوفي ببغداد سنة ٣٧٧هـ. انظر الأعلام للزركلي ج ٢ ص ١٧٩، ١٨٠.
- (٦) انظر الكشاف للزمخشري مثلاً مج ٣ ص ١٠.
- وابن جني هو: عثمان بن جني الموصل. أبو الفتح: من أئمة الأدب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل. وتوفي ببغداد سنة ٣٩٢هـ. انظر الأعلام للزركلي ج ٤ ص ٢٠٤.
- (٧) انظر الكشاف للزمخشري مثلاً: مج ٣ ص ٣٥٠.
- والجاحظ هو عمرو بن بحر بن محبوب كبير أئمة الأدب ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. ولد بالبصرة سنة ١٦٣هـ، ومات بها سنة ٢٥٥هـ. وقد قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. انظر الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٧٤.
- (٨) انظر الكشاف للزمخشري مثلاً: مج ١ ص ٨٤، مج ٤ ص ٨١٧. وأبو تمام سبقت ترجمته ص ٢٧.



قال حاجي خليفة: <sup>(١)</sup>

(... ولما كان كتاب الكشاف هو الكافل في هذا الفن اشتهر في الآفاق واعتنى الأئمة المحققون بالكتابة عليه فمن مميّز لا اعتزال حاد فيه عن صوب الصواب ومن مناقش له فيما أتى به من وجوه الإعراب ومن محش وضح ونقح واستشكل وأجاب، ومن مخرج لأحاديثه عزا وأسند وصحح وانتقد ومن مختصر لخص وأوجز). <sup>(٢)</sup>

ثم ذكر حاجي خليفة ما كتب على تفسير الزمخشري بالتفصيل: <sup>(٣)</sup>

## ٢. منهج الزمخشري في تفسيره:

يتضح من قراءة تفسير الكشاف أن الزمخشري قد سلك في تفسيره منهجاً ركز فيه على بيان وجه الإعجاز البياني للقرآن الكريم، وإبراز عقيدة المعتزلة مع انتصاره لها.

وإن كان هذا الجانب هو الغالب على تفسير الكشاف؛ فإن الزمخشري لم يهمل التفسير بالمأثور <sup>(٤)</sup>، حيث فسر القرآن بالقرآن وفسر القرآن بالسنة،

(١) هو مصطفى بن عبد الله. المعروف بحاجي خليفة. مؤرخ باحثة تركي الأصل ولد في القسطنطينية سنة

١٠١٧هـ، وتوفي بها سنة ١٠٦٧هـ. انظر الأعلام للزركلي ج ٩ ص ٢٣٦.

(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة مج ٢ ص ١٤٧٧. منشورات مكتبة المثني. بيروت- لبنان. بدون تاريخ.

(٣) انظر المصدر السابق ج ٩ من ص ١٤٧٧ إلى ص ١٤٨٢.

(٤) انظر الكشاف للزمخشري مثلاً مج ١ ص ٢٩٥، ص ٣٤٥ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ

الظَّالِمُونَ﴾ سورة البقرة، الآية: ٢٥٤. وتفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ

أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

● وانظر كذلك الكشاف للزمخشري مج ٢ ص ٢٢٤ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا

أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

كما رجع إلى أقوال الصحابة والتابعين، واهتم بعلوم القرآن، كما اهتم بالأحكام الفقهية، ولم يكثر من الرجوع إلى الروايات الإسرائيلية. وإليك بيان منهجه - باختصار - من خلال العناصر التالية:

### أولاً: اهتمامه بالناحية البلاغية للقرآن الكريم:

ركز الزمخشري في تفسيره لكتاب الله على بيان الناحية البلاغية للقرآن الكريم، واهتم بهذا الجانب اهتماماً بالغاً، حيث يرى أن أسرار القرآن وبيان نكته وحقائقه لا تتأتى إلا لمن كان عالماً بمجموعة من العلوم أهمها: علما المعاني والبيان. ومما ذكره في ذلك قوله:

(... ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق؛<sup>(١)</sup> إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما: علم المعاني وعلم البيان؛ وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التتقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانها همة من معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله؛ بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ...)<sup>(٢)</sup>

وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد حسين الذهبي<sup>(٣)</sup>:

(عندما يلقي الإنسان نظرة فاحصة على العمل التفسيري الذي قام به العلامة الزمخشري في كشافه، يظهر له من أول وهلة، أن المبدأ الغالب عليه في جهوده التفسيرية، كان في تبيين ما في القرآن من الثروة البلاغية التي كان

(١) يعني: حقائق القرآن الكريم ونكته وأسراره.

(٢) تفسير الكشاف للزمخشري مج ١ ص ٧.

(٣) هو الأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبي. مصري. ولد سنة ١٩١٥م وحصل على الشهادة العالمية أي الدكتوراه بدرجة أستاذ في علوم القرآن عام ١٩٤٦م من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر. عُين أستاذاً في كلية أصول الدين ثم عميداً لها ثم وزيراً للأوقاف المصرية. اغتيل سنة ١٩٧٧م. انظر الموسوعة الحرة على شبكة الانترنت. [www.wikipedia.org/wiki](http://www.wikipedia.org/wiki).

لها كبير الأثر في عجز العرب عن معارضته والإتيان بأقصر سورة من مثله، والذي يقرأ ما أورده الزمخشري عند تفسيره لكثير من الآيات من ضروب الاستعارات، والمجازات، والأشكال البلاغية الأخرى، يرى أن الزمخشري كان يحرص كل الحرص على أن يبرز في حلة بديعة جمال أسلوبه وكمال نظمه، وإنا لنكاد نقطع - إذا استعرضنا كتب التفسير وتأملنا مبلغ عنايتها باستخراج ما يحتويه القرآن من ثروة بلاغية في المعاني والبيان - بأنه لا يوجد تفسير أوسع مجالاً في جهوده في هذا الصدد من تفسير الزمخشري.<sup>(١)</sup>

وإن الأمثلة على اهتمام صاحب الكشاف بهذا الجانب البلاغي كثيرة ومتعددة، يمكن الوقوف على بعضها في الصفحات الأولى من تفسيره.<sup>(٢)</sup>

### ثانياً: اهتمامه باللغة والنحو:

اهتم الزمخشري في تفسيره للقرآن الكريم باللغة والنحو كثيراً، حيث يقوم بشرح مفردات الآية شرحاً وافياً، مبيناً اشتقاق ألفاظها، مهتما بإعراب كلماتها، مستشهداً في ذلك بالشعر وأقوال العرب، مفترضاً في - الغالب - أسئلة يناقش فيها وجوه الإعراب واختلاف العلماء والمذهب، يبدوها بقوله: (فإن قلت)، ويجيب عنها، مصدراً جوابه بـ(قلت).<sup>(٣)</sup>

وفي هذا الصدد يقول الدكتور الجويني:<sup>(٤)</sup>

(١) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي ج ١ ص ٣١٣ ط ٧ س ١٤٢١هـ. الناشر: مكتبة وهبة القاهرة - مصر.

(٢) انظر تفسير الكشاف للزمخشري مثلاً: مج ١ ص ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٦.

(٣) انظر تفسير الكشاف للزمخشري مثلاً: مج ١ ص ٢٢، ٢٣، ص ٢٦، ٢٧، ص ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥. ومن ص ٤٥ إلى ص ٤٩.

(٤) هو الدكتور مصطفى الصاوي الجويني. أستاذ مصري معاصر.

(صورة أخرى نلمحها من تفسير الكشاف، صورة العالم اللغوي. فهو يعرض اللفظ القرآني عرضاً عرفته العرب في معاني منطقتها لأن القرآن عربي ومعانيه معاني كلام العرب ... وهو يسير على نهج اللغويين الأوائل الذين كانوا يسمعون من العرب ومن سماعهم يفسرون كلام الله ....

وأما عن شخصية الزمخشري كعالم نحوي فهو حين يعرض للقرآن من الوجهة الإعرابية لا ينساق وراء صناعته النحوية كالنحويين فيحيف على جانب المعنى وإنما يجعل همه المعنى حيثما كان هناك تقدير إعرابي فنراه يبين الأحكام النحوية وما وراءها من فروق معنوية.<sup>(١)</sup>

### ثالثاً: اهتمامه بأسباب النزول:

اهتم الزمخشري في تفسيره بأسباب النزول، وطريقته في ذلك أنه يورد سبب النزول مسنداً الرواية إلى أصحابها<sup>(٢)</sup> وأحياناً أخرى يكتفي بلفظ "قيل" أو "روي" ولا يعزو القول إلى قائله.<sup>(٣)</sup>

. وغالباً - ما يأتي بأسباب النزول دون مناقشتها، والتعليق عليها حتى وإن كانت غير صحيحة.<sup>(٤)</sup>

### رابعاً: اهتمامه بالقراءات:

اهتم الزمخشري بالقراءات في تفسيره اهتماماً كبيراً فهو يستعين بها كثيراً على تفسير الآيات القرآنية.

(١) منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه للدكتور مصطفى الجويني من ص ١٦٤ إلى ص ١٦٧.

(٢) انظر تفسير الكشاف للزمخشري مج ١ ص ١١٧، ص ٢٥٧.

(٣) انظر المصدر السابق مج ١ ص ٢٥٦، ص ٣١٤، ص ٥٠٠.

(٤) انظر المصدر السابق مج ١ ص ٣١٥، مج ٢ ص ٢٨٣.

● وانظر منهج الزمخشري في تفسيره وبيان إعجازه للدكتور مصطفى الجويني ص ١٥٤، ١٥٥.

يقول الدكتور مصطفى الصاوي الجويني:

(وقد استعان الزمخشري بالقراءة على التفسير، فهي تقوي منه وتلقي الضوء عليه.)<sup>(١)</sup>

والزمخشري في تعامله مع القراءات أراه يهتم ببيان اختلافها في الآية، ويوضح معانيها اللغوية<sup>(٢)</sup>، كما يهتم بتوجيهها<sup>(٣)</sup>، ويقف موقف الرفض للقراءة التي لا تتوافق مع القواعد النحوية، حتى ولو كانت متواترة.<sup>(٤)</sup>

### خامساً: اهتمامه بالمسائل العقدية:

يعد الزمخشري من علماء المعتزلة البارزين، ويظهر ذلك في تعصبه لمذهبه ومباهاته بذلك يقول عنه ابن خلكان:<sup>(٥)</sup>

(وكان الزمخشري المذكور معتزلي الاعتقاد متظاهراً به، حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحباً له واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن: قل له أبو القاسم المعتزلي بالبواب. وأول ما صنف كتاب "الكشاف" كتب استفتاح الخطبة "الحمد لله الذي خلق القرآن" فيقال إنه قيل له: متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس ولا يرغب أحد فيه، فغيره بقوله: "الحمد

(١) منهج الزمخشري في تفسيره وبيان إعجازه للجويني ص ١٧٢.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري مج ٣ ص ٣٠٦.

(٣) انظر المصدر السابق مج ١ ص ٤٤، ص ٥٩٨، ٥٩٩.

(٤) انظر تفسير الزمخشري لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ

شُرَكَائِهِمْ ﴾ سورة الأنعام، الآية: ١٣٧. حيث رفض قراءة ابن عامر برفع (قتل)، ونصب (أولادهم)،

وجر (شركائهم). وقد تعقبه ابن المنير ورد كلامه بكلام نفيس. انظر تفسير الكشاف مج ٢ ص ٦٦،

٦٧. هامش ٢. كما رد عليه أبو حيان الأندلسي واتهمه بالضعف في علم النحو. انظر البحر المحيط لأبي

حيان ج ٤ ص ٢٩٧، ٢٩٨.

(٥) هو أحمد بن محمد إبراهيم بن أبي بكر. أبو العباس. مؤرخ حجة وأديب ماهر. ولد في إربل بالقرب من

الموصل سنة ٦٠٨هـ، وتوفي بدمشق سنة ٦٨١هـ. انظر الأعلام للزركلي ج ١ ص ٢٢٠.



لله الذي جعل القرآن" وجعل عندهم بمعنى خلق، والبحث في ذلك يطول، ورأيت في كثير من النسخ "الحمد لله الذي أنزل القرآن" وهذا إصلاح الناس لا إصلاح المصنف.<sup>(١)</sup>

ونتيجة اعتزالية الزمخشري وتعصبه لذلك. أراه يحتكم إلى العقل كثيرا ويتذرع بالمجاز؛ فيخضع مفهوم الآيات القرآنية إلى مذهبه الاعتزالي، فينفي رؤية الله تعالى في الآخرة<sup>(٢)</sup>، ويقول بخلود مرتكب الكبيرة في النار ما لم يتب<sup>(٣)</sup>، وينكر تأثير السحر إن لم يكن إطعاماً أو سقياً أو إشماماً.<sup>(٤)</sup> وفي كل هذه الأمور وغيرها من مسائل العقيدة، يتهجم الزمخشري على أهل السنة، ويرد الأحاديث الصحيحة التي تخالف معتقده الاعتزالي.<sup>(٥)</sup>

### سادساً: اهتمامه بالمسائل الفقهية:

يتجلى لمن يطلع على كشاف الزمخشري أن صاحبه غير متعصب لمذهبه الحنفي حيث يتعامل مع المسائل الفقهية بدون إسهاب؛ فيعرض آراء الفقهاء وأقوالهم في المسألة الفقهية مرجحاً - أحياناً مذهبه الحنفي<sup>(٦)</sup>، وأحياناً أخرى يؤيد غير مذهبه.<sup>(٧)</sup> في حين يلجأ في بعض الأحيان، إلى ذكر المسألة الفقهية وأقوال العلماء فيها بدون ترجيح.<sup>(٨)</sup>

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان. تحقيق الدكتور إحسان عباس مج ٥ ص ١٧٠.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري مج ٤ ص ٦٤٩، ٦٥٠.

(٣) انظر المصدر السابق مج ١ ص ٥٣٩، ٥٤٠.

(٤) انظر المصدر السابق مج ٤ ص ٨١٦.

(٥) انظر المصدر السابق مج ١ ص ٥٤٠.

(٦) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ٦٦٦.

(٧) انظر المصدر السابق مج ١ ص ٢٨١، ٢٨٢. ص ٥٤٩.

(٨) انظر المصدر السابق مج ١ ص ٢٢٣، ٢٢٤. ص ٤٦٦، ٦١٩.

يقول الدكتور الجويني:

(الصورة التي تركها الزمخشري عن نفسه والتي سجلتها لها كتب الترجمة صورة فقيه حنفي ... وهو فخور بمذهبه مادح لمن عليه ... ولكنه لسعة أفقه - ولو أنه حنفي - فهو حيناً يفضل غير مذهبه.)<sup>(١)</sup>

ويقول الدكتور محمد حسين الذهبي:

(وإن الزمخشري - رحمه الله - يتعرض إلى حد ما، وبدون توسع إلى المسائل الفقهية التي تتعلق ببعض الآيات القرآنية، وهو معتدل لا يتعصب لمذهبه الحنفي.)<sup>(٢)</sup>

### سابعاً: موقفه من الإسرائيليات:

يتضح لنا موقف الزمخشري من الإسرائيليات - باختصار - من خلال تعامله معها وفق النقاط الثلاثة الآتية:

- ١- إذا كانت القصة الإسرائيلية توافق شرعنا، فإن الزمخشري يوردها، ويعقب عليها بمثل قوله: (فهذا ونحوه مما لا بأس به.)<sup>(٣)</sup>
- ٢- إذا كانت القصة الإسرائيلية لا تطعن في أصل من أصول الدين الإسلامي، والزمخشري غير متيقن من صحتها؛ فإنه يرويها بصيغ التمريض مثل: "قيل"، أو "روي"، ويرد علمها إلى الله<sup>(٤)</sup>، وأحياناً لا يعقب عليها.<sup>(٥)</sup>
- ٣- وإذا كانت الرواية أو القصة الإسرائيلية تتعارض مع شرعنا الحنيف، وتطعن في عصمة الأنبياء؛ فإن الزمخشري يردها ويبطلها، ويعقب عليها

(١) منهج الزمخشري في تفسيره وبيان إعجازه للدكتور مصطفى الجويني ص ١٧٩، ١٨٠.

(٢) التفسير والمفسرون للذهبي ج ١ ص ٣٣٤.

(٣) تفسير الكشاف للزمخشري مج ٤ ص ٩٠.

(٤) انظر المصدر السابق مج ٣ ص ٣٩٩.

(٥) انظر المصدر السابق مج ٣ ص ٣٥٣، ٣٥٤.

بمثل قوله: (فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين  
بالصلاح من أفناء<sup>(١)</sup> المسلمين فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء.)<sup>(٢)</sup>  
والظاهر أن الزمخشري غير مكثّر من الروايات الإسرائيلية، ولم يغتر  
بها، كما اغتربها كثير من المفسرين.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد حسين الذهبي:

(ثم إن الزمخشري مقل من ذكر الروايات الإسرائيلية، وما يذكره من  
ذلك إما أن يصدره بلفظ (روي) المشعر بضعف الرواية وبعدها عن الصحة وإما  
أن يفوض علمه إلى الله سبحانه، وهذا في الغالب يكون عند ذكره للروايات  
التي لا يلزم من التصديق بها مساس بالدين، وإما أن ينبه على درجة الرواية  
ومبلغها من الصحة أو الضعف ولو بطريق الإجمال، وهذا في الغالب يكون عند  
الروايات التي لها مساس بالدين وتعلق به.)<sup>(٣)</sup>

والذي ينبغي التنبيه عليه هو أنه إذا كان الزمخشري لم يغتر بالروايات  
الإسرائيلية وجنب تفسيره من معظمها؛ فإنه تساهل في تعامله مع الأحاديث،  
فاستشهد بالأحاديث الموضوعة في فضائل السور.<sup>(٤)</sup>

يقول الدكتور محمد بن لطفي الصباغ<sup>(٥)</sup> في حديثه عن الكشاف:

(الأحاديث النبوية قليلة فيه أيضاً، وقلما يعتمد المؤلف على الحديث في  
شرحه لمعنى الآية، ومع ذلك فإن فيه عدداً وافراً من الأحاديث الموضوعة دون  
أن ينبه على ذلك، ولاسيما في فضائل السور، إذ كان يورد في آخر كل سورة  
الأحاديث التي تشير إلى فضلها وثواب قراءتها، ومعظمها موضوع.)<sup>(٦)</sup>

(١) يقال: هو من أفناء الناس، إذا لم يعلم ممن هو. انظر الصحاح للجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار  
ج ٦ ص ٢٤٥٧. دارالكتاب العربي بمصر. بدون تاريخ.

(٢) تفسير الكشاف مج ٤ ص ٧٨، ص ٩٠، ٩١.

(٣) التفسير والمفسرون للذهبي ج ١ ص ٣٣٦.

(٤) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ٤٥٠، مج ٤ ص ٨١٧.

(٥) هو الأستاذ الدكتور محمد بن لطفي الصباغ. سوري معاصر.

(٦) لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير للدكتور الصباغ ص ٢٤٦ ط ٣ س ١٤١٠ هـ المكتب الإسلامي،  
بيروت- لبنان.

### ٣- التعريف بابن عطية وبيان منهجه في تفسيره "الحرر الوجيز"

#### أ- التعريف بابن عطية

##### ١- مولده ونشأته العلمية<sup>(١)</sup> :

ولد عبد الحق غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي بقرطبة<sup>(٢)</sup> سنة ٤٨٠ وقيل ٤٨١هـ.

ونشأ نشأة علمية دينية في أحضان أسرة شهيرة بالعلم والقضاء والأدب والفضل، حيث كان والده<sup>(٣)</sup> عالماً أديباً، فحرص على تعليمه وتهذيبه، وربطه بشيوخ العلم منذ طفولته.

وقد كان ابن عطية - منذ صغره - صاحب همة عالية وإرادة صلبة؛ فانكب على طلب العلم واجتهد فيه اجتهادا كبيرا حتى حصل على علوم كثيرة وثقافة واسعة في اللغة، والنحو، والأدب، والتفسير، والحديث، والأصول، والأدب، فسخر حياته كلها للعلم والقضاء والجهاد في سبيل الله.

(١) انظر ترجمته في الكتب التالية: سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٤ ص ٤٧٢، ٤٧٣. رقم ٤٧٣٦. ط ١ س ١٤١٧هـ. دارالفكر بيروت - لبنان.

فوات الوفيات والذيل عليها لمحمد بن شاكر الكتبي تحقيق الدكتور إحسان عباس ج٢ ص ٢٥٦ دار صادر بيروت لبنان بدون تاريخ.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي. تحقيق محمد عبد الرحيم ص ٥٤٥ .

طبقات المفسرين للداوودي ج١ ص ٢٦٥، ٢٦٦.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري ج٣ من ص ٢٦٩ إلى ص ٢٧٤. ط ١ س ١٤١٥هـ. دارالكتب العلمية بيروت - لبنان.

معجم تفاسير القرآن الكريم. تأليف الدكتور عبدالقادر زمامة والدكتور فاضل عبدالنبي والدكتور عبدالوهاب التازي سعود والدكتور محمد الكتاني ص ١٢٧.

الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٢٨٢.

(٢) هي من أقدم مدن كورة البيرة، من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها. والأندلس حاليا هي اسبانيا. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي مج ٤ ص ١٩٥.

(٣) ستأتي ترجمته ضمن شيوخ ابن عطية ص ٦٤.

## ٢- شيوخ ابن عطية وتلاميذه

**أ- شيوخه:** تتلمذ ابن عطية على شيوخ كثيرين أشهرهم ما يلي:

١. والده الإمام الحافظ أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام ابن عطية الأندلسي الغرناطي المالكي. كان حافظاً للحديث وطرقه وعلمه، عارفاً بالرجال، أديباً، وشاعراً، لغوياً. روى عنه ولده عبد الحق صاحب التفسير. وقد كف بصره في آخر عمره. ولد سنة ٤٤١هـ وتوفي سنة ٥١٨هـ.<sup>(١)</sup>
٢. أبو علي الغساني الحسين بن محمد بن أحمد الأندلسي الحافظ الإمام محدث الأندلس. كان بصيراً باللغة والشعر والأنساب، وقد أخذ عنه الأعلام منهم ابن عطية. ولد في المحرم سنة ٤٢٧هـ. وتوفي في شعبان سنة ٤٩٨هـ.<sup>(٢)</sup>
٣. ابن سكرة أبو علي الحسين بن محمد بن فيرة بن حيون الصديفي الأندلسي. كان عالماً بالقراءات. ومن تلاميذه المشهورين عبد الحق بن عطية توفي شهيداً في وقعة بئغر الأندلس لست بقين من شهر ربيع الأول سنة ٥١٤هـ.<sup>(٣)</sup>

## ب- تلاميذ ابن عطية:

لابن عطية تلاميذ كثيرون أشهرهم ما يلي:<sup>(٤)</sup>

١. ابن أبي جمرة: وهو الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الملك ابن أبي جمرة الأندلسي المرسي المتوفى في المحرم سنة ٥٩٩هـ عن نيف وثمانين سنة.<sup>(٥)</sup>

(١) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج٤ ص ١٤٧١، ٤٧٢ رقم ٤٧٣٥.

(٢) انظر تذكرة الحفاظ: لأبي عبد الله محمد الذهبي ج٤ من ص ١٢٣٣ إلى ص ١٢٣٥. رقم ١٠٤٩. ط٣. س ١٣٧٧هـ = ١٩٥٨م. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند.

(٣) انظر المصدر السابق ج٤ ص ١٢٥٣ إلى ص ١٢٥٥. رقم ١٠٥٩.

(٤) انظر طبقات المفسرين للداوودي ج ١ ص ٢٦٦.

(٥) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٥ ص ٥٠٢ رقم ٥٣٥٢.

٢. ابن حبيش: وهو الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري الأندلسي المشهور بابن حبيش - المتوفى سنة ٥٨٤هـ.<sup>(١)</sup>
٣. الشقوري: وهو الإمام المقرئ أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن عيسى القرطبي الشقوري المتوفى في صفر سنة ٦١٦هـ.<sup>(٢)</sup>

### ٣- وفاة ابن عطية وأثاره العلمية:

- توفي عبد الحق بن عطية - رحمه الله تعالى - في خامس عشر رمضان سنة ثنتين - وقيل إحدى وقيل ست - وأربعين وخمسائة للهجرة.<sup>(٣)</sup>
- ولم يترك من المؤلفات العلمية - كما ذكر في التراجم - سوى مؤلفين.
١. تفسيره المسمى "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.
٢. الفهرس أو البرنامج: ذكر فيه ابن عطية مروياته وأسماء شيوخه. ظل مخطوطاً في خزانة الرباط بالمغرب<sup>(٤)</sup> وطبع ببيروت سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.<sup>(٥)</sup>

### ب - منهج ابن عطية في تفسيره: المحرر الوجيز

#### ١. التعريف بالتفسير:

هو "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"<sup>(٦)</sup> مختصر للتفاسير بالمأثور بالمأثور ملخص لها، مع العناية الفائقة في التحقيق والتمحيص والتحري بما هو

- (١) انظر المصدر السابق ج ١٥ ص ٣٤٢، ٣٤٣. رقم ٥٢٠٩.
- (٢) انظر المصدر السابق ج ١٦ ص ١١٧، ١١٨ رقم ٥٤٨٤.
- (٣) انظر بغية الوعاة للسيوطي ص ٥٤٥.
- (٤) انظر الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٢٨٢.
- (٥) انظر: معجم تفاسير القرآن الكريم. تأليف: عبد القادر زمامة وفاضل عبدالغني وعبدالوهاب التازي سعود ومحمد الكتاني ص ١٢٧.
- (٦) ذكر أن ابن عطية لم يصنع لتفسيره اسماً خاصاً به. وتسميته بالمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز كان من وضع الشيخ ملا كاتب حلبي المتوفى سنة ١٠٦٧هـ. انظر مقدمة تحقيق تفسير ابن عطية لعبد السلام عبد الشافي محمد ج ١ ص ٢٨. وانظر التفسير ورجاله للفاضل بن عاشور ص ٧٦.

أقرب للصحة والصواب، حسن المنحى<sup>(١)</sup> طبع عدة مرات في خمسة مجلدات. وقد قدمه ابن عطية بمقدمة نفيسة ذكر فيها - باختصار - الباعث له على كتابة تفسيره، وهدفه ومنهاجه<sup>(٢)</sup>. كما بيّن فيها مجموعة من العلوم، ينبغي أن تكون معلومة للناظر في التفسير راسخة في ذهنه.<sup>(٣)</sup>

وفي هذا الصدد يقول مؤلفو معجم تفاسير القرآن الكريم:<sup>(٤)</sup>  
(ومقدمة ابن عطية لتفسيره "المحرر الوجيز" مقدمة جيدة، ذكر فيها دوافعه وأهدافه ومنهاجه وتفرغه لعلم التفسير، دراسة وتأليفاً، وما يتعلق بعلوم القرآن الكريم والتفسير والقراءات).<sup>(٥)</sup>  
٢. مصادر ابن عطية في تفسيره:

اعتمد ابن عطية في تفسيره للقرآن الكريم على مصادر كثيرة. أهمها ما يلي:  
أ. مصادره من كتب التفسير أهمها: جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري<sup>(٦)</sup>، والتحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل للمهدوي<sup>(٧)</sup>، وتفسير

(١) انظر مدرسة التفسير في الأندلس تأليف مصطفى إبراهيم المشيني ص ٩٥. ط ١ س ١٤٠٦هـ. مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

وانظر مقدمة ابن خلدون: تحقيق وفهرسة سعيد محمود عقيل ص ٣٧٦ ط ١ س ١٤٢٦هـ دارالجيل للنشر والطباعة والتوزيع بيروت - لبنان.

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ج ١ ص ٣٤.

(٣) انظر المصدر السابق ج ١ من ص ٣٦ إلى ص ٥٧.

(٤) هم: الدكتور عبد القادر زمامة والدكتور فاضل عبد النبي والدكتور عبد الوهاب التازي سعود والدكتور محمد الكتاني، وهؤلاء الأربعة: باحثون معاصرون.

(٥) معجم تفاسير القرآن الكريم ص ١٣١.

(٦) انظر المحرر الوجيز لابن عطية مثلاً: مج ١ ص ٦٦، ص ٦٨، ص ١٢٠، ١٢١، ص ١٢٦. والطبري هو

محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر المؤرخ المفسر الإمام. ولد في أمل طبرستان سنة ٢٢٤هـ - ٨٣٩م. واستوطن بغداد وتوفي بها سنة ٣١٠هـ - ٩٢٣م. انظر الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٢٧٨.

(٧) انظر المحرر الوجيز لابن عطية مثلاً: مج ١ ص ١٢٣، ص ١٢٥، ص ١٢٦.

والمهدوي هو أحمد بن عمار الإمام أبو العباس. أصله من المهديّة بالقيروان من بلاد المغرب وهو أستاذ مشهور عالم بالتفسير والقراءات ... توفي حوالي سنة ٤٣٠هـ. انظر طبقات المفسرين للداودي ج ١ ص ٥٦، ٥٧.

مكي بن أبي طالب القيسي.<sup>(١)</sup>

- ب. مصادره من كتب الحديث. أهمها: صحيح البخاري<sup>(٢)</sup> وصحيح مسلم<sup>(٣)</sup>.  
 ج. مصادره من كتب اللغة والنحو والمعاني. وأهمها: معاني القرآن  
 للفراء<sup>(٤)</sup>، ومعاني القرآن للزجاج<sup>(٥)</sup>، ومجاز القرآن لأبي عبيدة<sup>(٦)</sup>،  
 والكتاب لسيبويه<sup>(٧)</sup>، والعين للفراهيدي<sup>(٨)</sup>.

### ٣. منهج ابن عطية في تفسيره:

انتهج ابن عطية في تفسيره منهج الرواية والدراية ففسر القرآن بالمأثور، واهتم  
 ببيان المكي والمدني، والقراءات، واللغة والنحو، والمسائل العقدية، والفقهية.

- (١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية مثلاً مج ١ ص ٤٢١، ج ٢ ص ١٩٨، ٢٥٠.  
 ومكي بن أبي طالب هو: مكي بن حموش بن محمد بن مختار الأندلسي. أبو محمد مقرئ، عالم بالتفسير  
 والعربية. ولد بالقيروان سنة ٣٥٥هـ، وتوفي بقرطبة سنة ٤٢٧هـ. انظر الأعلام للزركلي ج ٧ ص ٢٨٦.  
 (٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية مثلاً: مج ١ ص ٦٥، ص ١٠٩، ص ٢٠٦.  
 والبخاري سبقت ترجمته ص ٣٢.  
 (٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية مثلاً: مج ١ ص ١٤٨، ص ١٦٠، ١٦١.  
 ومسلم سبقت ترجمته ص ٣٢.  
 (٤) انظر المحرر الوجيز لابن عطية مثلاً: مج ١ ص ١٠٧، ص ١٤٤، ص ١٥١.  
 والفراء هو: يحيى بن زياد بن عبدالله. أبو زكريا إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب.  
 ولد بالكوفة سنة ١٤٤هـ. وانتقل إلى بغداد. وتوفي في طريق مكة سنة ٢٠٧هـ. انظر الأعلام للزركلي ج ٨  
 ص ١٤٥، ١٤٦.  
 (٥) المحرر الوجيز لابن عطية مثلاً: مج ١ ص ١٤٩، ص ١٥٣. والزجاج سبقت ترجمته ص ٥٣.  
 (٦) انظر المحرر الوجيز لابن عطية مثلاً: مج ١ ص ٢٦١، مج ٢ ص ٥٤، ص ٥١١.  
 — وأبو عبيدة هو: معمر بن المثنى التيمي البصري النحوي. من أئمة العلم والأدب واللغة. ولد بالبصرة سنة  
 ١١٠هـ وتوفي بها سنة ٢٠٩هـ. انظر الأعلام للزركلي ج ٧ ص ٢٧٢.  
 (٧) انظر المحرر الوجيز لابن عطية مثلاً: مج ١ ص ٤١٥، مج ٣ ص ٣٣٥. مج ٥ ص ٩٠. وسيبويه سبقت  
 ترجمته ص ٣٤.  
 (٨) انظر المحرر الوجيز لابن عطية مثلاً: ج ١ ص ١٥١، ص ٢٣١. ج ٢ ص ٥٩.  
 والفراهيدي هو: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم. أبو عبدالرحمن من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم  
 العروض. وهو أستاذ سيبويه النحوي. ولد بالبصرة سنة ١٠٠هـ وتوفي بها سنة ١٧٠هـ. انظر الأعلام  
 للزركلي ج ٢ ص ٣١٤.



كما كان له موقف بارز من القصص والروايات الإسرائيلية، حيث قلل من إيرادها في تفسيره، وغالبا ما يتعقبها بالرد، وأحيانا يوردها ولا يرد عليها. وقد صنف تفسيره ضمن التفسير بالمأثور<sup>(١)</sup> لغلبة هذا الجانب عليه. وإليك بيان منهجه - باختصار - وفق العناصر التالية:

### أولاً: اهتمام ابن عطية بالتفسير بالمأثور:

اهتم ابن عطية بالتفسير بالمأثور اهتماماً بالغاً، ففسر القرآن بالقرآن<sup>(٢)</sup>، بالقرآن<sup>(٣)</sup>، كما فسره بالسنة<sup>(٣)</sup>، ورجع إلى أقوال الصحابة<sup>(٤)</sup> والتابعين<sup>(٥)</sup>. قال المشيني<sup>(٦)</sup>: (لقد عني ابن عطية عناية فائقة بالتفسير بالمأثور سواء ما يتعلق منه بتفسير القرآن بالقرآن، أو تفسير القرآن بالحديث أو بأقوال الصحابة والتابعين.)<sup>(٧)</sup>

### ثانياً: اهتمامه بالمي والمدني:

اهتم ابن عطية اهتماماً كبيراً ببيان السور المكية والسور المدنية. فهو قبل أن يشرع في تفسير أي سورة، أجده يبدأ ببيان موضع السورة في النزول كالتالي:

١- إن كانت السورة مكية أو مدنية بلا خلاف؛ فإن ابن عطية يصرح بذكر الإجماع في ذلك، كقوله في سورة آل عمران: (هذه السورة مدنية بإجماع فيما علمت.)<sup>(٨)</sup> وقوله في سورة الطارق: (هي مكية لا خلاف بين

(١) انظر التفسير والمفسرون للذهبي ج ١ ص ١٤٧.

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية مثلاً: مج ١ ص ٧٣، ص ١٣٠.

(٣) انظر المصدر السابق مثلاً: مج ١ ص ٣٤١، ص ٣٤٢، ص ٤٩٦، مج ٢ ص ٥٤٥، ص ٥٤٦.

(٤) انظر المصدر السابق مثلاً: مج ١ ص ١٢٨، ص ١٥٦، ص ١٥٨، ص ٤٥١.

(٥) انظر المصدر السابق مثلاً: مج ١ ص ١٥٤، ص ١٥٧، ص ٣٢٢.

(٦) هو مصطفى إبراهيم المشيني. باحث معاصر.

(٧) مدرسة التفسير في الأندلس. تأليف مصطفى إبراهيم المشيني ص ١٦٧.

(٨) انظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ١ ص ٣٩٦.

بين المفسرين في ذلك).<sup>(١)</sup>

٢. وإن كان هناك خلاف بين العلماء في بيان المكي والمدني، فإنه يذكره مرجحاً، مثل ما فعل في بداية تفسيره لسورة الفاتحة<sup>(٢)</sup> وتفسيره لسورة الأعلى<sup>(٣)</sup>. وأحياناً يذكر الخلاف ولا يتعرض للترجيح.<sup>(٤)</sup>

### ثالثاً: اهتمامه بالقراءات:

اهتم ابن عطية بالقراءات اهتماماً كبيراً جداً، وقد صرح لنا بذلك في مقدمته لتفسيره حين قال:

(وقصدت إيراد جميع القراءات: مستعملها، وشاذها، واعتمدت تبين المعاني، وجميع احتمالات الألفاظ).<sup>(٥)</sup>

كما بين لنا موقفه من القراءات الشاذة، فحكم بعدم جواز الصلاة بها، حتى وإن كانت مروية عن بعض الصحابة والتابعين فقال:

(ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة وبها يصلى لأنها ثبتت بالإجماع. وأما شاذ القراءات فلا يُصلى به، وذلك لأنه لم يجمع الناس عليه. أما أن المروي منه عن الصحابة رضي الله عنهم وعن علماء التابعين لا يعتد فيه إلا أنهم رووه. وأما ما يؤثر عن أبي السمال<sup>(٦)</sup> ومن قاربه<sup>(٧)</sup> فلا يوثق به وإنما أذكره في

(١) انظر المصدر السابق مج ٥ ص ٤٦٤.

(٢) المصدر السابق مج ١ ص ٦٥.

(٣) المصدر السابق مج ٥ ص ٤٦٨.

(٤) المصدر السابق مج ٥ ص ٥٣٨.

(٥) انظر المصدر السابق مج ١ ص ٣٤.

(٦) هو قعنب بن هلال العدوي أبو السَّمَّال وقيل: أبو السماك. مشهور بكنيته. مقرئ، بصري، لا يعتمد على نقله، ولا يوثق به. انظر لسان الميزان لابن حجر العسقلاني. تحقيق خليل بن محمد العربي وغنيم بن عباس غنيم ج ٨ ص ٦٤. ط ٢ س ١٤٢٦هـ. ن: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر. القاهرة - مصر.

(٧) مثل: ابن السميع. وهو محمد بن السميع اليماني. أحد القراء. له قراءة شاذة منقطة السند. توفي في سنة ٩٠هـ. انظر ميزان الاعتدال للذهبي تح: علي محمد البجاوي وفتحية علي البجاوي ج ٥ ص ٢١. ط: دار الفكر العربي بيروت - بدون تاريخ.

في هذا الكتاب لئلا يجهل والله المستعان.)<sup>(١)</sup>

وقد علق مصطفى إبراهيم المشيني على كلام ابن عطية السابق بكلام مختصر ومفيد فقال:

(وخلاصة رأي ابن عطية فيما تقدم، أن ضابط القراءة الصحيحة عنده الإجماع الذي يقتضي موافقة القراءة لوجه العربية، وموافقة الرسم العثماني، وصحة السند، وحكم التلاوة بهذه القراءة في الصلاة وخارجها الإباحة.

أما ما روي عن الصحابة والتابعين من القراءات الشاذة، فقد صرح ابن عطية بأنه لا يعتقد فيه إلا أنهم روه، وتفسير ذلك: أن ما صح نقله عن الأحاد مما روي عن القراءات عن بعض الصحابة والتابعين وكان له وجه في العربية وخالف خط المصحف العثماني، فإنه يعتبر من روايات الأحاد التي لا يثبت بها القرآن، إذ لا يثبت قرآن بخبر الواحد، فلا تصح القراءة بها في الصلاة.

أما ما روي عن أبي السَّمَال<sup>(٢)</sup> وأمثاله - ابن السَّمِيف<sup>(٣)</sup> - فيذكر ابن عطية أن قراءاتهم شاذة لا يوثق بها، وبذلك لا تجوز القراءة بها في الصلاة وخارجها، لأنها مخالفة لقراءة الجمهور، وبالتالي فاقدة لشروط القراءة الصحيحة.

ومما يؤخذ من كلام ابن عطية كذلك أنه إنما ذكر هذه القراءات في تفسيره ليقف الناس على حقيقتها، ولا يتوهموا صحتها، فيلتبس الحق بالباطل.)<sup>(٤)</sup>

(١) المحرر الوجيز لابن عطية مج ١ ص ٤٨.

(٢) سبقت ترجمته ص ٦٩.

(٣) سبقت ترجمته ص ٦٩.

(٤) مدرسة التفسير في الأندلس: تأليف: مصطفى إبراهيم المشيني ص ٢٦٢، ٢٦٣.

### رابعاً: اهتمامه باللغة والنحو:

إنه من خلال قراءتي للمحرر الوجيز وقفت على أن ابن عطية قد بذل جهداً كبيراً، وأفرغ عناية فائقة تجاه بيان اللغة أثناء تفسيره للقرآن الكريم. فاهتم باشتقاق الألفاظ القرآنية<sup>(١)</sup>، وبيّن معاني المفردات<sup>(٢)</sup>، مستندا في ذلك إلى آراء علماء اللغة<sup>(٣)</sup>، ومستشهداً بأشعار العرب<sup>(٤)</sup>. كما وجدته قد اهتم كثيراً بالمسائل النحوية؛ فبيّن الوجوه الإعرابية للكلمات القرآنية، ويستعرض - في الغالب - آراء النحويين، فيناقشها ويرد على بعضها، مرجحاً ما يراه صواباً<sup>(٥)</sup>.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد حسين الذهبي:

(والحق أن ابن عطية أحسن في هذا التفسير وأبدع حتى طار صيته كل مطار وصار أصدق شاهد لمؤلفه بإمامته في العربية وغيرها من النواحي العلمية المختلفة ...

وهو كثير الاستشهاد بالشعر العربي، معني بالشواهد الأدبية للعبارات، كما أنه يحتكم إلى اللغة العربية عندما يوجه بعض المعاني، وهو كثير الاهتمام بالصناعة النحوية<sup>(٦)</sup>).

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية مثلاً: مج ١ ص ١٥١، ص ٤٢٣، ص ٤٣٠.

(٢) انظر المصدر السابق مثلاً: مج ١ ص ٨٦، ص ١٠٢.

(٣) انظر المصدر السابق مثلاً: مج ١ ص ٨٦، ص ١٠١، ١٠٢.

(٤) انظر المصدر السابق مثلاً: مج ١ ص ٨٦، ٨٧، ص ١٠١، ١٠٢، ص ٤٢٦، ٤٢٧.

(٥) انظر المصدر السابق مثلاً: مج ١ ص ١٨٤، ١٨٥، ص ٤١٧.

(٦) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي ج ١ ص ١٧٢.

### خامساً: مدى اهتمامه بالناحية البلاغية للقرآن الكريم:

لم يعط ابن عطية عناية كبيرة للناحية البلاغية أثناء تفسيره للقرآن الكريم كما أعطاهما للغة والنحو، فبدا اهتمامه بهذا الجانب محدوداً جداً حيث تعرض بإيجاز لذكر بعض الصور البلاغية كالتشبيه<sup>(١)</sup> والاستعارة<sup>(٢)</sup> والمجاز<sup>(٣)</sup> والإيجاز<sup>(٤)</sup> وغيرها.

والسبب في ذلك يرجع إلى نظرة ابن عطية نفسه إلى الحقيقة والمجاز حيث يرى أن حمل ألفاظ القرآن الكريم على الحقيقة أولى من حملها على المجاز.<sup>(٥)</sup>

### سادساً: اهتمامه بالمسائل العقيدية:

يُعد ابن عطية من علماء أهل السنة والجماعة، وقد تناول المسائل العقيدية وفق عقيدته السنية.

وهو حين يتعرض لتفسير الآيات التي تتحدث عن العقيدة، يفسرها باختصار، ولا يحدد الخوض في ذكر ما يثير الخلافات العقائدية بين النحل والمذاهب المختلفة إلا ما دعت إليه الضرورة في تفسيره لبعض الآيات التي استحكمت الخلاف فيها خاصة بين أهل السنة والمعتزلة<sup>(٦)</sup>، كمسألة الرؤية ومرتكب الكبيرة وأفعال العباد والشفاعة وغيرها.

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية مثلاً: مج ١ ص ٢٥٨ ص ٢٩٩، مج ٣ ص ١٧٥.

(٢) انظر المصدر السابق مثلاً: مج ١ ص ٢٥٨ ص ٤٣١.

(٣) انظر المصدر السابق مثلاً: مج ١ ص ٥١٨.

(٤) انظر المصدر السابق مثلاً: مج ٢ ص ٢٠١.

(٥) انظر مدرسة التفسير في الأندلس: تأليف مصطفى إبراهيم المشيني ص ٣٨٢، ٣٨٣.

(٦) انظر معجم تفاسير القرآن الكريم للدكتور عبدالقادر زمامة والدكتور فاضل عبدالنبي والدكتور عبدالوهاب التازي سعود والدكتور محمد الكتاني ص ١٢٨.

فهو في هذه الحالة يبين آراء الفرق، ويناقد أدلتها، منتصراً لفكره وعقيدته بالدليل.<sup>(١)</sup>

### سابعاً: اهتمامه بالمسائل الفقهية:

يعتبر القاضي عبد الحق بن عطية من أعيان فقهاء المالكية<sup>(٢)</sup> وهو فقيه معتدل غير متعصب. اهتم بالمسائل الفقهية كثيراً من غير توسع في مناقشة الأدلة وأقوال العلماء والمذاهب.

ويمكنني بيان انشغاله بالمسائل الفقهية - باختصار - وفق ما يلي:

- ١- يستعرض - أحياناً - أقوال علماء المالكية، ويكتفي بهم ولا يلتفت إلى أقوال غيرهم من العلماء وأئمة المذاهب الأخرى.<sup>(٣)</sup>
- ٢- يستعرض آراء بعض الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب والعلماء، ويُبين أقوالهم في المسألة الفقهية ولا يرجح قولاً على آخر.<sup>(٤)</sup>
- ٣- يذكر الخلاف في المسألة الفقهية، ويناقد ويرجح - في الغالب - رأي الجمهور.<sup>(٥)</sup>

وقد بين مصطفى إبراهيم المشيني اهتمام ابن عطية بالأحكام الفقهية،

فقال:

(لقد اهتم ابن عطية - كإمام من أئمة المذهب المالكي - بالأحكام

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية: مثلاً ج ٢ ص ٩٤، ٩٥، مج ٥ ص ٤٠٥.  
(٢) انظر شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: تأليف محمد بن محمد مخلوف. ص ١٢٩. دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - بدون تاريخ.  
(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية مثلاً مج ٢ ص ٣٨، ٣٩.  
(٤) انظر المصدر السابق مثلاً: مج ١ ص ٢٦٤، ص ٢٧٧. مج ٢ ص ١٦٢.  
(٥) انظر المصدر السابق مثلاً: مج ٢ ص ٩٤، ص ١٨٩.

الفقهية كأساس قام عليه منهجه في التفسير، بيد أن هذا الاهتمام لم يكن بدرجة غيره من المفسرين الأندلسيين - كابن العربي<sup>(١)</sup> مثلاً - الذي ركز جُلَّ اهتمامه على تفسير آيات الأحكام واستتباط المسائل الفقهية منها وعرض ومناقشة أدلتها.

وإنما اقتصر ابن عطية على ذكر آراء المالكية في المسألة الفقهية الواحدة، وضرب صفحاً عن مناقشة أدلتها، وجاء عرضه هذا للأحكام الشرعية في غير توسع ولا تطويل، والذي يبدو لي من هذا الاتجاه الذي اتَّجهه ابن عطية، أنه لم يشغل نفسه بذلك لئلا يخرج من دائرة التفسير إلى دائرة الفقه، وهذا عمل يتناسب مع وظيفته كمفسر لا كفقيه.

وليس معنى هذا أن ابن عطية لم يتعرض إلى أقوال الفقهاء من غير المالكيين أو ذكر آرائهم، أو خلا تفسيره من ذلك تماماً، فقد كان يتعرض لذكر هذه الآراء ويتعقبها بالمناقشة، والردُّ أو القبول، ولكن في صورة محدودة من غير تعصب لمذهبه، وإنما متوخياً في ذلك إصابة الحق والوقوف بجانب الصواب، مستنداً في ذلك إلى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup>.

### ثامناً: موقفه من الإسرائيليات:

قلَّ ابن عطية من إيراد القصص الإسرائيلية في تفسيره، وقد صرح بذلك حين قال: (وقصدت فيه أن يكون جامعاً وجيزاً محرراً، لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به)<sup>(٣)</sup>.

(١) سبقت ترجمته ص ٣٥.

(٢) مدرسة التفسير في الأندلس: تأليف: مصطفى إبراهيم المشيني ص ٤٩٤.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية مج ١ ص ٣٤.

وبتتبعي للمحرر الوجيز وقفت على أن ابن عطية يتعامل مع الإسرائيليات وفق ما يلي:

١. يذكر القصة الإسرائيلية بصيغ التمريض، ويحذف سندها ويختصرها ثم يتعقبها بالرد والتضعيف، مثل قوله معقبا على ما جاء من إسرائيلييات في قصة هاروت وماروت: (وهذا القصص يزيد في بعض الروايات وينقص في بعض ولا يقطع منه بشيء فلذلك اختصرته).<sup>(١)</sup>
٢. أحيانا يورد القصة الإسرائيلية، ولا يعقب عليها، وإن كانت مخالفة للتفسير الصحيح للآية مثل قوله:

(وقال بعضهم: دخل<sup>(٢)</sup> الجنة في فم الحية وهي ذات أربع كالبخية، بعد أن عرض نفسه على كثير من الحيوان فلم تدخله إلا الحية، فخرج إلى حواء وأخذ شيئا من الشجرة، وقال: انظري ما أحسن هذا فأغواها حتى أكلت، ثم أغوى آدم، وقالت له حواء: كل فإني قد أكلت فلم يضرني فأكل فبدت لها سوءاتهما، وحصلا في حكم الذنب، ولعنت الحية وردت قوائمها في جوفها، وجعلت العداوة بينها وبين بني آدم، وقيل لحواء: كما أدميت الشجرة فكذلك يصيبك الدم في كل شهر، وكذلك تحملين كرهاً، وتضعين كرهاً، تشرفين به على الموت مرارا..)<sup>(٣)</sup>

وقد عقب الأستاذ الدكتور أبو شهبه<sup>(٤)</sup> على هذه القصة وأبطلها.<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) المصدر السابق مج ١ ص ١٨٧.
  - (٢) يعني الشيطان.
  - (٣) المحرر الوجيز لابن عطية مج ١ ص ١٢٨.
  - (٤) هو الدكتور محمد أبو شهبه. مصري. أستاذ التفسير وعلوم القرآن والحديث بالأزهر وأم القرى، توفي رحمه الله تعالى. لم أقف له على ترجمة خاصة في كتب التراجم.
  - (٥) انظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: لأبي شهبه ص ١٨٠ ط ٤ س ١٤٠٨هـ. مكتبة السنة - الدار السلفية لنشر العلم. القاهرة - مصر.



## ٤- التعريف بالبيضاوي وبيان منهجه في تفسيره

### أ. التعريف بالبيضاوي

#### ١- مولده ونشأته العلمية<sup>(١)</sup>:

ولد عبد الله بن عمر بن علي أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي في المدينة البيضاء<sup>(٢)</sup> سنة ٥٨٥هـ.

(ونشأ مع والده وأسرته التي كانت بيت علم ودين وفضل ومجد كابر عن كابر ... وترعرع بين علماء كبار، فاشتغل منذ الصغر بطلب العلوم من الأدب والعربية والفقه والتفسير، والعلوم العقلية من الكلام والمنطق وغيرهما حتى أصبح علم الأعلام، وملك زمام العلوم الدينية والفنون اليقينية حتى فاق أقرانه في أكثر العلوم.)<sup>(٣)</sup>

وقد عاش البيضاوي أكثر حياته بشيراز، وتولى فيها منصب قاضي القضاة، ثم صرف عنه؛ فرحل إلى تبريز<sup>(٤)</sup>، وبقي بها إلى أن مات.

- 
- (١) انظر ترجمته في الكتب التالية: بغية الوعاة للسيوطي ص ٥٢٧.
- طبقات المفسرين للداوودي ج ١ ص ٢٤٨، ٢٤٩.
  - كشف الظنون لحاجي خليفة مج ١ ص ١٨٦، ١٨٧.
  - دائرة المعارف الإسلامية مج ٤ ص ٤١٨. دارالفكر بدون تاريخ.
  - معجم تفاسير القرآن الكريم للدكتور عبد القادر زمامة والدكتور فاضل عبد النبي والدكتور عبد الوهاب التازي سعود. والدكتور محمد الكتاني ص ٢٠٨.
  - الغاية القصوى في دراية الفتوى للبيضاوي. دراسة وتحقيق وتعليق علي محيي الدين ج ١ من ص ٥١ إلى ص ٩٦. دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع. - الدمام - السعودية بدون تاريخ.
- (٢) هي مدينة مشهورة بفارس قرب شيراز بثمانية فراسخ، وسميت بالبيضاء لأن لها قلعة تبيّن من بُعد ويرى بياضها. وإليها ينسب الإمام البيضاوي. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي مج ١١ ص ٥٢٩.
- (٣) مقدمة الغاية القصوى: علي محيي الدين ج ١ ص ٥٨.
- (٤) وهي مدينة عامرة حسناء، من أشهر مدن أذربيجان. وإليها ينسب الخطيب التبريزي. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي مج ٢ ص ١٣.

## ٢- شيوخ البيضاوي وتلاميذه

**أ- شيوخه:** أشهرهم ما يلي:

١. والده: وهو الشيخ عمر بن محمد بن علي. أبو بكر بن سعيد قاضي قضاة فارس<sup>(١)</sup>. من علماء القرن السابع الهجري وقد صرح البيضاوي بأخذه العلم عن والده فقال:

(أخذت الفقه عن والدي مولى الموالى الصدر العالى ولي الله الوالى قدوة الخلف وبقية السلف، إمام الملة والدين أبي القاسم عمر (قدس الله روحه).<sup>(٢)</sup>)

٢. الكحتاني: وهو الشيخ محمد بن محمد الكحتاني وقيل الكحتاني. لازمه الشيخ البيضاوي بعد سفره إلى تبريز وبقي بجواره إلى أن مات، وهو الذي أشار عليه بكتابة تفسيره: "أنوار التنزيل وأسرار التأويل".

ولما توفى دفن عند قبره. ولم تذكر لنا كتب التراجم سنة ميلاده ولا سنة وفاته.<sup>(٣)</sup>

**ب- تلاميذ البيضاوي:** أشهرهم ما يلي:

١. الجاربردي: وهو فخر الدين أحمد بن الحسن الشافعي، نزيل تبريز، وأحد العلماء المشهورين بتلك البلاد. أخذ عن القاضي ناصر الدين البيضاوي، وشرح منهاجه، وله على الكشاف حواشي مفيدة. توفى سنة ٧٤٦هـ.<sup>(٤)</sup>

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية مج ٤ ص ٤١٨.

(٢) الغاية القصوى للبيضاوي ج ١ ص ١٨٤.

● وانظر كشف الظنون لحاجي خليفة مج ١ ص ١٨٧.

(٣) انظر مقدمة الغاية القصوى: علي محيي الدين ج ١ ص ٦٢، ٦٣.

● وانظر كشف الظنون لحاجي خليفة مج ١ ص ١٨٧.

(٤) انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ج ٦ ص ١٤٨ منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت - لبنان. بدون تاريخ.

٢- كمال الدين المراغي: وهو عمر بن إلياس بن يونس المراغي أبو القاسم الصوفي. ولد بأذربيجان سنة ٦٤٣هـ و قدم دمشق سنة ٧٢٩هـ وهو ابن نيف وثمانين سنة. سمع على القاضي ناصر الدين البيضاوي المنهاج والغاية القصوى والطوالع.<sup>(١)</sup>

٣- زين الدين الهنكي:

ذكر الحافظ ابن حجر<sup>(٢)</sup> عند ترجمته للقاضي عضد الدين الإيجي<sup>(٣)</sup> أنه تتلمذ على الشيخ زين الدين الهنكي تلميذ القاضي ناصر الدين البيضاوي<sup>(٤)</sup> ، ولم أقف في كتب التراجم على سنة ميلاده ولا على سنة وفاته.

٣- وفاته وآثاره العلمية<sup>(٥)</sup>:

توفي الشيخ البيضاوي - رحمه الله - بتبريز سنة ٦٨٥هـ وقيل سنة ٦٩٢هـ.

وقد ترك مصنفات كثيرة من أهمها ما يلي:

١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير.

- 
- (١) انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ج ٣ ص ١٥٦ ط ١ س ١٣٤٩هـ. دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد الدكن - الهند.
- (٢) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني من أئمة العلم والتاريخ أصله من عسقلان بفلسطين ولكن مولده ووفاته بالقاهرة. ولد سنة ٧٧٣هـ وتوفي سنة ٨٥٢هـ. انظر الأعلام للزركلي ج ١ ص ١٧٨.
- (٣) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار. أبو الفضل. عالم بالأصول والمعاني والعربية. ولد بنواحي شيراز بعد السبعمائة وأخذ عن مشايخ عصره، ولازم الشيخ زين الدين الهنكي تلميذ البيضاوي. توفي سنة ٧٥٦هـ. انظر الدرر الكامنة لابن حجر ج ٢ ص ٣٢٢.
- (٤) انظر الدرر الكامنة لابن حجر ج ٢ ص ٣٢٢.
- (٥) انظر وفاته وآثاره العلمية في الكتب التالية:
- كشف الظنون لحاجي خليفة مج ١ ص ١٨٦.
  - بغية الوعاة للسيوطي ص ٥٢٧.
  - طبقات المفسرين للداوودي ج ١ ص ٢٤٨، ٢٤٩.
  - الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٤ ص ١١٠.
  - مقدمة الغاية القصوى: علي محيي الدين ج ١ ص ٩٤، ٩٥.

٢. طوابع الأنوار في علم الكلام.
٣. منهاج الوصول إلى علم الأصول في أصول الفقه.
٤. الإيضاح في أصول الدين.
٥. الغاية القصوى في دراية الفتوى في الفقه.
٦. شرح الكافية لابن الحاجب<sup>(١)</sup> في النحو.
٧. شرح المطالع في المنطق.
٨. مختصر في الهيئة.
٩. شرح الفصول في الهيئة والفلك.

## ب. منهج البيضاوي في تفسيره

### ١- التعريف بالتفسير:

تفسير البيضاوي المسمى: "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" تفسير متوسط الحجم طُبِعَ مرات كثيرة في خمسة أجزاء. (و) جمع بين ثلاث مميزات:

أولها: الاختصار والتركيب، وثانيها: الإلمام بكل ما يتطلع إليه الراغب في فهم الآية القرآنية المعروضة عليه من وجوه القراءة ومن لغة ونكت بلاغية ونظر فقهي. وثالثها: تقرير الأدلة الكلامية على مذهب أهل السنة.<sup>(٢)</sup> وقد أقدم البيضاوي على كتابته في الحقبة الأخيرة من حياته بمدينة

(١) سبقت ترجمته ص ٣٤.

(٢) معجم تفاسير القرآن للدكتور عبد القادر زمامة والدكتور فاضل عبد النبي والدكتور عبد الوهاب التازي سعود، والدكتور محمد الكتاني ص ٢٠٨.

"تبريز" التي توفى بها.<sup>(١)</sup>

واستمد تفسيره هذا من الكشاف للزمخشري<sup>(٢)</sup> ومن التفسير الكبير لفخر الدين الرازي<sup>(٣)</sup> ومن تفسير الراغب الأصفهاني<sup>(٤)</sup>. وضمَّ إلى ذلك ما فتح الله عليه من نكت وعلوم ومعارف.

يقول حاجي خليفة<sup>(٥)</sup> في التعريف بتفسير البيضاوي:

(وتفسيره هذا كتاب عظيم الشأن غني عن البيان لخص فيه من الكشاف ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات وضم إليه ماورى زناد فكره من الوجوه المعقولة والتصرفات المقبولة فجلا رين الشك عن السريرة وزاد في العلم بسطة وبصيرة.)<sup>(٦)</sup>

## ٢. عناية العلماء بتفسير البيضاوي

اعتنى العلماء بتفسير البيضاوي عناية فائقة؛ فاهتموا بدراسته، وتدرسه، وكتابة الحواشي المتعددة والتعليقات الكثيرة عليه. حيث وصل عدد الحواشي التامة التي ذكرها حاجي خليفة<sup>(٧)</sup> إلى خمس عشرة حاشية<sup>(٨)</sup>، والحواشي والتعليقات غير التامة إلى سبع وعشرين<sup>(٩)</sup>. علماً بأن هناك حاشيتين

(١) انظر التفسير ورجاله للفاضل بن عاشور ص ١٠٧.

(٢) سبقت ترجمته ص ٤٩.

(٣) سبقت ترجمته ص ٣٠.

(٤) سبقت ترجمته ص ٣١.

(٥) سبقت ترجمته ص ٥٥.

(٦) كشف الظنون لحاجي خليفة مج ١ ص ١٨٧.

(٧) سبقت ترجمته ص ٥٥.

(٨) انظر كشف الظنون لحاجي خليفة مج ١ ص ١٨٨ إلى ص ١٩٠.

(٩) انظر المصدر السابق مج ١ من ص ١٩٠ إلى ص ١٩٣.

مهمتين لم يذكرهما صاحب كشف الظنون بسبب أنهما كتبتا بعده، وهما:  
 حاشية عبد الحكيم<sup>(١)</sup> وحاشية الخفاجي<sup>(٢)</sup>.  
 وفي هذا الصدد يذكر الفاضل بن عاشور<sup>(٣)</sup> كلاماً نفيساً في عناية  
 العلماء بتفسير البيضاوي، فيقول:

(فأصبح تفسير البيضاوي ملتزم التدريس من أقاليم الهند إلى المغرب  
 الأقصى، وزاد اعتزازاً في القرن الحادي عشر بالحاšيتين الشهيرتين اللتين  
 كتبتا عليه: إحداهما بلاهور عاصمة بلاد البنجاب من باكستان الغربية وهي  
 حاشية المحقق عبد الحكيم السيالكوٲي، التي سارت مثلاً في التّحقيق،  
 والتّحليل، وصواب التّظر، ورشاقة العبارة، والإغراق في الإشارة، حتى اعتبرت  
 عنقاء الدّارسين وآبدة التّاطرين. والحاشية الثانية من حواشي القرن الحادي  
 عشر: هي حاشية العلامة المصري الأزهري النشأة شهاب الدّين الخفاجي، التي  
 سمّاها: "عناية القاضي، وكفاية الرّاضي" وهي تامة، بخلاف حاشية عبد  
 الحكيم، وواسعة كثيرة المباحث والفوائد، وسّعت دائرة تفسير البيضاوي  
 علماً أكثر ممّا وسّعتها نقداً وبحثاً.)<sup>(٤)</sup>

- 
- (١) هو عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوٲي الهندي. من كبار علماء الهند. توفي سنة ١٠٦٧هـ. ١٦٥٦م. له مؤلفات كثيرة. منها: حاشية على تفسير البيضاوي. انظر الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة للدكتور ياسين صلاواتي ج ٥ ص ٢١٢٣.
- (٢) هو أحمد بن محمد بن عمر قاضي القضاة شهاب الدين الخفاجي الحنفي. ولد بمصر سنة ٩٧٧هـ. وتوفي بها سنة ١٠٦٩هـ. من آثاره: حاشية الشهاب المسماة: "عناية القاضي وكفاية الراضي على شرح البيضاوي. انظر معجم تفاسير القرآن الكريم للدكتور عبد القادر زمامة والدكتور فاضل عبد النبي والدكتور عبد الوهاب التازي سعود والدكتور محمد الكتاني ص ٢٨٧.
- (٣) سبقت ترجمته ص ٢٣.
- (٤) التفسير ورجاله للفاضل بن عاشور ص ١١٥، ١١٦.

### ٣. منهج البيضاوي في تفسيره "أنوار التنزيل"

انتهج البيضاوي في تفسيره منهج الرواية والدراية وقد صنف تفسيره ضمن التفسير بالرأي المحمود، لغلبة هذا الجانب عليه بسبب اعتماده على الكشاف للزمخشري<sup>(١)</sup>، والتفسير الكبير للرازي<sup>(٢)</sup>، وتفسير الراغب<sup>(٣)</sup>، وبما فتح الله عليه من اجتهادات وإضافات علمية هامة.

وإن المتتبع لتفسيره يجد البيضاوي قد اهتم اهتماماً كبيراً باللغة والإعراب والبلاغة، كما اهتم بالتفسير بالمأثور وأسباب النزول والقراءات واهتم أيضاً بالمسائل العقدية والفقهية ....

و(عنوان التفسير شاهد على ما كان يتميز به البيضاوي من إعمال الرأي في المسائل التي تستدعي ذلك، والرأي هنا يعنى بأمرين: أولهما: أنه تفسير مذهبي يُقرُّ بمذهب أهل السنة في كل قضية كلامية أو تفسيرية تتصل بالعقائد. ويقر بمذهب الشافعي<sup>(٤)</sup> في كل قضية فقهية. وثانيهما: أنه تفسير يستمد من التفاسير التي جنحت إلى الرأي والاجتهاد، مثل تفسير "الكشاف" للزمخشري، و"التفسير الكبير" للفخر الرازي و"جامع التفاسير للراغب الأصفهاني".<sup>(٥)</sup>)

وقد نصَّ البيضاوي على الخطوط العامة لمنهجه في التفسير أثناء مقدمته لأنوار التنزيل.<sup>(٦)</sup>

(١) سبقت ترجمته ٤٩.

(٢) سبقت ترجمته ٣٠.

(٣) سبقت ترجمته ٣١.

(٤) هو محمد بن إدريس بن عباس عثمان الشافعي المكي أبو عبد الله، إليه تنسب الشافعية، ولد بغزة بفلسطين سنة ١٥٠هـ-٧٦٧م. وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين وتوفي بمصر سنة ٢٠٤هـ-٨١٩م. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٠ من ص ٥ إلى ص ٩٩. ط ٧ س ١٤١٠هـ-١٩٩٠م. مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

(٥) معجم تفاسير القرآن الكريم للدكتور عبد القادر زمامة والدكتور فاضل عبد النبي والدكتور عبدالوهاب التازي سعود والدكتور محمد الكتاني ص ٢٠٨.

(٦) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي مج ١ ج ١ ص ٢٣.

وإليكم بيان منهجه - باختصار - وفق العناصر التالية:

### أولاً: اهتمامه بالتفسير بالمأثور

اهتم البيضاوي في تفسيره بالتفسير بالمأثور وإن كان اهتمامه بهذا الجانب أقل من اهتمامه بجانب التفسير بالرأي. ففسر - من غير توسع - القرآن بالقرآن<sup>(١)</sup>، كما فسره بالسنة<sup>(٢)</sup> وأقوال الصحابة<sup>(٣)</sup> والتابعين<sup>(٤)</sup>.

### ثانياً: اهتمامه بأسباب النزول:

اهتم البيضاوي في تفسيره بأسباب النزول، ومنهجه في ذلك - باختصار - أنه حينما يذكر سبب النزول أجده - غالباً - ما يبتدئ به تفسير الآية، ويذكره في أكثر الأحيان بصيغ التمريض مثل، قيل ورؤي<sup>(٥)</sup>، ولا يجزم بذكره إلا في النادر القليل<sup>(٦)</sup>. كما أنه لا يعقب على أسباب النزول التي يوردها، وإن كانت غير صحيحة<sup>(٧)</sup>.

### ثالثاً: اهتمامه بالقراءات:

اهتم البيضاوي في تفسيره بالقراءات المتواترة والشاذة اهتماماً كبيراً، وقد صرح بهذا الاهتمام في مقدمة تفسيره، حين قال - معرفاً بأنوار التنزيل -: (ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزوة إلى الأئمة الثمانية

(١) انظر المصدر السابق: مج ١ ج ١ ص ٧٣، ص ١٢٦، مج ١ ج ٢ ص ١١٣.

(٢) انظر المصدر السابق: مج ١ ج ٢ ص ١٧٠، مج ١ ج ٣ ص ٦٥.

(٣) انظر المصدر السابق: مج ١ ج ١ ص ١٦٤، مج ١ ج ٢ ص ٣١.

(٤) انظر المصدر السابق: مج ١ ج ١ ص ٨٥، مج ١ ج ٢ ص ١٥٠.

(٥) انظر المصدر السابق: مج ١ ج ٣ ص ٨٥، ص ٨٩ ص ٩٢. مج ١ ج ١ ص ١٣٧.

(٦) انظر المصدر السابق: مج ١ ج ١ ص ١٣٣، ص ١٤٠.

(٧) انظر المصدر السابق: مج ١ ج ٣ ص ٩٠.



المشهورين، والشواذ المروية عن القراء المعبرين.<sup>(١)</sup>

وأما منهجه في تعامله مع القراءات - باختصار - فهو - غالباً - ما يتتبع القراءات في الآية؛ فيذكر المتواترة<sup>(٢)</sup> منها والشاذة<sup>(٣)</sup>، مسنداً إياها إلى أصحابها ومصرحاً بقوله: قرأ فلان<sup>(٤)</sup> ... وأحياناً يوردها بصيغ التمريض كقوله: قرئ<sup>(٥)</sup>. كما وجدته يعتني بتوجيه القراءات؛ فيذكر المعاني المختلفة والأحكام المستتبطة الناتجة عن وجوه اختلافها.<sup>(٦)</sup> وأحياناً يستعين بالقراءة على ترجيح بعض الأحكام الفقهية.<sup>(٧)</sup>

رابعاً: اهتمامه باللغة والنحو والبلاغة:

اهتم البيضاوي في تفسيره باللغة والنحو والبلاغة اهتماماً كبيراً، ولا غرابة في ذلك، فهو فارس من فرسان هذا الفن، إضافة إلى اعتماده على مصادر مهمة في هذا الجانب كما بينت ذلك عند التعريف بتفسيره.

أما منهجه العام في تعامله مع اللغة والنحو والبلاغة فهو - باختصار - كما

يلي:

١- في اللغة: غالباً ما يشرح مفردات الآية بإيجاز، كقوله: "الإيمان في اللغة:

(١) المصدر السابق مج ١ ج ١ ص ٢٣.

(٢) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي مج ١ ج ٢ ص ١١٧.

(٣) انظر المصدر السابق مج ١ ج ٢ ص ١١٧.

(٤) انظر المصدر السابق مج ١ ج ٢ ص ١١٧، ص ١١٩، مج ١ ج ٥ ص ١٩٢.

(٥) انظر المصدر السابق مج ١ ج ٢ ص ١٢٤، ص ١٢٦.

(٦) انظر المصدر السابق مج ١ ج ٢ ص ١١٧.

(٧) انظر المصدر السابق مج ١ ج ١ ص ١٣٩.

• وانظر منهج البيضاوي في تفسيره. دراسة مقارنة: نور عبد جودل الندوي. ص ٩٧. رسالة ماجستير مكتوبة بالألة الراقنة بكلية أصول الدين. الجامعة الإسلامية العالمية. إسلام آباد - باكستان سنة ١٤١٤هـ.

عبارة عن التصديق مأخوذ من الأمن<sup>(١)</sup> وقوله: "والرزق في اللغة: الحظ ..."<sup>(٢)</sup>.  
 والملاحظ أنه أثناء تعرضه لشرح الكلمات القرآنية أراه يتعرض أحياناً  
 إلى الاشتقاق، ويستشهد بالشعر العربي<sup>(٣)</sup>، ويرد على التفسير الاعتزالي بأدلة  
 لغوية قوية.<sup>(٤)</sup>

٢- في النحو: أما في الجانب النحوي، فيركز على بعض كلمات الآيات  
 فيعربها<sup>(٥)</sup>، وأحياناً يعرب الآية بأكملها، ولا يتوسع في ذلك بذكر المدارس  
 النحوية وغيرها.<sup>(٦)</sup>

واقتبسه من الكشاف ظاهر في تفسيره، ولكنه بتلخيص وتصرف،  
 وزيادة وحذف.<sup>(٧)</sup>

٣- في البلاغة: وأما في الجانب البلاغي فإنني لاحظت بصمات الكشاف  
 للزمخشري بارزة جداً في تفسير البيضاوي، فهو آخذ منه، ومتبع له، وناسج على  
 منواله ولو تتبعته تفسيره - مثلاً - لقوله تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾<sup>(٨)</sup>.  
 لوجدت هذا الأمر واضحاً جداً.<sup>(٩)</sup> ولا يعني هذا أن البيضاوي مجرد ناقل عن

(١) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي مج ١ ج ١ ص ٣٧.

(٢) انظر المصدر السابق مج ١ ج ١ ص ٣٨.

(٣) انظر المصدر السابق مج ١ ج ١ ص ٥٠، ٥١.

(٤) انظر المصدر السابق مج ٢ ج ٥ ص ٢٦٧.

(٥) انظر المصدر السابق مج ١ ج ١ ص ٥٥.

(٦) انظر المصدر السابق مج ١ ج ١ ص ٣٦، ٣٧.

(٧) انظر المصدر السابق مج ١ ج ١ ص ٤٠، ٤١. وانظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ٥٤، ٥٣، ٥٢، ٥٥.

● وانظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي مج ١ ج ٢ ص ١٥٤، ١٥٥. وانظر تفسير الكشاف  
 للزمخشري مج ٢ ص ٤، ٥.

(٨) سورة البقرة، الآية: ٢.

(٩) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي مج ١ ج ١ ص ٣٥، ٣٦، ٣٧. وانظر تفسير الكشاف  
 للزمخشري مج ١ من ص ٤١ إلى ص ٤٦.

الكشاف، بل له استقلالته في بيان النكت البلاغية وتوضيح أسرار التأويل.<sup>(١)</sup>

خامساً: اهتمامه بالمسائل العقدية:

يُعدُّ القاضي البيضاوي من علماء أهل السنة والجماعة، أشعري العقيدة<sup>(٢)</sup>، اهتم كثيراً في تفسيره بالمسائل العقدية، فهو - في الغالب - يتوقف عند كل آية تتعلق بالعقيدة، و(كثيراً ما يقرر مذهب أهل السنة ومذهب المعتزلة، عندما يعرض لتفسير آية لها صلة بنقطة من نقط النزاع بينهم).<sup>(٣)</sup> كما يوضح بعض المصطلحات العقدية كالإيمان<sup>(٤)</sup>، والكفر<sup>(٥)</sup> بتوسع ظاهر، وينتصر لأهل السنة، ويرجح مذهبهم في المسائل الخلافية.<sup>(٦)</sup>

سادساً: اهتمامه بالمسائل الفقهية:

سلك الإمام البيضاوي المذهب الشافعي في الفقه<sup>(٧)</sup>، ولم يقتصر دوره (على) على التفسير والكلام والأصول بل جنى ثمار علومه في الفقه وصهرها لخدمته، حيث أَلَّفَ الغاية القصوى وأودع فيه أكثر العلوم التي تلتصق بالفقه.<sup>(٨)</sup> وقد تناول في تفسيره المسائل الفقهية وفق النقاط التالية:

- (١) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي مج ١ ج ١ ص ٥٢، ٥٣، ٥٤. وانظر تفسير الكشاف للزمخشري مج ١ من ص ٩٢ إلى ص ٩٥.
- (٢) انظر التفسير ورجاله للفاضل بن عاشور ص ١١٣.
- (٣) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي ج ١ ص ٢١٢.
- (٤) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي مج ١ ج ١ ص ٣٧، ٣٨.
- (٥) انظر المصدر السابق مج ١ ج ١ ص ٤١.
- (٦) انظر المصدر السابق مج ١ ج ١ ص ٣٨، ٤١. وانظر التفسير والمفسرون للذهبي ج ١ ص ٢١٢، ٢١٣.
- (٧) انظر منهج البيضاوي في تفسيره دراسة مقارنة: نور عبد جودل الندوي ص ٦٢، ٦٣.
- (٨) مقدمة الغاية القصوى: علي محيي الدين ج ١ ص ٨١.

١. يتعرض لبيان المسألة الفقهية بإيجاز.<sup>(١)</sup>
٢. يذكر آراء المذاهب في المسألة الفقهية من غير توسع ولا ترجيح.<sup>(٢)</sup> وأحياناً وأحياناً ينتصر لمذهبه الشافعي كما في مسألتى الطلاق<sup>(٣)</sup> وكفارة الظهار<sup>(٤)</sup>. وأحياناً أخرى لا يرجح مذهبه ويرد عليه.<sup>(٥)</sup>
٣. غالباً ما يذكر الرأي المخالف لمذهبه بلفظ "قليل"<sup>(٦)</sup> ليدل على تضعيفه، ويصرح بلفظ مذهبه الشافعي<sup>(٧)</sup>، وأحياناً يشير إليه بقوله: (عندنا)<sup>(٨)</sup> أو (أصحابنا)<sup>(٩)</sup> ونحو ذلك.

#### سابعاً: موقفه من الإسرائيليات:

- يُعد البيضاوي من المقلين من ذكر الإسرائيليات في تفسيره. ويتضح لنا موقفه منها - باختصار - من خلال تعامله معها وفق النقاط التالية.
١. إنه يحتاط في رواية الأخبار وإيراد الإسرائيليات أثناء تفسيره.<sup>(١٠)</sup>
  ٢. غالباً يروي الإسرائيليات في تفسيره بصيغ التمريض ولا يوردها مورد الجزم بها<sup>(١١)</sup>، موهماً بضعفها، وأحياناً مصرحاً ببطلانها، كقوله - معقباً

- 
- (١) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي مج ١ ج ١ ص ١٣٠، ص ١٣٩، ص ١٤٤.
  - (٢) انظر المصدر السابق مج ١ ج ١ ص ١٣٠، ص ١٣٢. مج ١ ج ٢ ص ١١٧.
  - (٣) انظر المصدر السابق: مج ١ ج ١ ص ١٤١.
  - (٤) انظر المصدر السابق: مج ٢ ج ٥ ص ١٩٣.
  - (٥) انظر المصدر السابق: مج ١ ج ٢ ص ١٢٧.
  - (٦) انظر المصدر السابق مج ١ ج ١ ص ١٣٨، ص ١٤٥.
  - (٧) انظر المصدر السابق: مج ١ ج ١ ص ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥.
  - (٨) انظر المصدر السابق مج ١ ج ١ ص ١٣٠، ص ١٣٢، ص ١٦٤.
  - (٩) انظر المصدر السابق مج ١ ج ١ ص ١٤٧.
  - (١٠) انظر المصدر السابق مج ١ ج ٢ ص ١٢١، ١٢٢، مج ٢ ج ٥ ص ١٥.
  - (١١) انظر معجم تفاسير القرآن الكريم للدكتور عبدالقادر زمامة والدكتور فاضل عبدالنبي والدكتور عبدالوهاب التازي سعود والدكتور محمد الكتاني ص ٢٠٨.

على ما جاء من إسرئيليات في قصة الملكين هاروت وماروت - : (وما روي  
أنهما مُتلاً بشرين، وركب فيهما الشهوة، فتعرضا لامرأة يقال لها الزهرة  
فحملتهما على المعاصي والشرك، ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما  
فمحكى عن اليهود ولعله من رموز الأوائل وحله لا يخفى على ذوي  
البصائر).<sup>(١)</sup>

وقوله في قصة داود عليه السلام وزواجه بزوجة أوريا:<sup>(٢)</sup>  
(وما قيل: أنه أرسل أوريا إلى الجهاد مراراً وأمر أن يقدم حتى قتل فتزوجها  
هزاء وافتراء).<sup>(٣)</sup>

يقول محمد حسين الذهبي: (والبيضاوي - رحمه الله - مقل جداً من ذكر  
الروايات الإسرئيلية، وهو يصدر الرواية بقوله: روي أو قيل ... إشعاراً منه  
بضعفها).<sup>(٤)</sup>

والذي ينبغي التنبه عليه هو أن الإمام البيضاوي بالرغم من أنه مقل من  
ذكر الإسرئيليات إلا أنه يستشهد بالأحاديث الموضوعة في فضائل السور.<sup>(٥)</sup>  
والظاهر أنه سار على طريقة الزمخشري<sup>(٦)</sup> وتساهله في هذا الجانب.<sup>(٧)</sup>  
إلا أنه ليس كل ما يذكره البيضاوي في فضائل السور موضوعاً، فإن  
هناك أحاديث استشهد بها وهي صحيحة مثل ما ذكره في فضل سورة البقرة عن

- 
- (١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي مج ١ ج ١ ص ٩٧، ٩٨.  
(٢) أحد قادة الجيش في حكم داود عليه السلام. لم أقف له على ترجمته في كتب التراجم.  
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: مج ٢ ج ٥ ص ٢٧.  
(٤) التفسير والمفسرون للذهبي ج ١ ص ٢١٣.  
(٥) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي مج ١ ج ٢ ص ٥٧. مج ٢ ج ٥ ص ٣٤٦.  
(٦) سبقت ترجمته ص ٤٩.  
(٧) انظر تفسير الكشاف للزمخشري مج ١ ص ٤٥٠، مج ٤ ص ٨١٧.

النبي عليه الصلاة والسلام: "من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه".<sup>(١)</sup>

وفي هذا الصدد يقول محمد أبو شهبه:

(وقد يذكر بعض المفسرين في فضائل السور أحاديث موضوعه ... مثل: ما ذكره الزمخشري والبيضاوي في فضل الفاتحة ... ولا يتوهم من متوهم أن جميع ما ذكره الزمخشري والبيضاوي وأمثالهما في الفضائل موضوع، فإن هذا لم يقله أحد من أهل العلم بالحديث، ولا أهل التحقيق، فقد ذكرا وغيرهما أحاديث في غاية الصحة).<sup>(٢)</sup>

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن. باب: فضل سورة البقرة. ج ٤ ص ١٩١٤. حديث رقم

٤٧٢٢. ط ٣ س ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع دمشق - سوريا.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد أبي شهبه ص ٣١٠، ٣١١.

**ثانياً: معنى كلمة تفرد وبيان السري في الاقتصار في عنوان الرسالة على الأئمة الثلاثة**

**(الزمخشري وابن عطية والبيضاوي)**

**أ- معنى كلمة تفرد:**

قال ابن دريد<sup>(١)</sup>: (الفرد: الواحد، والله تبارك وتعالى الفرد، وكل شيء متوحد فقد انفرد، وكأن أصل الفرد: الذي لا نظير له ... وظبية فاردة، والجمع فوارد، إذا انقطعت عن قطيعها وانفردت...)<sup>(٢)</sup>

وقال الخليل<sup>(٣)</sup>: (الفرد ما كان وحده، يُقال: فَرَدَ يَفْرُدُ، وانفرد انفراداً، وأفردته: جعلته واحداً. والفريد الشذر، الواحدة: فريدة، ... والله الفَرْدُ: تَفَرَّدَ بالربوبية والأمر دون خلقه.)<sup>(٤)</sup>

وجاء في لسان العرب:

فَرَدَ: اللهُ تعالى وتقدس هو الفرد، وقد تفرد بالأمر دون خلقه. والفرد والفرد بالفتح والضم: أي هو منقطع القرين لا مثل له في جودته. والفريد: الدر إذا نظم وفصل بغيره. وقيل: الفريد بغيره: الجوهرة النفيسة كأنها مفردة في نوعها.

- 
- (١) هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أبو بكر. من أئمة اللغة والأدب. قيل عنه أنه أشعر العلماء وأعلم الشعراء. ولد في البصرة سنة ٢٢٣هـ وتوفي ببغداد سنة ٣٢١هـ. انظر الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٨٠.
- (٢) جمهرة اللغة: ابن دريد مج ١ ص ٧٥٠. ط ١ س ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- (٣) سبقت ترجمته ص ٦٧.
- (٤) كتاب العين. تأليف: الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي. ج ٨ ص ٢٤. الفعل: فرد. ط ١ س ١٤٠٥هـ. مؤسسة دار الهجرة قم - إيران.

يقال: وفرد بالأمر يفرد وتفرد، وانفرد واستفرد. ويقال فرد برأيه وأفرد،  
وفرد واستفرد بمعنى: انفرد به.<sup>(١)</sup>

وجاء في تاج العروس: فرد بالأمر وأفرد وانفرد استفرد إذا تفرد به ...  
والفارد من السكر: أجوده وأبيضه. وسيف فرد وفرد: لا نظير له من جودته.<sup>(٢)</sup>  
وذكر الزمخشري<sup>(٣)</sup> في الأساس: فرد - هذا شيء فرد وفارد، وفريد ...  
وظبية فارد: منقطعة عن القطيع، وهو فارد بهذا الأمر أي منفرد به ...  
واستفردت فلاناً: انفردت به.<sup>(٤)</sup>

وجاء في القاموس القويم للقرآن الكريم: الفرد: نصف الزوج ويطلق على  
ما لا نظير له. وقوله: ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾<sup>(٥)</sup> أي: لا أحد معه من الأبناء أو الأعوان،  
ومثله: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فُرَادَى ﴾<sup>(٦)</sup> أي ليس معكم مال ولا أهل ولا صديق.<sup>(٧)</sup>  
قال الزمخشري<sup>(٨)</sup>: "فرادى": منفردين عن أموالكم وأولادكم وما  
حرصتم عليه وآثرتموه عن دنياكم وعن أوثانكم التي زعمتم أنها شفعاؤكم  
وشركاء لله.<sup>(٩)</sup>

- 
- (١) انظر لسان العرب لابن منظور. تحقيق عامر أحمد حيدر. مج ٣ من ص ٤٠٦ إلى ص ٤٠٩. ط ١ س ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م. دارالكتب العلمية بيروت - لبنان.
- (٢) انظر تاج العروس من جواهر القاموس: للزبيدي تحقيق الدكتور عبدالعزيز مطر. ج ٨ من ص ٤٨٢ إلى ص ٤٩٠. ط س ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م مطبعة حكومة الكويت.
- (٣) سبقت ترجمته ص ٤٩.
- (٤) أساس البلاغة للزمخشري. تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود ص ٢٢٧ بدون ذكر المطبعة ولا تاريخ الطبع.
- (٥) سورة مريم، الآية: ٨٠.
- (٦) سورة الأنعام، الآية: ٩٤.
- (٧) انظر القاموس القويم للقرآن الكريم: إبراهيم أحمد عبدالفتاح ج ٢ ص ٧٥. ط س ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.
- (٨) سبقت ترجمته ص ٤٩.
- (٩) تفسير الكشاف للزمخشري مج ٢ ص ٤٤.



ويستخلص من كل ما سبق أن كلمة "تفرد" يدور فلكها حول ثلاثة

معاني:

المعنى الأول: الفرد بمعنى ما كان وحده كتفرد الله تعالى بالربوبية والأمر دون خلقه، وتفرد الإنسان عن غيره بالأمر أو الرأي وإتيانه بالشيء الذي لم يأت به غيره.

المعنى الثاني: الجودة التي لا نظير لها كالسيف الفرد، والفرد من السكر، والجوهرة الفريدة.

المعنى الثالث: الانعزال التام كالثور الفارد، المنفرد عن القطيع، والظبية الفاردة: إذا انقطعت عن قطيعها وانفردت.

والتفرد الذي أعني به في بحثي بعنوان: "تفردات الطاهر بن عاشور في تحريريه عن الزمخشري في كشافه وابن عطية في محرره والبيضاوي في أنواره" هو ما جاء في الشطر الثاني من المعنى الأول وهو تفرد الإنسان عن غيره بالأمر أو الرأي وإتيانه بالشيء الذي لم يأت به غيره بمعنى أن ابن عاشور جاء في تفسيره بأشياء لم يأت بها غيره، فتفرد بها عنهم.

وما دام التفرد في موضوعي مقيدا بثلاثة من كبار المفسرين؛ فإن الذي أحرص على بيانه في البحث هو إثبات تفرد ابن عاشور عن هؤلاء المفسرين الثلاثة (الزمخشري وابن عطية والبيضاوي).

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا اقتصر في رسالتي على هؤلاء

الأئمة الثلاثة؟

والجواب هو ما أبينه الآن تحت العنوان التالي:

## ٢. السرفى الاقتصار فى عنوان الرسالة على الأئمة الثلاثة :

ىرجع السر فى الاقتصار على هؤلاء الأئمة الثلاثة فى إثبات تفردات الطاهر بن عاشور فى تحريره عن الزمخشري فى كشافه وابن عطية فى محرره والبيضاوى فى أنواره إلى عدة أسباب أهمها ما يلي:

أ. كون هؤلاء الأئمة الثلاثة: الزمخشري، وابن عطية والبيضاوى، ممن اعتمد عليهم ابن عاشور ورجع إليهم كثيرا فى تفسيره، وله عنهم تفردات وموافقات ومخالفات، وقد نص فى مقدمته على تفاسيرهم بأنها من أهم التفاسير التى رجع إليها.<sup>(١)</sup>

علماً بأن تفسير البيضاوى هو المصدر الأول الذى كان ابن عاشور يرجع إليه ويعتمد عليه فى تدريسه وكتابة تحريره، بسبب أنه كتاب التفسير المقرر لطلاب الدراسات العليا الذين كان ابن عاشور يدرسهم بجامع الزيتونة. وقد أخرته فى ذكر التفردات عن تفسير الزمخشري وتفسير ابن عطية بسبب تأخر البيضاوى فى زمن الوفاة.

قال الأستاذ الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة:<sup>(٢)</sup>

(وفى تمهيد كتاب التحرير تنبيه عن شيخ الإسلام<sup>(٣)</sup> على أهم ما اعتمده اعتمده من ذلك فى إقراء التفسير، وتأليف التحرير.

كان الدرس أساسا من البيضاوى، وكان يلجأ فى ضبط مسأله وتحقيق وجوه القرآن ونظائره، والتنبيه على أوجه الإعراب وما يرتبط بذلك من

(١) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج ١ ص ٧.

(٢) سبقت ترجمته ص ٢٤.

(٣) يعنى به: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور.

رواية أو قراءة، وتحليل ضروب المعاني والبيان القولي فيه، وعرض مسائل الفقه وبيان الأحكام، على أعلى المصنفات وأرقاها التي تمتد إليها أيديهم في تلك الفترة.<sup>(١)</sup>

ب - كون هؤلاء الأئمة من كبار ومصاقيع المفسرين، وتفاسيرهم من أهم مصادر التفسير، فالرجوع إليهم والاعتماد عليهم وإثبات تفردات ابن عاشور عنهم في تفاسيرهم يبرز مدى قيمة تفسير التحرير والتتوير وعلو كعب صاحبه في ميدان التفسير.

ج - كون هؤلاء الأئمة الثلاثة من مذاهب مختلفة فالزمخشري حنفي، وابن عطية مالكي، والبيضاوي شافعي - يوقفي - بعد البحث - على نكت علمية وتفردات جلية، خاصة في تفسيرهم لآيات الأحكام، وهذا أحسن من أن لو جعلت التفردات عن ثلاثة أئمة من مذهب واحد.

د - إن المدة الزمنية المحددة لمرحلة الدكتوراه، دراسة وبحثاً جعلتني أقتصر على تفاسير هؤلاء الأئمة الثلاثة ولا أزيد عليهم، لأن قراءة تفسير التحرير والتتوير - الذي يحتوي على ثلاثين مجلداً. ومقارنته بتفاسير هؤلاء الأئمة لاستخراج تفرداته عنهم، ودراستها وتقييمها، يأخذ مني جهداً كبيراً، ووقتا طويلاً، فلو أضفت تفاسير أخرى للقراءة والدراسة والمقارنة والتعقيب والتقييم لأخذ مني ذلك وقتاً وجهداً كبيرين لاتسعهما تلك المدة المحددة بخمس سنوات.



(١) التفسير ورجاله لمحمد الفاضل ابن عاشور تذييل: محمد الحبيب ابن الخوجة ص ٢٣٥.



# الفصل الأول

تفردات الطاهر بن عاشور اللغوية والنحوية

والبلاغية في تفسيره التحرير والتنوير

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث.

## المبحث الأول

تفردات ابن عاشور اللغوية

## المبحث الثاني

تفردات ابن عاشور النحوية

## المبحث الثالث

تفردات ابن عاشور البلاغية



## تَهْيِئَاتُ:

أنزل الله تعالى القرآن الكريم بلسان عربي مبين. قال عز وجل ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولهذا اشترط العلماء على المفسر لكتاب الله تعالى شروطاً، أهمها: علمه باللغة العربية والنحو والصرف وعلوم البلاغة<sup>(٣)</sup>؛ لأن اللغة العربية وعلومها تعرف مفردات الكتاب الكريم؛ وبعلم البلاغة يدرك الإعجاز القرآني. وأورد السيوطي<sup>(٤)</sup> في إتقانه خمسة عشر علماً لا بد منها للمفسر للقرآن الكريم، ذكر منها اللغة، والنحو، والتصريف، والاشتقاق، وعلوم البلاغة من معاني وبيان وبديع<sup>(٥)</sup>.

وقال مجاهد<sup>(٦)</sup>: (لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب).<sup>(٧)</sup>

وقال الطاهر بن عاشور: (إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقاً لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي

(١) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٨.

(٣) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن لعبد العظيم الزرقاني ج ٢ ص ٥١. ط س ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. دار الفكر بيروت - لبنان.

(٤) سبقت ترجمته ص ٥٣.

(٥) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي مج ٤ ص ١٨٥، ١٨٦. ط س ١٤١٨هـ. المكتبة العصرية للطباعة والنشر. بيروت - لبنان.

(٦) سبقت ترجمته ص ٥٣.

(٧) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي مج ٤ ص ١٨٥.

بالسليقة، ويعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي وهي: متن اللغة والتصريف، والنحو، والمعاني، والبيان.<sup>(١)</sup>

وقد اهتم ابن عاشور باللغة العربية وعلومها اهتماماً كبيراً جداً، وإن مؤلفاته في مثل هذه الفنون لشاهدة على علو كعبه في هذا الميدان.

بل إن تفسيره وحده لخير دليل على ما لهذا الشيخ الجليل من مكانة علمية، وخاصة في الجانب اللغوي والنحوي والبلاغي.

وإنه بالرغم من رجوعه في كتابة تحريره إلى مصادر ومراجع كثيرة في التفسير والنحو والبلاغة وغيرها إلا أنه يصرح بشجاعة أنه أتى في تفسيره بنكت لم ير من سبقه إليها<sup>(٢)</sup>؛ فتفرد بها عن غيره من كبار المفسرين.

وهذا ما سأبينه من خلال المباحث الثلاثة الآتية:

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١ ص ١٦.

(٢) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١ ص ٧.

## المبحث الأول

## تفردات ابن عاشور اللغوية

إنه بعد قراءتي المتأنية في تفسير التحرير والتنوير؛ وقفت على انتقادات متعددة وجهها الشيخ ابن عاشور إلى من سبقه من علماء التفسير واللغة، يصفهم فيها بالغفلة، والتساهل، والترك، والسكوت عن بعض الكلمات اللغوية التي ينبغي بيانها، ثم يأتي برأيه في ذلك مبتدئاً كلامه في الغالب بقوله: (وعندي) أو (الذي يظهر لي) معلناً بذلك عن ابتكاراته وتفرداته.

وما دام بحثي مقتصراً على بيان تفردات ابن عاشور في تحريره عن الزمخشري في كشافه وابن عطية في محرره والبيضاوي في أنواره، فإن الذي سأبينه في هذا المبحث هو تفردات ابن عاشور اللغوية عن هؤلاء الأئمة الثلاثة. وهذه التفردات هي:

## الأول: بيانه للفرق بين كلمتي: "العداوة" والبغضاء"

عند تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى

يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾<sup>(١)</sup>.

صرّح بأن علماء اللغة وعلماء التفسير قد تركوا بيان التفرقة بين كلمتي العداوة والبغضاء، باستثناء ابن عرفة التونسي<sup>(٢)</sup> وأبي البقاء الكفوي<sup>(٣)</sup>، حيث

(١) سورة المائدة، الآية: ١٤.

(٢) سبقت ترجمته ص ٣١.

(٣) هو أيوب بن موسى الحسيني الكفوي أبو البقاء: صاحب الكليات. كان من قضاة الأحناف، ولي القضاء بتركيا وبالقدس وبيغداد، وعاد إلى استانبول فتوفي بها سنة ١٠٩٤هـ. انظر الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٣٨.

ذكر الأول أن العداوة أعم من البغضاء، وذكر الثاني أن العداوة أخص من البغضاء. لكن ابن عاشور لم يرتض كلامهما، واعتبر كلا الوجهين المعبر بهما غير ظاهر.<sup>(١)</sup>

ثم أتى برأيه الخاص في التفرقة بين الكلمتين معبرا عنه بكلمة "وعندي" فقال:

(وعندي : أنّ كلا الوجهين غير ظاهر، والذي أرى أنّ بين معنيي العداوة والبغضاء التضادّ والتباين؛ فالعداوة كراهية تصدر عن صاحبها : معاملةً بجفاء، أو قطيعة، أو إضرار، لأنّ العداوة مشتقة من العدو وهو التجاوز والتباعد، فإنّ مشتقات مادة (ع د و) كلّها تحوم حول التفرّق وعدم الوئام. وأمّا البغضاء فهي شدة البغض، وليس في مادة (ب غ ض) إلاّ معنى جنس الكراهية فلا سبيل إلى معرفة اشتقاق لفظها من مادتها . نعم يمكن أن يرجع فيه إلى طريقة القلب، وهو من علامات الاشتقاق، فإنّ مقلوب بغض يكون غضب لا غير، فالبغضاء شدة الكراهية غير مصحوبة بَعَدُو، فهي مضمرة في النفس. فإذا كان كذلك لم يصحّ اجتماع معنيي العداوة والبغضاء في موصوف واحد في وقت واحد فيتعيّن أن يكون إلقاؤهما بينهما على معنى التوزيع، أي أغرينا العداوة بين بعض منهم والبغضاء بين بعضٍ آخر. فوقع في هذا النظم إيجاز بديع، لأنّه يرجع إلى الاعتماد على علم المخاطبين بعدم استقامة اجتماع المعنيين في موصوف واحد).<sup>(٢)</sup>

(١) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٥ ص ٦٥.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٥ ص ٦٦.



وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة في المواطن الأربعة من القرآن الكريم التي جاءت فيها كلمتا العداوة والبغضاء متتاليتين<sup>(١)</sup>؛ فوجدت أن الزمخشري والبيضاوي قد سكتا عند بيان التفرقة بين هاتين اللفظتين<sup>(٢)</sup>، إلا أن ابن عطية قد فرق بينهما. فقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(والعداوة أخص من البغضاء لأن كل عدو فهو مبغض وقد يبغض من ليس بعدو "وكان العداوة شيء مشتهر يكون عنه عمل وحرب، والبغضاء قد لا تجاوز النفوس وقد ألقى الله الأمرين على بني إسرائيل).<sup>(٤)</sup>

وبهذه التفرقة التي ذكرها ابن عطية يتضح أن كلام ابن عاشور غير صحيح حينما ادعى أنه لا يوجد أحد من علماء اللغة والتفسير تصدى للتفرقة بين كلمتي العداوة والبغضاء عدا ابن عرفة التونسي<sup>(٥)</sup> وأبي البقاء الكفوي<sup>(٦)</sup>. والملاحظ أن كلام أبي البقاء في تفرقته بين العداوة والبغضاء لا يخرج عما ذكره ابن عطية، ويحتمل أنه أخذه من تفسيره، باعتبار أن ابن عطية متقدم عليه.

(١) الآيات الأربع في القرآن الكريم التي جاءت فيها كلمتا العداوة والبغضاء متتاليتين هي:

أ. قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ سورة المائدة، الآية: ١٤.

ب. قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ سورة المائدة، الآية: ٦٤.

ج. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ سورة المائدة، الآية: ٩١.

د. قوله تعالى: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ سورة الممتحنة، الآية: ٤.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ٦٠٤، ص ٦٤٣، ص ٦٦٠، ٦٦١ مج ٤ ص ٥٠١.

وانظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي مج ١ ج ٢ ص ١١٩، ص ١٣٥، ص ١٤٢. مج ٢ ج ٥ ص ٢٠٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية، مج ٢ ص ٢١٦.

(٥) سبقت ترجمته ص ٣١.

(٦) سبقت ترجمته ص ٩٨.

وما دام ابن عاشور قد ردّ كلام الكفوي حينما ذكر أن العداوة أخص من البغضاء، فإن ما ذهب إليه ابن عطية يعد أيضاً غير ظاهر في نظر ابن عاشور. ولأتحقق مما ذكره ابن عاشور، رجعت إلى مصادر اللغة؛ فوقفت على ما ذكره بأن العداوة مشتقة من العدو وهو التجاوز والتباعد، ومشتقات مادة (ع د و) تحوم حول التفرق وعدم الوثام.

ففي الصحاح: تعادى القوم من العداوة، وتعادى ما بينهم أي فسد، وتعادى: تباعد. والعداء: تجاوز الحد والظلم. وعداه يعدوه أي جاوزه.<sup>(١)</sup>

وفي الجمهرة: أن العدو مصدر عدا يعدو عدواً وعدواً ... وعدا عليه بالسيف يعدو عدواً. وعدا عليه من العدوان يعدو عدواً وعدواً وعدوانا إذا جار.

ويقال: عداه ذلك الأمر عن الشيء يعدوه، إذا صرفه وما عدا ذاك بني فلان أي ما جاوزهم.<sup>(٢)</sup>

والبغضاء: شدة البغض. والبغض ضد الحب ونقيضه.<sup>(٣)</sup>

- (١) انظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق أحمد عبدالغفور عطار. مج ٦ من ص ٢٤١٩ إلى ص ٢٤٢١. ط ٤ س ١٤٠٧=١٩٨٧م. دارالعلم للملبيين ببيروت - لبنان.
- (٢) انظر جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي ج ١ ص ٧٩٢، ط ١ س ١٤٢٦-٢٠٠٥م. دارالكتب العلمية ببيروت - لبنان.
- وانظر المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده مج ٢ من ص ٣١٤ إلى ص ٣١٨. ط ١ س ١٤٢١=٢٠٠٠م. دارالكتب العلمية ببيروت - لبنان.
- (٣) انظر في بيان معنى البغضاء المصادر التالية:
- أ. الصحاح للجوهري ج ٣ ص ١٠٢٦، ١٠٢٧.
- ب. جمهرة اللغة لابن دريد ج ١ ص ٣٧٧.
- ج. المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده مج ٥ ص ٤١٤.
- د. لسان العرب لابن منظور تحقيق عامر أحمد حيدر ج ٧ ص ١٣٤، ١٣٥. ط ١ س ١٤٢٤=٢٠٠٣م. دارالكتب العلمية ببيروت - لبنان.

وهكذا يتضح أن ما ذكره ابن عاشور في بيانه لمعنى العداوة والبغضاء لغة لا يخرج عما ذكرته المعاجم اللغوية. ولكن ادعاءه حينما ذكر أن علماء اللغة والتفسير لم يفرقوا بين كلمتي العداوة والبغضاء غير صحيح. كما أن قوله: (لم يصح اجتماع معنيي العداوة والبغضاء في موصوف واحد في وقت واحد فيتعين أن يكون إلقاؤهما بينهما على معنى التوزيع...) <sup>(١)</sup> كلام غير دقيق لأن كل عدو يكون حتما مبغضا لعدوه، ويحمل في قلبه كراهية شديدة له، وليس بالضرورة أن يكون المبغض عدواً لمن يبغضه. وبناءً على ذلك يترجح عندي أن ما ذكره ابن عطية حينما فرق بين كلمتي العداوة والبغضاء بقوله: (والعداوة أخص من البغضاء لأن كل عدو فهو مبغض، وقد يبغض من ليس بعدو) <sup>(٢)</sup> أرجح مما ذكره ابن عاشور.

### الثاني: تفريقه بين كلمتي الدخول والولوج

فرق ابن عاشور بين كلمتي الدخول والولوج، وذكر أنه تفرد بذلك. فقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأْتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾: <sup>(٣)</sup>

(ولم أجد فيما رأيت من كلام المفسرين ولا من أهل اللغة من أفصح عن معنى (الدخول) في مثل هذه الآية وما ذكروا إلا معنى الولوج إلى المكان مثل ولوج البيوت أو المدن، وهو الحقيقة. والذي أراه أن الدخول كثر إطلاقه على دخول خاص وهو اقتحام الجيش أو المغيرين أرضاً أو بلداً لغزو أهله، قال تعالى:

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٥ ص ٦٦.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية مج ٢ ص ٢١٦.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ١٤.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ يَنْقُومِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا ﴾<sup>(١)</sup> إلى قوله تعالى: ﴿ يَنْقُومِ أَذْكُرُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> وأنه يعدى غالباً إلى المغزوين بحرف على. ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَلِبُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> إلى قوله: ﴿ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ۖ فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَفَقْتِلَا ﴾<sup>(٤)</sup> فإنه ما يصلح إلا معنى دخول القتال والحرب لقوله: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَلِبُونَ ﴾ لظهور أنه لا يراد: إذا دخلتم دخول ضيافة أو تجول أو تجسس، فيضهم من الدخول في مثل هذا المقام معنى الغزو والفتح كما نقول: عام دخول التتار بغداد، ولذلك فالدخول في قوله: ﴿ وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ هو دخول الغزو فيتعين أن يكون ضمير ﴿ دَخَلْتَ ﴾ عائداً إلى مدينة يثرب لا إلى البيوت من قولهم ﴿ إِنَّ بَيْوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾<sup>(٥)</sup> والمعنى: لو غزيت المدينة من جوانبها الخ...<sup>(٦)</sup>

وهكذا يتضح أن ابن عاشور لم يتوقف على مراد الدخول بمعناه الحقيقي وهو الولوج إلى البيوت أو المدن، بل أفصح عن معنى آخر وهو: اقتحام الجيوش أو المغيرين أرضاً أو بلداً لغزو أهله، واعتبر أن دلالة الدخول بهذا المعنى

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٢٤.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ١٣.

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢١ ص ٢٠٩، ٢١٠.

لم يجدها عند غيره من المفسرين وأهل اللغة، بمعنى أنه تفرد بذلك عنهم. وفي هذا الصدد يقول الدكتور مشرف بن أحمد<sup>(١)</sup>: (يفرق ابن عاشور بين كلمات كثيرة تدخل في باب الترادف... إلا أن الطاهر يقرر في بعض هذه الألفاظ أنه تفرد بذكر دلالتها مثل: تفريقه بين الدخول والولوج ودلالة لفظة الدخول؛ إذ يقول: (ولم أجد فيما رأيت من كلام المفسرين ولا من أهل اللغة من أفصح عن معنى الدخول في مثل هذه الآية)<sup>(٢)</sup> وإنما يقصد أنهم لم يفصحوا عن معنى الدخول بالدلالة التي اختارها وميزها عن دلالة الولوج)<sup>(٣)</sup> ولكن برجوعي إلى تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي؛ وقفت على أن المفسرين الثلاثة قد نصوا على أن المراد بالدخول في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا..﴾<sup>(٤)</sup> وقوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾<sup>(٥)</sup> ليس دخول ضيافة أو سياحة بل هو دخول غزو وحرب وقتال.

قال الزمخشري: ( ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ﴾ المدينة، وقيل بيوتهم، من قولك: دخلت على فلان داره. ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ من جوانبها.

يريد ولو دخلت عليهم هذه العساكر التي يفرّون خوفاً منها مدينتهم من نواحيها كلها وانتال<sup>(٦)</sup> على أهاليهم وأولادهم ناهبين سابيين ثم سئلوا عن ذلك الفرع وتلك الرجفة ((الفتنة)) أي الردة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة

(١) هو مشرف بن أحمد جمعان الزهراني. باحث سعودي معاصر.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ١٤.

(٣) أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير ص ٤١.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ١٤.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

(٦) معنى قوله: انتال: انصبت. وتناثلوا إليه: انصبوا. انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي ص ٩٧٨.

المسلمين ((لأتوها)) لجأؤوها وفعلوها.<sup>(١)</sup>

وقال ابن عطية عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ  
أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ...﴾<sup>(٢)</sup> إلى قوله ﴿يَنْقُومِ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ  
الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ...﴾<sup>(٣)</sup>.

(وهذه المقالة من موسى توطئة لنفوسهم حتى يتعزز ويأخذ الأمر بدخول  
أرض الجبارين بقوة، وتنفذ في ذلك نفوذ من أعزه الله ورفع شأنه).<sup>(٤)</sup>

وقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(والباب هو باب مدينة الجبارين فيما ذكره المفسرون. والمعنى: اجتهدوا  
وكافحوا حتى تدخلوا الباب).<sup>(٦)</sup>

وقال البيضاوي في تفسير الآية نفسها: ﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾: باب  
قريتهم. أي باغثوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الأصحار).<sup>(٧)</sup>  
وبالنظر في كلام هؤلاء الأئمة الثلاثة يتضح أنهم لم يصرحوا بلفظ  
الاقترحام أو الغزو الذي ذكره ابن عاشور ولكنهم اختاروا عبارات وألفاظاً  
قريبة من لفظ الاقترحام والغزو، تدل دلالة واضحة على التضييق على العدو  
والمباغثة في الهجوم والدخول عليه بقوة.

- 
- (١) الكشاف للزمخشري مج ٣ ص ٥١٢، ٥١٣.  
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٠.  
(٣) سورة المائدة، الآية: ٢١.  
(٤) المحرر الوجيز لابن عطية ج ٢ ص ١٧٤.  
(٥) سورة المائدة، الآية: ٢٣.  
(٦) المحرر الوجيز لابن عطية مج ٢ ص ١٧٥.  
(٧) أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ٢ ص ١٢٢.

فهم - في الغالب - حافظوا على اللفظة القرآنية، وبينوا مرادها من خلال تفسيرهم للآيات القرآنية.

وإن كان البيضاوي لم يذكر لفظه (الدخول) بل ذكر ألفاظا تستعمل في مهاجمة العدو، وذلك حين قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ﴾<sup>(١)</sup>: (أي باغثوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الأصحار).<sup>(٢)</sup> فهل بقي بعد هذا أن نسلم للشيخ ابن عاشور قوله حينما ذكر أنه لم يجد في كلام المفسرين الذين رأهم من أفصح عن معنى الدخول بمعنى الاقتحام أو الغزو، وأن ما ذكره المفسرون لا يفيد إلا معنى الولوج إلى المكان مثل الولوج للبيوت أو المدن.

إن ما ذكره الشيخ ابن عاشور - في الحقيقة - ليس دقيقاً؛ لأن تفسير الكشاف للزمخشري والمحرر الوجيز لابن عطية، وأنوار التنزيل للبيضاوي من التفاسير المهمة التي اعتمد عليها، ورآها، وصرح برجوعه إليها أثناء كتابة تفسيره.

وهؤلاء الأئمة الثلاثة لم يقتصروا في تفسيرهم للآيات على بيان لفظه الدخول بمعنى الولوج للبيوت أو المدن، بل فسروها أيضاً - كما سبق أن رأينا - بمباغثة العدو ومفاجأته في الهجوم والدخول عليه بقوة.

وبالتالي فإن ما ذكره ابن عاشور في دلالة لفظه الدخول بمعنى الاقتحام والغزو، لا يعد من تفرداته، وإن ادعى ذلك.

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ص ٢ ص ١٢٢.

## الثالث: تفريقه بين كلمتي الضرر والضر

بيّن ابن عاشور الفرق بين الضرر والضر، واعتبر التفريق بينهما قد غفل عنه أهل العلم.

فقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي

الضَّرِّ وَالْمَجْهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾<sup>(١)</sup>.

(والضرر : المرض والعاهة من عمى أو عرج أو زمانة لأن هذه الصيغة لمصادر الأدوية ونحوها وأشهر استعماله في العمى ولذلك يقال للأعمى : ضرير ولا يقال ذلك للأعرج والزمن وأحسب أن المراد في هذه الآية خصوص العمى وأن غيره مقيس عليه.

والضرر مصدر ضرر - بكسر الراء - مثل مرض وهذه الزنة تجيء في العاهات ونحوها مثل عمي وعرج وحصر ومصدرها مفتوح العين مثل العرج ولأجل خفته بفتح العين امتنع إدغام المثلين فيه فقليل : ضرر بالفك وبخلاف الضر الذي هو مصدر ضره فهو واجب الإدغام إذ لا موجب للفك . ولا نعرف في كلام العرب إطلاق الضرر على غير العاهات الضارة ؛ وأما ما روي من حديث "لا ضرر ولا ضرار"<sup>(٢)</sup> فهو نادر أو جرى على الإثباع والمزاوجة لاقترانته بلفظ

(١) سورة النساء، الآية: ٩٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ص ٣٣٥. حديث رقم ٢٣٤٠، ٢٣٤١. ط ١ س ١٤٢٠هـ دارالسلام للنشر والتوزيع. الرياض - المملكة العربية السعودية.

- قال الألباني : "حديث صحيح".

انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني المجلد الأول. القسم الأول ص٤٩٨. حديث رقم ٢٥٠. ط س ١٤١٥هـ=١٩٩٥م. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الرياض.



ضرار وهو مفكك. وزعم الجوهري<sup>(١)</sup> أن ضرر اسم مصدر الضر وفيه نظر ؛ ولم يحفظ عن غيره ولا شاهد عليه.<sup>(٢)</sup>

وفي هذا الصدد قال الدكتور مشرف بن أحمد الزهراني:<sup>(٣)</sup>

(لابن عاشور بحث سماه: "فرق لغوي مفضول عنه" ألقاه في الجلسة الختامية لمؤتمر الدورة السابعة عشرة لمجمع اللغة العربية بالقاهرة. فرق فيه بين كلمة الضر بالإدغام وكلمة الضر بالفك ...

وخلاصة ما وصل إليه أن (الضرر) بالفك لا يستخدم إلا في معنى العمي والزمانة، بخلاف (الضر) بالإدغام الذي يستخدم استخداماً عاماً.)<sup>(٤)</sup>

وقد رجعت إلى الكشاف للزمخشري والمحرر الوجيز لابن عطية، وأنوار التنزيل للبيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾<sup>(٥)</sup>.

فوقفت على أن الأئمة الثلاثة لم يتعرضوا للتفريق بين الضرر والضر. حيث اكتفى الزمخشري وابن عطية ببيان الضرر المراد في الآية.

فقال الزمخشري: (الضرر: المرض، أو العاهة من عمي أو عرج أو زمانة أو نحوها.)<sup>(٦)</sup>

وقال ابن عطية: (وأولو الضرر هم أهل الأعذار إذ قد أضرت بهم حتى

(١) سبقت ترجمته ص ٣٣.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٤ ص ٢٢٨، ٢٢٩.

(٣) باحث سعودي. معاصر.

(٤) أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه: التحرير والتنوير ص ٤١.

(٥) سورة النساء، الآية: ٩٥.

(٦) الكشاف للزمخشري مج ١ ص ٥٤٢.

منعتهم الجهاد ... قاله ابن عباس<sup>(١)</sup> (...)<sup>(٢)</sup>

وسكت البيضاوي عن بيان ذلك.<sup>(٣)</sup>

ولكنهم تعرضوا لبيان كلمة (الضر) عند تفسيرهم لقوله تعالى:

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>

فقال الزمخشري: (الضَّرُّ بالفتح: الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في

النفس من مرض وهزال).<sup>(٥)</sup>

وذكر ابن عطية أن الضر هو البلاء.<sup>(٦)</sup>

وقال البيضاوي: (الضَّرُّ بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في

النفس كمرض وهزال).<sup>(٧)</sup>

وإنه بالنظر فيما ذكره هؤلاء الأئمة الثلاثة في كلمة (الضرر) وبينوه في

كلمة (الضر)؛ يمكنني استخلاص الفروق التالية:

- ١- الضرر عند الزمخشري وابن عطية عام.
- ٢- الضَّرُّ بالفتح عند الزمخشري والبيضاوي عام أيضاً، فهو الضرر في كل شيء.

(١) هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابي جليل عالم بالتفسير. ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي سنة ٦٨ هـ على الأصح. انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر. تحقيق الدكتور طه محمد الزيني ج ٦ من ص ١٣٠ إلى ص ١٤٠. ط س ١٤١١ هـ. نشر مكتبة ابن تيمية القاهرة.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية مج ٢ ص ٩٨.

(٣) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي مج ١ ج ٢ ص ٩٠.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٨٣.

(٥) الكشاف للزمخشري مج ٣ ص ١٢٧.

(٦) انظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٤ ص ٩٥.

(٧) أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٤ ص ٥٨.

٣- الضُّرُّ بالضم عند الزمخشري والبيضاوي خاص بما في النفس، كمرض وهزال، وعام عند ابن عطية.

وبالرجوع إلى ما ذكره ابن عاشور في هذه المسألة ومقارنته بما ورد عند هؤلاء الأئمة يتضح جلياً أن ابن عاشور قد خالف هؤلاء المفسرين الثلاثة حينما قرر أن الضرر يأتي خاصاً بأهل العاهات الضارة، وخالف أيضاً الزمخشري والبيضاوي حينما اعتبر أن الضرر بالضم يأتي عاماً.

والحقيقة أن ما ذكره ابن عاشور غير دقيق وأن قوله: (ولا نعرف في كلام العرب إطلاق الضرر على غير العاهات الضارة).<sup>(١)</sup> مخالف لما جاء به علماء اللغة حيث بينوا أن الضرر يأتي عاماً وليس خاصاً بالعاهات الضارة. قال الخليل<sup>(٢)</sup>: (والضرر: النقصان يدخل في الشيء، تقول دخل عليه ضرر في ماله).<sup>(٣)</sup>

وقال ابن سيده<sup>(٤)</sup>: (والضرر: النقصان يدخل في كل شيء).<sup>(٥)</sup> وقوله - صلى الله عليه وسلم - وهو أبلغ البلغاء - (لا ضرر ولا ضرار)<sup>(٦)</sup> شاهد على مجيء لفظة الضرر عامة وليست خاصة بأهل العاهات. وأن ما ذكره ابن عاشور في هذا الحديث بأنه نادر أو جرى على الإِتِّبَاع والمزاوجة

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٤ ص ٢٢٩.

(٢) سبقت ترجمته ص ٦٧.

(٣) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ج ٧ ص ٧٢٦. ط ١ س ١٤٠٥هـ. من منشورات دارالهجرة. قم - إيران.

(٤) هو علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده. ولد بمرسية في شرق الأندلس سنة ٣٩٨هـ، وقد كان ضريباً، وإماماً في اللغة وآدابها. من تصانيفه: المخصص في سبعة عشر جزءاً. والمحكم والمحيط الأعظم. توفي سنة ٤٥٨هـ=١٠٦٦م. انظر الأعلام للزركلي ج ٤ ص ٢٦٣.

(٥) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده مج ٨ ص ١٤٨، ١٤٩.

(٦) سبق تخريجه ص ١٠٧.

لاقترانه بلفظ ضرار. <sup>(١)</sup> فغير مسلم له.

وقد جعل علماء اللغة هذا الحديث الشريف شاهداً على ورود كلمة الضرر عامة.

فقد جاء في اللسان: (فمعنى قوله لا ضرر أي لا يضر الرجل أخاه، وهو ضد النفع، وقوله: ولا ضرار أي لا يضر كل واحد منهما صاحبه، فالضرار منهما معاً، والضرار فعل واحد، ومعنى قوله: ولا ضرار أي لا يدخل الضرر على الذي ضره ولكن يعفو عنه، كقوله عز وجل ﴿ أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ <sup>(٢)</sup>). <sup>(٣)</sup>

وأما ما ذكره ابن عاشور بأن الضرر مصدر ضرر بكسر الراء، وأن الضر بضم الراء مصدر ضره. ورد بذلك على الجوهري حينما اعتبر أن ضرر اسم مصدر الضر بقوله:

(وقد ضره وضاره بمعنى والاسم الضرر). <sup>(٤)</sup> فجائز.

قال ابن سيده <sup>(٥)</sup>:

(الضُرُّ، الضُرُّ: ضد النفع، والضُرُّ المصدر، والضُرُّ الاسم.. ضُرَّهُ يَضُرُّه ضَرًّا، وضُرَّ به أَضُرَّ به). <sup>(٦)</sup>

والنتيجة التي استخلصها من خلال بحثي في هذه المسألة هي أن ابن

(١) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٤ ص ٢٢٩ .

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٤ .

(٣) لسان العرب لابن منظور ج ٤ ص ٥٥٦ .

(٤) الصحاح للجوهري ج ٢ ص ٦١٩ .

(٥) سبقت ترجمته ص ١١٠ .

(٦) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده مج ٨ ص ١٤٨ .

عاشور قد تفرد عن الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في بيان الفرق بين الضرر والضر، وذلك حينما قرر أن الضرر خاص بالعاهات الضارة والضر عام. ولكن الذي أراه أن هذا التفرد مرجوح لأنه يتعارض مع ما جاء في المعاجم اللغوية التي اعتبرت أن الضرر عام، وهو النقصان يدخل في كل شيء حتى في المال وغيره.<sup>(١)</sup>

كذلك فقد اتضح جليا أن الفرق بين الضرر والضر الذي اعتبره ابن عاشور فرقا لغويا مغفولاً عنه. ليس كذلك، فقد تناوله العلماء - كما سبق أن رأينا - بالبحث والبيان.

#### الرابع: بيانه لمعنى الفعل (تولى)

ذكر ابن عاشور معنيين للفعل (تولى)، الأول بمعنى الإعراض، والثاني بمعنى الموالاتة، فقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.<sup>(٢)</sup>

(ف فعل "يتول" مضارع تولى، فيجوز أن يكون ماضيه بمعنى الإعراض، أي من لا يرجو الله واليوم الآخر ويعرض عن نهي الله فإن الله غني عن امتثاله. ويجوز عندي أن يكون ماضيه من التولي بمعنى اتخاذ الولي، أي من يتخذ عدو الله أولياء فإن الله غني عن ولايته كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ

(١) انظر كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ج ٧ ص ٧٢٦.

وانظر المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده مج ٨ ص ١٤٨.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٦.

فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ (٢).

والذي يفهم من كلام ابن عاشور أن المفسرين قد فسروا الفعل (يتول) في الآية السابقة بمعنى أعرض. وجوز هو معنى آخر وهو: اتخاذ الولي، وكان هذا المعنى الذي جاء به ابن عاشور لم يأت به غيره، بدليل قوله: (ويجوز عندي). لأن كلمة (عندي) لا تفيد غير ذلك.

وقد رجعت إلى الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في تفاسيرهم للآية السابقة فوجدتهم قد سكتوا عن بيان معنى هذا الفعل سواءً بمعنى الإعراض أو بمعنى اتخاذ الولي. (٣)

والظاهر أن المعنى الذي جوزه ابن عاشور للفعل (تولى) مقبول؛ لأنه يوافق ما ذكرته كتب اللغة.

قال الجوهري<sup>(٤)</sup>: (وتولى عنه: أي أعرض - وولى هاربا أي أدبر، والولي: ضد العدو. يقال منه: تولاه، والموالاتة: ضد المعاداة والولاية والولاية: النصر. يقال: هم على ولاية: أي مجتمعون في النصر). (٥)

(١) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٨ ص ١٣٣، ١٣٤.

(٣) انظر التفاسير التالية:

أ - الكشاف للزمخشري مج ٤ ص ٥٠٢.

ب - المحرر الوجيز لابن عطية مج ٥ ص ٢٩٦.

ج - أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٥ ص ٢٠٥.

(٤) سبقت ترجمته ص ٣٣.

(٥) الصحاح للجوهري ج ٦ ص ٢٥٢٩، ٢٥٣٠.

وقال الأزهري<sup>(١)</sup>: (والتولي: يكون بمعنى الإعراض، ويكون بمعنى الاتباع قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> أي تعرضوا عن الإسلام. وأما قوله ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> معناه: من يتبعهم وينصرهم.<sup>(٤)</sup>

وقال ابن منظور<sup>(٥)</sup>: (ولى الشيء وتولى: أدبر، وولى عنه: أعرض عنه أو نأى. والتولي يكون بمعنى الإعراض وبمعنى الاتباع).<sup>(٦)</sup>

#### الخامس: بيانه للحمل بمعنى المطاردة والهجوم على أحد لقتاله.

عند تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ حَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ﴾<sup>(٧)</sup> تعرض لبيان معنى الفعل (تحمل)؛ فذكر أنه مشتق من الحمل وهو الهجوم على أحد لقتاله، كما نبه على أن المفسرين والراغب الأصفهاني<sup>(٨)</sup> قد غفلوا عن بيان معنى هذا الفعل في هذه الآية. فقال:

(فمعنى ﴿ إِنْ حَمَلَ عَلَيْهِ ﴾ إن تطارده وتهاجمه، مشتق من الحمل الذي هو الهجوم على أحد لقتاله، يقال: حمل فلان على القوم حملة شعواء أو حملة

(١) هو محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي. أبو منصور. أحد الأئمة في اللغة والأدب. ولد في هراة بخراسان سنة ٢٨٢هـ=٨٩٥م وتوفي بها سنة ٣٧٠هـ-٩٨١م، وترجع نسبته إلى جده "الأزهر". من آثاره المشهورة: تهذيب اللغة. انظر الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٣١١.

(٢) سورة محمد، الآية: ٣٨.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٣.

(٤) تهذيب اللغة للأزهري. تح: إبراهيم الأبياري ج ١٥ ص ٤٥٢ مطابع سجل العرب بدون تاريخ.

(٥) سبقت ترجمته ص ٣٣.

(٦) لسان العرب لابن منظور مج ١٥ ص ٤٨٣، ٤٨٤.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٨) سبقت ترجمته ص ٣١.

منكرة. وقد أغفل المفسرون توضيحه، وأغفل الراغب في "مفردات القرآن" هذا المعنى لهذا الفعل.<sup>(١)</sup>  
والحق أن ما ذكره ابن عاشور في معنى الحمل لغة لا يخرج عما ذكرته المعاجم اللغوية.

فقد ورد في الجمهرة: (حملت فلاناً على فلان إذا أرشته عليه. يقال أرشته وحرشته بمعنى).<sup>(٢)</sup>

وجاء في الصحاح: (وحمل عليه في الحرب حملة، وحمل على نفسه في السير أي جهدها فيه).<sup>(٣)</sup>

وورد في تهذيب اللغة: (احتمل الرجل إذا غضب، وغضب فلان حتى احتمل، ويقال حمل عليه حملة منكرة).<sup>(٤)</sup>

ولكن هل أغفل الراغب<sup>(٥)</sup> والمفسرون توضيح معنى الحمل في هذه الآية - كما ذكر ابن عاشور؟

إن الراغب قد أغفل بيان مراد الحمل في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ﴾<sup>(٦)</sup> وتكلم عن مراد هذه الكلمة في آيات أخرى كثيرة.<sup>(٧)</sup>

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٨ ص ٣٥٣ .

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد مج ١ ص ٦٦٦ .

(٣) الصحاح للجوهري ج ٤ ص ١٦٧٧ .

(٤) تهذيب اللغة للأزهري مج ٥ ص ٦١ .

(٥) سبقت ترجمته ص ٣١ .

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦ .

(٧) انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني. تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني. ص ١٣١، ١٣٢ .

ط س ١٣٨١هـ=١٩٦١م. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.



في حين لم يغفل المفسرون ذلك، ولكنهم فسروا الحمل بمعنى الزجر والطرْد الذي يليه سعي وهروب.

فقال الزمخشري: (.. وقيل معناه: إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال، كالكلب إن طردته فسعى لهث وإن تركته على حاله لهث.)<sup>(١)</sup>  
وقال ابن عطية: (وذكر الطبري<sup>(٢)</sup> أن معنى "إن تحمل عليه" أي: تطرده. وحكاه عن مجاهد<sup>(٣)</sup> وابن عباس<sup>(٤)</sup>.)<sup>(٥)</sup>

وقال البيضاوي: ﴿إِنْ تَحْمَلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾<sup>(٦)</sup> أي يلهث دائماً سواء حمل عليه بالزجر والطرْد أو ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده.)<sup>(٧)</sup>

وانطلاقاً مما ذكره هؤلاء المفسرون، يتضح جلياً أنهم فسروا الحمل في الآية بلوازم معناه، فالطرْد المسبب للسعي، والزجر هما من لوازم معنى الحمل أو المطاردة والهجوم؛ لأن الهجوم قد يبدأ بالزجر والطرْد وقد لا يبدأ بذلك. وبالتالي فإن ما ذكره ابن عاشور من أن المفسرين قد أغفلوا توضيح معنى الحمل في الآية ليس صحيحاً، لأنهم بينوا معناه. ولكن يبقى ابن عاشور متفرداً عنهم بمخالفته لهم في بيان معنى الحمل بالمطاردة والهجوم، وليس بالطرْد والزجر.

(١) الكشاف للزمخشري ج ٢ ص ١٧٢.

(٢) سبقت ترجمته ص ٦٦.

(٣) سبقت ترجمته ص ٥٣.

(٤) سبقت ترجمته ص ١٠٩.

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية مج ٢ ص ٤٧٨.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٧) أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ٣ ص ٤٢.

والذي أراه أن كلا التفسيرين صحيح، يؤدي كل منهما المراد من الحمل.

فالكلب إن هاجمته وطاردته أو زجرته وطردته فهرب لهث، وإن تركته على حاله لهث.

### السادس: تصريفه للفعل (يُبلي)

تعرض ابن عاشور إلى تصريف الفعل (يبلي) عند تفسيره لقوله تعالى:

﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> وذكر أن تصريف

هذا الفعل أغفله الراغب<sup>(٢)</sup> والمفسرون الذين رجع إليهم. فقال:

(واعلم أن أصل مادة هذا الفعل هي البلاء وجاء منه الإبلاء بالهمز

وتصريف هذا الفعل أغفله الراغب في "المفردات" ومن رأيت من المفسرين، وهو

مضارع أبلاه إذا أحسن إليه مشتق من البلاء والبلوى الذي أصله الاختبار ثم

أطلق على إصابة أحد أحداً بشيء يظهر به مقدار تأثيره، والغالب أن الإصابة

بشر، ثم توسع فيه فأطلق على ما يشمل الإصابة بخير قال تعالى: ﴿وَنَبَلُوكُمْ

بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾<sup>(٣)</sup> وهو إطلاق كنائي وشاع ذلك الإطلاق الكنائي حتى صار

صار بمنزلة المعنى الصريح، وبقي الفعل المجرد صالحاً للإصابة بالشر والخير،

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٨.

(٢) سبقت ترجمته ص ٣١.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

واستعملوا أبلاه مهموزاً أي أصابه بخير قال ابن قتيبة<sup>(١)</sup>: "يقال من الخير أبليته إبلاء ومن الشر بلوته أبلوه بلاء"<sup>(٢)</sup>.<sup>(٣)</sup>

وقد رجعت إلى مفردات الراغب وتفسير الكشاف للزمخشري والمحزر الوجيز لابن عطية وأنوار التنزيل للبيضاوي؛ فوقفت على أن هؤلاء الأئمة قد سكتوا عن تصريف الفعل: (يبلي).<sup>(٤)</sup>

والملاحظ أن ما ذكره ابن عاشور في تصريفه لهذا الفعل يوافق ما ذكرته المصادر اللغوية.

قال الجوهري<sup>(٥)</sup>: (يقال بلوته بلواً: جربته واختبرته وبلاه الله بلاءً إبلاءً حسناً. وابتلاه: اختبره.

والبَلْوَةُ والبليّة والبليّة، والبلاء واحد. والجمع: البلايا.

والبلاء: الاختبار ويكون بالخير والشر. يقال: أبلاه الله بلاءً حسناً، وأبليته معروفاً.<sup>(٦)</sup>

(١) هوعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. أبو محمد. من أئمة الأدب ومن المصنفين المكثرين ولد ببغداد

سنة ٢١٣هـ وتوفي بها سنة ٢٧٦هـ. من كتبه: تأويل مختلف الحديث. مشكل القرآن، وأدب الكاتب. والمعارف وكتاب المعاني. انظر الأعلام للزركلي ج ٤ ص ١٣٧.

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة بتصريف. شرحه ونشره السيد أحمد صقر ص ٤٦٩. ط ٣ س ١٤٠١هـ. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٩ ص ٥٢، ٥٣.

(٤) انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٦١، ٦٢. وانظر التفاسير التالية:

أ. الكشاف للزمخشري مج ٢ ص ٢٠١.

ب. المحرر الوجيز لابن عطية مج ٢ ص ٥١١.

ج. أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ٣ ص ٥٤.

(٥) سبقت ترجمته ص ٣٣.

(٦) الصحاح للجوهري ج ٦ ص ٢٢٨٤، ٢٢٨٥.

وجاء في لسان العرب: (بلوت الرجل بلواً وبلاءً وابتليته: اختبرته ... والبلاء

الاختبار يكون بالخير والشر ....

يقال: من الخير أبليته إبلاءً ومن الشر بلوته أبلوه بلاءً.)<sup>(١)</sup>

---

(١) لسان العرب لابن منظور مج ١٤ من ص ١٠٣ إلى ص ١٠٨.

## المبحث الثاني

## تفردات ابن عاشور النحوية

## تعريف النحو لغةً واصطلاحاً

يجدر بي ابتداءً - قبل أن أبين التفردات النحوية لابن عاشور في تفسيره - أن أعرف بالنحو في اللغة والاصطلاح.

فالنحو لغة: هو القصد. قال ابن فارس: <sup>(١)</sup>

(نحو: النون والحاء والواو كلمة تدل على قصد، ونحوت نحو، ولذلك سمي نحو الكلام لأنه يقصد أصول الكلام فيتكلم على حسب ما كان العرب تتكلم به.) <sup>(٢)</sup>

والنحو اصطلاحاً: هو "علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما." <sup>(٣)</sup>

وعرفه ابن جني <sup>(٤)</sup> بقوله:

(هو انتحاء سَمْتِ كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية، والجمع والتحقيق، والتكبير والإضافة والنسب، والتركيب، وغير

(١) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي. أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب. ولد سنة ٣٢٩هـ=٩٤١م،

وتوفي سنة ٣٩٥هـ=١٠٠٤م. من آثاره: معجم مقاييس اللغة. انظر الأعلام للزركلي ج ١ ص ١٩٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس. تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون مج ٥ ص ٤٠٣. ط س ١٤٠٤هـ. نشر مكتب الإعلام الإسلامي طهران - إيران.

وانظر لسان العرب لابن منظور مج ١٥ ص ٣٦٠.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبدالرءوف المناوي. تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية ص ٦٩٣. ط ١ س ١٤١٠هـ. ن: دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق.

(٤) سبقت ترجمته ص ٥٤.

ذلك، ليلحق من ليس بأهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطلق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم رُدَّ به إليها، وهو في الأصل مصدر شائع، أي نحوت نحواً، كقولك: قصدت قصداً، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم، كما أن الفقه في الأصل مصدر فقهت الشيء أي عرفتة، ثم خص به علم الشريعة من التحليل والتحريم، وكما أن بيت الله خص بالكعبة، وإن كانت البيوت كلها لله.<sup>(١)</sup>

وقد اهتم ابن عاشور في تفسيره بالمسائل النحوية اهتماماً بالغاً، حيث لا يكاد يمر بآية قرآنية إلا ويتعرض لبيان تراكيب مفرداتها وجملها، فيعربها ويبين الدقائق العلمية التي تحويها، وقد جاء في ذلك بنكت علمية تفرد بها عن غيره من كبار المفسرين كالزمخشري وابن عطية والبيضاوي. وهذه التفردات هي كالتالي:

### الأول: اعتباره فتحة (كيف) فتحة نصب، لا فتحة بناء

اعتبر محمد الطاهر ابن عاشور أن فتحة (كيف) فتحة نصب وليست فتحة بناء، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾<sup>(٢)</sup> فقال:

(... وجرى في كلام بعض أهل العربية أن فتحة (كيف) فتحة بناء. والأظهر عندي أن فتحة كيف فتحة نصب لزمتهما لأنها دائماً متصلة

(١) الخصائص لابن جني. تحقيق محمد علي النجار ص ٣٥. ط ٣ س ١٣٥٦=١٩٨٦م الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦.

بالفعل فهي معمولة له على الحالية أو نحوها ، فلما لزمة ذلك الفتح إياها أشبهت  
فتحة البناء.<sup>(١)</sup>

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي؛  
فوقفت على أن الزمخشري قد سكت عن فتحة كيف<sup>(٢)</sup>، وتبعه في ذلك  
البيضاوي<sup>(٣)</sup>، إلا أن ابن عطية قد تعرض لبيان هذه الفتحة، فذكر أن (كيف)  
مبنية، وخصت بالفتح لخفته.<sup>(٤)</sup>

وبهذا يتضح أن ابن عاشور قد تفرد عن هؤلاء الأئمة الثلاثة؛ لأنه في  
الوقت الذي بين فيه ابن عطية أن (كيف) مبنية، وليست معربة، وسكت عن  
ذلك الزمخشري والبيضاوي؛ جاء ابن عاشور وخالفهم في ذلك، واعتبر أن  
(كيف) معربة وليست مبنية.

والظاهر أن ما ذهب إليه ابن عاشور مرجوح، وما ذكره ابن عطية  
راجع؛ لأن مذهب ابن عطية يستند إلى أدلة قوية، وهو مذهب الجمهور.

قال الجوهرى<sup>(٥)</sup>: (كيف: اسم مبهم غير متمكن، وإنما حرك آخره  
لالتقاء الساكنين، وبني على الفتح دون الكسر لمكان الياء).<sup>(٦)</sup>

وقال أبو جعفر النحاس<sup>(٧)</sup>: ("كيف" في موضع نصب وهي مبنية على

- 
- (١) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٣ ص ١٣.  
(٢) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ١٢٥، ١٢٦. ص ٣٣١، مج ٤ ص ٤٥، ص ٦١، ص ٣٧١،  
ص ٥٦٨. ص ٥٨٠، ص ٦٠٦، ص ٦٢٨، ص ٧٣١.  
(٣) انظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ١ ص ٢٥، ص ١٠٦، ١٠٧ مج ١ ج ٢ ص ٦، ص ١١، ص ٢٦،  
٢٧، ص ٣١، ص ١٢٤. مج ٢ ج ٥ ص ٣٠٥، ص ٣٠٩، ص ٣٣٩.  
(٤) انظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ١ ص ١١٣.  
(٥) سبقت ترجمته ص ٣٣.  
(٦) الصحاح للجوهري ج ٤ ص ١٤٢٥.  
(٧) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، أبو جعفر من أهل مصر. رحل إلى بغداد. فأخذ عن المبرد  
والأخفش، والزجاج، وعاد إلى مصر فأقام بها إلى أن مات سنة ٣٣٧هـ. من تصانيفه: تفسير القرآن  
الكريم، وكتاب إعراب القرآن، وكتاب الناسخ والمنسوخ وكتاب في النحو وآخر في الاشتقاق. انظر معجم  
الأدباء لياقوت الحموي. تحقيق الدكتور إحسان عباس ج ١ ص ٤٦٨، ٤٦٩.

الفتح وكان سبيلها أن تكون ساكنة لأن فيها موضع الاستفهام فأشبهت الحروف، واختير لها الفتح من أجل الياء.<sup>(١)</sup> وذكر أبو البقاء<sup>(٢)</sup> الدليل على كون (كيف) اسماً، وبين سبب بنائه، وسر بنائه على الفتح. فقال:

(كيف: هو اسم مبني على الفتح. والدليل على كونه اسماً دخول حرف الجر عليه. يقال (على كيف تبيع)، وإنما بني لأنه شابه الحرف شبيهاً معنوياً لأن معناه الاستفهام، وأصل الاستفهام الهمزة وهي حرف وإنما بني على الفتح للخفة وكذا (أين)).<sup>(٣)</sup> وقال السمين<sup>(٤)</sup>: (كيف: اسم استفهام يسأل به عن الأحوال. وبني لتضمنه معنى الهمزة ...)<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) إعراب القرآن، تأليف: الإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن النحاس. مج ١ ص ٤١، ط ٢ س ١٤٢٥-٢٠٠٤م. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- (٢) سبقت ترجمته ص ٩٨.
- (٣) كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي. تحقيق عدنان درويش ص ١١٩٥، ١١٩٦. ط س ١٤١٩-١٩٩٨م. دار النشر: مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.
- (٤) هو أحمد بن يوسف بن عبدالدايم الحلبي. أبو العباس. المعروف بالسمين: مفسر، عالم بالعربية والقراءات. شافعي من أهل حلب. توفي سنة ٧٥٦هـ=١٣٥٥م. من آثاره: تفسير القرآن. والدر المصون. انظر الأعلام للزركلي ج ١ ص ٢٧٤.
- (٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط ج ١ ص ٢٣٧ ط ١ س ١٤٠٦-١٩٨٦م، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع. وانظر الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل: بهجة عبدالواحد صالح مج ٢ ص ٨ ط ١ س ١٤١٣=١٩٩٣م. دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان - الأردن.
- وانظر التحفة السنوية بشرح المقدمة الأجرومية. تأليف: محمد محيي الدين عبد الحميد ص ١٤، ١٥، ١٦. ط س ١٤٠٩=١٩٨٩م. مكتبة السنة. الدار السلفية لنشر العلم، القاهرة.



### الثاني: إعرابه لموقع جملة ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾<sup>(١)</sup>.

ذكر ابن عاشور أن المفسرين قد سكتوا عن موقع إعراب قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ واعتبر أن إعراب هذه الجملة دقيق. فقال:

(وجملة: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ يجوز أن تكون معطوفة على

جملة: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ ﴾<sup>(٢)</sup> الخ باعتبار أن الدواب مشبه به

الذين قالوا ﴿ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> ويجوز أن تكون معطوفة على شبه

الجملة في قوله ﴿ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> وقد سكت

المفسرون عن موقع إعراب هذه الجملة وهو دقيق.<sup>(٥)</sup>

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة وغيرها من التفاسير فوقفت على أن

الزمخشري وابن عطية والبيضاوي وغيرهم قد سكتوا فعلاً عن إعراب هذه

الجملة القرآنية<sup>(٦)</sup>، مما يؤكد أن ابن عاشور قد تفرد عنهم بإعرابها، حيث

جوز لها حالتين من العطف، وبين ما عطف عليه.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢١.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٢١.

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٩ ص ٦٢.

(٦) انظر الكشاف للزمخشري مج ٢ ص ٢٠٢. والمحزر الوجيز لابن عطية مج ٢ ص ٥١٤. وأنوار التنزيل

للبيضاوي مج ١ ج ٣ ص ٥٥.

وانظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج ٤ ص ٦٠٧.

- الدر المصون للسمين ج ٣ ص ٤١٠.

- إعراب القرآن للنحاس مج ٢ ص ٩٥.

- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان. تأليف: نظام الدين النيسابوري مج ٣ ص ٣٨٧. ط ١

س١٤١٦هـ=١٩٩٦م. دارالكتب العلمية بيروت - لبنان.

والظاهر أن المعطوف عليه في كلا الوجهين صحيح، لأن السياق القرآني يوافقُه ويقتضيه.

### الثالث: مخالفته للمفسرين في إعراب جملة ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾<sup>(١)</sup>

ذكر ابن عاشور أن جملة: ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ في موضع الحال،

وخالف في ذلك: المفسرين الذين جعلوها معطوفة على ما قبلها.<sup>(٢)</sup>

فقال: (وجملة: ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ في موضع الحال، أي: خفف الله عنكم وقد علم من قبل أن فيكم ضعفاً فالكلام كالاعتذار على ما في الحكم السابق من المشقة بأنها مشقة اقتضاها استصلاح حالهم، وجملة الحال المفتحة بفعل ماضي يغلب اقترانها بـ(قد) وجعل المفسرون موقع ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ موقع العطف فنشأ إشكال أنه يوهم حدوث علم الله تعالى بضعفهم في ذلك الوقت، مع أن ضعفهم متحقق، وتأولوا المعنى على أنه طراً عليهم ضعف، لما كثر عددهم، وعلمه الله، فخفف عنهم، وهذا بعيد لأن الضعف في حالة القلة أشد.

ويحتمل على هذا المحمل أن يكون الضعف حدث فيهم من تكرر ثبات الجمع القليل منهم للكثير من المشركين، فإن تكرر مزاولة العمل الشاق

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٦.

(٢) انظر ما يلي: أ. تفسير اللباب لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي ج ٩ ص ٥٦٠. دارالكتب العلمية بيروت - لبنان. بدون تاريخ.

ب. مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي ج ١٥ ص ١٥٦. ط ١ س ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م. دارالكتب العلمية بيروت - لبنان.  
ج. الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل: بهجت عبدالواحد صالح، مج ٤ ص ٢٣٢. ط ١ س ١٤١٤هـ=١٩٩٣م. دار الفكر للنشر والتوزيع عمان - الأردن.

تفضي إلى الضجر).<sup>(١)</sup>

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي، فوقفت على أنهم قد سكتوا عن إعراب هذه الجملة<sup>(٢)</sup>، مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم بإعرابها.

أما مخالفته لبعض المفسرين عندما جعل هذه الجملة القرآنية في موضع الحال، وهم جعلوها معطوفة على ما قبلها، فراجع لأن العطف - كما ذكر - يحدث إشكالاً بالتشكيك في علم الله، بسبب أنه يوهم أن الله قد علم ضعفهم في ذلك الوقت، وهذا محال، ومجانب للصواب؛ لأن علمه تعالى بالأفعال يكون في كل الأحوال.

وبالتالي فإن إعراب الجملة في موضع الحال أليق وأنسب وأرجح.

**الرابع: إعرابه (لواو) في قوله تعالى: ﴿أُولَٰمَ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>**

ذكر ابن عاشور أن (الواو) في قوله تعالى: ﴿أُولَٰمَ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ﴾

واو العطف، وأن المفسرين قد سكتوا عن بيان موقعها من الإعراب. فقال:  
(والواو في قوله: ﴿أُولَٰمَ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ﴾ لم يعرج المفسرون على موقعها. وهي واو العطف عطف بها (خزنة جهنم) كلامهم على كلام الذين في النار من قبيل طريقة عطف المتكلم كلاماً على كلام صدر من المخاطب إيماء إلى أن

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٩ ص ١٥٧، ١٥٨.

(٢) انظر: الكشاف الزمخشري مج ٢ ص ٢٧٧. والمحرم الوجيز لابن عطية مج ٢ ص ٥٥١. وأنوار التنزيل

للبيضاوي مج ١ ج ٢ ص ٦٦.

(٣) سورة غافر، الآية: ٥٠.

حقه أن يكون من بقية كلامه وأن لا يُغفله، وهو ما يلقب بعطف التلقين.<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>  
وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري، وابن عطية  
والبيضاوي؛ فوقفت على سكوتهم عن إعراب (الواو) في هذه الجملة  
القرآنية<sup>(٣)</sup>، كما سكت عن إعرابها أبو حيان<sup>(٤)</sup> والسمين<sup>(٥)</sup>، والنحاس<sup>(٦)</sup>.  
والظاهر أنها واو العطف<sup>(٧)</sup>، كما ذهب إلى ذلك ابن عاشور.

### الخامس: بيانه لموقع الواو في قوله تعالى: ﴿وَيَمَكُرُونَ﴾<sup>(٨)</sup>

ذكر ابن عاشور أنه لم ير أحداً من المفسرين تطرق إلى بيان موقع الواو  
في قوله تعالى: ﴿وَيَمَكُرُونَ﴾، وبين أنه يعرب على وجهين: إما أن يكون حالاً أو  
اعتراضاً. فقال:

- (١) عطف التلقين: هو (عطف المخاطب كلاماً على ما وقع في كلام المتكلم تنزيلاً لنفسه في منزلة المتكلم يكمل له شيئاً تركه المتكلم إما عن غفلة وإما عن اقتصار فيلقنه السامع تداركه بحيث يلتئم من الكلامين كلام تام في اعتقاد المخاطب.) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١ ص ٦٨٥.
- (٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٤ ص ٢١٤.
- (٣) انظر: تفسير الكشاف للزمخشري مج ٤ ص ١٦٧.
- وانظر: المحرر الوجيز لابن عطية مج ٤ ص ٥٦٣.
- وانظر: أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ص ٥ ص ٦٠.
- (٤) سبقت ترجمته ص ٥.
- وانظر البحر المحيط لأبي حيان ج ٧ ص ٦٢٢، ٦٢٣.
- (٥) سبقت ترجمته ص ١٢٣. وانظر تفسيره الدر المصون ج ٦ ص ٤٧.
- (٦) سبقت ترجمته ص ١٢٢. وانظر إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس. تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد. ج ٤ ص ٤٧. ط ٢ س ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م. عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية.
- (٧) انظر إعراب القرآن الكريم وبيانه: الدرويش مج ٨ ص ٤٩٨. ط س ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق وبيروت. واليمامة للطباعة والنشر والتوزيع دمشق وبيروت.
- (٨) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(وموقع الواو في قوله (ويمكرون) لم أر أحدا من المفسرين عرج على بيانه وهي تحتل وجهين:

أحدهما: أن تكون واو الحال والجملة حال من (الذين كفروا) وهي حال مؤسسة غير مؤكدة باعتبار ما اتصل بها من الجملة المعطوفة عليها وهي جملة (ويمكر الله) فقوله (ويمكر الله) هو مناط الفائدة من الحال وما قبله تمهيد له وتخصيص على أن مكرهم يقارنه مكر الله بهم والمضارع في ﴿يَمَكُرُونَ﴾ و﴿يَمَكُرُ﴾ الله لاستحضار حالة المكر.

وثانيهما: أن تكون واو الاعتراض أي العطف الصوري ويكون المراد بالفعل المعطوف الدوام أي هم مكروا بك ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك وهم لا يزالون يمكرون كقول كعب بن الأشرف<sup>(١)</sup> لمحمد بن مسلمة<sup>(٢)</sup> " وأيضاً لتملنه " يعني النبي فتكون جملة ﴿ويمكرون﴾ معترضة ويكون جملة ﴿ويمكر الله﴾ معطوفة على جملة ﴿وَإِذْ يَمَكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ والمضارع في جملة ﴿ويمكرون﴾ للاستقبال والمضارع في ويمكر الله لاستحضار حالة مكر الله في وقت مكرهم مثل المضارع المعطوف هو عليه.<sup>(٣)</sup>

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي؛

(١) هو كعب بن الأشرف الطائي من بني نبهان. شاعر جاهلي، كانت أمه من بني النضير فدان باليهودية، وكان سيدياً في أخواله. أدرك الإسلام ولم يسلم، وأكثر من هجو النبي صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله، فقتله خمسة من الأنصار في ظاهر حصنه سنة ٣هـ- ٦٢٤م. انظر الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٢٢٥.

(٢) هو محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي. أبو عبدالرحمن المدني. صحابي شهد بدرًا وما بعدها إلا غزوة تبوك. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الأحاديث. ولد سنة ٣٥ق.هـ، ومات بالمدينة سنة ٤٣هـ وله ٧٧ سنة. انظر الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر مج ٣ ج ٦ ص ٦٣. وانظر الأعلام للزركلي ج ٧ ص ٩٧.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٩ ص ٨٢.

فوقفت على أنهم قد سكتوا عن بيان موقع (الواو) في قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم<sup>(١)</sup>، بل إن جمهور المفسرين لم يعرجوا على إعراب (الواو) في هذه الجملة.<sup>(٢)</sup> والظاهر أن ما ذهب إليه ابن عاشور يُعدُّ صواباً، حيث يجوز أن تكون الواو في قوله ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ واو الحال، والجملة التي بعدها حال من الذين كفروا. ويحتمل أن تكون (الواو) عاطفة<sup>(٣)</sup>، والمراد بالفعل المعطوف (يمكرون) الدوام والاستمرار في المكر.

#### السادس: تفرده بتقدير معطوف في تفسير قوله تعالى:

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.<sup>(٤)</sup>

- (١) انظر: الكشاف للزمخشري مج ٢ ص ٢٠٩.
- المحرر الوجيز لابن عطية مج ٢ ص ٥١٩.
- أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٣ ص ٥٧.
- (٢) انظر مثلاً الكتب التالية: البحر المحيط لأبي حيان ج ٤ ص ٦١٧.
- الدر المصون للسمين تحقيق أحمد محمد الخراط ج ٥ ص ٥٩٦.
- إرشاد العقل السليم لأبي السعود ج ٣ ص ١٩ ط ٤ س ١٤١٤=١٩٩٤م. دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.
- روح المعاني للألوسي مج ٦ ج ٩ ص ٢٨٧ ط س ١٤١٧=١٩٩٧م، دار الفكر بيروت - لبنان.
- الفريد في إعراب القرآن المجيد: حسين بن أبي العز الهمداني. تحقيق الدكتور فهمي حسن النمر والدكتور فؤاد علي مج ٢ ص ٤١٧. ط ١ س ١٤١١هـ. دارالثقافة الدوحة - قطر.
- البيان في إعراب غريب القرآن لأبي البركات عبدالرحمن بن الأنباري ج ١ ص ٣٢٨. شركة دارالأرقم ابن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان. بدون تاريخ.
- (٣) انظر الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل: بهجت عبد الواحد صالح مج ٤ ص ١٩١.
- (٤) سورة التوبة، الآية: ٢٩.

ذكر ابن عاشور أن ظاهر هذه الآية يشير إلى (أن الفريق المأمور بقتاله هو فريق واحد انتقى عنهم الإيمان بالله واليوم الآخر، وتحريم ما حرم الله، والتدين بدين الحق)<sup>(١)</sup> ولكن بهذا الاعتبار - كما يرى ابن عاشور - يقع إشكال وهو أن اليهود والنصارى لم يعرف عنهم أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، فهم مثبتون لوجود الله، ومؤمنون بيوم الجزاء.<sup>(٢)</sup>

وعلى هذا الأساس ذهب ابن عاشور إلى تقدير معطوف فأدخل المشركين في الآية واعتبرهم هم المعنيين بعدم الإيمان بالله وباليوم الآخر وعدم تحريم ما حرم الله ورسوله. وأما الصفة الثالثة ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ فهي في رأيه متعلقة باليهود والنصارى.

فكأنه يقول: إن قوله تعالى بعد تقدير المعطوف هو: ﴿قَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ (وهم المشركون) وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ (وهم اليهود والنصارى) حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿

واعتبر أن جمهور المفسرين الذين فسروا الآية على ظاهرها ولم يدخلوا فيها المشركين متعسفون.<sup>(٣)</sup>

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري، وابن عطية والبيضاوي؛ فوقفنا على أنهم لم يقدرُوا في تفسيرهم للآية معطوفاً، ولم

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١٠ ص ٦٥.

(٢) المصدر السابق ج ١٠ ص ٦٥.

(٣) المصدر السابق ج ١٠ ص ٦٥.

يدخلوا فيها المشركين.<sup>(١)</sup>

وبهذا يتضح أن ابن عاشور قد تفرد عنهم بتقديره لهذا المعطوف الذي أتى به في هذه الآية.

والحق أن ما قدره ابن عاشور مرجوح لأنه يتعارض مع سياق الآية التي ختمت بقوله تعالى: ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ والمشركون

غير معنيين بالجزية فليس لهم إلا الإسلام أو السيف كما نص عليه الفقهاء.<sup>(٢)</sup>

أما ما اعتبره ابن عاشور بأن أهل الكتاب مؤمنون بالله وبيوم الجزاء، فليس كذلك لأنهم "تركوا شرع الإسلام الذي يجب عليهم الدخول فيه، فصار جميع ما لهم من البعث وفي الله عز وجل من تخيلات واعتقادات لا معنى لها، وأيضاً فلم تكن اعتقاداتهم مستقيمة لأنهم تشعبوا وقالوا: عزيز ابن الله والله ثالث ثلاثة وغير ذلك، ولهم أيضاً في البعث آراء كشراء منازل الجنة من الرهبان، وقول اليهود في النار نكون فيها أياماً بعد ونحو ذلك..."<sup>(٣)</sup>

وأما ما ذكره ابن عاشور حين قال: (والذي أراه في تفسير هذه الآية أن المقصود الأهم منها قتال أهل الكتاب من النصارى كما علمت، ولكن أدمجت معهم المشركين لئلا يتوهم أحد أن الأمر بقتال أهل الكتاب يقتضي

(١) انظر التفاسير التالية: تفسير الكشاف للزمخشري مج ٢ ص ٢٥٤.

- المحرر الوجيز لابن عطية مج ٣ ص ٢١، ٢٢.

- أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ٣ ص ٧٧، ٧٨.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي مج ٤ ج ٨ ص ١١٠، ١١١. ط س ١٣٨٠هـ=١٩٦١م. ن: مؤسسة

مناهل العرفان بيروت - لبنان. وانظر فيض الاله المالك في حل ألفاظ عمدة السالك وعدة الناسك لعمر ابن محمد بركات البقاعي مج ٢. كتاب الجنائيات فصل في الجهاد ص ٥٤٣ ط ١ س ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ج ٣ ص ٢١.



التفرغ لقتالهم ومشاركة قتال المشركين.<sup>(١)</sup>

فكلام مردود لأن هناك آيات أخرى غير هذه تتحدث بصراحة عن قتال المشركين مثل قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> فلا داعي لتقدير معطوف وإدماجهم في تلك الآية.

وقد اعترض الدكتور الزهراني على ابن عاشور في تقديره للمعطوف في هذه الآية، واعتبر ما ذهب إليه تفرداً منه عن جمهور المفسرين، فقال: (وهذا التقدير المفهوم من كلام ابن عاشور انفرد به دون سائر المفسرين، واعتبر أن المفسرين قبله قد تحيروا في تفسيرها وتأولوها تأولات وصفها بأنها تكلف وتعسفات مع أن هذا الفصل في اعتبار المأمور بقتالهم لا حاجة إليه لا من الشرع ولا من السياق ...).<sup>(٤)</sup>

**السابع: مخالفته لجمهور المفسرين بعطف جملة إنشائية على جملة خبرية في قوله تعالى:**

﴿ قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنِّي إِلَهِي يَتَابَرَاهِمُ لِيْن لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾<sup>(٥)</sup>

عطف الإنشاء على الخبر وعطف الخبر على الإنشاء مسألة خلافية بين النحاة<sup>(٦)</sup>، وقد منعه البيانون<sup>(٧)</sup>.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١٠ ص ٦٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٥.

(٤) أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه: التحرير والتنوير للدكتور الزهراني ص ٥٠٨.

(٥) سورة مريم، الآية: ٤٦.

(٦) انظر النحو الوافي. تأليف: عباس حسن ج ٣ ص ٥١١. ط ١ س ١٤٢٥-٢٠٠٤م أوند دانس للطباعة والنشر. دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

(٧) انظر حاشية الدسوقي وبهامشه متن مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري ج ٢ ص ١٢٨. منشورات الرضا ومنشورات زاهدي. قم - إيران. بدون تاريخ.

وجمهور المفسرين<sup>(١)</sup> إلا أن للشيخ الطاهر بن عاشور موقفاً مخالفاً لهم في ذلك حيث اعتبر أن الاختلاف بين الجملتين الإنشائية والخبرية اختلاف لفظي لا يؤثر على اتصال الجملتين أو انقطاعهما (لأن الاتصال والانقطاع أمران معنويان وتابعان للأغراض فالعبرة بالمناسبة المعنوية دون الصيغة اللفظية).<sup>(٢)</sup>

وعلى هذا الأساس فإنه عندما فسر قوله تعالى: ﴿لَيْن لَمَّا تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ ط وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾<sup>(٣)</sup> عطف جملة ﴿وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾ على جملة ﴿لَيْن لَمَّا تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ وذكر أن أبا إبراهيم هدد ابنه (بعقوبة آجلة إن لم يقلع عن كفره بالهتيم، وبعقوبة عاجلة وهي طرده من معاشرته وقطع مكالته).<sup>(٤)</sup> وبالتالي فإن ابن عاشور قد أجاز العطف بين الإنشاء والخبر بسبب المناسبة المعنوية بين الجملتين وهي الجمع بين عقوبتين: عقوبة عاجلة وهي الرجم وعقوبة آجلة وهي الحجر.

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي؛ فوقفت على أن الزمخشري والبيضاوي قد تجنبوا عطف الجملة الإنشائية على الخبرية، فقدرا معطوفاً عليه وهو (واحدزني) وعطفاً عليه قوله تعالى:

(١) انظر مثلاً التفاسير التالية:

- الكشاف للزمخشري مج ٣ ص ٢٠. مفاتيح الغيب للرازي ج ٢١ ص ١٩٥.
- أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٤ ص ١٢. تفسير النسفي تحقيق الشيخ مروان محمد الشعار ج ٣ ص ٦٠ ط س ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م. دارالنفائس بيروت.
- إرشاد العقل السليم لأبي السعود ج ٥ ص ٢٦٨. ط ٤ س ١٤١٤هـ=١٩٩٤م. دارإحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

- روح المعاني للألوسي مج ٩ ج ١٦ ص ١٤٤. ط س ١٤١٧هـ=١٩٩٧م دار الفكر بيروت - لبنان.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٨ ص ١٧٦.

(٣) سورة مريم، الآية: ٤٦.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١٦، ص ٤٩.

﴿وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ ، ليصير عطف جملة إنشائية على جملة إنشائية.

قال الزمخشري: (فإن قلت: علام عطف (واهجرني) قلت: على معطوف عليه محذوف يدل عليه (لأرجمنك) أي فاحذرنني واهجرني لأن (لأرجمنك) تهديد وتقريع).<sup>(١)</sup>

وفي هذا الصدد قال الألوسي<sup>(٢)</sup> معقبا على كلام الزمخشري في عطف قوله تعالى: ﴿وَأَهْجُرْنِي﴾ على محذوف: (ولعل الداعي لذلك عدم اعتبار العطف على المذكور أنه لا يصح أو لا يحسن التخالف بين المتعاطفين إنشائية وخبرية).<sup>(٣)</sup>

وقال البيضاوي: (قال: ﴿وَأَهْجُرْنِي﴾ عطف على ما دل عليه ﴿لأرجمنك﴾ أي فاحذرنني واهجرني).<sup>(٤)</sup>

في حين سكت ابن عطية عن بيان العطف بين الجملتين واعتبر أن قوله ﴿وَأَهْجُرْنِي﴾ كأنه أمر على حياله.<sup>(٥)</sup>

وبهذا يتضح جليا أن ابن عاشور قد خالف الأئمة الثلاثة وتفرد عنهم بما ذهب إليه من عطف الجملة الإنشائية على الجملة الخبرية.

والذي أراه في هذه المسألة أن ما ذهب إليه ابن عاشور يُعد صوابا؛ لأن اللجوء إلى الحذف والتقدير ليناسب بين جملتي العطف والمعطوف عليه غير لازم<sup>(٦)</sup>. خاصة وأن ابن عاشور قد عطف الجملة الإنشائية على الخبرية لوجود

(١) الكشاف للزمخشري مج ٣ ص ٢٠.

(٢) سبقت ترجمته ص ٣٠.

(٣) روح المعاني للألوسي مج ٩ ج ١٦ ص ١٤٤.

(٤) أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٤ ص ١٢.

(٥) انظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٤ ص ١٨.

(٦) انظر البحر المحيط لأبي حيان ج ٦ ص ٢٤١.

علاقة معنوية بينهما.

وفي هذه المسألة يقول الدكتور الزهراني:

(يمكن أن يلاحظ أن ابن عاشور لا يحب التعرض لكل ما رآه المفسرون من قبيل التعاطف بين الخبر والإنشاء على النحو الذي تعرضوا له فبينما يرى جمهور المفسرين أن قوله تعالى على لسان والد إبراهيم ﴿ وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾<sup>(١)</sup> معطوف على محذوف يدل عليه قوله: ﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾<sup>(٢)</sup> تقديره (فاحذرني واهجرني)، أقول حينما يرى جمهور المفسرين ذلك نجد الطاهر بن عاشور يذهب إلى أن: ﴿ وَأَهْجُرْنِي ﴾ عطف على ﴿ لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾، وذلك للتوصل إلى مناسبة عامة بين المعنيين ...

وقد أعجب هذا الوجه بعض الباحثين<sup>(٣)</sup> ورجحه على مذهب الجمهور ووصفه بأنه أعلى من الذهاب إلى تقدير محذوف.<sup>(٤)</sup>

**الثامن: مخالفته لجمهور المفسرين في ضمير المثني في قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴾<sup>(٥)</sup>**

عند تفسير محمد الطاهر ابن عاشور لقوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴾، ذكر أن ضمير المثني في ﴿ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴾ خطاب للمؤمنين

(١) سورة مريم، الآية: ٤٦.

(٢) سورة مريم، الآية: ٤٦.

(٣) هو الدكتور محمد توفيق سعد (باحث معاصر) في كتابه: مسالك العطف بين الإنشاء والخبر. ص ٣٨. ط ١ س ١٤١٣هـ. مطبعة الأمانة.

(٤) أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه: التحرير والتنوير للدكتور الزهراني ص ٤٩٠.

(٥) سورة الرحمن، الآية: ١٣.

والكافرين، واعتبر أن ما ذهب إليه جمهور المفسرين بعيد حينما ذكروا أن الخطاب موجه للإنس والجن. فقال:

(وضمير المتشى في ﴿ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ خطاب لفريقين من المخاطبين بالقرآن. والوجه عندي أنه خطاب للمؤمنين والكافرين الذين ينقسم إليهما جنس الإنسان المذكور في قوله: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾<sup>(١)</sup> وهم المخاطبون بقوله: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾<sup>(٢)</sup> والمنقسم إليهما الأنام المتقدم ذكره، أي أن نعم الله على الناس لا يجدها كافر بله المؤمن، وكل فريق يتوجه إليه الاستفهام بالمعنى الذي يناسب حاله ...

وقال جمهور المفسرين: هو خطاب للإنس والجن، وهذا بعيد (...)<sup>(٣)</sup>

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي؛ فوجدتهم قد ذكروا أن الخطاب في قوله: ﴿ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾<sup>(٤)</sup> للثقلين: الإنس والجن.

فقال الزمخشري: (والخطاب في ﴿ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ للثقلين بدلالة الأنام

عليهما. وقوله: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾<sup>(٥)</sup>.)<sup>(٦)</sup>

وقال ابن عطية: (والضمير في قوله ﴿ رَبِّكُمَا ﴾ للجن والإنس، وساغ ذلك ولم

يصرح لهما بذكر، على أحد وجهين: إما أنهما قد ذكرا في قوله ﴿ لِلْأَنَامِ ﴾<sup>(٧)</sup> على

(١) سورة الرحمن، الآية: ٣.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٨.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٧ ص ٢٢٧، ٢٢٨.

(٤) سورة الرحمن، الآية: ١٣.

(٥) سورة الرحمن، الآية: ٣١.

(٦) الكشاف للزمخشري مج ٤ ص ٤٢٤.

(٧) سورة الرحمن، الآية: ١٠.

ما تقدم من أن المراد به الثقلان، وإما على أن أمرهما مفسر في قوله: ﴿ خَلَقَ  
الْإِنْسَانَ ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ ﴾<sup>(٢)</sup>، فساغ تقديمهما في الضمير اتساعاً...<sup>(٣)</sup>

وقال البيضاوي: ﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴾ الخطاب للثقلين المدلول  
عليهما بقوله: ﴿ لِلْأَنَامِ ﴾ وقوله: ﴿ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴾.<sup>(٤)</sup>

والحق أن ما ذهب إليه جمهور المفسرين<sup>(٥)</sup> بما فيهم الزمخشري وابن  
عطية والبيضاوي هو الراجح، وما ذهب إليه ابن عاشور هو البعيد، لأن الله  
تعالى قد ذكر في هذه السورة الثقلين وصرح بذكر الإنس والجن، والمصرح به  
مقدم على غير المصرح به.

فقال تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ \* وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ  
مِّنْ نَّارٍ \* فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴾.<sup>(٦)</sup>

(١) سورة الرحمن، الآية: ١٤.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ١٥.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية مج ٥ ص ٢٢٦.

(٤) أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٥ ص ١٧١.

(٥) انظر - مثلاً - التفاسير التالية: مفاتيح الغيب للرازي ج ٢٩ ص ٨٤.

- تفسير اللباب لابن عادل ج ١٨ ص ٢٩١.

- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. تحقيق: هشام سمير البخاري ج ١٧ ص ١٥٨. ط س

١٤٢٣هـ=٢٠٠٣م. دار عالم الكتب الرياض - المملكة العربية السعودية.

- البحر المحيط لأبي حيان ج ٨ ص ٢٧٠.

- إرشاد العقل السليم لأبي السعود ج ٨ ص ١٧٨ ط ٢ س ١٤١١هـ=١٩٩٠م. دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان.

- روح المعاني للألوسي مج ١٥ ج ٢٧ ص ١٥٩.

(٦) سورة الرحمن، الآيات: ١٤، ١٥، ١٦.

وقال: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ \* فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴾<sup>(١)</sup>. والثقلان

هما الإنس والجن.

وقال عز وجل: ﴿ يَمَعَّشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَتَفَدُّوا مِنْ أَقْطَارِ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَنْفُدُوا لَا تَتَفَدُّونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ \* فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالظاهر أن ضمير المثنى في هذه الآيات عند قوله: ﴿ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴾

خطاب للإنس والجن؛ لأن السياق يقتضيه. وليس خطاباً للمؤمنين والكافرين كما جعله ابن عاشور في هذه الآيات، وفي غيرها من آيات سورة الرحمن.

وقدم الله تعالى ذكر ضمير المثنى في قوله: ﴿ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴾<sup>(٣)</sup>

وفسره بقوله ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ ﴾<sup>(٥)</sup> فساغ تقديمهما اتساعاً.<sup>(٦)</sup>

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ على

الجن القرآن، فعن عبد الله بن مسعود<sup>(٧)</sup> قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: ((أتاني داعي الجن فذهبت معهم. فقرأت عليهم القرآن.))<sup>(٨)</sup>

(١) سورة الرحمن الآيتان: ٣١، ٣٢.

(٢) سورة الرحمن الآيتان: ٣٣، ٣٤.

(٣) سورة الرحمن الآية: ١٣.

(٤) سورة الرحمن الآية: ١٤.

(٥) سورة الرحمن الآية: ١٥.

(٦) انظر تفسير المحرر الوجيز لابن عطية مج ٥ ص ٢٢٦.

وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي تح: هشام سمير البخاري ج ١٧ ص ١٥٨.

(٧) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن هذيل صحابي جليل هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها. ولازم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان صاحب نعليه. مات بالمدينة سنة ٣٢هـ. انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج ٦ ص ٢١٦ القسم الأول حرف العين رقم ٤٩٤٥. مط: مكتبة المثنى بغداد - العراق. بدون تاريخ.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الصلاة. باب الهجر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن ج ١ ص ٣٣٢. حديث رقم ٤٥٠. المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع استانبول. تركيا. بدون تاريخ.

ومما ذكره ابن كثير<sup>(١)</sup> في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup> إلى قوله تعالى: ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ ۗ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup> قوله:

﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمداً صلى

الله عليه وسلم إلى الثقلين الجن والإنس حيث دعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعيدهم وهي سورة الرحمن ولهذا قال: ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ﴾<sup>(٤)</sup>

### التاسع: بيانه لفائدة عطف ﴿وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾<sup>(٥)</sup> على ما قبلها

عند تفسير الطاهر بن عاشور لقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾<sup>(٦)</sup> ذكر أنه لم ير في التفاسير التي بين يديه من عرج على فائدة عطف ﴿وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ على ما قبلها ما عدا المهائمي<sup>(٧)</sup> الذي ذكر أن

(١) هو إسماعيل بن كثير أبو الفداء صاحب التاريخ والتفسير ... ولد سنة ٧٠٠هـ وتوفي سنة ٧٧٤هـ. انظر

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين يوسف الأتابكي ج ١١ ص ١٢٣. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر بدون تاريخ.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٢٩.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٣١.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير مج ٤ ص ٢١٦ ط ١ س ١٤١٩هـ=١٩٩٨م. مؤسسة الريان، الضاحية - الكويت.

(٥) سورة غافر، الآية: ٣٥.

(٦) سورة غافر، الآية: ٣٥.

(٧) هو علي بن أحمد بن علي المهائمي. ولد في مهائم بالهند سنة ٦٧٦هـ=١٣٧٤م وتوفي بها سنة

٨٣٥هـ=١٤٣٢م. من مؤلفاته: تبصير الرحمن وتيسير المنان ببعض ما يشير إلى إعجاز القرآن. انظر

الأعلام للزركلي ج ٤ ص ٢٥٧.



كون جدال المشركين (مقتا عند الله لا يحصل في علم الناس إلا بالخبر فزيد الخبر تأييدا بالمشاهدة فإن الذين آمنوا على قلتهم يومئذ يظهر بينهم بغض مجادلة المشركين).<sup>(١)</sup>

ثم أتى ابن عاشور بفائدة يرى أنها أظهر مما جاء به المهائمي فقال:  
(وعندي : أن أظهر من هذا أن الله أراد التتويه بالمؤمنين ولم يرد إقناع المشركين فإنهم لا يعباون ببغض المؤمنين ولا يصدقون ببغض الله إياهم فالمقصود التناء على المؤمنين بأنهم يكرهون الباطل كما قال ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾<sup>(٢)</sup> مع الإشارة إلى تبجيل مكانتهم بأن ضمت عنديتهم إلى عندية الله تعالى على نحو قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله ﴿ يَتَأَيُّهَا يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله ﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ، وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٥)</sup>.)<sup>(٦)</sup>

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي؛ فوقفت على أنهم قد سكتوا عن بيان عطف ﴿ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾<sup>(٧)</sup> على ما قبلها<sup>(٨)</sup>. وبالتالي فإن ابن عاشور قد تفرد عنهم ببيان ذلك.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٤ ص ١٩٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٦٢.

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٤ ص ١٩٦.

(٧) سورة غافر، الآية: ٣٥.

(٨) انظر التفاسير التالية: الكشاف للزمخشري مج ٤ ص ١٦٢.

- المحرر الوجيز لابن عطية مج ٤ ص ٥٥٩.

- أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٥ ص ٥٧.

**العاشر: بيانه لفائدة ضمير الفصل (هو) في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾<sup>(١)</sup>**

بيّن ابن عاشور فائدة ضمير الفصل عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ

أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾، فقال:

(وأفاد ضمير الفصل قصراً لصفة خلق أسباب الضحك والبكاء على

الله تعالى لإبطال الشريك في التصرف فتبطل الشركة في الإلهية وهو قصر

إفراد لأن المقصود نفي تصرف غير الله تعالى، وإن كان هذا القصر بالنظر

إلى نفس الأمر قصراً حقيقياً لإبطال اعتقاد أن الدهر متصرف.)<sup>(٢)</sup>

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة، فوجدتهم قد سكتوا عن بيان هذه

الفائدة،<sup>(٣)</sup> مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم ببيانها.



(١) سورة النجم، الآية: ٤٣.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٧ ص ١٤٣.

(٣) انظر التفاسير التالية: الكشاف للزمخشري مج ٤ ص ٤١٧.

- المحرر الوجيز لابن عطية مج ٥ ص ٢٠٧.

- أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٥ ص ١٦١.

## المبحث الثالث

## تفردات ابن عاشور البلاغية

## تعريف البلاغة لغةً واصطلاحاً

يجدر بي ابتداءً - قبل أن أبين التفردات البلاغية لابن عاشور في تفسيره - أن أعرف بالبلاغة في اللغة والاصطلاح.

## ١- البلاغة لغة: (١)

بلغ الشيء يبلغ بلوغاً: وصل وانتهى. وتَبَلَّغَ بالشيء وصل إلى مراده، وبلغ الغلام: أدرك. ورجل بليغ وبلغ: حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه. والجمع بلغاء. وقد بُلِّغَ (بالضم) بلاغته: صار بليغاً.

## ٢- البلاغة اصطلاحاً:

(هي التعبير عن المعنى الصحيح لما طابقه من اللفظ الرائق من غير مزيد على المقصود ولا انتقاص عنه في البيان). (٢)

و(البلاغة في الكلام: مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته). (٣)  
وقد اهتم الطاهر بن عاشور في تفسيره بالجانب البلاغي اهتماماً بالغاً حيث يرى (أن مفسر القرآن لا يعد تفسيره لمعاني القرآن بالغاً حد الكمال في غرضه ما لم يكن مشتملاً على بيان دقائق وجوه البلاغة في آيه المفسرة بمقدار ما تسمو إليه

(١) انظر الصحاح للجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ج ٤، ص ١٣١٦، ١٣١٧.

وانظر لسان العرب لابن منظور مج ٨ ص ٤٩٩، ٥٠٠. الفعل: بلغ.

(٢) كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ٣٤٦.

(٣) المطول شرح تلخيص المفتاح لسعد الدين التفتازاني. صححه وعلق عليه أحمد عزو عناية ص ١٦ ط ١ س

١٤٢٥-٢٠٠٤م. دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان. وانظر مفتاح العلوم

لأبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي. تحقيق الدكتور عبدالحميد هندواوي ص ٥٢٦ ط ١ س

١٤٢٠-٢٠٠٠م. دارالكتب العلمية بيروت - لبنان.

الهمم من تطويل واختصار، فالمفسر بحاجة إلى بيان ما في آي القرآن من طرق الاستعمال العربي وخصائص بلاغته، وما فاقت به آي القرآن في ذلك ... لئلا يكون المفسر حين يعرض عن ذلك بمنزلة المترجم لا بمنزلة المفسر.<sup>(١)</sup>

وبهذه النظرة الواعية لابن عاشور تجاه البلاغة وأهميتها في تفسير القرآن الكريم؛ أجدّه لا يكاد يمر بآية قرآنية إلا ويبين ما جاء فيها من معاني وبيان وبديع. وقد وصل نتيجة غوصه في بحر البلاغة إلى استخراج مسائل ودرر تفرد بها عن غيره ممن سبقه في ميدان التفسير كالزمخشري وابن عطية والبيضاوي. وهذه التفردات هي كالتالي:

**الأول: بيانه لوجه النظم والبلاغة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾**<sup>(٢)</sup>

عند تفسير الطاهر بن عاشور لهاتين الآيتين من سورة التوبة تناول فيهما الحديث عن النظم والبلاغة وذكر أن المفسرين قد أغفلوا ما بينه من دقائق. ومما بينه في ذلك أن قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ ﴾ عطف على قوله ﴿ وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعْتَدْنَاكَ أُولَئِكَ الطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> وما بينهما اعتراضات.<sup>(٤)</sup>

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١ ص ١٠٠.

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ١٢٤-١٢٥.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٨٦.

(٤) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١٠ ص ٢٣٢.

وأن سر زيادة (ما) عقب (إذا) في هذه الآية للتأكيد (لأن هذا الخبر لغرابته كان خليقاً بالتأكيد، ولأن المنافقين ينكرون صدوره منهم بخلاف الآية السابقة لأن مضمونها حكاية استئذانهم وهم لا ينكرونه).<sup>(١)</sup>

ثم ذكر أيضاً أن الفاء في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ للتفرع على حكاية استفهامهم بحمله على ظاهر حاله وصرفه عن مقصدهم منه. وتلك طريقة الأسلوب الحكيم، وهو: تلقي المخاطب بغير ما يتربح بحمل كلامه على خلاف مراده لنكته، وهي هنا إبطال ما قصدوه من نفي أن تكون السورة تزيد أحداً إيماناً قياساً على أحوال قلوبهم فأجيب استفهامهم بهذا التفصيل المتفرع عليه، فأثبت أن للسورة زيادة في إيمان بعض الناس وأكثر من الزيادة، وهو حصول البشر لهم).<sup>(٢)</sup>

وبيّن كذلك الترقى<sup>(٣)</sup> في الجواب عن مقصد المنافقين من الإنكار.

فقال:

(وارتقى في الجواب عن مقصدهم من الإنكار بأن السورة ليست منفيًا عنها زيادة في إيمان بعض الناس فقط بل الأمر أشد إذ هي زائدة في كفرهم فالقسم الأول المؤمنون زادتهم إيماناً وأكتسبتهم بشرى فحصل من السورة لهم نفعان عظيمان، والقسم الثاني الذين في قلوبهم مرض زادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون).<sup>(٤)</sup>

(١) المصدر السابق ج ١٠ ص ٢٣٢.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١٠ ص ٢٣٢، ٢٣٣.

(٣) الترقى: (هو أن يُذكر معنى، ثم يردف بما هو أبلغ منه كقولك: فلان نحير وشجاع باسل، وجواد

فياض. وقوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ الحشر/٢٤. أي قدر ما يوجد، ثم ميزه، ثم

مثله... وقوله تعالى: ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ البقرة/٢٥٥. كتاب التبيان في علم المعاني والبدیع

والبيان للطبيبي. تح: الدكتور هادي عطية مطر ص ٣٨١، ٣٨٢، ط ١ س ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م. عالم الكتب

بيروت - لبنان.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١٠ ص ٢٣٣.

ومما بينه أيضاً المقابلة<sup>(١)</sup> بين قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> في جانب المؤمنين، وقوله تعالى: ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> في جانب المنافقين. فقال: (وقبل قوله ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ في جانب المؤمنين بقوله ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ في جانب المنافقين تحسينا بالازدواج بحيث كانت للسورة فائدتان للمؤمنين ومصيبتان على المنافقين فجعل موتهم على الكفر المتسبب على زيادة السورة في كفرهم بمنزلة مصيبة أخرى غير الأولى وإن كانت في الحقيقة زيادة في المصيبة الأولى.

هذا وجه نظم الآية على هذا النسخ من البلاغة والبديع وقد أغفل فيما رأيت من التفاسير فمنها ما سكت عن بيانه . ومنها ما نشرت فيه معاني المفردات وترك جانب نظم الكلام.<sup>(٤)</sup>

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة؛ فوقفت على أن الزمخشري قد تكلم كلاماً وجيزاً عن مفردات هاتين الآيتين، وسكت عن بيان النظم والبلاغة<sup>(٥)</sup>، وتبعه في ذلك البيضاوي<sup>(٦)</sup> كما أن ابن عطية تناول بيان المفردات وركز في كلامه على بيان الزيادة في الإيمان وسكت هو الآخر عن النظم والبلاغة.<sup>(٧)</sup> مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم ببيانه لنسيج هاتين الآيتين من البلاغة والبديع.

(١) المقابلة: (هي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر، وبين ضديهما، ثم شرطت هنا شرطاً شرطت هناك ضده. قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى \* وَأَمَّا مَنْ كَفَرَ تَوَلَّى \* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ سورة الليل، الآيات من ٥ إلى ١٠. كتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان للطبي ص ٣٤٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٤.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٥.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١٠ ص ٢٣٣.

(٥) انظر الكشاف للزمخشري مج ٢ ص ٣١٣.

(٦) انظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ٣ ص ١٠٢.

(٧) انظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٣ ص ٩٨، ٩٩.

والظاهر أن ما ذكره ابن عاشور في هاتين الآيتين كلام نفيس، فتح الله به عليه نتيجة التأمل والنظر في ذكر الله الحكيم.

**الثاني: بيانه للكناية<sup>(١)</sup> في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>.**

عند تفسير الطاهر بن عاشور لقوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. ذكر أن السكون بمعنى استقرار الجسم في مكان لا ينتقل عنه وهو ضد الحركة.<sup>(٣)</sup>

ولكن الأحسن أن يكون السكون في هذه الآية - عند ابن عاشور - كناية. فقال:

(والأحسن عندي أن يكون هنا كناية عن الخفاء مع إرادة المعنى الصريح. ووجه كونه كناية أن الكلام مسوق للتذكير بعلم الله تعالى وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ومحاسبكم عليها يوم يجمعكم إلى يوم القيامة فهو كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ - إلى أن قال - ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ﴾<sup>(٤)</sup> فالذي سكن الليل والنهار بعض ما في السماوات والأرض فلما أعلمهم بأنه يملك ما في السماوات والأرض عطف عليه الإعلام بأنه يملك ما سكن من ذلك لأنه بحيث يُغفل عن شمول ما في السماوات والأرض إياه لأن المتعارف بين الناس إذا أخبروا عن أشياء بحكم أن يريدوا

(١) الكناية هي: (لفظ أريد به لازم معناه، مع جواز إرادته معه) المطول شرح تلخيص المفتاح للتفتازاني ص ٧٠. وانظر كتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان للطبي ص ٢٦١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣.

(٣) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٦ ص ٣٥.

(٤) سورة الرعد، الآيات من ٨ إلى ١٠.

الأشياء المعروفة المتداولة . فهذا من ذكر الخاص بعد العام لتقرير عموم الملك لله تعالى بأن ملكه شمل الظاهرات والخفيات ففي هذا استدعاء ليوجها النظر العقلي في الموجودات الخفية وما في إخفائها من دلالة على سعة القدرة وتصرفات الحكمة الإلهية.<sup>(١)</sup>

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة؛ فوقفت على سكوتهم عن بيان الكناية في هذه الآية.<sup>(٢)</sup>

مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم بذلك.

**الثالث: بيانه للكناية في قوله تعالى: ﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ \* قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعَادِينَ \* قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.**<sup>(٣)</sup>

ذكر ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ أن المفسرين لم يعرجوا على بيان المقصد من سؤال الكافرين وإجابتهم عنه.<sup>(٤)</sup> ويبيّن أن الذي لاح له في ذلك (أن إيقافهم على ضلال اعتقادهم الماضي جيء به في قالب السؤال على مدة مكثهم في الأرض كناية عن ثبوت خروجهم من الأرض أحياء وهو ما كانوا ينكرونه وكناية عن خطأ استدلالهم على إبطال البعث باستحالة رجوع الحياة إلى عظام ورفات . وهي حالة لا تقتضي مدة

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٦ ص ٣٥.

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري مج ٢ ص ٩.

وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٢ ص ٢٧٢.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ٢ ص ١٥٦.

(٣) سورة المؤمنون، الآيات من ١١٢ إلى ١١٤.

(٤) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١٨ ص ١٠٧.



قرن واحد فكيف وقد أعيدت إليهم مما قدره من الحياة بعد أن بقوا قرونا كثيرة فذلك أدل وأظهر في سعة القدرة الإلهية وأدخل في إبطال شبهتهم إذ قد تبين بطلانها فيما هو أكثر علة استحالة عود الحياة إليهم.

وقد دل على هذا قوله في آخر الآية ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .<sup>(٢)</sup>

والملاحظ أن الأئمة الثلاثة قد سكتوا عن بيان هذه الكناية<sup>(٣)</sup> التي بينها ابن عاشور. مما يدل على تفرده عنهم ببيانها.

#### الرابع: بيانه للإيجاز<sup>(٤)</sup> في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾<sup>(٥)</sup>

عند تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ... ﴾ تعرض لبيان الإيجاز الذي نطق به الكتاب في هذه الجملة القرآنية، وأشار إلى سكوت المفسرين عن بيانهم لوجه نظم الآية، فقال:

(وأطلقت الشهوات هنا على الأشياء المشتهاة على وجه المبالغة في قوة الوصف وتعليق التزيين بالحب جرى على خلاف مقتضى الظاهر؛ لأن المزين للناس هو

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١٨ ص ١٠٧.

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري مج ٣ ص ٢٠٠.

وانظر: المحرر الوجيز لابن عطية مج ٤ ص ١٥٨، ١٥٩.

وانظر: أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٤ ص ٩٧.

(٤) الإيجاز (هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط.) مفتاح العلوم للسكاكي تحقيق

الدكتور عبد الحميد هندواوي ص ٣٨٨. وانظر كتاب التبيين في علم المعاني والبديع والبيان للطبيبي.

باب في الإيجاز والإطناب ص ١٤٥.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٤.

الشهوات أي المشتتهيات نفسها لا حبها فإذا زينت لهم أحبوها ؛ فإن الحب ينشأ عن الاستحسان وليس الحب بمزين وهذا إيجاز يغني عن أن يقال زينت للناس الشهوات فأحبوها وقد سكت المفسرون عن وجه نظم الكلام بهذا التعليق.<sup>(١)</sup>

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة؛ فوقفت على سكوتهم عن بيان الإيجاز في هذه الآية<sup>(٢)</sup> مما يدل على تفرد ابن عاشور عنهم في ذلك. والحق أن ما ذكره ابن عاشور من الإيجاز حري بأن يُبين، وفيه دليل على الإعجاز القرآني من جهة النظم.

#### الخامس: بيانه للإيجاز والتركيب في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُتَّبِعُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴾<sup>(٣)</sup>

عند تفسير محمد الطاهر ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُتَّبِعُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴾<sup>(٤)</sup> وضع أسلوب الإيجاز الذي جاء به الذكر الحكيم في قوله: ﴿ وَلَا يُتَّبِعُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴾ كما بين تركيب اللفظ القرآني في هذه الجملة، وذكر أن المفسرين قد أغفلوا بيانه. فقال:

(و) «خير» صفة مشبهة مشتقة من خَبُر بضم الباء فلان الأمر إذا علمه علما لاشك فيه . والمراد ب «خير» جنس الخير فلما أرسل هذا القول مثلا

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٣ ص ٣٨.

(٢) انظر: الكشف للزمخشري مج ١ ص ٣٣٧

وانظر: المحرر الوجيز لابن عطية مج ١ ص ٤٠٨.

وانظر: أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ٢ ص ٨

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٤.

(٤) سورة فاطر، الآية: ١٤.

وكان شأن الأمثال أن تكون موجزة صيغ على أسلوب الإيجاز فحذف منه متعلق فعل ( ينبئ ) ومتعلق وصف ( خبير ) ولم يذكر وجه المماثلة لعلمه من المقام . وجعل ( خبير ) نكرة مع أن المراد خبير معين وهو المتكلم فكان حقه التعريف فعدل إلى تنكيهه لقصد التعميم في سياق النفي لأن إضافة كلمة ( مثل ) إلى خبير لا تفيد تعريفا . وجعل نفي فعل الإنباء كناية عن نفي المنبئ . ولعل التركيب : ولا يوجد أحد ينبئك بهذا الخبر يماثل هذا الخبر الذي أنبأك به فإذا أردف مخبر خبره بهذا المثل كان ذلك كناية عن كون المخبر بالخبر المخصوص يريد بـ ( خبير ) نفسه للتلازم بين معنى هذا المثل وبين تمثيل المتكلم منه . فالمعنى : ولا ينبئك بهذا الخبر مثلي لأنني خبرته فهذا تأويل هذا التركيب . وقد أغفل المفسرون بيان هذا التركيب .<sup>(١)</sup>

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة في تفسيرهم لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾<sup>(٢)</sup> ، فوقفت على أنهم قد أغفلوا بيان تركيب اللفظ القرآني وسكتوا عن توضيح الإيجاز الذي جاء في هذه الآية<sup>(٣)</sup> مما يدل على أن الطاهر ابن عاشور قد تفرد عنهم ببيان ذلك .  
والحق أن الإيجاز الذي بينه ابن عاشور في هذه الآية قد أشار إليه السكاكي<sup>(٤)</sup> في المفتاح ضمن النماذج التي مثل بها على موضوع الإيجاز<sup>(٥)</sup> .

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٢ ص ١٤٠ .

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٤ .

(٣) انظر: الكشف للزمخشري مج ٣ ص ٥٨٧ .

وانظر : المحرر الوجيز لابن عطية مج ٤ ص ٤٣٤ .

وانظر : أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٤ ص ٢٥٦ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٣٤ .

(٥) انظر مفتاح العلوم للسكاكي ص ٣٨٩ .

ولكن يبقى الفرق بينهما أن السكاكي ذكره بدون شرح وتوضيح، وابن عاشور ذكره مشفوعاً بالتفسير والبيان.

### السادس: بيانه للاحتباك<sup>(١)</sup> في قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾<sup>(٢)</sup>

بين الطاهر بن عاشور الاحتباك عند تفسيره لهذه الآية فقال:

(والمخالفة بين شرط ﴿لو﴾ وجوابها إذ جعل شرطها مضارعا والجزاء ماضيا جرى على الاستعمال في ﴿لو﴾ غالبا لأنها موضوعة للماضي فلزم أن يكون أحد جزأي جملتها ماضيا أو كلاهما. فإذا أريد التقنن خولف بينهما فالتقدير: لو شئنا لقلنا، ولا يبعد عندي في مثل هذا التركيب أن يكون احتباكا قائما مقام شرطين وجزائين فأحدى الجملتين مستقبلة والأخرى ماضية فالتقدير لو نشاء أن نقول نقول ولو شئنا القول في الماضي لقلنا فيه فذلك أوعب للأزمان ويكون هذا هو الفرق بين قوله ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾<sup>(٣)</sup> وقوله ﴿أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾<sup>(٤)</sup> فهم لما قالوا ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ ادعوا القدرة على قول مثله في الماضي وفي المستقبل إغراقا في النفاجة والوقاحة.<sup>(٥)</sup>

(١) الاحتباك: (هو من أطف أنواع البديع وأبدعها وقد يسمى حذف المقابل وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول كقوله تعالى: ﴿ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم﴾ سورة الأحزاب/٢٤. فلا يعذبهم.)

كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي. تحقيق عدنان درويش، محمد المصري ص ٦٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣١.

(٣) سورة السجدة، الآية: ١٣.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٣١.

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٩ ص ٨٤.

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾؛ فوقفت على سكوتهم عن بيان الاحتباك في هذه الجملة القرآنية<sup>(١)</sup>، مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم ببيان ذلك.

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري مج ٢ ص ٢٠٩.  
وانظر: المحرر الوجيز لابن عطية مج ٢ ص ٥٢٠.  
وانظر: أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ٣ ص ٥٦.

السابع: بيانه لبراعة الاستهلال<sup>(١)</sup> في القرآن الكريم

عند تفسير محمد الطاهر ابن عاشور لكتاب الله الكريم تطرق لبيان  
براعة الاستهلال في إحدى وعشرين سورة من سور القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>،  
سأكتفي بذكر نماذج منها تجنباً للإطالة.

وقد رجعت إلى الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في تفاسيرهم، وتتبع  
ما ذكره في الآيات التي ذكر فيها ابن عاشور براعة الاستهلال؛ فوقفت على

(١) براعة الاستهلال: (هو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله). الإتقان في علوم القرآن للسيوطي. تح محمد أبو الفضل إبراهيم مج ٣ ص ٣١٨. ط س ١٤١٨-١٩٩٧م. المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت - لبنان.

(٢) انظر السور التالية في التحرير والتنوير لابن عاشور.

- سورة الفاتحة، الآية: ١. التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١ ص ١٥١.
- سورة البقرة، الآية: ٣٢. التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١ ص ٤٠٠.
- سورة آل عمران، الآية: ٦. التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٣ ص ١٣.
- سورة النساء، الآية: ١. التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٤ ص ٨.
- سورة المائدة، الآية: ١. التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٥ ص ٩.
- سورة الفرقان، الآيتان: ١-٢. التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١٩ ص ١٠.
- سورة لقمان، الآية: ٢. التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢١ ص ٢١٢.
- سورة سبأ، الآية: ١. التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٢ ص ٨.
- سورة غافر، الآيات: ١-٣. التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٤ ص ١٤٦.
- سورة الرحمن، الآية: ١. التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٧ ص ٢١٧.
- سورة الحديد، الآية: ١. التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٧ ص ٣٢٣.
- سورة الجمعة، الآية: ١. التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٨ ص ١٥٨.
- سورة القيامة، الآية: ١. التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٩ ص ٣١٣.
- سورة تبارك، الآية: ١. التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٩ ص .
- سورة النبأ، الآية: ١. التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٦.
- سورة النازعات، الآية: ١. التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٥٥، ٥٦.
- سورة المطففين، الآية: ١. التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ١٦٨.
- سورة الأعلى، الآية: ١. التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٢٤١.
- سورة التين، الآية: ١. التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٣٧٣.
- سورة العلق، الآية: ١. التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٣٨٤.
- سورة المسد، الآية: ١. التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٥٢٦.

سكوتهم عن ذكر ذلك في تلك المواضع كلها.<sup>(١)</sup> مما يؤكد أن ابن عاشور قد تفرد عنهم ببيان ذلك.

وهذه بعض النماذج مما ذكره ابن عاشور أسوقها للبيان والاستدلال.

١- بعدما فسر ابن عاشور قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ

لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا \* الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا  
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾<sup>(٢)</sup> قال:

(وما جاء من أول السورة إلى هنا براءة استهلال بأغراضها وهو يتنزل

بمنزلة خطبة الكتاب أو الرسالة).<sup>(٣)</sup>

٢- وقال ابن عاشور بعد تفسيره لقوله تعالى: ﴿ اَلَمْ \* تَلِكْ ءَايَةُ الْكِتَابِ

الْحَكِيمِ ﴾<sup>(٤)</sup>

(١) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ١٨، ١٩ - ص ١٣٠ - ص ٣٣١، ٣٣٢ - ص ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣ - ص ٥٨٨، ٥٨٩ - مج ٣ ص ٢٥٥، ٢٥٦ - ص ٤٧٤، ٤٧٥ - ص ٥٤٩، ٥٥٠ - مج ٤ ص ١٤٤ - ص ٤٤٣، ٤٤٤ - ص ٤٦٠، ٤٥٩ - ص ٥١٧ - ص ٥٦٢ - ٦٤٥ - ص ٦٧٠، ٦٧١ - ص ٦٧٩ - ص ٧٠٦ - ص ٧٢٥ - ص ٧٦٣ - ص ٧٦٦ - ص ٨٠٨، ٨٠٩.

- وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ١ ص ٦٦، ٧٦ - ص ١٢١، ١٢٢ - من ص ٣٩٩ إلى ص ٤٠٢ - مج ٢ ص ٣، ٤، ٥ ص ١٤٣، ١٤٤ - مج ٤ ص ١٩٩ - ص ٣٤٥ - ص ٤٠٤ - ص ٥٤٥، ٥٤٦ - مج ٥ ص ٢٢٣، ٢٥٦، ٢٥٧ - ص ٣٠٦ - ص ٣٣٧ - ص ٤٠١، ٤٠٢ - ص ٤٢٤، ٤٢٥ - ص ٤٣٠، ٤٣١ - ص ٤٤٩، ٤٥٠ - ص ٤٦٨، ٤٦٩ - ص ٤٩٩، ٥٠١، ٥٠٢ - ص ٥٤٣، ٥٤٤.

- وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ١ ص ٢٧ - ص ٦٩، ٧٠ - مج ١ ج ٢ ص ٥٥ - ص ٥٨، ١١٣ - مج ٢ ج ٤ ص ١١٧، ٢١٢، ٢٤١ - مج ٢ ج ٥ ص ٥١ - ص ١٧٠ - ص ١٨٥ - ص ٢١١ - ص ٢٢٨ - ص ٢٦٥ - ص ٢٧٨ - ص ٢٨٢ - ص ٢٩٤ - ص ٣٠٥ - ص ٣٢٣ - ص ٣ - ص ٣٤٥.

(٢) سورة الفرقان، الآيتان: ١-٢.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١٩ ص ١٠.

(٤) سورة لقمان، الآيتان: ١، ٢.

(وفي وصف (الكتاب) بهذا الوصف براعة استهلال للغرض من ذكر  
حكمة لقمان.)<sup>(١)</sup>

٣- وبعد تفسيره لقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾<sup>(٢)</sup>.  
قال:

(وافتح باسم ﴿الرحمن﴾ فكان فيه تشويق جميع السامعين إلى الخبر  
الذي يخبر به عنه إذ كان المشركون لا يألون هذا الاسم قال تعالى ﴿قَالُوا  
وَمَا الرَّحْمَنُ﴾<sup>(٣)</sup> فهم إذا سمعوا هذه الفاتحة ترقبوا ما سيرد من الخبر عنه  
والمؤمنون إذا طرق أسماعهم هذا الاسم استشرفوا لما سيرد من الخبر المناسب  
لوصفه هذا مما هم متشوقون إليه من آثار رحمته... فافتتاحها باسم ﴿الرحمن﴾  
براعة استهلال.)<sup>(٤)</sup>

٤- وقال عند تفسيره لقوله تعالى ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾<sup>(٥)</sup>.

(افتتاح السورة بالإخبار عن تسبيح أهل السماوات والأرض لله تعالى  
براعة استهلال لأن الغرض الأول من السورة التحريض على شهود الجمعة  
والنهي عن الأشغال التي تشغل عن شهودها وزجر فريق من المسلمين انصرفوا  
عن صلاة الجمعة حرصا على الابتياح من غير ورددت المدينة في وقت حضورهم  
لصلاة الجمعة.)<sup>(٦)</sup>

(١) التحرير والتنوير ج ٢١ ص ٨٩.

(٢) سورة الرحمن، الأيتان: ١، ٢.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٠.

(٤) التحرير والتنوير ج ٢٧، ص ٢١٧.

(٥) سورة الجمعة الآية: ١.

(٦) التحرير والتنوير ج ٢٨ ص ١٨٥.



٥- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ تَبْرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾<sup>(١)</sup>، قال:

(افتتحت السورة بما يدل على منتهى كمال الله تعالى افتتاحا يؤذن بأن ما حوته يحوم حول تنزيه الله تعالى عن النقص الذي افتراه المشركون لما نسبوا إليه شركاء في الربوبية والتصرف معه والتعطيل لبعض مراده. ففي هذا الافتتاح براعة الاستهلال كما تقدم في مطلع سورة الفرقان.)<sup>(٢)</sup>



(١) سورة الملك، الآية: ١.

(٢) التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ٨.

# الفصل الثاني

تفردات الطاهر بن عاشور

في مباحث علوم القرآن

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:

## المبحث الأول

تفردات ابن عاشور في المناسبات بين الآيات

## المبحث الثاني

تفردات ابن عاشور في أسباب النزول

## المبحث الثالث

تفردات ابن عاشور في النسخ

## تَهْيِئَةٌ:

قبل أن أُبَيِّنَ ما وقفت عليه من تفردات ابن عاشور في مباحث علوم القرآن، يجدر بي ابتداءً أن أعرف بعلوم القرآن وأوضح أهميتها.

### أولاً: تعريف علوم القرآن

علوم القرآن مركب إضافي يتكون من كلمتين: (علوم) و(قرآن)، وقبل أن أعرف هذا المركب الإضافي ينبغي أن أعرف كل كلمة منهما على حدة لغة واصطلاحاً.

#### ١- تعريف العلوم لغة:

العلوم جمع علم، والمعنى الحقيقي للفظ العلم هو الإدراك<sup>(١)</sup> وهو المعرفة. يقال: علمه علماً بالكسر: عرفه.<sup>(٢)</sup>

#### ٢- تعريف العلوم اصطلاحاً:

هي (المسائل المضبوطة بجهة واحدة، والغالب أن تكون تلك المسائل نظرية كلية، وقد تكون ضرورية، وقد تكون جزئية. أقول: وقد تكون شخصية أيضاً كمسائل علم الحديث رواية فإنه في الواقع قضايا شخصية موضوعها ذات النبي صلى الله عليه وسلم).<sup>(٣)</sup>

#### ٣- تعريف القرآن لغة:

اختلف العلماء في تعريف القرآن لغة إلى أقوال:

- 
- (١) انظر كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي. فصل العين ص ٩٦٦.  
 (٢) انظر القاموس المحيط للفيروز أبادي باب الميم. فصل العين ص ١٠٥١.  
 (٣) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ج ١ ص ١٣.

## أ- ذكرت جماعة أن القرآن بمعنى الجمع.

فقال أبو عبيدة<sup>(١)</sup>: (القرآن: اسم كتاب الله خاصة ولا يسمى به شيء من سائر الكتب غيره، وإنما سمي قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها، وتفسير ذلك في آية من القرآن. قال الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾<sup>(٢)</sup> مجازه: تأليف بعضه إلى بعض ... وفي آية أخرى:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾<sup>(٣)</sup> مجازه: إذا تلوت بعضه في إثر بعض حتى يجتمع

وينضم بعضه إلى بعض ومعناه يصير إلى معنى التأليف والجمع.<sup>(٤)</sup>

وقال ابن الأثير<sup>(٥)</sup>: (قد تكرر في الحديث ذكر القراءة والاقتراء والقارئ والقرآن. والأصل في هذه اللفظة الجمع. وكل شيء جمعته فقد قرأته. وسمي القرآن قرآنا لأنه جمع القصص والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض وهو مصدر كالغفران والكفران ... وقد تحذف الهمزة منه تخفيفاً، فيقال: قرآن وقرئْتُ، وقَارٍ، ونحو ذلك من التصريف.)<sup>(٦)</sup>

ب- وذهبت جماعة أخرى منهم الشافعي<sup>(٧)</sup> إلى أن القرآن هو اسم علم غير مشتق

(١) سبقت ترجمته، ص ٦٧.

(٢) سورة القيامة، الآية: ١٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي ج ١ ص ١، ٢، ٣. ط ٢ س ١٤٠١-١٩٨١م. مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

(٥) هو المبارك بن محمد أبو السعادات مجد الدين، المحدث اللغوي الأصولي. ولد سنة ٥٤٤هـ، وتوفي في إحدى قرى الموصل بالعراق سنة ٦٠٦هـ. من آثاره: النهاية في غريب الحديث والأثر، وجامع الأصول في أحاديث الرسول. انظر الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٢٧٢.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج ٤ ص ٣٠، ٣١. مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع قم - إيران.

(٧) سبقت ترجمته ص ٨٢.

خاص بكلام الله فهو غير مهموز، وبه قرأ ابن كثير<sup>(١)</sup>، وهو اسم لكتاب الله مثل: التوراة والإنجيل.<sup>(٢)</sup>

جـ - وذهب قوم منهم الأشعري<sup>(٣)</sup> إلى أن القرآن مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر.<sup>(٤)</sup>

وقال الزجاج<sup>(٥)</sup>: هو وصف على فعلان؛ مشتق من القرء بمعنى الجمع، ومنه قرأت الماء في الحوض، أي جمعته.<sup>(٦)</sup>

وقال قوم منهم اللحياني<sup>(٧)</sup>: إن القرآن مصدر مهموز بوزن الرجحان والغفران، مشتق من قرأ بمعنى تلا، سمي به الكتاب المقروء، من باب تسمية المفعول بالمصدر.<sup>(٨)</sup>

- 
- (١) هو عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله. شيخ مكة وإمامها في القراءة. ثقة. ولد سنة ٤٥هـ وتوفي سنة ١٢٠هـ. وكان مولده ووفاته بمكة. أنظر معجم القراءات القرآنية للدكتور أحمد مختار عمر والدكتور عبدالعال سالم مكرم. ج ١ ص ٧٩. ط ١ سنة ١٤١٢هـ. مط: أمير إيران. وانظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٥ من ص ٣١٨ إلى ص ٣٢٢.
- (٢) انظر الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ج ١ ص ١٤٦.
- (٣) هو علي بن إسماعيل بن إسحاق. أبو الحسن الأشعري. مؤسس مذهب الأشاعرة وكان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة سنة ٢٦٠هـ-٨٧٤م، وتوفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ-٩٣٦م. من آثاره: مقالات الإسلاميين، والإبانة. انظر الأعلام للزركلي ج ٤ ص ٢٦٣.
- (٤) انظر كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ١١٤٢.
- (٥) هو إبراهيم بن السري بن سهل. أبو إسحاق الزجاج، عالم بالنحو واللغة. ولد ببغداد سنة ٢٤١هـ-٨٥٥م وتوفي بها سنة ٣١١هـ - ٩٢٣م. من آثاره: معاني القرآن، والاشتقاق، وإعراب القرآن. انظر الأعلام للزركلي ج ١ ص ٤٠.
- (٦) انظر الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي ج ١ ص ١٤٧.
- (٧) هو علي بن حازم اللحياني. كان حياً قبل سنة ٢٠٧هـ لغوي، تصدر في أيامه. من آثاره: كتاب في النوادر. انظر معجم المؤلفين لرضا كحالة ج ٧ ص ٥٦. دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان بدون تاريخ.
- (٨) انظر الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي ج ١ ص ١٤٦، ١٤٧ وانظر كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ١١٤٢.

والراجع من هذه الأقوال ما اختاره الزرقاني<sup>(١)</sup>، حيث لخص أقوال العلماء في بيان لفظ القرآن لغة واختار منها ما ذكره اللحياني<sup>(٢)</sup>، واعتبر الأقوال الأخرى غير دقيقة وفي بعضها تكلف. فقال:

(أما لفظ القرآن فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ \* فَإِذَا قُرَأْنَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ﴾<sup>(٣)</sup> ثم نقل من هذا المعنى المصدرى وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، من باب إطلاق المصدر على مفعوله. ذلك ما نختاره استناداً إلى موارد اللغة، وقوانين الاشتقاق، وإليه ذهب اللحياني وجماعة. أما القول بأنه وصف من القرء بمعنى الجمع<sup>(٤)</sup>، أو أنه مشتق من القرائن<sup>(٥)</sup>. أو أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء<sup>(٦)</sup>، بالشيء<sup>(٦)</sup>، أو أنه مرتجل أي موضوع من أول الأمر علماً على الكلام المعجز المنزل، غير مهموز ولا مجرد من أل<sup>(٧)</sup>، فكل أولئك لا يظهر له وجه وجيه، ولا يخلو توجيه بعضه من كلفة، ولا من بعد عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة.<sup>(٨)</sup>

#### ٤- تعريف القرآن اصطلاحاً:

هو (اللفظ المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته).<sup>(٩)</sup>

- (١) هو محمد عبد العظيم الزرقاني من علماء الأزهر بمصر. توفي بالقاهرة سنة ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م. من آثاره: مناهل العرفان في علوم القرآن. انظر الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٢١٠.
- (٢) سبقت ترجمته ص ١٦٠.
- (٣) سورة القيامة، الآيتان: ١٧-١٨.
- (٤) قول الزجاج.
- (٥) قول الفراء. انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ١ ص ١٤٦.
- (٦) قول الأشعري.
- (٧) قول الشافعي.
- (٨) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ج ١ ص ١٤.
- (٩) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ج ١ ص ٢٠.

وقد شرح الزرقاني<sup>(١)</sup> هذا التعريف فقال:

(فاللفظ جنس في التعريف يشمل المفرد والمركب، ولا شك أن الاستدلال على الأحكام كما يكون بالمركبات يكون بالمفردات كالعام والخاص والمطلق والمقيد. وخرج بالمنزل على النبي ما لم ينزل أصلاً مثل كلامنا ومثل الحديث النبوي وما نزل على غير النبي كالتوراة والإنجيل. وخرج بالمنقول تواتراً جميع ما سوى القرآن من منسوخ التلاوة والقراءات غير المتواترة سواء أكانت مشهورة نحو قراءة ابن مسعود<sup>(٢)</sup> "متتابعات" عقيب قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾<sup>(٣)</sup> أم كانت آحادية كقراءة ابن مسعود أيضاً لفظ "متتابعات" عقيب قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾<sup>(٤)</sup> فإن شيئاً من ذلك لا يسمى قرآناً ولا يأخذ حكمه. وخرجت الأحاديث الأحاديث القدسية إذا تواترت بقولهم المتعبد بتلاوته).<sup>(٥)</sup>

##### ٥- تعريف علوم القرآن بمعناها الإجمالي وتركيبها الإضائي:

هي: (مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه، وجمعه، وكتابته، وقراءته، وتفسيره، وإعجازه، وناسخه ومنسوخه، ودفع الشبه عنه، ونحو ذلك).<sup>(٦)</sup>

(١) سبقت ترجمته، ص ١٦١.

(٢) سبقت ترجمته، ص ١٣٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ج ١ ص ٢٠، ٢١.

(٦) مباحث في علوم القرآن للشيخ القطان ص ١٥، ١٦. ط ٧ س ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م. مؤسسة الرسالة للطباعة

والنشر والتوزيع بيروت - لبنان.

## ثانياً: أهمية علوم القرآن:

لعلوم القرآن أهمية كبيرة يمكن إجمالها في عبارة واحدة وهي: خدمة القرآن الكريم من نواحيه المختلفة، وقد ذكر هذه الأهمية وبينها فضيلة الشيخ عبدالفتاح القاضي<sup>(١)</sup> فقال:

(وعلوم القرآن - على كثرتها، وتعدد أنواعها، وتغاير أهدافها - ما جعلت إلا لتخدم القرآن نفسه من جميع جوانبه ونواحيه فهي تخدمه من ناحية قراءاته ولغاته، وتخدمه من ناحية إعرابه وبنائه، وتخدمه من ناحية فصاحة أسلوبه، وبلاغة تراكيبه، وتخدمه من ناحية إطنابه وإيجازه، وحقيقته ومجازه، وناحية قوته وإعجازه.

ثم من ناحية ما تضمنه من العقيدة الصحيحة، والإيمان الراسخ الذي لا يرقى إليه ريب أو تزلزل.

هذا الإيمان الذي يفضي بصاحبه إلى سعادة الدارين، وهناءة الحياتين. ثم علوم القرآن تخدم القرآن من جهة تأويله وتفسيره، وما يرمى إليه من إصلاح حال المجتمع البشري في جميع الأزمان والأعصار.<sup>(٢)</sup>

وقد اهتم الطاهر بن عاشور بعلوم القرآن كثيراً، وله في ذلك بعض الآراء والنكات العلمية تفرد بها عن غيره من كبار المفسرين كالزمخشري وابن عطية والبيضاوي، وقد انحصرت تفرداته التي وقفت عليها في هذا

(١) هو الشيخ عبدالفتاح القاضي المدير العام للمعاهد الأزهرية ورئيس لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف ورئيس قسم القراءات بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. انظر كلمة شكر وتقدير للدكتور محمد سالم محيسن، قدمها ثناءً واعترافاً بفضل شيخه عبدالفتاح القاضي وذلك في كتابه: في رحاب القرآن ج ١ ص ٤ ط س ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. ن: مكتبة الكلية الأزهرية القاهرة - مصر.

(٢) من كلمة للشيخ عبدالفتاح القاضي في فضل علوم القرآن. انظر في رحاب القرآن الكريم للدكتور محمد سالم محسن ص ٥.



الجانب، في ثلاثة مباحث: أولها في المناسبات بين الآيات، وثانيها في أسباب النزول، وثالثها: في النسخ.

وسأتناولها بالبيان وفق هذا الترتيب بناءً على عدد التفردات في كل مبحث.

## المبحث الأول

## تفردات ابن عاشور في المناسبات بين الآيات

## تمهيد:

قبل أن أشرع في بيان تفردات ابن عاشور في المناسبات بين الآيات يجدر بي ابتداءً أن أعرف بالمناسبة في اللغة والاصطلاح.

## ١- المناسبة لغة:

هي المقاربة، وفلان يناسب فلاناً أي يقرب منه ويشاكلة، ومنه النسيب الذي هو الكبير المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه، وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس: الوصف المقارب للحكم، لأنه إذا حصلت مقاربتة له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم؛ ولهذا قيل: المناسبة في فواتح الآي وخواتمها.<sup>(١)</sup>

## ٢- المناسبة اصطلاحاً:

(هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه. وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها. وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها).<sup>(٢)</sup>

## موقف العلماء من علم المناسبات:

اختلف العلماء تجاه علم المناسبات إلى اتجاهين: اتجاه مؤيد وآخر معارض.

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ج ١ ص ٧٥٥، ٧٥٦. الفعل: نسب. وانظر القاموس المحيط للفيروز آبادي ص ١٤٠.  
(٢) مباحث في التفسير الموضوعي للأستاذ الدكتور مصطفى مسلم ص ٥٨ ط ٣ س ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م دارالقلم دمشق - سوريا.

أولاً: الاتجاه المؤيد لعلم المناسبات: ويمثله الأئمة: أبو بكر النيسابوري<sup>(١)</sup>، وفخر الدين الرازي<sup>(٢)</sup>، وبرهان الدين البقاعي<sup>(٣)</sup> والزرکشي<sup>(٤)</sup> والسيوطي<sup>(٥)</sup>... ويرى هؤلاء العلماء ومن سلك مسلكهم أن علم المناسبات علم شريف، ونسبته إلى التفسير نسبة علم، البيان من النحو<sup>(٦)</sup>، وأن الجهل به نقص في مراتب العلماء.<sup>(٧)</sup>

يقول البقاعي:

(فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزاءه وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة...) <sup>(٨)</sup> وقال في موضع آخر:

(وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين؛ أحدهما: نظم كل جملة على حياها بحسب التركيب، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب...) <sup>(٩)</sup>

- 
- (١) هو أبو بكر بن عبدالله محمد بن زياد بن واصل الفقيه الشافعي. توفي سنة ٣٢٤هـ. انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي مج ١ ج ٢ ص ٣٠٢. دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.
- (٢) سبقت ترجمته ص ٣٠.
- (٣) سبقت ترجمته ص ٣٩.
- (٤) هو محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي، فقيه، أصولي، محدث ولد سنة ٧٤٥هـ وتوفي سنة ٧٩٤هـ من مؤلفاته: البرهان في علوم القرآن. انظر معجم المؤلفين لكحالة ج ١٠ ص ٢٠٥.
- (٥) سبقت ترجمته ص ٣٢.
- (٦) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ج ١ ص ٥ ط ١ س ١٤١٥هـ-١٩٩٥م. دارالكتب العلمية بيروت - لبنان.
- (٧) انظر تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي ص ١٧ ط ٥ س ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م. مط: عالم التراث - دمشق.
- (٨) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ج ١ ص ٥.
- (٩) المصدر السابق ج ١ ص ٧.

وقال الزركشي<sup>(١)</sup>:

(واعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول ويعرف به قدر القائل فيما

يقول...)

وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي<sup>(٢)</sup> وقال في تفسيره أكثر

لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط...<sup>(٣)</sup>

وقال الشيخ أبو الحسن الشهرباني<sup>(٤)</sup> أول من أظهر ببغداد علم المناسبة

ولم تكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري<sup>(٥)</sup> وكان

غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية

لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب

هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة.<sup>(٦)</sup>

وقال السيوطي<sup>(٧)</sup>:

(وعلم المناسبة علم شريف قلّ اعتناء المفسرين به لدقته... وفائدته جعل

أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير

التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء...)<sup>(٨)</sup>

(١) سبقت ترجمته ص ١٦٦.

(٢) سبقت ترجمته ص ٣٠.

(٣) انظر مفاتيح الغيب للرازي ج ١٠ ص ١١٣ ط ١ س ١٤٢١هـ. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

(٤) هو أبو الحسن الشهرباني نسبة إلى شهربان قرية شرق بغداد ينسب إليها كثير من العلماء. لم أقف له على ترجمة خاصة في كتب التراجم.

(٥) سبقت ترجمته ص ١٦٦.

(٦) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج ١ ص ٣٦، ٣٧. دار التراث القاهرة - مصر. بدون تاريخ.

(٧) سبقت ترجمته ص ٣٢.

(٨) الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٣ ص ٣٢٢، ٣٢٣.

ثانياً: الاتجاه المعارض لعلم المناسبات:

ويمثله الإمامان: عز الدين بن عبد السلام<sup>(١)</sup> والشوكاني<sup>(٢)</sup> ومن نحنا نحوهما.<sup>(٣)</sup>

فعز الدين بن عبد السلام يرى أن المناسبة في الكلام علم حسن بشرط أن يكون الكلام مرتبطاً بأوله بآخره، ولكن إن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومادام القرآن الكريم نزل منجماً في أكثر من عشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة، فإن ربط بعضه ببعض لا يمكن، ومن طلب المناسبة فيه فقد تكلف.

وقد أورد السيوطي كلامه في الإتيان فقال:

(وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: المناسبة علم حسن، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط بأوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يُصان عن مثله حسن الحديث؛ فضلاً عن أحسنه؛ فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة، في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض.)<sup>(٤)</sup>

(١) هو عز الدين شيخ الإسلام أبو محمد عبدالعزيز بن عبدالسلام الدمشقي ثم المصري الشافعي ولد سنة

٥٧٨هـ وتوفي سنة ٦٦٠هـ. انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ج ٦ ص ٣٠١.

(٢) هو محمد بن علي بن عبدالله الشوكاني. أبو عبدالله، مفسر، محدث، فقيه ... ولد بهجرة شوكان من

بلاد خولان باليمن سنة ١١٧٣هـ وتوفي بها سنة ١٢٥٠هـ. انظر البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن

السابع للشوكاني ج ٢ من ص ٢١٤ إلى ص ٢٢٦. ن: مكتبة ابن تيمية القاهرة - مصر. وانظر معجم

المؤلفين لكحالة ج ١١ ص ٥٣.

(٣) منهم الشيخ محمد بن عبد الله الغزنوي المتوفى سنة ١٢٩٦هـ. انظر تعليقاته على تفسير جامع البيان

للشيخ معين الدين محمد بن عبد الرحمن الحسيني ص ١٣، ١٤ ط ٢ س ١٣٩٧هـ دار نشر الكتب

الإسلامية. باكستان.

(٤) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ج ٣ ص ٣٢٢، ٣٢٣.

وصرح الشوكاني<sup>(١)</sup> برأيه تجاه علم المناسبات عند تفسيره لقوله تعالى:  
﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ  
فَارْهَبُونَ﴾.<sup>(٢)</sup>

فاعتبر الانشغال بهذا العلم من باب التكلف والرأي المذموم، ومضيعة  
للأوقات من غير فائدة، بل رد على البقاعي واعتبره من القائلين بالرأي المنهى  
عنه، ومما ذكره في ذلك قوله:

(اعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم  
يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا  
أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهى عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله  
سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة  
على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلفات، وتعسفات يتبرأ منها  
الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء، فضلاً عن كلام الرب سبحانه، حتى  
أفردوا ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف، كما فعله  
"البقاعي"<sup>(٣)</sup> في تفسيره، ومن تقدمه، حسب ما ذكر في خطبته، وإن هذا لمن  
أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن ما زال ينزل مفرقاً على حسب  
الحوادث المقتضية لنزوله منذ نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
إلى أن قبضه الله إليه، وكل عاقل - فضلاً عن عالم - لا يشك أن هذه  
الحوادث المقتضية نزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها، بل قد تكون

(١) سبقت ترجمته ص ١٦٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٠.

(٣) سبقت ترجمته ص ٣٩.

متناقضة، كتحريم أمرٍ كان حلالاً وتحليل أمرٍ كان حراماً ... وهل هذا إلا من فتح أبواب الشك، وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض، أو كان مرضه مجرد الجهل، والقصور؟ فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع آي القرآن، ويفردون ذلك بالتصنيف تقرّر عنده أن هذا أمر لا بد منه، وأنه لا يكون القرآن بليغاً معجزاً إلا إذا ظهر الوجه المقتضي للمناسبة ...

وما أقل نفع مثل هذا وأنزر ثمرته وأحقر فائدته بل هو عند من يفهم ما يقول، وما يقال له من تضييع الأوقات، وإنفاق الساعات في أمر لا يعود بنفع على فاعله، ولا على من يقف عليه من الناس...<sup>(١)</sup>

#### رأبي في علم المناسبات:

بعد عرضي لآراء المؤيدين والمعارضين لعلم المناسبات، أرى أن التعرض لبيان المناسبات بين السور وبين الآيات أثناء تفسير القرآن الكريم، أمر يسهل فهم كلام الله تعالى، ولا يعقده، ويربط بعضه ببعض ويجعله في سلسلة ذات حلقات متوالية تساهم في إبراز دقائق الإعجاز القرآني، وتظهر بلاغته وبيانه، وأن ما ذكره الإمام الشوكاني<sup>(٢)</sup> فيه مبالغة كبيرة.

في حين ينبغي على الباحث في هذا العلم النفيس ألا يكون متكلفاً، فيطلب المناسبة بين كل سورتين أو بين كل آيتين، حتى وإن لم يظهر له وجه التناسب بصورة واضحة؛ فإن هذا حتماً يوقعه في التكلف الذي ينبغي تجنبه في تفسير كتاب الله تعالى.

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني. تح: الدكتور عبدالرحمن عميرة ج ١ ص ١٣٣، ١٣٤. ط ١ س ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. المنصورة - مصر.

(٢) سبقت ترجمته ص ١٦٨.

وإن للأستاذ الدكتور مصطفى مسلم<sup>(١)</sup> كلاماً نفيساً في علم المناسبات،  
أدعّم به رأيه في هذا المقام، فقال:

(ولا شك أن هذا العلم دقيق المسالك خفي المدارك، وهو من العلوم التي  
تحتاج إلى بذل الجهد في التتبع والاستقصاء اللغوي لدلالات الألفاظ القرآنية،  
والإحاطة بأسباب النزول، والتوسع في أفانين علم البلاغة والأساليب البيانية،  
وفوق كل ذلك ينبغي أن يكون الباحث ذا حس مرهف ونفس شفافة وذكاء لمّاح  
ليدرك سر هذا الترتيب للآيات التي وضعت بجوار بعضها، وقد أكدت الأخبار  
الصحيحة عن المعصوم أن الفاصل الزمني بينها يتجاوز السنوات العديدة أحياناً.  
ونحن نسلم أن بعض العلماء الباحثين في وجوه المناسبات قد تكلفوا  
أحياناً في استخراج وجه المناسبة، ولكن تكلفهم هذا لا ينبغي أن يكون  
ذريعة لردّ الوجوه المعقولة المقبولة التي ذكرها الآخرون.

إننا نسلم أن القرآن قد أنزل في فترات متباعدة خلال ثلاثة وعشرين عاماً  
مدة نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونؤمن إيماناً جازماً أن ترتيب الآيات في السور كان بأمر من رسول الله  
صلى الله عليه وسلم لكتابة الوحي، ولم يكن لأحد رأي واجتهاد في ذلك.  
ونقول إن هذا الترتيب الموحى به لم يكن جزافاً ولا اعتباراً أو عبثاً،  
وننزه كلام الباري سبحانه وتعالى عن كل ذلك.

كما نقول إن القول بوجود المناسبات أمر يحتمه الاعتقاد بتنزيه كلام  
الله سبحانه وتعالى عن الفوضى والتناقض:

(١) هو الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم. أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الإمام محمد بن سعود  
الإسلامية بالرياض. المملكة العربية السعودية. معاصر. من مؤلفاته المشهورة: مباحث في إعجاز القرآن  
(مطبوع) ومباحث في التفسير الموضوعي (مطبوع).



﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾<sup>(١)</sup>

وعلى الباحث أن يبذل قصارى جهده للتعرف على وجه المناسبة بين الآيات، فإن ظهر له شيء من ذلك فذلك نعمة من الله تعالى وفضل عليه، وله أن يقول به ويظهره خدمة لكتاب الله تعالى، وإن خفي عليه وجه المناسبة فعليه أن يمسك ولا يتكلف، وينسب علم ما خفي عليه إلى منزل الكتاب الذي أمر بترتيبه على هذا الشكل، ولا يدرك أسرار كتاب الله كلها أحد من البشر ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرِّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾<sup>(٢)</sup>.<sup>(٣)</sup>

وقد كان الطاهر بن عاشور ذا عناية فائقة بعلم المناسبات بين الآيات القرآنية، واعتبره منزعاً جليلاً عني به فخر الدين الرازي<sup>(٤)</sup> وبرهان الدين البقاعي<sup>(٥)</sup>، وذكر أنهما لم يأتيا في كثير من الآيات بما فيه مقنع، وأن أنظار المتأهلين ما تزال لفضل القول تتطلع.<sup>(٦)</sup>

ونظراً لاهتمام ابن عاشور في تفسيره باللغة العربية وعلوم البلاغة والإعجاز وأساليب الاستعمال، ونتيجة علو كعبه في هذا الميدان استطاع أن يكشف لنا عن مناسبات دقيقة بين الآيات القرآنية تفرد بها عن غيره من كبار المفسرين.

وهذه التفردات هي كالتالي:

- (١) سورة النساء، الآية: ٨٢.
- (٢) سورة الفرقان، الآية: ٦.
- (٣) مباحث في التفسير الموضوعي للأستاذ الدكتور مصطفى مسلم، ص ٦٥، ٦٦.
- (٤) سبقت ترجمته ص ٣٠.
- (٥) سبقت ترجمته ص ٣٩.
- (٦) انظر التحرير والتنوير ج ١ ص ٨.

الأول: عند تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيَىٰ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾<sup>(١)</sup>

بيّن مناسبة هذه الآية للآيات التي قبلها، مستعيناً في ذلك بما جاء في سبب النزول: فقال:

(قد يبدو في بادئ النظر عدم التناسب بين مساق الآيات السالفة ومساق هاته الآية، فبينما كانت الآية السابقة ثناء على هذا الكتاب المبين، ووصف حالي المهتدين بهديه والناكبين عن صراطه وبيان إعجازه والتحدي به مع ما تخلل وأعقب ذلك من المواعظ والزواجر النافعة والبيانات البالغة والتمثيلات الرائعة، إذا بالكلام قد جاء يخبر بأن الله تعالى لا يعبأ أن يضرب مثلاً بشيء حقير أو غير حقير، فحقيق بالناظر عند التأمل أن تظهر له المناسبة لهذا الانتقال، ذلك أن الآيات السابقة اشتملت على تحدي البلغاء بأن يأتوا بسورة مثل القرآن، فلما عجزوا عن معارضة النظم سلكوا في المعارضة طريقة الطعن في المعاني فلبسوا على الناس بأن في القرآن من سخيف المعنى ما ينزه عنه كلام الله ليصلوا بذلك إلى إبطال أن يكون القرآن من عند الله بإلقاء الشك في نفوس المؤمنين وبذر الخصيب في تنفير المشركين والمنافقين.

روى الواحدي<sup>(٢)</sup> في «أسباب النزول» عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> أن الله تعالى لما أنزل

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

(٢) هو علي بن أحمد بن محمد بن علي. أبو الحسن الواحدي. مفسر عالم بالأدب. ولد بنيسابور، وتوفي بها سنة ٤٦٨هـ - ١٠٧٦م. من آثاره: البسيط والوسيط والوجيز كلها في التفسير، وأسباب النزول... انظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين الأتابكي تحقيق فهديم محمد شلتوت. مج ٥ ص ١٠٤. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. القاهرة - مصر بدون تاريخ.

(٣) سبقت ترجمته ص ١٠٩.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۗ وَإِنْ يَسْأَلْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾<sup>(١)</sup> وقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾<sup>(٢)</sup> قال المشركون رأيتم أي شيء يصنع بهذا فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ وروي عن الحسن<sup>(٣)</sup> وقتادة<sup>(٤)</sup> أن الله لما ذكر الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب بها المثل ضحك اليهود وقالوا ما يشبه أن يكون هذا كلام الله فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ الآية .

والوجه أن نجمع بين الروایتين ونبين ما انطوتا عليه بأن المشركين كانوا يفرعون إلى يهود يثرب في التشاور في شأن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وخاصة بعد أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فيتلقون منهم صوراً من الكيد والتشغيب فيكون قد تظاهر الفريقان على الطعن في بلاغة ضرب المثل بالعنكبوت والذباب فلما أنزل الله تعالى تمثيل المنافقين بالذي استوقد ناراً وكان معظمهم من اليهود هاجت أحناقهم وضاق خناقهم فاختلفوا هذه المطاعن فقال كل فريق ما نسب إليه في إحدى الروایتين ونزلت الآية للرد على الفريقين ووضح الصبح لذي عينين.<sup>(٥)</sup>

(١) سورة الحج، الآية: ٧٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤١.

(٣) هو الحسن البصري. أبو سعيد. كان إماماً كبير الشأن. رأس الطبقة الثالثة. توفي في رجب سنة ١١٠هـ. انظر تذكرة الحفاظ للذهبي مج ١ ج ١ ص ٧١. ط ٣. دار إحياء التراث العربي. بيروت - لبنان. بدون تاريخ. وانظر طبقات المفسرين للداوودي مج ١ ص ١٥٠.

(٤) هو قتادة بن دعامة بن عزيز البصري الضرير الأكمه المفسر. توفي سنة ١١٧هـ وقيل ١١٨هـ. انظر طبقات المفسرين للداوودي ج ٢ ص ٤٧.

وانظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٢٢.

(٥) التحرير والتنوير ج ١ ص ٣٥٣.

والذي ينبغي التنبيه عليه هو أن الشيخ ابن عاشور بعد أن ربط هذه الآية بما قبلها وبين سبب نزولها؛ أخذ يبين سر تأخر رد الله تعالى على المشركين واليهود حينما طعنوا في ألفاظ القرآن الذي جاء فيه ذكر الذباب والعنكبوت معتبرا أن نزول هذه الآية المدنية عقب التي قبلها لمناسبة غفل عن بيانها المفسرون. فقال:

(فإن قيل: لم يكن الرد عقب نزول الآيات الواقع فيها التمثيل الذي أنكروه فإن البدار بالرد على من في مقاله شبهة رائجة يكون أقطع لشبهته من تأخير زماناً.

قلنا: الوجه في تأخير نزولها أن يقع الرد بعد الإتيان بأمثال معجبة اقتضاها مقام تشبيه الهيات ، فذلك كما يمنع الكريم عدوه من عطاء فيلمزه الممنوع بلمز البخل ، أو يتأخر الكمي عن ساحة القتال مكيدة فيظنه ناس جبناً فيسرهما الأول في نفسه حتى يأتيه القاصد فيعطيه عطاء جزلاً ، والثاني حتى يكر كرة تكون القاضية على قرنه . فكذلك لما أتى القرآن بأعظم الأمثال وأروعها وهي قوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ ﴾<sup>(١)</sup> ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمَى ﴾<sup>(٣)</sup> أتى إثر ذلك بالرد عليهم فهذا يبين لك مناسبة

نزول هذه الآية عقب التي قبلها وقد غفل عن بيانه المفسرون.<sup>(٤)</sup>

وقد رجعت إلى المفسرين الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي فوقفت على أنهم قد ذكروا مناسبة هذه الآية لما قبلها في ضرب الأمثال. ولكنهم سكتوا عن بيان مناسبة نزول هذه الآية عقب التي قبلها، ولم يبنوا

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨.

(٤) التحرير والتنوير ج ١ ص ٣٥٤.

سر تأخر الرد على المشركين واليهود الذين سخرُوا من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت<sup>(١)</sup>، مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم ببيان ذلك.

والحق أن ما ذكره ابن عاشور في منتهى الدقة والنفاسة حيث استطاع أن يربط هذه الآية بما قبلها ويبين مناسبتها لآيتي الحج<sup>(٢)</sup> والعنكبوت<sup>(٣)</sup>، ويوضح سر تأخرها عنهما في النزول.

الثاني: وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾<sup>(٤)</sup> بين مناسبة هذه الآية للآيات التي قبلها فقال:

(مناسبة هذه الآية للآيات قبلها أن اليهود اعتذروا عن إعراضهم عن الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم بقولهم: ﴿ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾<sup>(٥)</sup> وأرادوا به أنهم يكفرون بغيره، وهم في عذرهم ذلك يدعون أن شريعتهم لا تتسخ ويقولون إن محمداً وصف التوراة بأنها حق وأنه جاء مصداقاً لها فكيف يكون شرعه مبطلاً للتوراة ويموهون على الناس بما سموه البداء وهو لزوم أن يكون الله تعالى غير عالم بما يحسن تشريعه وأنه يبدو له الأمر ثم يعرض عنه ويبدل شريعة بشريعة .

وقد قدمنا أن الله تعالى رد عليهم عذرهم وفضحهم بأنهم ليسوا متمسكين بشرعهم حتى يتصلبوا فيه وذلك من قوله: ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ

(١) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ١١٧. وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ١ ص ١١٠. وانظر أنوار

التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ١ ص ٦٢.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٣.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٩١.

مِنْ قَبْلُ»<sup>(١)</sup> وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةُ﴾<sup>(٢)</sup> إلخ وبأنهم لا داعي لهم غير الحسد بقوله: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله: ﴿ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٣)</sup> المنبئ أن العلة هي الحسد، فلما بين الرد عليهم في ذلك كله أراد نقض تلك السفسطة أو الشبهة التي راموا ترويجها على الناس بمنع النسخ. والمقصد الأصلي من هذا هو تعليم المسلمين أصلاً من أصول الشرائع وهو أصل النسخ الذي يطرأ على شريعة بشرية بعدها ويطرأ على بعض أحكام شريعة بأحكام تبطلها من تلك الشريعة. ولكون هذا هو المقصد الأصلي عدل عن مخاطبة اليهود بالرد عليهم. ووجه الخطاب إلى المسلمين كما دل عليه قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ وعطفه عليه بقوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> ولقوله: ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ﴾ ولم يقل من شريعة. وفي هذا إعراض عن مخاطبة اليهود لأن تعليم المسلمين أهم وذلك يستتبع الرد على اليهود بطريق المساواة لأنه إذا ظهرت حكمة تغيير بعض الأحكام لمصلحة تظهر حكمة تغيير بعض الشرائع.<sup>(٥)</sup>

وقد رجعت إلى الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي؛ فوجدتهم قد سكتوا عن بيان هذه المناسبة<sup>(٦)</sup> مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم ببيانها.

والحق أن ما ذكره ابن عاشور جدير بأن يبين؛ لأن اليهود أنكروا النسخ وزعموا - كما ورد في الآيات المتقدمة عن هذه الآية - أن شريعتهم لم

(١) سورة البقرة، الآية: ٩١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٨.

(٥) التحرير والتنوير ج ١ ص ٦٣٦، ٦٣٧.

(٦) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ١٧٥.

وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ١ ص ١٩٠، ١٩١.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ١ ص ٩٩.

تتسخ في الوقت الذي لم يتمسكوا فيه بتعاليمها وأحكامها؛ ففضحهم الله تعالى ورد عليهم شبهتهم بقوله: ﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾<sup>(١)</sup> علماً بأن (المقصد الأصلي من هذا هو تعليم المسلمين أصلاً من أصول الشرائع وهو أصل النسخ الذي يطرأ على شريعة بشرية بعدها ويطرأ على بعض أحكام شريعة بأحكام تبطلها من تلك الشريعة).<sup>(٢)</sup>

الثالث: وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> بين مناسبة هذه الآية للآية التي قبلها<sup>(٤)</sup>، فقال:

(والمناسبة أن قوله: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ﴾<sup>(٥)</sup> تحذير من الجرأة على مخالفة حكم الصيام بالإفطار غير المأذون فيه وهو ضرب من الأكل الحرام فعطف عليه أكل آخر محرم وهو أكل المال بالباطل، والمشاكلة<sup>(٦)</sup> زادت المناسبة قوة، وهذا من جملة عداد الأحكام المشروعة لإصلاح ما اختل من أحوالهم في الجاهلية، ولذلك عطف على نظائره وهو مع ذلك أصل تشريع

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.

(٢) التحرير والتنوير ج ١ ص ٦٣٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.

(٤) وهي قوله تعالى: ﴿...وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى الْآيِلِ وَلَا تَبْشِرُواهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنْكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ سورة البقرة/١٨٧.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٦) المشاكلة: (هي اتفاق الشئين في الخاصة كما أن المشابهة اتفاقهما في الكيفية والمساواة اتفاقهما في الكمية، والمماثلة، اتفاقهما في النوعية.

وقد يراد من المشاكلة التناسب المسمى بمراعاة النظير أعني جمع أمر مع أمر يناسبه لا بالتضاد.)

كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ١٣٥٧.

عظيم للأموال في الإسلام.)<sup>(١)</sup>

وبرجوعي إلى الأئمة الثلاثة، وقفت على سكوتهم عن بيان هذه المناسبة<sup>(٢)</sup> مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم ببيانها.

الرابع: وعند تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>

ذكر أن لهذه الآية علاقة بالتي قبلها<sup>(٤)</sup>، فقال:

(وتعقيب آية الكرسي بهاته الآية بمناسبة أن ما اشتملت عليه الآية السابقة من دلائل الوجدانية وعظمة الخالق وتنزيهه عن شوائب ما كفرت به الأمم، من شأنه أن يسوق ذوي العقول إلى قبول هذا الدين الواضح العقيدة، المستقيم الشريعة، باختيارهم دون جبر ولا إكراه، ومن شأنه أن يجعل دوامهم على الشرك بمحل السؤال: أيتركون عليه أم يكرهون على الإسلام، فكانت الجملة استئنافاً بيانياً.)<sup>(٥)</sup>

وقد رجعت إلى الأئمة الثلاثة في تفاسيرهم، فوقفت على سكوتهم عن بيان هذه المناسبة.<sup>(٦)</sup>

والحق أن ما ذكره ابن عاشور ظاهر، فإن كثيرا من الشعوب دخلت في دين الله باختيارهم وذلك حينما عرفوا عظمة هذا الدين الدالة على عظمة الخالق.

(١) التحرير والتنوير ج ٢ ص ١٨٤.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ٢٣١. وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ١ ص ٢٦٠. وانظر أنوار

التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ١ ص ١٢٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

(٤) آية الكرسي، البقرة: ٢٥٥.

(٥) التحرير والتنوير ج ٢ ص ٤٩٩.

(٦) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ٢٩١.

وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ١ ص ٣٣٤.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ١ ص ١٥٥.



الخامس: وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ ۖ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾<sup>(١)</sup>

ذكر أن موقع هذه الآية في سورة النساء معضل<sup>(٢)</sup> وأن ابتداءها بواو العطف أعضل مما يدل على ارتباطها بما قبلها؛ ثم أزال الإشكال ببيانه لمناسبة هذه الآية لما قبلها فقال:

(فالواو عاطفة حكم تشريع عقب تشريع لمناسبة: هي الرجوع إلى أحكام النساء، فإن الله لما ذكر أحكاماً من النكاح إلى قوله: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ مِحْلَةً﴾<sup>(٣)</sup> وما النكاح إلا اجتماع الرجل والمرأة على معايشة عمادها التأسس والسكون إلى الأنثى، ناسب أن يعطف إلى ذكر أحكام اجتماع الرجل بالمرأة على غير الوجه المذكور فيه شرعاً، وهو الزنا المعبر عنه بالفاحشة.)<sup>(٤)</sup>

وإذا كان ابن عاشور قد ربط هذه الآية بما قبلها فإن الزمخشري وابن

(١) سورة النساء، الآية: ١٥.

(٢) الوجه المعضل في هذه المسألة - كما يراه ابن عاشور - هو أن سورة النساء نزلت بعد سورة النور، وأن قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة النور/٢. نسخت هذه الآية والآية التي بعدها. النساء (١٥، ١٦) على قول الجمهور؛ فكيف يصح أن يكون المتقدم في النزول ناسخاً للمتأخر؟ ثم أزال هذا الإشكال بجزمه أن أول سورة النساء نزل قبل أول سورة النور، "وأن هذه العقوبة المنصوص عليها في سورة النساء (كانت مبدأً شرع العقوبة على الزنا فكون هاته الآية منسوخة بآية سورة النور لا محالة). التحرير والتنوير ج ٤ ص ٥٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤.

(٤) التحرير والتنوير ج ٤ ص ٥٦.

عطية والبيضاوي قد سكتوا عن بيان هذه المناسبة<sup>(١)</sup> مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم ببيانها.

السادس: وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا

حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>

ذكر مناسبة هذه الآية لما قبلها<sup>(٣)</sup>، علماً بأن هذه الآية نزلت يوم فتح

مكة<sup>(٤)</sup>، والآيات التي قبلها ابتداءً من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا

نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحِجَابِ وَالطَّعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّؤَلَاءِ أَهْدَىٰ

مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾<sup>(٥)</sup> نزلت في كعب بن الأشرف<sup>(٦)</sup> وأصحابه عندما ذهبوا

ذهبوا إلى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشا على غدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه - عليه الصلاة والسلام.

والملاحظ أن هناك فرقا زمنيا كبيرا بين غزوة أحد وفتح مكة إلا أن

التناسب بين هذه الآية وما قبلها ظاهر.

قال ابن عاشور: (... وهنا مناسبة، وهي أن ما استطرده من ذكر أحوال

(١) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ٤٧٧.

وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٢ ص ٢١، ٢٢.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ٢ ص ٦٤، ٦٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٣) سورة النساء، الآيات من ٥١ إلى ٥٧.

(٤) انظر أسباب النزول للواحي ص ٩٠. دار نشر الكتب الإسلامية. لاهور - باكستان. وانظر أسباب النزول

للسيوطي. دراسة وتحقيق حامد أحمد الطاهر ص ١٢٤. ط ١ س ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. دار الفجر للتراث

القاهرة - مصر.

(٥) سورة النساء، الآية: ٥١.

(٦) سبقت ترجمته ص ١٢٨.

أهل الكتاب في تحريفهم الكلم عن مواضعه، وليهم ألسنتهم بكلمات فيها توجيه من السبِّ، وافترائهم على الله الكذب، وحسدهم بإنكار فضل الله إذ آتاه الرسول والمؤمنين، كل ذلك يشتمل على خيانة أمانة الدين، والعلم، والحق، والنعمة، وهي أمانات معنوية، فناسب أن يعقب ذلك بالأمر بأداء الأمانة الحسيّة إلى أهلها ويتخلّص إلى هذا التشريع.<sup>(١)</sup>

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة فوقفت على سكوت مفسريها: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي عن بيان هذه المناسبة.<sup>(٢)</sup>

والحق أن ما ذكره ابن عاشور نفيس، فالمناسبة ظاهرة والسياق منسجم. وقد تناول الدكتور مصطفى مسلم<sup>(٣)</sup> بيان المناسبة بين هذه الآية وما قبلها فقال - بعد ذكر سبب نزولها - (وبين الآيتين ست سنوات ومع ذلك فالمناسبة بين الآيات الأولى<sup>(٤)</sup> والآية الأخيرة<sup>(٥)</sup> في غاية الوضوح ... فالموضوع واحد واحد والسياق منسجم تماماً على الرغم من وجود الفاصل الزمني).<sup>(٦)</sup>

السابع: وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا

يُؤْمِنُونَ \* وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾<sup>(٧)</sup>

ذكر مناسبة هاتين الآيتين مع التي قبلهما<sup>(٨)</sup> فقال:

(تبين تناسب هذه الآية مع التي قبلها بما فسرنا به الآية السابقة فإنه لما

(١) التحرير والتنوير ج ٤ ص ١٦٠.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ٥١٢، ٥١٣.

وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٢ ص ٧٠.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ٢ ص ٧٩، ٨٠.

(٣) سبقت ترجمته ص ١٧١.

(٤) سورة النساء من الآية ٥١ إلى الآية ٥٧.

(٥) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٦) مباحث في التفسير الموضوعي للأستاذ الدكتور مصطفى مسلم ص ٧١.

(٧) سورة يونس، الآيتان: ٩٦، ٩٧.

(٨) سورة يونس، الآيتان: ٩٤، ٩٥.

سبق التعريض إلى المشركين الشَّاكِّين في صدق النبي صلى الله عليه وسلم والاستشهاد عليهم في صدقه بشهادة أهل الكتاب أعقب ذلك بأنهم من زمرة الفرق الذين حقت عليهم كلمة الله أن لا يؤمنوا، فهم لا تجدي فيهم الحجة لأنهم أهل مكابرة، وليسوا طالبين للحق لأن الفطرة التي فطرت عليها عقولهم غير قابلة لحقائق الإيمان، فالذين لم يؤمنوا بما يجيء من الآيات هم ممن علم الله أنهم لا يؤمنون، تلك أماراتهم. وهذا مسوق مساق التأييس من إيمانهم.<sup>(١)</sup>

وقد رجعت إلى الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية، والبيضاوي؛ فوقفت على سكوتهم عن بيان هذه المناسبة<sup>(٢)</sup>، مما يدل على تفرد ابن عاشور عنهم ببيانها.

الثامن: وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لِّيَقُولُوا مَا نَحْبِسُهُ ۗ أَلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾<sup>(٣)</sup> بيّن مناسبة هذه الآية للتي قبلها<sup>(٤)</sup>، فقال:

(مناسبتة<sup>(٥)</sup>) لما قبله أن في كليهما وصف فنّ من أفانين عناد المشركين وتهكمهم بالدعوة الإسلامية، فإذا خبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالبعث وأن شركهم سبب لتعذيبهم جعلوا كلامه سحراً، وإذا أنذرهم بعقوبة

(١) التحرير والتنوير ج ١١ ص ١٧٨.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري مج ٢ ص ٣٥٨.

وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٣ ص ١٤٣.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ٣ ص ١٢٤.

(٣) سورة هود، الآية: ٨.

(٤) سورة هود، الآية: ٧. وهي قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ قُلْتِ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

(٥) الضمير هنا يعود إلى نص الآية، أو سياقها.

العذاب على الإشراف استعجلوه، فإذا تأخر عنهم إلى أجل اقتضته الحكمة الربانية استفهموا عن سبب حبسه عنهم استفهام تهكم ظناً أن تأخره عجز.<sup>(١)</sup> وإذا كان ابن عاشور قد بيّن مناسبة هذه الآية لما قبلها فإن الزمخشري وابن عطية والبيضاوي قد سكتوا عن بيانها.<sup>(٢)</sup>

التاسع: وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيِّمِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾<sup>(٣)</sup> تعرض لبيان مناسبة هذه الآية للآيات التي قبلها<sup>(٤)</sup>. فقال:

(لما كانت الآيات السابقة مسوقة للرد على من أنكروا أن القرآن منزل من الله أعقب الرد بالتمثيل بالنظير وهو إرسال موسى - عليه السلام - إلى قومه بمثل ما أرسل به محمد صلى الله عليه وسلم وبمثل الغاية التي أرسل لها محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج قومه من الظلمات إلى النور).<sup>(٥)</sup>

وقد رجعت إلى المفسرين الثلاثة؛ فوجدتهم قد سكتوا عن بيان هذه المناسبة<sup>(٦)</sup>، مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم ببيانها.

(١) التحرير والتنوير ج ١١ ص ٢١١.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري مج ٢ ص ٣٦٧.

وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٣ ص ١٥٢، ١٥٣.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ٣ ص ١٢٩.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٥.

(٤) سورة إبراهيم، الآيات: (١-٤).

(٥) التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٢٢٢.

(٦) انظر الكشاف للزمخشري مج ٢ ص ٥١٩.

وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٣ ص ٣٢٣، ٣٢٤.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ٣ ص ١٩٣.

العاشر: وعند تفسير الطاهر بن عاشور لقوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ط وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً﴾<sup>(١)</sup> اعتبر أن موقع هذه الآية غامض، وذكر أن المفسرين لم يعطوا لها حقها من البيان، ثم ذكر مناسبتها لما قبلها<sup>(٢)</sup>، فقال: (موقع هذه الآية هنا غامض، وانتزاع المعنى من نظمها وألفاظها أيضاً، ولم يأت فيها المفسرون بما ينتج له الصدر. والذي يظهر لي أن الآية التي قبلها لما اشتملت على بشارة وإنذار وكان المنذرون إذا سمعوا الوعيد والإنذار يستهزئون به ويقولون: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup> عطف هذا الكلام على ما سبق تنبيهاً على أن لذلك الوعد أجلاً مسمى. فالمراد بالإنسان الإنسان الذي لا يؤمن بالآخرة كما هو في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾<sup>(٤)</sup> و ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾<sup>(٥)</sup> وإطلاق الإنسان على الكافر كثير في القرآن.)<sup>(٦)</sup>

وإذا كان ابن عاشور قد توصل إلى بيان مناسبة هذه الآية للتي قبلها؛ فإن الزمخشري وابن عطية والبيضاوي لم يتطرقوا إلى بيان هذه المناسبة.<sup>(٧)</sup> وبالتالي فإن ابن عاشور قد تفرد عنهم ببيانها.

(١) سورة الإسراء، الآية: ١١.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: (٩، ١٠).

(٣) سورة يس، الآية: ٤٨.

(٤) سورة مريم، الآية: ٦٦.

(٥) سورة مريم، الآية: ٦٧.

(٦) التحرير والتنوير ج ١٤، ص ٣٤.

(٧) انظر الكشاف للزمخشري مج ٢ ص ٦٢٦.

وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٣ ص ٤٤١.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ٣ ص ٢٤٩.

الحادي عشر: وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ

الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾<sup>(١)</sup>

ذكر أن هذه الآية شديدة الاتصال بالآيات التي قبلها<sup>(٢)</sup>، فقال:

(لما أعقب ما أمر النبي عليه الصلاة والسلام بتبليغه إلى المشركين من

أقوال تعظم بقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءِالَهُ كَمَا يَقُولُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله: ﴿ قُلْ

قُلْ كُونُوا حِجَارَةً ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله: ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴾<sup>(٥)</sup> تثنى العنان إلى

الأمر بإبلاغ المؤمنين تأديباً ينفعهم في هذا المقام على عادة القرآن في تلوين

الأغراض وتعقيب بعضها ببعض أضدادها استقصاء لأصناف الهدى ومختلف

أساليبه ونفع مختلف الناس .

ولما كان ما سبق من حكاية أقوال المشركين تنبئ عن ضلال اعتقاد

نقل الكلام إلى أمر المؤمنين بأن يقولوا أقوالاً تعرب عن حسن النية وعن نفوس

زكية وأوتوا في ذلك كلمة جامعة وهي ﴿ يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... ﴾<sup>(٦)</sup> فهذه

الآية شديدة الاتصال بالتي قبلها.<sup>(٧)</sup>

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري، وابن عطية،

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٢) سورة الإسراء، الآيات: (٥٠ - ٥٢). وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ إلى قوله ﴿ وَتَنْظُرُونَ

إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٤٢.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٥٠.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٥١.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٧) التحرير والتنوير ج ١٤ ص ١٠٤، ١٠٥.

والبيضاوي؛ فوجدتهم قد سكتوا عن بيان هذه المناسبة<sup>(١)</sup>. وسكوتهم هذا دليل على تفرد ابن عاشور عنهم ببيانها. وإن اتصال هذه الآية بالتي قبلها ظاهر كما بينه ابن عاشور.

الثاني عشر: وعند تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ

بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝ ﴾<sup>(٢)</sup>

بين مناسبة هذه الآية لما قبلها<sup>(٣)</sup>، فقال:

(مناسبة موقع هذا الاستدلال لما قبله أنه استدلال بدقيق آثار القدرة في تكوين المياه وجعلها سبب حياة مختلفة الأشكال والأوضاع. ومن أعظمها دقائق الماء الذي خلق منه أشرف الأنواع التي على الأرض وهو نطفة الإنسان بأنها سبب تكوين النسل للبشر فإنه يكون أول أمره ماء ثم يتخلق منه البشر العظيم، فالتتوين في قوله (بشراً) للتعظيم.)<sup>(٤)</sup>

وقد رجعت إلى الأئمة الثلاثة فوقفنا على سكوتهم عن بيان هذه المناسبة<sup>(٥)</sup>، وهو دليل على تفرد ابن عاشور عنهم ببيانها.

(١) انظر الكشاف للزمخشري مج ٢ ص ٦٤٦.

وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٣ ص ٤٦٤.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ٣ ص ٢٥٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٥٤.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٥٣. وهي قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ

أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَحْجُورًا ۝ ﴾.

(٤) التحرير والتنوير ج ١٩ ص ٧٦.

(٥) انظر الكشاف للزمخشري مج ٣ ص ٢٧٩.

وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٤ ص ٢١٤، ٢١٥.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٤ ص ١٢٨.



الثالث عشر: وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ<sup>١</sup> لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ<sup>٢</sup> إِنَّمَا يُوفِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ<sup>(١)</sup>﴾

ربط هذه الآية بالتي قبلها<sup>(٢)</sup>، فقال:

(لما أُجري الثناء على المؤمنين بإقبالهم على عبادة الله في أشدّ الآناء وبشدة مراقبتهم إياه بالخوف والرجاء وبتميزهم بصفة العلم والعقل والتذكر، بخلاف حال المشركين في ذلك كله، أتبع ذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإقبال على خطابهم للاستزادة من ثباتهم ورباطة جأشهم.)<sup>(٣)</sup> وقد سكت الأئمة الثلاثة عن بيان هذه المناسبة<sup>(٤)</sup> مما يدل على تفرد ابن عاشور عنهم ببيانها.

الرابع عشر: وعند تفسير الطاهر بن عاشور لقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا<sup>٥</sup> حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا<sup>٦</sup> وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا<sup>٧</sup> حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي<sup>٨</sup> إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ<sup>(٥)</sup>﴾

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩. وهي قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ<sup>٩</sup> قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ<sup>١٠</sup> إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ<sup>١١</sup>﴾.

(٣) التحرير والتنوير ج ٢٤ ص ٣٩.

(٤) انظر الكشف للزمخشري مج ٤ ص ١١٣، ١١٤.

وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٤ ص ٥٢٣.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٥ ص ٣٨.

(٥) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

ذكر أن بعض المفسرين بينوا مناسبة هذه الآية لما قبلها<sup>(١)</sup>، ولكن لم يكن بيانهم لذلك مقنعاً - وفق ما ذكر - ثم جاء هو بما يراه مناسباً في اتصال هذه الآية بما قبلها، فقال:

(تطلب بعض المفسرين وجه مناسبة وقوع هذه الآية عقب التي قبلها، وذكر القرطبي<sup>(٢)</sup> ... عن القشيري<sup>(٣)</sup> أن وجه اتصال الكلام بعبئه ببعض أن المقصود بيان أنه لا يبعد أن يستجيب بعض الناس للنبي صلى الله عليه وسلم ويكفر به بعضهم كما اختلف حال الناس مع الوالدين. وقال ابن عساكر<sup>(٤)</sup>: "لما ذكر الله التوحيد والاستقامة عطف الوصية بالوالدين كما هو مقرون في غير ما آية من القرآن." وكلا هذين القولين غير مقنع في وجه الاتصال. ووجه الاتصال عندي أن هذا انتقال إلى قول آخر من أقوال المشركين وهو كلامهم في إنكار البعث وجدالهم فيه فإن ذلك من أصول كفرهم بمحل القصد من هذه الآيات قوله: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا دِيَّهِ أَفٍّ لَكُمْ مَا﴾<sup>(٥)</sup> إلى قوله: ﴿خَسِرِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.)<sup>(٧)</sup>

(١) سورة الأحقاف، الآيتان (١٣-١٤) وهما قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا فَلَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

(٢) سبقت ترجمته ص ٣١.

(٣) هو عبدالكريم بن هوازن بن عبدالمك بن طلحة النيسابوري القشيري. من بني قشير بن كعب أبو القاسم. شيخ خراسان في عصره زهداً وعلماً بالدين. ولد سنة ٣٧٦هـ - ٩٨٦م. وتوفي بنيسابور سنة ٤٦٥هـ - ١٠٧٢م. من آثاره الرسالة القشيرية. والتيسير في التفسير ويقال له: التفسير الكبير. انظر الأعلام للزركلي ج ٤ ص ٥٧.

(٤) هو علي بن الحسن بن عساكر، محدث، حافظ، مؤرخ، ولد بدمشق سنة ٤٩٩هـ، وتوفي بدمشق سنة ٥٧١هـ. من أشهر مؤلفاته: تاريخ مدينة دمشق. انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج ٧ ص ٦٩.

(٥) سورة الأحقاف، الآية: ١٧.

(٦) سورة الأحقاف، الآية: ١٨.

(٧) التحرير والتنوير ج ٢٦ ص ٢٤، ٢٥.

وقد رجعت إلى الأئمة الثلاثة: الزمخشري، وابن عطية، والبيضاوي؛ فوقفت على سكوتهم عن هذه المناسبة<sup>(١)</sup>، مما يدل على تفرد ابن عاشور عنهم. ولكن الذي أراه أن الذي ذكره ابن عاشور في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها غير دقيق وأن السياق القرآني يرجح قول ابن عساكر الذي أورده ابن عاشور واعتبره غير مقنع، لأن التوصية أو الأمر بالإحسان للوالدين عقب الأمر بالتوحيد والعبادة جاء في آيات كثيرة من القرآن الكريم منها:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾<sup>(٢)</sup>  
 وقوله: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾<sup>(٣)</sup>  
 وقوله عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾<sup>(٤)</sup>

وهكذا يتضح جلياً أن ما ذكره ابن عاشور في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها غير مقنع وأن ما ذكره ابن عساكر هو المقنع والراجح.

الخامس عشر: وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>(٥)</sup>  
 ابتداءً كلامه ببيان علاقة هذه الآية بالتي بعدها<sup>(٦)</sup>، وذكر أن بينهما اتحاداً

(١) انظر الكشاف للزمخشري مج ٤ ص ٢٩٤، ٢٩٥.

وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٥ ص ٩٥، ٩٦، ٩٧.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٥ ص ١١٣، ١١٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٥) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٦) سورة المجادلة، الآية: ١٢. وهي قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ

نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرٌ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

اتحاداً في الموضوع حيث يجمعهما التأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم.  
فقال:

(فصل بين آيات الأحكام المتعلقة بالنجوى بهذه الآية مراعاة لاتحاد الموضوع بين مضمون هذه الآية ومضمون التي بعدها في أنهما يجمعهما غرض التأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم وتلك المراعاة أولى من مراعاة اتحاد سياق الأحكام.

ففي هذه الآية أدب في مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم، والآية التي بعدها تتعلق بالأدب في مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخرت تلك عن آيات النجوى العامة إيداناً بفضلها دون النجوى التي تضمنتها الآيات السابقة، فاتحاد الجنس في النجوى هو مسوغ الانتقال من النوع الأول إلى النوع الثاني، والإيماء إلى تميزها بالفضل هو الذي اقتضى الفصل بين النوعين بآية أدب المجلس النبوي.

وأيضاً قد كان للمنافقين نية مكر في قضية المجلس كما كان لهم نية مكر في النجوى ، وهذا مما أنشأ مناسبة الانتقال من الكلام على النجوى إلى ذكر التفسح في المجلس النبوي الشريف.)<sup>(١)</sup>

وقد رجعت إلى الأئمة الثلاثة فوقفت على سكوتهم عن بيان هذه المناسبة<sup>(٢)</sup>، مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم ببيانها.

السادس عشر: وعند تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ

(١) التحرير والتنوير ج ٢٨ ص ٣٣.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري مج ٤ من ص ٤٧٩ إلى ص ٤٨١.

وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٥ ص ٢٧٨، ٢٧٩.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٥ ص ١٩٥.

## وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ<sup>(١)</sup>

بين مناسبة هذه الآية لما بعدها<sup>(٢)</sup>، فقال:

(مناسبة هذه الفاتحة لما بعدها من السورة بيان أن الكافرين محقوقون بأن تقاتلوهم لأنهم شذوا عن جميع المخلوقات فلم يسبحوا الله ولم يصفوه بصفات الكمال إذ جعلوا له شركاء في الإلهية . وفيه تعريض بالذين أخلفوا ما وعدوا بأنهم لم يؤدوا حق تسبيح الله ، لأن الله مستحق لأن يوفى بعهده في الحياة الدنيا وأن الله ناصر الذين آمنوا على عدوهم.)<sup>(٣)</sup>

وقد سكت الأئمة الثلاثة عن بيان هذه المناسبة<sup>(٤)</sup>، وهذا يدل على تفرد ابن عاشور عنهم ببيانها.

## السابع عشر: وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُنَّ تَسْتَكْبِرُ﴾<sup>(٥)</sup>

ذكر مناسبة عطف هذه الآية على ما قبلها<sup>(٦)</sup>، فقال:

(مناسبة عطف ﴿وَلَا تَمُنَّ تَسْتَكْبِرُ﴾ على الأمر بهجر الرجز أن المن في العطفية كثير من خلق أهل الشرك فلما أمره الله بهجر الرجز نهاه عن أخلاق أهل الرجز نهياً يقتضي الأمر بالصدقة والإكثار منها بطريق الكناية فكأنه قال: وتصدق وأكثر من الصدقة ولا تمنن، أي لا تعد ما أعطيته كثيراً

(١) سورة الصف، الآية: ١.

(٢) سورة الصف، الآيات: ٢-٤. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ \* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ

تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ \* إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَا كَأَنَّهُمْ بُيِّنٌ مَرْصُومٌ﴾.

(٣) التحرير والتنوير ج ٢٨ ص ١٥٥.

(٤) انظر الكشاف للزمخشري مج ٤ ص ٥١٠.

وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٥ ص ٣٠١.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٥ ص ٢٠٨.

(٥) سورة المدثر، الآية: ٦.

(٦) سورة المدثر، الآية: ٥. وهي قوله تعالى: (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ).

فتمسك عن الازدياد فيه ، أو تتطرق إليك ندامة على ما أعطيت.<sup>(١)</sup>  
 والملاحظ أن الزمخشري وابن عطية والبيضاوي لم يتطرقوا في تفاسيرهم  
 إلى بيان هذه المناسبة.<sup>(٢)</sup>

الثامن عشر: وعند تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾<sup>(٣)</sup>  
 بيّن مناسبة عطف هذه الآية على ما قبلها<sup>(٤)</sup>، فقال:

(عطف شر الحاسد على شر الساحر المعطوف على شر الليل، لمناسبة  
 بينه وبين المعطوف عليه مباشرةً وبينه وبين المعطوف عليه بواسطته، فإن مما  
 يدعو الحاسد إلى أذى المحسود أن يتطلب حصول أذاه لتوهم أن السحر يزيل  
 النعمة التي حسده عليها ولأن ثوران وجدان الجسد يكثر في وقت الليل ، لأن  
 الليل وقت الخلوة وخطور الخواطر النفسية والتفكير في الأحوال الحافة  
 بالحاسد وبالمحسود).<sup>(٥)</sup>

وإذا كان ابن عاشور قد بين هذه المناسبة؛ فإن كلا من الزمخشري  
 وابن عطية والبيضاوي قد سكتوا عن بيانها<sup>(٦)</sup> مما يدل على أن ابن عاشور قد  
 تفرد عنهم ببيانها.



- 
- (١) التحرير والتنوير ج ٢٩، ص ٢٧٧، ٢٧٨.  
 (٢) انظر الكشاف للزمخشري مج ٤ ص ٦٢٣.  
 وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٥ ص ٣٩٣.  
 وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٥ ص ٢٥٩.  
 (٣) سورة الفلق، الآية: ٥.  
 (٤) سورة الفلق، الآيتان: (٣، ٤).  
 (٥) التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٥٥١.  
 (٦) انظر الكشاف للزمخشري مج ٤ ص ٨١٧.  
 وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٥ ص ٥٣٨، ٥٣٩.  
 وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٥ ص ٣٤٨، ٣٤٩.

## المبحث الثاني

## تفرد ابن عاشور في أسباب النزول

تَهَيَّأْ :

قبل أن أبين ما تفرد به ابن عاشور في أسباب النزول يجدر بي ابتداءً أن أعرف بسبب النزول، وأذكر أهم فوائد معرفته.

## ١- تعريف سبب النزول:

عرفه الأستاذ الدكتور فهد الرومي<sup>(١)</sup> بقوله:

(هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة تقع حين نزول القرآن فتزل آية أو آيات من القرآن تبين الحكم فيها أو كسؤال يوجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فتزل آية أو آيات من القرآن الكريم وفيها الإجابة عليه).<sup>(٢)</sup>

ثم شرح التعريف فقال:

ويُفيد قولنا "وقت وقوعه" أنه لا بد أن يكون نزول الآيات وقت وقوع الحادثة أو توجيه السؤال فإن كانت الحادثة قبل نزول الآيات بزمن طويل خرج ذلك عن هذا الباب وصار من باب الإخبار عن الوقائع الماضية والأمم السابقة كالآيات التي تتحدث عن خلق آدم عليه السلام، وقصته مع إبليس، وقصة ابني آدم، وقصص الأنبياء السابقين كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام، فإن الحديث عن ذلك ليس من هذا الباب.

(١) هو الأستاذ الدكتور فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي. أستاذ الدراسات القرآنية بكلية المعلمين بالرياض. سعودي معاصر.

(٢) دراسات في علوم القرآن الكريم للأستاذ الدكتور فهد الرومي ص ١٣٦، ١٣٧. ط ١٢ س ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م. مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض.

ولا يلزم أن يكون نزول الآيات بعد الحادثة أو السؤال مباشرة، بل يصح أن يتأخر زمناً يسيراً فإن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا \* إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْخُرَ رَبُّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا﴾<sup>(١)</sup> قد نزل بعد خمس عشرة ليلة من الحادثة وكذا الآيات المتعلقة بحادثة الإفك إنما نزلت بعد نحو شهر منها.

والحادثة: التي ينزل القرآن لأجلها قد تكون من الرسول صلى الله عليه وسلم كما حدث في سبب نزول سورة عبس حين جاء ابن أم مكتوم<sup>(٢)</sup> إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يُناجي بعض زعماء قريش ويدعوهم إلى الإسلام، فجاءه ابن أم مكتوم وقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله وجعل يكرر النداء والرسول صلى الله عليه وسلم مشغول عنه ومقبل على هؤلاء النفر فنزلت سورة عبس<sup>(٣)</sup>....

وقد تكون الحادثة من جماعة من الصحابة رضي الله عنهم كأولئك الصحابة الذين كانوا يُصافون المنافقين ويواصلون رجالاً من اليهود لِمَا كان بينهم من القرابة والصدقة والحلف والجوار والرضاع فأنزل الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنَّمْ قَدِ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>

(١) سورة الكهف، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٢) هو عمرو بن أم مكتوم القرشي ويقال اسمه عبدالله وعمرو أكثر وهو ابن قيس بن زائدة بن الأصم. صحابي جليل. كان النبي صلى الله عليه وسلم يستخلفه على المدينة في عامة غزواته وهو المذكور في ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾. انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج ٢ ص ٥١٦، ٥١٧ حرف العين رقم ٥٧٦٦. دار الكتاب العربي بيروت بدون تاريخ.

(٣) انظر أسباب النزول للواحي ص ٢٥٢. وانظر لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، تحقيق حامد أحمد الطاهر ص ٤٤٨، ٤٤٩، ط ١ س ١٤٢٣هـ. دارالفجر للتراث القاهرة - مصر.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.



وقد تكون الحادثة من المشركين أو من اليهود أو من المنافقين والأمثلة على ذلك كثيرة.

كما أن السؤال قد يكون عن ماض كقوله تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ﴾<sup>(١)</sup>، أو عن حاضر كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله سبحانه: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾<sup>(٣)</sup> أو عن عمل مستقبل كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾<sup>(٥)</sup>.<sup>(٦)</sup>

## ٢- فوائد معرفة أسباب النزول:

لمعرفة أسباب النزول فوائد جلييلة ذكرها وبينها السادة العلماء<sup>(٧)</sup> أذكر منها ثلاثاً.

### ١- الاستعانة على فهم الآية ودفع الإشكال عنها:

قال الواحدي<sup>(٨)</sup>: (فإن الأمر بنا إلى إفادة المبتدئين المتسترين بعلوم الكتاب إبانة ما أنزل فيه من الأسباب، إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها وأولى ما تصرف العناية إليها لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها).<sup>(٩)</sup>

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٥.

(٥) سورة النازعات، الآية: ٤٢.

(٦) دراسات في علوم القرآن الكريم للأستاذ الدكتور فهد الرومي ص ١٣٧، ١٣٨.

(٧) منهم السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن ج ١ ص ٨٢، ٨٣. ومنهم الواحدي في كتابه: أسباب النزول ص ٤. وابن تيمية في كتابه: مقدمة في أصول التفسير ص ٩. المكتبة العلمية. لاهور - باكستان.

بدون تاريخ. والزرقاني في مناهل العرفان في علوم القرآن ج ١ من ص ١٩ إلى ص ١١٤.

(٨) سبقت ترجمته ص ١٧٣.

(٩) أسباب النزول للواحدي ص ٤.

وقال ابن تيمية<sup>(١)</sup>: (ومعرفة سبب النزول تعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.)<sup>(٢)</sup>

ومن أمثلة هذه الفائدة سبب نزول الآية الكريمة: ﴿فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾<sup>(٣)</sup> فقد قال فيها السيوطي<sup>(٤)</sup>:

(فإننا لو تركنا ومدلول اللفظ لاقتضى أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة سافراً ولا حضراً وهو خلاف الإجماع، فلما عرف سبب نزولها على أنها في نافذة السفر أو فيمن صلى بالاجتهاد وبان له الخطأ...)<sup>(٥)</sup>

## ٢- معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم<sup>(٦)</sup>:

قال الزرقاني<sup>(٧)</sup>: (لأسباب النزول فوائد متعددة ... الأولى: معرفة حكمة الله تعالى على التعيين فيما شرعه بالتنزيل وفي ذلك نفع للمؤمن وغير المؤمن. أما المؤمن فيزداد إيمانا على إيمانه ويحرص كل الحرص على تنفيذ أحكام الله والعمل بكتابه ... وأما الكافر فتسوقه تلك الحكم الباهرة إلى الإيمان إن كان منصفاً، حين يعلم أن هذا التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح

(١) هو أحمد بن عبدالرحيم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني ثم الدمشقي.. ولد في ١٠ وقيل ١٢ ربيع الأول سنة ٦٦١هـ وتوفي سنة ٧٢٨هـ. من مصنفاته: مجموعة فتاويه.

انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ج ٦ من ص ٨٠ إلى ص ٨٦. دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان بدون تاريخ

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٩. مطبعة: المكتبة العلمية. لاهور بدون تاريخ.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

(٤) سبقت ترجمته ص ٣٢.

(٥) الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ج ١ ص ٨٤. ط س ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م. المكتبة العصرية للطباعة والنشر صيدا - بيروت.

(٦) انظر الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي ج ١ ص ٨٢.

(٧) سبقت ترجمته ص ١٦١.

الإنسان، لا على الاستبداد والتحكم والطغيان، خصوصاً إذا لاحظ سير ذلك التشريع وتدرجه في موضوع واحد...<sup>(١)</sup>

وقال فهد الرومي:

(لمعرفة سبب النزول فوائد كثيرة من أهمها:

- معرفة حكمة التشريع. وأنه قام على رعاية مصلحة الأمة ودفع الضرر عنها وجلب الخير لها والرحمة بها وذلك كحادثة خولة بنت ثعلبة<sup>(٢)</sup> رضي الله عنها حين جاءت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم تشتكي زوجها وهي تقول: يا رسول الله أبلى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك. فنزل قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾<sup>(٣)</sup> وهو أوس بن الصامت<sup>(٤)</sup>. فشرع الله تعالى الكفارة رحمة بها وبأمثالها وصيانة للأسرة في المجتمع الإسلامي من التفكك وحماية للأبناء من التشرذم...<sup>(٥)</sup>

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ج ١ ص ١٠٩.

(٢) هي خولة بنت حكيم بن ثعلبة. صحابية جلييلة من ربات الفصاحة والبلاغة زوجة أوس بن الصامت وهي التي ظاهر منها زوجها .. انظر أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام لعمر رضا كحالة ج ١ ص ٣٨٢ إلى ص ٣٨٤. ط ٥ س ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م. مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ١.

(٤) هو أوس بن الصامت بن قيس .. الأنصاري الخزرجي. أخو عبادة بن الصامت. شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي بالرملة من أرض فلسطين سنة ٣٤ وهو ابن ٧٢ سنة. انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري مج ١ ص ١٧٢. مكتبة ابن تيمية القاهرة - مصر بدون تاريخ.

(٥) دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي ص ١٤٠.

## ٣- تيسير حفظ الآية وتثبيتها في الذهن:

وقد صرح بذلك الزرقاني حين ذكر أن من فوائد أسباب النزول: تيسير الحفظ وتسهيل الفهم وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها.<sup>(١)</sup> وقد اهتم الطاهر بن عاشور بأسباب النزول اهتماماً كبيراً - كما سبق لي أن بينت ذلك في التمهيد - ولكن تفرداته في هذا المجال قليلة حيث لم أقف إلا على تفردين اثنين:

الأول: عند تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿إِنْ دُشِّئَ نَزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾<sup>(٢)</sup> نبه على سبب نزول موضوع، لم ينبه عليه غيره، فقال: (ومن بدع التفاسير وركيكها ما نسبه الثعلبي<sup>(٣)</sup> إلى ابن عباس<sup>(٤)</sup> أنه قال: نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية فتدل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوانٌ بعد عزّة وهذا من تحريف كلم القرآن عن مواضعه وحاشا ابن عباس رضي الله عنه أن يقوله وهو الذي دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يُعلّمه التأويل<sup>(٥)</sup>. وهذا من موضوعات دعاة المسوّدّة مثل أبي مسلم الخراساني<sup>(٦)</sup>

(١) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ج ١ ص ١١٣.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٤.

(٣) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي. أبو إسحاق. مفسر من أهل نيسابور له اشتغال بالتاريخ. توفي سنة ٤٢٧هـ - ١٠٣٥م. من آثاره: عرائس المجالس في قصص الأنبياء، والكشف والبيان في تفسير القرآن يعرف بتفسير الثعلبي. انظر الأعلام للزركلي ج ١ ص ٢١٢.

(٤) سبقت ترجمته ص ١٠٩.

(٥) يشير إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل". أخرجه أحمد في مسنده ج ١ ص ٢٦٦، ٣١٤، ٣٢٨، ٣٣٥. ط ٢ س ١٣٩٨هـ. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بيروت. وأخرجه مسلم في صحيحه عدا قوله: وعلمه التأويل" كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ص ١٠٩٠ حديث رقم ٦٦٨٣.

(٦) هو عبد الرحمن بن مسلم. أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية. ليس بأهل أن يحمل عنه شيء. هو شر من الحجاج وأسفك للدماء كان ذا شأن عجيب ونبأ غريب ولد سنة ١٠٠هـ - ٧١٨م. وقتله أبو جعفر المنصور سنة ١٣٧هـ - ٧٥٥م. انظر لسان الميزان للحافظ ابن حجر ج ٣ ص ٤٣٦، ٤٣٧. ط ٢ دار الكتاب الإسلامي لإحياء ونشر التراث الإسلامي بدون تاريخ، وانظر الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٣٣٧.

وكم لهم في الموضوعات من اختلاق، والقرآن أجلّ من أن يتعرض لهذه السفساف.<sup>(١)</sup>

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة؛ فوقفت على أن الزمخشري قد أورد في تفسيره للآية السابقة أن سبب نزولها هو الرواية السابقة المروية عن ابن عباس والتي حكم عليها ابن عاشور بالوضع. فقال في الكشاف:

(وعن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية. قال:

ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة.)<sup>(٢)</sup>

في حين سكت ابن عطية والبيضاوي عن ذكر هذا السبب في نزول هذه

الآية، كما أنهما لم يعقبا أو ينبها على ما ذكره الزمخشري في تفسيره.<sup>(٣)</sup>

وبالتالي فإن ابن عاشور قد تفرد عنهم بما بينه في تحريره، وإن ما

ذكره في منتهى النفاضة لأن الآيات القرآنية يُعتمد في تفسيرها على أسباب

النزول الصحيحة، وليس على غيرها من أسباب النزول الموضوعة والمنكرة.

والحق أن ما ذكره الزمخشري في تفسيره موضوع، وقد رجعت إلى الكشف

والبيان فوقفت على أن الثعلبي يروي الحديث المذكور<sup>(٤)</sup> عن الكلبي<sup>(٥)</sup> عن أبي

(١) التحرير والتنوير ج ١٩ ص ١١٣.

(٢) الكشاف للزمخشري مج ٣ ص ٢٩١.

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٤ ص ٢٢٤.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٤ ص ١٣٣.

(٤) انظر الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي لأبي إسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي. دراسة وتحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور. ج ٧ ص ١٥٧. ط ١ س ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م. دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

(٥) هو محمد بن السائب الكلبي أبو النضر الكوفي المفسر النسابة الأخباري. ليس بثقة. كذاب. انظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي تحقيق علي محمد البجاوي وفتحية علي البجاوي مج ٥ ص ٢ دارالفكر العربي بدون تاريخ.

صالح<sup>(١)</sup> عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وهذه الرواية باطلة، لأن الكلبي جرحه علماء الجرح والتعديل فهو ليس بثقة، بل كذاب يروي عن أبي صالح عن ابن عباس التفسير، وأبو صالح لم ير ابن عباس.

بل ثبت أن أبا صالح قال للكلبي<sup>(٣)</sup>: انظر كل شيء رويت عني عن ابن عباس فلا تروه.<sup>(٤)</sup>

هذا من جهة السند، أما من جهة السياق القرآني فإن المقصودين في الآية بخضوع الأعناق هم: قريش لا غيرهم.<sup>(٥)</sup>

الثاني: وعند تفسير ابن عاشور لسورة الفلق عقب على ما ذكره المفسرون في سبب نزولها فقال:

(وقال الواحدي<sup>(٦)</sup>: قال المفسرون: إنها نزلت بسبب أن لبيد بن الأعصم<sup>(٧)</sup> سحر النبي صلى الله عليه و سلم<sup>(٨)</sup>، وليس في الصحاح أنها نزلت بهذا السبب...)<sup>(٩)</sup>

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة، فوقفتم على أن الزمخشري قد سكت

- 
- (١) هو أبو صالح باذام ويقال باذان. حدث عن أبي هريرة وابن عباس وحدث عنه السدي ومحمد بن السائب الكلبي وسفيان الثوري. قال فيه يحيى بن معين: ليس به بأس وإن حدث عنه الكلبي فليس بشيء. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٥ ص ٣٧.
  - (٢) سبقت ترجمته ص ١٠٩.
  - (٣) سبقت ترجمته ص ٢٠٠.
  - (٤) انظر ميزان الاعتدال للذهبي تحقيق علي محمد البجاوي وفتحية علي البجاوي مج ٥ من ص ٢ إلى ص ٥.
  - (٥) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي مج ٧ ج ١٣ ص ٦٢.
  - (٦) سبقت ترجمته ص ١٧٣.
  - (٧) سبقت ترجمته ص ٤٦.
  - (٨) انظر أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ص ٢٦٣.
  - (٩) التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٥٤٦.

عن بيان نزول هذه السورة<sup>(١)</sup>. في حين ذكر ابن عطية والبيضاوي سبب نزولها.

فقال ابن عطية: ﴿الْغَفَّتْ فِي الْعُقَدِ﴾<sup>(٢)</sup> السواحر، ويقال إن الإشارة أولاً

إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي كُنَّ ساحرات وهن اللواتي سحرن مع أبيهم النبي صلى الله عليه وسلم وعقدن له إحدى عشرة عقدة، فأنزل الله تعالى إحدى عشرة آية بعد العقد، هي المعوذتان، فشفي الله النبي صلى الله عليه وسلم.<sup>(٣)</sup>

وقال البيضاوي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ الْغَفَّتْ فِي الْعُقَدِ﴾<sup>(٤)</sup>

(ومن شر النفوس أو النساء السواحر اللاتي يعقدن عقداً في خيوط وينفثن عليها، والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه: لما روي أن يهودياً سحر النبي صلى الله عليه وسلم في إحدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر، فمرض النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت المعوذتان، وأخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بموضع السحر فأرسل علياً رضي الله تعالى عنه فجاء به فقرأهما عليه، فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة).<sup>(٥)</sup>

والملاحظ أن ما ذكره ابن عطية والبيضاوي في سبب نزول المعوذتين هو

ما ذكره أكثر المفسرين.<sup>(٦)</sup>

والحق أن الرواية التي اعتمد عليها هؤلاء المفسرون فيها بعض

(١) انظر الكشاف مج ٤ ص ٨١٦.

(٢) سورة الفلق، الآية: ٤.

(٣) المحرر الوجيز مج ٥ ص ٥٣٨، ٥٣٩.

(٤) سورة الفلق، الآية: ٤.

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي مج ٢ ج ٥ ص ٣٤٨.

(٦) انظر على سبيل المثال التفاسير التالية:

- معالم التنزيل للبغوي. ضبطه وصححه: عبدالسلام محمد علي شاهين ج ٦ ص ٥٣٥، ٥٣٦. ط ١ س

١٤١٥-١٩٩٥م. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

- لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ج ٦ ص ٥٣٦. ط ١ س ١٤١٥. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

- تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي تحقيق الدكتور عبدالرزاق المهدي ج ٨ ص ٧٥٩، ٧٦٠ ط ١

س ١٤٢٣هـ. دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان.

الزيادات<sup>(١)</sup>، ولم تثبت في الصحاح كما ذكر ابن عاشور. فهي رواية منقولة عن الثعلبي<sup>(٢)</sup> بلا إسناد<sup>(٣)</sup> وفي بعضها نكارة شديدة.<sup>(٤)</sup> وبالتالي فإن ابن عاشور قد أصاب فيما ذكره، وقد تفرد عن الزمخشري وابن عطية والبيضاوي بمخالفته لهم في رده لهذه الرواية التي سكت عنها صاحب الكشاف واعتمد عليها ابن عطية والبيضاوي في إثبات سبب نزول سورة الفلق.

وإذا كنت موافقاً لابن عاشور فيما ذهب إليه من أن سورة الفلق لم تنزل بسبب سحر النبي صلى الله عليه وسلم من طرف لبيد بن الأعصم؛ فإنني أخالفه فيما يرمز إليه من إنكار تأثير السحر إن كان مجرد عقد وخيوط.<sup>(٥)</sup> وقد رددت عليه في هذه المسألة عند كلامي عن اهتمامه بالمسائل العقديّة في تمهيدي لهذه الرسالة، فلا داعي لإعادة الكلام الآن تجنباً للتكرار.



(١) الحديث الصحيح الذي يدل على سحر النبي صلى الله عليه وسلم من طرف لبيد بن الأعصم هو ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: (سُحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليُخِيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم، وهو عندي، دَعَا اللَّهَ، ودعاه ثم قال: أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: من طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زُرَيْق، قال: في ماذا؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر. قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان. قال فذهب النبي صلى الله عليه وسلم وناس من أصحابه إلى البئر، فنظر إليها وعليها نخل، ثم رجع إلى عائشة فقال: والله لكأن ماءها نقاعة الحنأ، وكأن نخلها رؤوس الشياطين. قلت: يا رسول الله أ فأخرجته؟ قال: لا، أما أنا فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت أن أثور على الناس منه شراً. فأمر بها فدفنت. أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الطب باب السحر ص ٨١٤ حديث رقم ٥٧٦٦. ط ١ س ١٤٢٥هـ. مكتبة الرشد ناشرون. الرياض - المملكة العربية السعودية. وأنت ترى أن هذا الحديث خالٍ من تلك الزيادات التي اعتمد عليها المفسرون في إثبات سبب نزول سورتي الفلق والناس.

(٢) سبقت ترجمته ص ١٩٩.

(٣) انظر الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي ج ١٠ ص ٣٣٨.

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير مج ٤ ص ٧٤٨. ط ١ س ١٤١٩هـ-١٩٩٨م. مؤسسة الريان. جمعية إحياء التراث الإسلامي الضاحية - الكويت.

(٥) انظر التحرير والتنوير ج ١ ص ٦١٦.



## المبحث الثالث

## تفرد ابن عاشور في النسخ

## تمهيد:

يجدر بي ابتداءً - قبل أن أبين ما تفرد به ابن عاشور في ميدان النسخ - أن أعرف بالنسخ في اللغة والاصطلاح وأبين ما لا بد منه فيه.

## تعريف النسخ لغة:

النسخ لغة: الإزالة والتغيير. يقال نسخت الشمس الظل وانتسخته: أزالته. ونسخت الريح آثار الدار: غيرتها.<sup>(١)</sup>

ونسخه كمنعه أي أزاله وغيره، وأبطله وأقام شيئاً مقامه، ونسخ الكتاب: كتبه عن معارضة كانتسخه، واستسخه، والمنقول منه: النسخة.<sup>(٢)</sup>

## تعريف النسخ اصطلاحاً:

عرفه عبدالعظيم الزرقاني<sup>(٣)</sup> بقوله: (رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي)<sup>(٤)</sup>

ثم شرح التعريف، فقال:

(ومعنى رفع الحكم الشرعي: قطع تعلقه بأفعال المكلفين لا رفعه هو فإنه أمر واقع والواقع لا يرتفع .. والحكم الشرعي هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين إما على سبيل الطلب أو الكف أو التخيير وإما على سبيل

(١) انظر تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري. تح: أحمد عبدالغفور عطار ج ١ ص ٤٣٣. الفعل: نسخ. ط٤

س ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. دارالعلم للملأين بيروت - لبنان.

(٢) انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي ص ٢٥٢.

(٣) سبقت ترجمه ص ١٦١.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن لعبد العظيم الزرقاني ج ٢ ص ١٧٦.

كون الشيء سببا أو شرطا أو مانعا أو صحيحا أو فاسدا .. والدليل الشرعي هو: وحي الله مطلقا متلوا أو غير متلو فيشمل الكتاب والسنة ...

**وقولنا: الحكم الشرعي:** قيد أول خرج به ابتداء إيجاب العبادات في الشرع فإنه يرفع حكم العقل ببراءة الذمة وذلك كإيجاب الصلاة فإنه رافع لبراءة ذمة الإنسان منها قبل ورود الشرع بها ومع ذلك لا يقال له نسخ وإن رفع هذه البراءة لأن هذه البراءة حكم عقلي لا شرعي بمعنى أنه حكم يدل عليه العقل حتى من قبل مجيء الشرع ولا يقدر في كونه حكما عقليا أن الشرع جاء يؤيده بمثل قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾<sup>(١)</sup>

**وقولنا: بدليل شرعي:** قيد ثان؛ خرج به رفع حكم شرعي بدليل عقلي، وذلك كسقوط التكليف عن الإنسان بموته أو جنونه أو غفلته، فإن سقوط التكليف عنه بأحد هذه الأسباب يدل عليه العقل، إذ الميت والمجنون والعاقل لا يعقلون خطاب الله حتى يستمر تكليفهم، والعقل يقضي بعدم تكليف المرء إلا بما يتعقله، وأن الله تعالى إذا أخذ ما وهب أسقط ما وجب. ولا يقدر في كون هذا الدليل عقليا مجيء الشرع معززا له بمثل قوله صلى الله عليه وسلم: "رفع القلم عن ثلاثة، النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يفيق."<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الطلاق.. باب الطلاق في الإغلاق والكره والسكران والمجنون وغيرهما والغلط والنسيان في الطلاق والشرك وغيره. ج ٥ ص ٢٠١٨. ط ٣ س ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م. دار ابن كثير للطباعة دمشق وبيروت واليامة دمشق وبيروت.

وأخرجه أبو داود في سننه كتاب الحدود. باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً. حديث رقم ٤٤٠٣. وفيه كلمة (يَعْقِل) بدلاً من (يفيق) ج ٤ ص ١٤١. قال الشيخ الألباني: صحيح. انظر صحيح سنن أبي داود باختصار السند للألباني ج ٣ ص ٨٣٢، ٨٣٣ كتاب الحدود. باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً. حديث رقم ٣٧٠٣ ط ١ س ١٤٠٩هـ. مكتب التربية لدول الخليج. الرياض المملكة العربية السعودية.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني مج ٢ ص ١٧٦، ١٧٧.

ما لا بد منه في النسخ<sup>(١)</sup>

لتحقق النسخ لا بد من أمور أربعة:

- ١- أن يكون المنسوخ حكماً شرعياً.
- ٢- أن يكون دليل رفع الحكم دليلاً شرعياً.
- ٣- أن يكون هذا الدليل الراجع متراخياً عن دليل الحكم الأول.
- ٤- أن يكون بين ذينك الدليلين تعارض حقيقي.

وقد اهتم ابن عاشور بالنسخ اهتماماً كبيراً حيث تعرض في تفسيره لبيان مجموعة من الآيات الناسخة والمنسوخة، وهو في كل هذا لم يخرج عما ذكره المفسرون والعلماء السابقون. وقد قابلت ما تناوله في النسخ بتفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي؛ فوقفت على أسبقيتهم له في ذلك. إلا أن الشيء الوحيد الذي تفرد به ابن عاشور عنهم هو ما ذهب إليه من أنه لا فائدة في نسخ التلاوة وبقاء الحكم.

وقد صرح بهذا الأمر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِخْهَا نَأْتِ بَخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾<sup>(٢)</sup> فقال - بعد ما ذكر القسم الأول<sup>(٣)</sup> والثاني<sup>(٤)</sup> من أقسام النسخ : - (ونسخ التلاوة وبقاء الحكم ومثلوه بما روي عن عمر<sup>(٥)</sup>):

(١) انظر المرجع السابق، مج ٢ ص ١٨٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.

(٣) هو: نسخ التلاوة والحكم معاً.

(٤) هو: نسخ الحكم وبقاء التلاوة.

(٥) هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي. أمير المؤمنين. ولد في سنة ٤٠ ق. هـ. وأسلم قبل الهجرة بخمس

سنين. تولى الخلافة بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه واستشهد في ذي الحجة سنة ٢٣ هـ.

انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج ٧ ص ٧٤. رقم ٥٧٣١.

"كان فيما يتلى الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما" <sup>(١)</sup> وعندي أنه لا فائدة في نسخ التلاوة وبقاء الحكم... <sup>(٢)</sup>

وقد رجعت إلى الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في تفاسيرهم للآية السابقة؛ فوقفت على تعريفهم للنسخ وبيانهم لأقسامه، مع إشارتهم إلى فوائده إجمالاً. في حين لم يتعرض أحد منهم إلى القول بعدم الفائدة في نسخ التلاوة وبقاء الحكم <sup>(٣)</sup> كما زعم ذلك ابن عاشور. مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم بما ذهب إليه في ذلك.

ولكن ما ذكره ابن عاشور في هذه المسألة ليس دقيقاً، حيث إذا كان لم تظهر له فائدة في نسخ التلاوة وبقاء الحكم فلا يعني هذا أنه ليست هناك حكم وفوائد من وراء هذا القسم من النسخ. بل هناك حكم وفوائد رائعة ذكرها أهل العلم. <sup>(٤)</sup>

قال الشيخ عبد العظيم الزرقاني:

(وَأما نسخ التلاوة مع بقاء الحكم فحكمته تظهر في كل آية تتاسبها.

وإنه لتبدو لنا حكمة رائعة في مثال مشهور من هذا النوع.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الحدود باب الرجم حديث رقم ٢٥٥٣ بلفظ: الشيخ والشيخة" إذا زنيا فارجموهما البتة" ج ٢ ص ٨٥٣، ٨٥٤. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بدون تاريخ. قال الشيخ الألباني: صحيح. انظر صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند للشيخ الألباني. كتاب الحدود باب الرجم. مج ٢ ص ٨١ رقم ٢٠٦٧. ط ٣ س ١٤٠٨هـ. الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج. الرياض المملكة العربية السعودية.

(٢) التحرير والتنوير ج ٢ ص ٦٤٥.

(٣) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ١٧٥.

وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ١ من ص ١٩٠ إلى ص ١٩٣.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ١ ص ٩٩.

(٤) انظر الإتيان في علوم القرآن للسيوطي تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم مج ٣ ص ٧٢.

ذلك أنه صح في الرواية عن عمر بن الخطاب<sup>(١)</sup> وأبي بن كعب<sup>(٢)</sup> أنهما قالوا: كان فيما أنزل من القرآن الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبة أي كان هذا النص آية تتلى ثم نسخت تلاوتها وبقي حكمها معمولاً به إلى اليوم والسر في ذلك أنها كانت تتلى أولاً لتقرير حكمها ردعاً لمن تحدثه نفسه أنه يتلخ بهذا العار الفاحش من شيوخ وشيخات حتى إذا ما تقرر هذا الحكم في النفوس نسخ الله تلاوته لحكمة أخرى هي الإشارة إلى شناعة هذه الفاحشة وبشاعة صدورها من شيخ وشيخة حيث سلكها مسلك ما لا يليق أن يذكر فضلاً عن أن يفعل وسار بها في طريق يشبه طريق المستحيل الذي لا يقع كأنه قال نزهوا الأسماع عن سماعها والألسنة عن ذكرها فضلاً عن الفرار منها ومن التلوث برجسها...<sup>(٣)</sup>

والنتيجة أن ما تفرد به ابن عاشور في هذه المسألة مرجوح لوجود فوائد وحكم في نسخ التلاوة وبقاء الحكم.



(١) سبقت ترجمته ص ٢٠٦.

(٢) هو أبي بن كعب بن قيس الأنصاري أبو المنذر، سيد القراء، كان من أصحاب العقبة الثانية وشهد بدرًا والمشاهد كلها. اختلف في وفاته فقالوا مات في خلافة عمر سنة ١٩ أو ٢٠ هـ، وقيل مات في خلافة عثمان سنة ٣٠ هـ، وهو الراجح. انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج ١ ص ٣١، ٣٢. حرف الألف رقم ٣٢.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ج ١ ص ١٩٦، ١٩٧.

# الفصل الثالث

## تفردات الطاهر بن عاشور التفسيرية

ويشتمل على تمهيد وخمسة مباحث:

### المبحث الأول

تفردات ابن عاشور في التفسير الفقهي

### المبحث الثاني

تفردات ابن عاشور في التفسير العلمي

### المبحث الثالث

تفردات ابن عاشور في مراد بعض الآيات القرآنية

### المبحث الرابع

تفردات ابن عاشور باستنباط قواعد تفسيرية من القرآن الكريم عن طريق الاستقراء

### المبحث الخامس

تفردات ابن عاشور في تفسير القرآن بحوادث تاريخية

## تَهْيِئَةٌ:

القرآن الكريم كتاب ثابت لا يتغير، وهداية متجددة للناس أجمعين منذ نزوله إلى قيام الساعة، فهو (حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه).<sup>(١)</sup>

فثبوت نصه مع ورود احتمالات كثيرة لتفسيره دليل على مرونته وصلاحيته لكل زمان ومكان، وإن مجال التفسير يتسع ويضيق حسب أفهام العلماء، وتطور البشرية، وبالتالي فإنه لا غرابة في أن يأتي المتأخر بما لم يأت به المتقدم.

وبالفعل فقد أتى الطاهر بن عاشور في تفسيره بأشياء جديدة لم يأت بها غيره ممن سبقه في ميدان التفسير كالزَمْخَشَرِي وابن عطية والبيضاوي؛ فإنه إلى جانب تفرداته في اللغة والنحو والبلاغة، وتفرداته في بعض مسائل علوم القرآن - والتي سبق لي أن بينتها جميعاً في الفصلين الأول والثاني من هذا البحث - فإن له تفردات أخرى في التفسير الفقهي، والتفسير العلمي، كما أن له تفردات في بيان مراد بعض الكلمات والآيات القرآنية، وفي بعض استقراءاته القيمة، وبيانه لبعض الحوادث التاريخية.

وكل هذا ما سأبينه بالترتيب وفق هذه المباحث الخمسة من هذا الفصل - إن شاء الله -.

(١) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح. كتاب فضائل القرآن. باب ما جاء في فضل القرآن. ج ٥ ص ١٧٢، ١٧٣. دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان. وقال الترمذي: (هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال).

وقال الألباني: (هذا حديث جميل المعنى ولكن إسناده ضعيف فيه الحارث الأعور وهو لين، بل اتهمه بعض الأئمة بالكذب، ولعل أصله موقوف على علي - رضي الله عنه - فأخطأ الحارث ورفعته إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد ضعفه مخرجه الترمذي فقال: "لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال." انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٧١ حققها وراجعها جماعة من العلماء. وخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني ط ٩ س ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م. المكتب الإسلامي بيروت- لبنان.

## المبحث الأول

## تفردات ابن عاشور في التفسير الفقهي

تمهيد:

يجدر بي ابتداءً أن أعرف بالتفسير الفقهي قبل أن أبين تفردات ابن عاشور فيه.

## تعريف التفسير الفقهي:

١- تعريف التفسير لغة:

التفسير لغة هو الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

يقال فسر الشيء فسراً: وضحه وبينه، وفسر آيات القرآن الكريم: شرحها ووضح ما تطوي عليه من معاني وأسرار وأحكام. والتفسرة هي الشرح والبيان.<sup>(٢)</sup>

٢- تعريف التفسير اصطلاحاً:

عرفه أبو حيان الأندلسي<sup>(٣)</sup> بقوله: ((التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك)).<sup>(٤)</sup>

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٣.

(٢) انظر الصحاح. تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق أحمد عبدالغفور عطار. ج ٢ ص ٧٨١. باب الرءاء. فصل الفاء. الفصل فسر. وانظر المعجم الوسيط للدكتور إبراهيم أنيس والدكتور عبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف الله أحمد ج ٢ ص ٦٨٨. مجمع اللغة العربية القاهرة - مصر. طبع على نفقة دار إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر بدون تاريخ.

(٣) سبقت ترجمته، ص: ٥.

(٤) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تحقيق الدكتور عبدالرزاق المهدي ج ١ ص ٢٣. ط ١ س ١٤٢٣=٢٠٠٢م. دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.



ثم شرح تعريفه فقال:

(فقولنا: علم. هو جنس يشمل سائر العلوم.

وقولنا: يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن. هذا هو علم

القراءات.

وقولنا: ومدلولاتها، أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي

يحتاج إليه في هذا العلم.

وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية هذا يشمل علم التصريف، وعلم

الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع.

ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب شمل بقوله التي تحمل عليها

ما لا دلالة عليه بالحقيقة، وما دلالاته عليه بالمجاز، أن التركيب قد يقتضي

بظاهره شيئاً، ويصد عن الحمل على الظاهر صاد، فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل

على غير الظاهر، وهو المجاز.

وقولنا: وتتمت لذلك، هو معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح

بعض ما انبهم في القرآن، ونحو ذلك.<sup>(١)</sup>

والجدير بالذكر أن هناك تعريفات أخرى للتفسير بمعناه الاصطلاحي

ذكرها العلماء<sup>(٢)</sup>، وقد أوردت - في بحثي هذا - تعريف أبي حيان الأندلسي،

لوضوحه أكثر من غيره.

(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تح: الدكتور عبد الرزاق المهدي ج ١ ص ٢٣، ٢٤.

(٢) انظر الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ج ٤ من ص ١٦٧ إلى ص ١٦٩.

وانظر مناهل العرفان في علوم القرآن لعبد العظيم الزرقاني ج ٢ ص ٣، ٤.

وانظر التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي ج ١ من ص ١٢ إلى ص ١٤.

## ٣- تعريف الفقه لغة: (١)

الفقه في الأصل الفهم، يقال: أوتي فلان فقها في الدين أي فهماً فيه. قال الله عز وجل: ﴿لِيَعَفِّقَهُمْ فِي الدِّينِ﴾ (٢) أي ليكونوا علماء به. وفقه فقهاً بمعنى علم علماً، وفقه الشيء: علمه، وفقهه وأفقهه: علمه.

## ٤- تعريف الفقه اصطلاحاً:

عرفه العلماء بتعريفات متعددة أشهرها:

(العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية). (٣)

وقد شرح الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي (٤) هذا التعريف فقال:

(والمقصود بالعلم هنا: هو الإدراك مطلقاً الذي يتناول اليقين والظن؛ لأن الأحكام العملية قد تثبت بدليل قطعي يقيني، كما تثبت غالباً بدليل ظني. والأحكام: جمع حكم، وهو مطلوب الشارع الحكيم، أو هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاءً أو تخييراً أو وضعاً. والمراد بالخطاب عند الفقهاء: هو الأثر المترتب عليه، كإيجاب الصلاة، وتحريم القتل، وإباحة الأكل، واشتراط الوضوء للصلاة.

(١) انظر الصحاح للجوهري تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ج ٦ ص ٢٢٤٣ باب الهاء. فصل الفاء. الفعل فقه.

وانظر لسان العرب لابن منظور مج ١٣ ص ٥٢٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٣) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج في الفقه على مذهب الإمام الشافعي لشمس الدين بن أبي العباس الشهير

بالشافعي الصغير ج ١ ص ٢٧. الناشر المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ بدون تاريخ.

وانظر إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول للشوكاني تحقيق محمد سعد البدري ص ١٧ ط ٤ س

١٤١٤هـ. مؤسسة الكتب الثقافية بيروت - لبنان.

(٤) هو الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي عالم بالتفسير والفقه. سوري معاصر ولد في بلدة دير عطية من

نواحي دمشق عام ١٩٣٢م. ومن مؤلفاته المشهورة: الفقه الإسلامي وأدلتها. انظر ترجمته على شبكة

الانترنت [www.zuhayli.net](http://www.zuhayli.net)

واحترز بعبارة "العلم بالأحكام" عن العلم بالذوات والصفات والأفعال. و"الشرعية": المأخوذة من الشرع، فيحترز بها عن الأحكام الحسية مثل: الشمس مشرقة، والأحكام العقلية مثل: الواحد نصف الاثنين، والكل أعظم من الجزء، والأحكام اللغوية أو الوضعية، مثل: الفاعل مرفوع، أو نسبة أمر إلى آخر إيجاباً أو سلباً مثل زيد قائم، أو غير قائم.

و"العملية": المتعلقة بالعمل القلبي كالنية، أو غير القلبي مما يمارسه الإنسان مثل القراءة والصلاة ونحوها من عمل الجوارح الباطنة والظاهرة. والمراد أن أكثرها عملي، إذ منها ما هو نظري، مثل اختلاف الدين مانع من الإرث. واحترز بها عن الأحكام العلمية والاعتقادية، كأصول الفقه، وأصول الدين كالعلم بكون الإله واحداً سميعاً بصيراً. وتسمى العملية أحياناً: "الفرعية" والاعتقادية: "الأصلية".

و"المكتسب" صفة للعلم: ومعناه المستتبط بالنظر والاجتهاد، وهو احتراز عن علم الله تعالى، وعلم ملائكته بالأحكام الشرعية، وعلم الرسول - صلى الله عليه وسلم - الحاصل بالوحي، لا بالاجتهاد، وعلمنا بالبدهييات أو الضروريات التي لا تحتاج إلى دليل ونظر، كوجوب الصلوات الخمس، فلا تسمى هذه المعلومات فقهاً، لأنها غير مكتسبة.

والمراد بالأدلة التفصيلية: ما جاء في القرآن، والسنة، والإجماع، والقياس. واحترز بها عن علم المقلد لأئمة الاجتهاد، فإن المقلد لم يستدل على كل مسألة يعملها بدليل تفصيلي، بل بدليل واحد يعم جميع أعماله، وهو مطالبته بسؤال أهل الذكر والعلم، فيجب عليه العمل بناء على استفتاء منه...<sup>(١)</sup>

(١) الفقه الإسلامي وأدلته تأليف الدكتور وهبة الزحيلي ج ١ ص ١٦، ١٧. ط ٢ س ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م. دارالفكر سوريا - دمشق.

## ٥. تعريف التفسير الفقهي:

عرفه الشيخ خليل محيي الدين الميس<sup>(١)</sup> أثناء تقديمه لكتاب الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي<sup>(٢)</sup> بقوله:

(يقصد بالتفسير الفقهي استنباط الأحكام الشرعية من الآيات القرآنية).<sup>(٣)</sup>

وعرفه الدكتور مصباح الله عبد الباقي<sup>(٤)</sup> بقوله:

(علم يبحث فيه عن أحوال الآيات القرآنية - المتعلقة بالأحكام الفرعية العملية

لأفعال المكلفين - من حيث دلالتها على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية).<sup>(٥)</sup>

ثم شرح تعريفه فقال:

(كلمة (علم) بمثابة الجنس في هذا التعريف سواء كان المراد به العلم

التصوري أو التصديقي.

وخرج بقولي: (يبحث فيه عن أحوال الآيات القرآنية المتعلقة بالأحكام

الفرعية العملية لأفعال المكلفين) العلوم الباحثة عن أحوال غير الآيات القرآنية،

وكذا خرج به الألوان الأخرى من التفسير التي لا تبحث عن آيات الأحكام.

وخرج بقولي: (من حيث دلالتها على مراد الله تعالى) العلوم التي تبحث عن

أحوال الآيات القرآنية من جهة غير جهة دلالتها كعلم القراءات فإنه يبحث عن

أحوال الآيات القرآنية من حيث ضبط ألفاظها وكيفية أدائها، ومثل الرسم العثماني

فإنه يبحث عن أحوال الآيات القرآنية من حيث كيفية كتابة ألفاظها.

(١) مدير أزهر لبنان ومفتي الديار اللبنانية. وعضو مجمع الفقه الإسلامي الدولي. لبناني معاصر.

(٢) سبقت ترجمته، ص: ٣١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي مج ١ ص ٧ ط س ١٤١٤هـ=١٩٩٣م مط: دارالفكر بيروت - لبنان.

(٤) أستاذ التفسير المساعد بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد - باكستان.

(٥) أسباب الاختلاف وأثرها في تفسير آيات الأحكام للدكتور مصباح الله عبد الباقي ج ١ ص ١٦. (أطروحة

دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن) لم تطبع بعد.

وخرج بهذا القيد أيضاً العلم الذي يبحث عن أحوال الآيات القرآنية من حيث إنها مخلوقة أو غير مخلوقة، فإنه علم الكلام. وكذلك خرج به العلم الباحث عن أحوال الآيات القرآنية من حيث حرمة قراءتها على الجنب ونحوها، فإنه علم الفقه. وقولي (بقدر الطاقة البشرية) لبيان الواقع، ويدل على أن عدم العلم بمراد الله في الواقع ونفس الأمر لا يقدر في العلم بالتفسير.<sup>(١)</sup>

### تفردات ابن عاشور في التفسير الفقهي:

يعد ابن عاشور من كبار علماء المذهب المالكي في وقته - كما بينت ذلك في تمهيدي لهذه الأطروحة - وقد اهتم في تفسيره بالمسائل الفقهية كثيراً، وله في ذلك بعض الاجتهادات العلمية تفرد بها عن سبقه من المفسرين والفقهاء. وهذه التفردات هي:

الأول: قوله بجواز التداوي بالمحرمات قياساً على أكل المضطر.

أفتى ابن عاشور بجواز التداوي بالمحرمات للضرورة قياساً على أكل المضطر الميتة عند تفسيره لقوله تعالى ﴿فَمَنْ أَضْطَرُّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾<sup>(٢)</sup> فقال:

(ومما اختلفوا في قياسه على ضرورة الجوع ضرورة التداوي، فقليل لا يتداوى بهاته المحرمات ولا بشيء مما حرم الله كالخمر وهذا قول مالك<sup>(٣)</sup> والجمهور...

(١) المرجع السابق ج ١ ص ١٦، ١٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٣.

(٣) سبقت ترجمته، ص: ٣٢.

وعندي أنه إذا وقع قوة ظن الأطباء الثقات بنفع الدواء المحرم من عظيم وتعيينه أو غلب ذلك في التجربة فالجواز قياساً على أكل المضطر وإلا فلا.<sup>(١)</sup>

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في تفاسيرهم لهذه الآية، والآيات الثلاثة الأخرى التي تتكلم عن أكل الحرام اضطراراً<sup>(٢)</sup>؛ فوجدتهم قد سكتوا عن هذه المسألة تماماً، حيث لم يتطرقوا إلى بيانها أو بيان رأيهم في حكمها.<sup>(٣)</sup> مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم ببيانها وتوضيح رأيه فيها. بل إنه خالف في هذه المسألة جمهور العلماء.<sup>(٤)</sup>

والحق أن ما ذكره ابن عاشور وأفتى به من جواز التداوي بالمحرمات قياساً على أكل المضطر، يتعارض مع أحاديث صحيحة وصریحة في النهي عن

(١) التحرير والتنوير ج ٢ ص ١٢٠.

(٢) الآيات الثلاث الأخرى التي تتكلم عن أكل المحرم اضطراراً هي: - الآية رقم ٣ من سورة المائدة.

- الآية رقم ١٤٥ من سورة الأنعام.

- الآية رقم ١١٥ من سورة النحل.

(٣) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ٢١٣، ص ٥٩٣، مج ٢ ص ٧١، ٧٢، ص ٦١٥.

وانظر: المحرر الوجيز لابن عطية مج ١ ص ٢٤٠، ٢٤١، مج ٢ ص ١٥٥، ص ٣٥٧، مج ٣ ص ٤٢٨، ٤٢٩.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ١ ص ١٢٠، مج ١ ج ٢ ص ١١٥، ص ١٨٧، مج ١ ج ٣ ص ٢٤٣.

(٤) انظر رد المحتار على الدر المختار المعروف بحاشية ابن عابدين لمحمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز

عابدين الدمشقي تح: محمد صبحي حسن حلاق وعامر حسين. كتاب الأشربة ج ١ ص ٢٨. ط ١ س ١٤١٩هـ=١٩٩٨م. دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان.

وانظر حاشية الدسوقي لابن عرفة الدسوقي المالكي على الشرح الكبير لأبي البركات أحمد بن محمد العدوي الشهير بالدردير باب ذكر في حد الشارب. ج ٦ ص ٣٦٩. ط ١ س ١٤١٧هـ=١٩٩٦م. دارالكتب العلمية بيروت - لبنان.

وانظر: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للشافعي الصغير. كتاب الأشربة ج ٨ ص ١٤. ط ٣ س ١٤١٣هـ=١٩٩٢م. دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

وانظر المغني لابن قدامة فصل: ولا يجوز التداوي بمحرم ولا بشيء فيه محرم. ج ١٣ ص ٣٤٣. ط ١ س ١٤١٠هـ=١٩٩٢م. هجر للطباعة والتوزيع والإعلان. القاهرة - مصر.

التداوي بالمحرمات فعن وائل بن حجر<sup>(١)</sup>: (أن طارق بن سويد الجعفي<sup>(٢)</sup> سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر، فنهاه أو كرهه أن يصنعها فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال: "إنه ليس بدواء" ولكنه داء"<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي الدرداء<sup>(٤)</sup> قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء فتداووا، ولا تتداووا بحرام"<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن مسعود<sup>(٦)</sup> في المسكر: (إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حُرِّم عليكم)<sup>(٧)</sup>.

- (١) هو وائل بن حجر بن ربيعة بن وائل. أبو هنيذة الحضرمي. كان قَيْلاً من أقبال حضرموت وكان أبوه من ملوكهم. وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم. توفي في خلافة معاوية، وقيل في حدود الخمسين من الهجرة، انظر الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر مج ٣ ج ٦ ص ٣١٢ رقم ٩١٠١.
- (٢) هو طارق بن سويد الحضرمي أو الجعفي له صحبة. حديثه في الشراب - يعني الخمر. انظر الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر مج ٢ ج ٣ ص ٢٨١ رقم ٤٢١٧.
- (٣) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الأشربة. باب تحريم التداوي بالخمر وبيان أنها ليست بدواء. حديث رقم ٥١٤١ ص ٨٨٦.
- (٤) هو عُويمَر أبو الدرداء مشهور بكنيته وباسمه جميعاً. واختلف في اسمه فقيل هو عامر وعويمر لقب. أسلم يوم بدر وشهد أحداً وأبلى فيها. ولاه معاوية قضاء دمشق في خلافة عمر. مات لسنتين بقيتا من خلافة عثمان. انظر الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر مج ٣ ج ٥ ص ٤٦ رقم ٦١١٢.
- (٥) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطب. باب في الأدوية المكروهة ج ٢ ص ٣٣٥. ط ١ س ١٣٧١=١٩٥٢م. شركة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. قال الشوكاني: حديث أبي الدرداء في إسناد إسماعيل بن عياش. قال المنذري: وفيه مقال انتهى. وقد عرفت غير مرة أنه إذا حدث عن أهل الشام فهو ثقة وإنما يضعف في الحجازيين وهو هنا حدث عن ثعلبة بن مسلم الخثعمي وهو شامي ذكره ابن حبان في الثقات ... انظر نيل الأوطار للشوكاني باب ما جاء في التداوي بالمحرمات ج ٩ ص ٢٣ ط ١٩٧٣م. دارالجيل بيروت - لبنان.
- (٦) سبقت ترجمته ص: ١٣٨.
- (٧) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. كتاب الطب باب النهي عن التداوي بالحرام. وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج ٥ ص ٨٦. ط ٣ س ١٤٠٢-١٩٨٢م. دارالكتاب العربي بيروت - لبنان.

قال الشوكاني<sup>(١)</sup>: (قوله: "ليس بدواء ولكنه داء"؛ فيه التصريح بأن الخمر ليست بدواء فيحرم التداوي بها كما يحرم شربها، وكذلك سائر الأمور النجسة أو المحرمة، وإليه ذهب الجمهور.)<sup>(٢)</sup>

وقال: (وقوله: "ولا تتداووا بحرام" أي لا يجوز التداوي بما حرمه الله من النجاسات وغيرها مما حرمه الله ولو لم يكن نجساً.)<sup>(٣)</sup>

وقد ناقش ابن تيمية<sup>(٤)</sup> مسألة التداوي بالمحرمات قياساً على أكل المضطر الميتة، فحرم التداوي بها، واعتبر أن التداوي ليس بضرورة، وجاء في ذلك بكلام نفيس.

ومما ذكره قوله:

(قلت: أما إباحتها للضرورة فحق؛ وليس التداوي بضرورة لوجوه: أحدها: أن كثيراً من المرضى أو أكثر المرضى يشفون بلا تداو، لاسيما في أهل الوبير والقرى. والساكنين في نواحي الأرض يشفيهم الله بما خلق فيهم من القوى المطبوعة في أبدانهم الرافعة للمرض وفيما ييسره لهم من نوع حركة وعمل، أو دعوة مستجابة، أو رقية نافعة، أو قوة للقلب، وحسن التوكل، إلى غير ذلك من الأسباب الكثيرة غير الدواء، وأما الأكل فهو ضروري ولم يجعل الله أبدان الحيوان تقوم إلا بالغذاء، فلو لم يكن يأكل لمات، فثبت بهذا أن التداوي ليس من الضرورة في شيء.

(١) سبقت ترجمته ص: ١٦٨.

(٢) انظر نيل الأوطار للشوكاني باب ما جاء في التداوي بالمحرمات ج ٩ ص ٩٤.

(٣) المرجع السابق، ج ٩ ص ٩٤.

(٤) سبقت ترجمته، ص: ١٩٧.



وثانيها: أن الأكل عند الضرورة واجب. قال مسروق<sup>(١)</sup>: من اضطر إلى الميتة فلم يأكل فمات دخل النار، والتداوي غير واجب ومن نازع فيه: خصمته السنة في المرأة السوداء<sup>(٢)</sup> التي خيرها النبي صلى الله عليه وسلم بين الصبر على البلاء ودخول الجنة<sup>(٣)</sup>، وبين الدعاء بالعافية. فاخترت البلاء والجنة، ولو كان رفع المرض واجبا لم يكن للتخيير موضع، كدفع الجوع ...

وثالثها: أن الدواء لا يستيقن، بل وفي كثير من الأمراض لا يظن دفعه للمرض؛ إذ لو اطرده ذلك لم يمت أحد، بخلاف دفع الطعام للمسغبة والمجاعة، فإنه مستيقن بحكم سنة الله في عباده وخلقه.

ورابعها: أن المرض يكون له أدوية شتى، فإذا لم يندفع بالمحرم انتقل إلى المحلل، ومحال أن لا يكون له في الحلال شفاء أو دواء، والذي أنزل الداء أنزل لكل داء دواء إلا الموت، ولا يجوز أن يكون أدوية الأدوية في القسم المحرم، وهو سبحانه الرؤوف الرحيم. وإلى هذا الإشارة بالحديث المروي: "إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها"<sup>(٤)</sup>.

وخامسها: وفيه فقه الباب: أن الله تعالى جعل خلقه مفتقرين إلى الطعام والغذاء، لا تتدفع مجاعتهم ومسغبتهم إلا بنوع الطعام وصنفه فقد هدانا وعلمنا النوع الكاشف للمسغبة المزيل للمخمصة. وأما المرض فإنه يزيله بأنواع كثيرة

(١) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي أبو عائشة الكوفي. ثقة فقيه عابد مخضرم من الثانية مات سنة ٦٢هـ ويقال سنة ٦٣هـ. انظر تقريب التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ١٧٥.

(٢) هي أم زفر الحبشية: السوداء الطويلة ثبت ذكرها في صحيح البخاري في حديث ابن جريج. كانت مصابة بالصرع. انظر الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر مج ٤ ج ٨ ص ٢٣٤ رقم ١٢٦٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المرضى. باب فضل من يصرع من الريح حديث رقم ٥٣٢٨ ج ٥ ص ٢١٤٠.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه. كتاب الأشربة باب من حرم المسكر وقال: هو حرام، ونهى عنه ج ٨ ص ٧٧. ط ٢ س ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م. مكتبة الرشد. ناشرون المملكة العربية السعودية.

من الأسباب: ظاهرة وباطنة، روحانية وجسمانية، فلم يتعين الدواء مزيلاً. ثم الدواء بنوعه لم يتعين لنوع من أنواع الأجسام في إزالة الداء المعين. ثم ذلك النوع المعين يخفى على أكثر الناس، بل على عامتهم دركه ومعرفته الخاصة، المزاولون منهم هذا الفن، ألوا الأفهام والعقول، يكون الرجل منهم قد أفنى كثيراً من عمره في معرفته ذلك، ثم يخفى عليه نوع المرض وحقيقته، ويخفى عليه دواؤه وشفائه، ففارقت الأسباب المزيلة للمرض الأسباب المزيلة للمخمصة في هذه الحقائق البينة وغيرها، فكذلك افتقرت أحكامهما كما ذكرنا ...

أما سقوط ما يسقط من القيام<sup>(١)</sup> والصيام، والاعتساف؛ فلأن منفعة ذلك مستيقنة بخلاف التداوي.

وأيضاً فإن ترك المأمور به أيسر من فعل المنهى عنه، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم"<sup>(٢)</sup> فانظر كيف أوجب الاجتناب عن كل منهى عنه، وفرق في المأمور به بين المستطاع وغيره، وهذا يكاد يكون دليلاً مستقلاً في المسألة.

وأيضاً: فإن الواجبات من القيام والجمعة والحج تسقط بأنواع من المشقة التي لا تصلح لاستباحة شيء من المحظورات، وهذا بين بالتأمل.<sup>(٣)</sup>

(١) المراد به: القيام للصلاة.

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم ٦٨٥٨ ج ٦ ص ٢٦٥٨.

وأخرجه مسلم عن أبي هريرة بلفظ "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم." كتاب الفضائل باب: توقيره - صلى الله عليه وسلم - وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يقع به تكليف وما لا يقع، ونحو ذلك حديث رقم ١٣٣٧ ص ١٠٣٥، ١٠٣٦.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية كتاب الطهارة الفصل الأول القول في طهارة الأرواث والأبوال من الدواب والطيور التي لم تحرم ج ١ من ص ٥٦٣ إلى ص ٥٦٦. ط س ١٤١٢هـ-١٩٩١م. دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع. الرياض - المملكة العربية السعودية.

ومن هذا المنطلق يتجلى جيداً أن ما ذهب إليه ابن عاشور في تجويزه  
التداوي بالمحرّمات قياساً على أكل المضطر غير مستقيم، فهو كلام مرجوح  
لا يقوم أمام الأحاديث الصحيحة وأقوال أهل العلم التي أوردتها في الرد عليه.

## الثاني: قوله بأن الفسوق في مدة الإحرام مفسد للحج:

اعتبر الطاهر بن عاشور أن الفسوق في مدة الإحرام مفسد للحج، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾<sup>(١)</sup> فقال:

(والفسوق معروف وقد تقدم القول فيه غير مرة<sup>(٢)</sup>)، وقد قيل أراد به هنا النهي عن الذبح للأصنام وهو تفسير مروى عن مالك<sup>(٣)</sup>، وكأنه قاله لأنه يتعلق بإبطال ما كانوا عليه في الجاهلية غير أن الظاهر شمول الفسوق لسائر الفسق وقد سكت جميع المفسرين عن حكم الإتيان بالفسوق في مدة الإحرام. وقرن الفسوق بالرفث الذي هو مفسد للحج يقتضي أن إتيان الفسوق في مدة الإحرام مفسد للحج كذلك، ولم أر لأحد من الفقهاء أن الفسوق مفسد للحج، ولا أنه غير مفسد سوى ابن حزم<sup>(٤)</sup> فقال في "المحلى": إن مذهب الظاهرية أن المعاصي كلها مفسدة للحج<sup>(٥)</sup>، والذي يظهر أن غير الكبائر لا يفسد الحج وأن تعمد الكبائر مفسد للحج وهو أخرى بإفساده من قربان النساء الذي هو التذاذ مباح والله أعلم<sup>(٦)</sup>).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٢) عرف ابن عاشور الفسوق بالخروج عن أمر الله تعالى الجازم بارتكاب المعاصي الكبائر. وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: "وما يضل به إلا الفاسقين" البقرة: ٢٦.

انظر التحرير والتنوير ج ١ ص ٣٦٠. وعرفه بالخروج عن الدين وعن الخير عند تفسيره لقوله تعالى: "وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق" المائدة: ٣.

انظر التحرير والتنوير ج ٥ ص ٢٧.

(٣) سبقت ترجمته، ص: ٣٢.

(٤) سبقت ترجمته، ص: ٣٣.

(٥) انظر المحلى لابن حزم مج ٤ ج ٧ ص ١٩٥. منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت - لبنان بدون تاريخ.

(٦) التحرير والتنوير ج ٢ ص ٢٣٠.

وقد رجعت إلى الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في تفاسيرهم للآية السابقة فوجدتهم قد سكتوا عن بيان حكم الإتيان بالفسوق مدة الإحرام<sup>(١)</sup>، مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم ببيانه.

ولكن قول ابن عاشور بأن الفقهاء لم يتعرضوا لبيان حكم الإتيان بالفسوق وقت الإحرام غير دقيق، بل يحتاج إلى مناقشة.

فالفقهاء حينما تعرضوا لبيان المحظورات في الحج ذكروا أموراً كثيرة منها: الرفث والفسوق والجدال وقتل الصيد ولبس القميص والسرراويل والعمامة، والقلنسوة وستر الوجه والرأس ومس الطيب وحلق الرأس وقص الشعر والظفر ونحوه<sup>(٢)</sup>. واعتبروا أن هذه المحظورات - باستثناء الرفث - غير مفسدة للحج، ومن اقترف شيئاً منها وهو محرم فعليه الفدية لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ

كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾<sup>(٣)</sup>

وأجمعوا على أن الحج لا يفسده شيء في حال الإحرام إلا الرفث وهو الجماع،

ولا تجوز فيه الفدية فقط بل لا بد لمن رفث أن يكمله ويقضيه في العام المقبل<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ٢٤٠.

وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ١ ص ٢٧٢، ٢٧٣.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ١ ص ١٣٠.

(٢) انظر البحر الرائق شرح كنز الدقائق لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود الحنفي. تأليف ابن نجيم الحنفي. حققه وعلق عليه أحمد عزو عناية الدمشقي. كتاب الحج باب الإحرام ج ٢ ص ٥٠١ ط ١ س ١٤٢٢-٢٠٠٢م. دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

(٤) انظر البحر الرائق لابن نجيم الحنفي ج ٢ من ص ٥٠١ إلى ص ٥٠٤.

- وانظر المدونة الكبرى للإمام مالك ج ١ ص ٣٢١ وما بعدها ط ١ س ١٤٠٦=١٩٨٦م. دارالفكر بيروت - لبنان.

- وانظر نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج في الفقه على مذهب الإمام الشافعي لشمس الدين بن أبي العباس الشهير بالشافعي الصغير. باب محرمات الإحرام مج ٣ ص ٣١٩ وما بعدها الناشر: المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ بدون تاريخ.

- وانظر المغني لابن قدامة المقدسي باب ما يتوقى المحرم وما أبيح له ج ٣ ص ٢٩٦. ط س ١٤٠١=١٩٨١م. مكتبة الرياض الحديثة. الرياض - المملكة العربية السعودية.

وإذا كان الفقهاء قد نصوا على أن الحج لا يفسده إلا الرفث، فمعنى هذا أنهم يرون أن الفسوق غير مفسد للحج. وبالتالي فإن ما ذكره ابن عاشور حين قال: (ولم أر لأحد من الفقهاء أن الفسوق مفسد للحج أو غير مفسد...) (١) غير صحيح.

---

(١) التحرير والتنوير ج ٢ ص ٢٣٠.

### الثالث: قوله بجواز نكاح المتعة<sup>(١)</sup> عند الضرورة:

عند تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾<sup>(٢)</sup> تناول الكلام عن زواج المتعة؛ فبين آراء العلماء في ذلك<sup>(٣)</sup> ثم عرض رأيه مجوزاً فيه نكاح المتعة عند الضرورة. فقال:

(والذي استخلصناه في حكم نكاح المتعة أنه جائز عند الضرورة الداعية إلى تأجيل مدة العصمة مثل الغربية في سفر أو غزو إذا لم تكن مع الرجل زوجه).<sup>(٤)</sup>

وهذا مما تفرد به ابن عاشور عن غيره من العلماء حيث لم يقل به أحد ممن سبقه من أهل السنة.

وقد رجعت إلى الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في تفاسيرهم للآية السابقة فوجدتهم قد نصوا على أن زواج المتعة كان في صدر الإسلام ثم نسخ، وقد جوزه ابن عباس<sup>(٥)</sup> ثم رجع عنه.<sup>(٦)</sup>

والحق أن ما ذكره هؤلاء الأئمة هو قول جمهور علماء أهل السنة، وما أفتى به ابن عاشور بجواز نكاح المتعة عند الضرورة يعد تفرداً مرجوحاً، حيث يخالف القرآن الكريم والسنة الصحيحة والإجماع وأقوال الصحابة والعلماء.

(١) هو النكاح المؤقت بوقت معلوم، وسمي بالمتعة لأن الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة، أو تمتيعها بما تعطى. انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي مج ١ ج ٢ ص ٦٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٤.

(٣) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٤ ص ٨٨، ٨٩.

(٤) التحرير والتنوير ج ٤ ص ٨٩.

(٥) سبقت ترجمته، ص: ١٠٩.

(٦) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ٤٨٨.

وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٢ ص ٣٦.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ٢ ص ٦٩.

ويمكنني أن أرد كلامه بما يلي:

- ١- قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ. ﴾<sup>(١)</sup> فهذه الآية (حرمت الاستمتاع بالنساء إلا من طريقين: الزواج وملك اليمين، وليست المتعة زواجاً صحيحاً ولا ملك يمين، فتكون محرمة، ودليل أنها ليست زواجاً أنها ترتفع من غير طلاق، ولا نفقة فيها ولا يثبت بها التوارث).<sup>(٢)</sup>
- ٢- وقال صلى الله عليه وسلم: ((يأبها الناس إنني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة...))<sup>(٣)</sup>
- ٣- وأجمعت الأمة إلا الرافضة<sup>(٤)</sup> على الامتناع عن زواج المتعة.<sup>(٥)</sup>
- ٤- وقال عمر بن الخطاب<sup>(٦)</sup> رضي الله عنه: (فلن أوتى برجل نكح امرأة إلى إلى أجل إلا رجمته بالحجارة).<sup>(٧)</sup>

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٥ - ٧.

(٢) الفقه الإسلامي وأدلته للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي ج ٩ ص ٦٥٥٨. ط ٤ س ١٤١٨هـ-١٩٩٧م. دارالفكر المعاصر دمشق - سوريا.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب النكاح. باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيض ثم نسخ ثم أبيض ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة ص ٥٨٩ حديث رقم ٣٤٢٢. ط س ١٤٢١هـ. دارالسلام للنشر والتوزيع الرياض.

(٤) هي إحدى أصناف فرق الشيعة الثلاثة: الغالية، والرافضة، والزيدية. وإنما سماها "رافضة" لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر وهم مجمعون على أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري. تح: محمد محي الدين عبدالحميد ج ١ ص ٧٧. ط ١ س ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م. مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.

(٥) انظر نيل الأوطار للشوكاني ج ٦ ص ١٣٦. وانظر الفقه الإسلامي وأدلته لهبة الزحيلي ج ٩ ص ٦٥٥٨.

(٦) سبقت ترجمته، ص: ٢٠٦.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج باب في المتعة بالحج والعمرة حديث رقم ١٢١٧ ج ٢ ص ٨٨٥. دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.



- ٥- وذكر أبو بكر بن العربي<sup>(١)</sup> أن متعة النساء أبيحت في صدر الإسلام ثم حرمت واستقر الأمر على التحريم.<sup>(٢)</sup>
- ٦- وقد رد أبو بكر الجصاص<sup>(٣)</sup> زواج المتعة بثلاثة أوجه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾<sup>(٤)</sup> فقال:

(... وفي فحوى الآية من الدلالة على أن المراد النكاح دون المتعة ثلاثة أوجه: أحدها أنه عطف على إباحة النكاح في قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾، وذلك إباحة لنكاح من عدا المحرمات لا محالة؛ لأنهم لا يختلفون أن النكاح مراد بذلك، فوجب أن يكون ذكر الاستمتاع بيانا لحكم المدخول بها بالنكاح في استحقاقها لجميع الصداق. والثاني قوله تعالى: ﴿مُحْصِنِينَ﴾ والإحصان لا يكون إلا في نكاح صحيح؛ لأن الواطئ بالمتعة لا يكون محصنا ولا يتناوله هذا الاسم، فعلمنا أنه أراد النكاح. والثالث قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾ فسمى الزنا سفاحا لانتفاء أحكام النكاح عنه من ثبوت النسب ووجوب العدة وبقاء الفراش، إلى أن يحدث له قطعاً؛ ولما كانت هذه

(١) سبقت ترجمته، ص: ٣٥.

(٢) انظر أحكام القرآن لابن العربي. تحقيق: علي محمد الجاوي. القسم الأول ص ٣٨٩. دارالفكر بدون تاريخ.

(٣) هو أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي توفي سنة ٣٧٠هـ. وقيل سنة ٣٧٦هـ. من آثاره:

أحكام القرآن. انظر طبقات المفسرين للداوودي ج ١ ص ٥٦ رقم ٥٠.

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٤.

المعاني موجودة في المتعة كانت في معنى الزنا، ويشبه أن يكون من سماها سفاحا ذهب إلى هذا المعنى؛ إذ كان الزاني إنما سمي مسافحا لأنه لم يحصل له من وطئها فيما يتعلق بحكمه إلا على سفح الماء باطلا من غير استلحاق نسب به؛ فمن حيث نفي الله تعالى بما أحل من ذلك وأثبت به الإحصان اسم السفاح وجب أن لا يكون المراد بالاستمتاع هو المتعة إذ كانت في معنى السفاح، بل المراد به النكاح. وقوله تعالى: ﴿غَيْرِ مُسْفِحِينَ﴾ شرط في الإباحة المذكورة. وفي ذلك دليل على النهي عن المتعة؛ إذ كانت المتعة في معنى السفاح من الوجه الذي ذكرنا.<sup>(١)</sup>

٧- أما الضرورة التي اعتبرها ابن عاشور مجيزة لزواج المتعة؛ فإن زواج المتعة ليس فيه ضرورة (لأن الضرورة المبيحة للميتة والدم هي التي يخاف معها تلف النفس إن لم يأكل وقد علمنا أن الإنسان لا يخاف على نفسه ولا على شيء من أعضائه التلف بترك الجماع وفقده، وإذا لم تحل في حال الرفاهية، والضرورة لا تقع إليها فقد ثبت حظرها).<sup>(٢)</sup>

وانطلاقاً من كل ما سبق بيانه، يتضح بالدليل أن ما ذكره ابن عاشور في جواز زواج المتعة عند الضرورة يُعدُّ تفرداً مرجوحاً، وفتوى يحظر العمل بها.

(١) أحكام القرآن للجصاص. تحقيق محمد الصادق قمحاوي ج ٣ ص ٩٧. الناشر: دارالمصنف: شركة مكتبة ومطبعة عبدالرحمن محمد. القاهرة.

(٢) أحكام القرآن للجصاص تحقيق محمد الصادق قمحاوي ج ٣ ص ٩٧، ٩٨.

## الرابع: قوله بجواز تغيير خلق الله للزينة والحسن إن لم يكن فيه حظ من طاعة الشيطان.

ذهب محمد الطاهر ابن عاشور إلى القول بجواز تغيير خلق الله تعالى للزينة والحسن إن لم يكن فيه حظ من طاعة الشيطان، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا \* وَلَا ضَلَّ عَنْهُمْ وَلَا مِينَهُمْ وَلَا مَرْئَهُمْ فَلْيُبَيِّتْ كُنَّ ءِاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْئَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾<sup>(١)</sup> فقال:

((وقوله: ﴿وَلَا مَرْئَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ تعريض بما كانت تفعله أهل

الجاهلية من تغيير خلق الله لدواع سخيصة فمن ذلك ما يرجع إلى شرائع الأصنام مثل فقء عين الحامي وهو البعير الذي حمى ظهره من الركوب لكثرة ما أنسل ويسيب للطواغيت . ومنه ما يرجع إلى أغراض ذميمة كالوشم إذ أرادوا به التزين وهو تشويهه وكذلك وسم الوجوه بالنار.

ويدخل في معنى تغيير خلق الله وضع المخلوقات في غير ما خلقها الله له وذلك من الضلالات الخرافية . كجعل الكواكب آلهة وجعل الكسوفات والخسوفات دلائل على أحوال الناس . ويدخل فيه تسويل الإعراض عن دين الإسلام الذي هو دين الفطرة، والفطرة خلق الله ؛ فالعدول عن الإسلام إلى غيره تغيير لخلق الله.

وليس من تغيير خلق الله التصرف في المخلوقات بما أذن الله فيه ولا ما يدخل في معنى الحسن ؛ فإن الختان من تغيير خلق الله ولكنه لفوائد صحية وكذلك حلق الشعر لفائدة دفع بعض الأضرار وتقليم الأظفار لفائدة تيسير

(١) سورة النساء، الآيتان: ١١٨، ١١٩.

العمل بالأيدي وكذلك ثقب الأذان للنساء لوضع الأقراط والتزين . وأما ما ورد في السنة من لعن الواصلات والمتمصات والمتفلجات للحسن<sup>(١)</sup> فمما أشكل تأويله . وأحسب تأويله أن الغرض منه النهي عن سمات كانت تعد من سمات العواهر في ذلك العهد أو من سمات المشركات، وإلا فلو فرضنا هذه منها عنها لما بلغ النهي إلى حد لعن فاعلات ذلك . وملاك الأمر أن تغيير خلق الله إنما يكون إثماً إذا كان فيه حظ من طاعة الشيطان بأن يجعل علامة لنحلة شيطانية كما هو سياق الآية واتصال الحديث بها<sup>(٢)</sup>.

وقد رجعت إلى الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في تفاسيرهم للآية السابقة؛ فوجدتهم قد فسروا تغيير خلق الله بأشياء منها الوشم والوصل والتمص والوشر<sup>(٣)</sup> والتفلج. ولم يؤولوا الأحاديث التي ثبتت صحتها في ذلك<sup>(٤)</sup>. مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم بتأويله لظاهر تلك الأحاديث.

- (١) من أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - التي جاء فيها لعن الواصلات والمتمصات والمتفلجات للحسن ... قوله - صلى الله عليه وسلم - : "لعن الله الواشحات والمستوشمات والمتمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله." أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب اللباس. باب المتفلجات للحسن. حديث رقم ٥٥٨٧. ج ٥ ص ٢٢١٦. ط ٣ س ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م نشر وتوزيع: دار ابن كثير دمشق ودار اليمامة بيروت.
- وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب اللباس والزينة باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة، والنامصة والمتمصاة، والمتفلجات والمغيرات خلق الله تعالى. حديث رقم ٢١٢٥. ج ٣ ص ١٦٧٨. المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع. استانبول - تركيا بدون تاريخ.
- وقوله صلى الله عليه وسلم: "لعن الله الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة." أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب اللباس. باب الموصولة حديث رقم ٥٥٩٦. ج ٥ ص ٢٢١٨. وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب اللباس والزينة باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتمصاة والمتفلجات المغيرات خلق الله تعالى. حديث رقم ٢١٢٤ ج ٣ ص ١٦٧٧.
- (٢) التحرير والتنوير ج ٤ ص ٢٥٨، ٢٥٩.
- (٣) وَشَرَ الخشبة بالمنشار إذا نشرها. والوشر أيضاً: تحديد المرأة أسنانها وترقيقها. انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي ص ٤٥٧. باب الرءاء. فصل الواو. الفعل: وشر.
- (٤) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ٥٥٥.
- وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٢ ص ١١٤، ١١٥.
- وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ٢ ص ٩٨.

بل الظاهر أن ابن عاشور قد تفرد بتأويله هذا عن جمهور العلماء.  
قال الدكتور عبد الرحمن حللي<sup>(١)</sup> عند كلامه عن صاحب التحرير  
والتنوير: (ومن نماذج ما تفرد به من آراء، تعليقه ما ورد في السنة من أنواع  
التجمل للنساء كالوصل والنمص والتفلج بأن تلك الأحوال كانت في العرب  
أمارات رقة حصانة المرأة، فالنهي عنها نهي عن الباعث عليها أو عن التعرض  
لهتك العرض بسببها).

وهذا الرأي نموذج من تفعيله مقاصد الشريعة في استنباط الأحكام  
والانتقال من القياس على الفروع إلى الاعتماد على كليات التشريع.<sup>(٢)</sup>  
وإذا كان عبد الرحمن حللي يرى أن تعليل ابن عاشور لما ورد في السنة  
من أحاديث صحيحة تنص على لعن الواصلات والمتمصات والمتفلجات للحسن  
... نموذج من تفعيله لمقاصد الشريعة في استنباط الأحكام ...

فإنني أرى أن ما ذكره ابن عاشور في هذه المسألة تفرد مرجوح لأن  
الأصل في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحمل على الظاهر، ولا يُصار  
إلى التأويل إلا بدليل.<sup>(٣)</sup>

وما ذكره ابن عاشور من (أن تغيير خلق الله إنما يكون إثماً إذا كان  
فيه حظ من طاعة الشيطان بأن يجعل علامة لنحلة شيطانية كما هو سياق

(١) عضو الهيئة التدريسية بكلية الشريعة. جامعة حلب - سوريا. معاصر.

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور مصلحاً وفقياً (سيرته، بعض آثاره وآرائه) للدكتور عبد الرحمن حللي فقه

المعارف الإسلامية. موقع الشيخ أحمد بدلة: [www.badlah.com](http://www.badlah.com).

(٣) انظر ميران الأصول في نتائج العقول للشيخ علاء الدين السمرقندي. تحقيق الدكتور محمد زكي عبدالبر

ص ٣٤٩، ٣٥٠. ط ١ س ١٤٠٤-١٩٨٤م إدارة إحياء التراث الإسلامي. الدوحة - قطر.

وانظر أصول التفسير وقواعده. تأليف: الشيخ خالد عبدالرحمن العك ص ٣٢٨. دارالنفائس بدون تاريخ.

الآية واتصال الحديث بها).<sup>(١)</sup> ليس كذلك؛ لأن سياق الآية يدل على أن كل من يغير خلق الله فهو متبع ومنفذ لأمر الشيطان، وقوله عليه الصلاة والسلام: "لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتمصصات والمتفليجات للحسن، المغيرات خلق الله".<sup>(٢)</sup> يدل دلالة واضحة على تحريم تغيير خلق الله.

ولا يظهر من سياق الآية ولا من نص الحديث أن هناك تغييراً لخلق الله جائزاً إن لم يكن فيه حظ من طاعة الشيطان إلا إذا كان التغيير للعلاج ونحوه، فقد أجاز بعض أهل العلم، استنباطاً من قوله - صلى الله عليه وسلم -: "والمفليجات للحسن".

قال النووي<sup>(٣)</sup>: (وأما قوله: المتفليجات للحسن فمعناه يفعلن ذلك طلباً للحسن وفيه إشارة إلى أن الحرام هو المفعول لطلب الحسن أما لو احتاجت إليه لعلاج أو عيب في السن ونحوه فلا بأس والله أعلم).<sup>(٤)</sup>

وقد تتبعت كلام المفسرين وشرح الحديث فوجدتهم متفقين على أن تغيير خلق الله للزينة والحسن حرام لا يجوز فعله.

قال القرطبي<sup>(٥)</sup> - بعد ما تكلم عن الوشم والتنمص والوصل، والتفليج للحسن - : (وهذه الأمور كلها قد شهدت الأحاديث بلعن فاعلها وأنها من

(١) التحرير والتنوير ج ٤ ص ٢٥٨، ٢٥٩.

(٢) متفق عليه. سبق تخريجه، ص: ٢٣١.

(٣) هو يحيى بن شرف النووي الشافعي. أبو زكريا محي الدين علامة بالفقه والحديث. ولد في نوا (من قرى حوران، بسوريا) سنة ٦٣١هـ-١٢٢٣م وتوفي بها سنة ٦٧٦هـ-١٢٧٧م. وإليها نسبتها من آثاره المشهورة: المنهاج في شرح صحيح مسلم.

انظر الأعلام للزركلي ج ٨ ص ١٤٩.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٣ ص ١٥٢. ط ٣ س ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م. الفاروق الحديثة للطباعة والنشر. القاهرة.

(٥) سبقت ترجمته، ص: ٣١.

الكبائر. واختلف في المعنى الذي نهى لأجلها، فقليل: لأنها من باب التديس.  
وقيل: من باب تغيير خلق الله تعالى..<sup>(١)</sup>

وقال النووي<sup>(٢)</sup> - عند شرحه للأحاديث الصحيحة التي تتحدث عن  
النامصة والتمتمصة والمتفلجات للحسن - :

((وأما النامصة فهي التي تزيل الشعر من الوجه والتمتمصة التي تطلب  
فعل ذلك بها وهذا الفعل حرام إلا إذا نبتت للمرأة لحية أو شوارب فلا تحرم  
إزالتها... وأن النهي إنما هو في الحواجب وما في أطراف الوجه...))<sup>(٣)</sup>  
وقال في فعل المتفلجات بعدما بين معناها :

((وهذا الفعل حرام على الفاعلة والمفعول بها لهذه الأحاديث ولأنه تغيير  
لخلق الله تعالى ولأنه تزوير ولأنه تديس...))<sup>(٤)</sup>  
وقال ابن حجر<sup>(٥)</sup> عند شرحه للحديث النبوي الذي ورد فيه لعن الواصلة  
والمستوصلة:

((وهذا الحديث حجة للجمهور في منع وصل الشعر بشيء آخر سواء كان  
شعراً أم لا، ويؤيده حديث جابر<sup>(٦)</sup>: "زجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٥ ص ٣٩٢، ٣٩٣. نشر ناصر خبرو طهران - إيران، بدون تاريخ.

(٢) سبقت ترجمته، ص: ٢٣٣.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٣ ص ١٥٢.

(٤) المصدر السابق ج ١٣ ص ١٥٢.

(٥) سبقت ترجمته، ص: ٧٨.

(٦) هو جابر بن عبدالله الأنصاري السلمي. أحد المكثرين عن النبي صلى الله عليه وسلم رواية للحديث

وروى عنه جماعة من الصحابة، وله ولأبيه صحبة. مات سنة أربع وسبعين. وقيل سنة ٧٣هـ. ويقال إنه

عاش ٩٤ سنة. انظر الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر مج ١ ج ١ ص ٢٢٢ رقم ١٠٢٢.

تصل المرأة بشعرها شيئاً" (١) ((٢)

وقال صديق حسن خان (٣) عند شرحه للحديث السابق "لعن الله الواصلة والمستوصلة." (٤)

((والحديث صريح في تحريم الوصل ولعن الواصلة والمستوصلة مطلقاً)) (٥)  
ومن هذا المنطلق يتضح أكثر أن تعليل وتأويل ابن عاشور للأحاديث الصحيحة السابقة الدالة على تحريم النمص والوصل والتفليج لا داعٍ إليه؛ فهو تأويل مرجوح وفتوى ينبغي تجنبها وسد باب التعليل والتأويل فيها.



- (١) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب اللباس والزينة. باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة، والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلق الله تعالى. حديث رقم ٢١٢٦ ج ٣ ص ١٦٧٩.
- (٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج ١٠ ص ٣٥٧. مؤسسة مناهل العرفان بيروت لبنان. مكتبة الغزالي دمشق - سوريا.
- (٣) هو محمد صديق خان بن حسن بن علي. أبو الطيب من رجال النهضة الإسلامية المجددين ولد في قنوج بالهند سنة ١٢٤٨هـ=١٨٣٢م. ونشأ بها وتعلم في دلهي. توفي سنة ١٣٠٧هـ-١٨٩٠م. وترك من مؤلفاته ما يزيد عن ستين مصنفا بالعربية والفارسية والهندسية. منها فتح البيان في مقاصد القرآن. انظر الأعلام للزركلي ج ٦ ص ١٦٧.
- (٤) متفق عليه. سبق تخريجه، ص: ٢٣١.
- (٥) السراج الوهاج في كشف مطالب مسلم بن الحجاج. شرح مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري. تأليف محمد صديق حسن خان مج ٦ ص ٦٠ ط ١ س ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م. دارالكتب العلمية بيروت - لبنان.



## المبحث الثاني

## تفردات ابن عاشور في التفسير العلمي

تمهيداً :

ينبغي عليّ ابتداءً قبل أن أبين تفردات ابن عاشور في هذا الجانب من التفسير أن أعرف بالتفسير العلمي وأوضح اختلاف العلماء - قديماً وحديثاً - في قبوله ورفضه وأبين رأبي في ذلك.

## تعريف التفسير العلمي:

اهتم بعض العلماء والباحثين في العصر الحديث بتعريف التفسير العلمي، في حين لم أجد هذا الاهتمام عند علماء القرون السابقة، بالرغم من انشغال بعضهم به، تأييداً أو رفضاً. وتجنباً للإطالة فإنني أسوق أربعة تعريفات للتفسير العلمي، وقع عليها اختياري، أقدمها للبيان، موضحاً أولى التعريفات بالقبول.

- ١- عرفه الدكتور محمد حسين الذهبي<sup>(١)</sup> بقوله: ((نريد بالتفسير العلمي: التفسير الذي يُحَكِّمُ الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها.))<sup>(٢)</sup>
- ٢- وعرفه الدكتور محمد لطفي الصباغ<sup>(٣)</sup> بقوله: ((إنه تحكيمُ مصطلحات العلوم في فهم الآية، و الربط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم

(١) سبقت ترجمته ص ٥٦.

(٢) التفسير والمفسرون للذهبي ج ٢ ص ٣٤٩. ط ٧ س ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م. الناشر: مكتبة وهبة القاهرة - مصر.

(٣) هو الأستاذ الدكتور محمد بن لطفي بن عبداللطيف ياسين الصباغ من سوريا ويقيم في الرياض بالمملكة العربية السعودية. له أكثر من ثلاثين كتاباً بين تأليف وتحقيق. (معاصر)

التجريبية والفلكية و الفلسفية))<sup>(١)</sup>

٣- وعرفه الدكتور عبد المجيد المحتسب<sup>(٢)</sup> بقوله: (والتفسير العلمي: هو التفسير الذي يتوخى أصحابه إخضاع عبارات القرآن للنظريات والاصطلاحات العلمية وبذل أقصى الجهد في استخراج مختلف مسائل العلوم والآراء الفلسفية منها.)<sup>(٣)</sup>

٤- وعرفه الدكتور فهد الرومي<sup>(٤)</sup> بقوله:

(المراد بالتفسير العلمي: هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز القرآن ويدل على مصدره، وصلاحيته لكل زمان ومكان.)<sup>(٥)</sup>

والذي يتجلى لي من خلال هذه التعاريف الأربعة للتفسير العلمي ما يلي:

- ١- إن هذه التعاريف الثلاثة الأولى متفقة في مضمونها وإن اختلفت في بعض الألفاظ.
- ٢- إن أصحاب هذه التعاريف الثلاثة الأولى كلهم من الفريق المعارض للتفسير العلمي في العصر الحديث، وبالتالي فإن تعاريفهم للتفسير العلمي جاءت متفقة تحمل في طياتها ما يدعم رفضهم أو إنكارهم لهذا الجانب من التفسير.

(١) لمحات في علوم القرآن. تأليف الدكتور محمد بن لطف الصباغ ص ٢٩٣ ط ٣ س ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

(٢) هو الأستاذ الدكتور عبد المجيد عبدالسلام المحتسب. معاصر من أشهر مؤلفاته: اتجاهات التفسير في العصر الراهن.

(٣) اتجاهات التفسير في العصر الراهن للدكتور عبدالمجيد عبدالسلام المحتسب ص ٢٤٧ ط ٢ س ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م. منشورات مكتبة النهضة الإسلامية عمان - الأردن.

(٤) هو الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي أستاذ الدراسات القرآنية في كلية إعداد المعلمين بالرياض - المملكة العربية السعودية. معاصر. من أشهر مؤلفاته: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، والمدرسة العقلية في التفسير. ودراسات في علوم القرآن الكريم.

(٥) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري للدكتور فهد بن سليمان الرومي ج ٢ ص ٥٤٩ ط ١ س ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م. بدون ذكر اسم المطبعة ومكان الطبع.

فكلمة "تحكيم"، وعبارة "اصطلاحات علمية" أو "مصطلحات علمية، وكلمة "العلوم" أو "الآراء الفلسفية" كلها جاءت في هذه التعاريف، مما يضفي عليها طابع القسوة والنظرة النقدية. فهل التفسير العلمي تدخل فيه الآراء الفلسفية؟ إن الذي أراه أن الفلسفة لا تدخل في التفسير العلمي، لأن لأصحابها اتجاهاً خاصاً بالتفسير اسمه: التفسير الفلسفي.

أما ما نهجه المتشددون من الفريق المؤيد للاتجاه العلمي كطنطاوي جوهرى<sup>(١)</sup> - مثلاً - عندما يلجأ إلى الاستشهاد بآراء الفلاسفة كابن سينا<sup>(٢)</sup> وإخوان الصفا<sup>(٣)</sup>، في بعض ما يذهب إليه، فلا يقوم حجة ينبغي الوقوف عندها، بل يعتبر هذا تطرف وغلو ينبغي اجتنابه.

يقول الدكتور فهد الرومي (والذي أعتقده أن التفسير العلمي بمعناه المعروف لا يشمل الآراء الفلسفية كما لا يعم مختلف العلوم، بل في أنواع معينة منها كالطب والرياضيات والفلك وعلم الحيوان والنبات والكيمياء وعلم طبقات الأرض ونحو ذلك من العلوم التجريبية، فلا يشمل مختلف العلوم على إطلاقها).<sup>(٤)</sup>

٣- إن التعريف الرابع للتفسير العلمي، والذي ذكره فهد الرومي، هو التعريف الذي أراه تعريفاً وسطاً يمكنني أن أرجحه على التعاريف الثلاثة الأولى،

(١) هو طنطاوي بن جوهرى المصري، له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة، ولد في قرية عوض الله حجازي من قرى الشرقية بمصر سنة ١٢٨٧هـ-١٨٧٠م، وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٥٨هـ-١٩٤٠م. من آثاره المشهورة: الجواهر في تفسير القرآن الكريم في ٢٦ جزءاً، اهتم فيه بالتفسير العلمي. انظر الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٣ ص ٢٣٠، ٢٣١.

(٢) سبقت ترجمته ص ٣٥.

(٣) إخوان الصفا هم جماعة سرية، دينية وسياسية وفلسفية، شيعية أو إسماعيلية باطنية. عاشوا بالبصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري جمعوا معارف عصرهم العلمية والفلسفية والدينية في رسائل تزيد على الخمسين. انظر الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة للدكتور ياسين صلاواتي مج ١ ص ٢٥٨.

(٤) اتجاهات التفسير لفهد الرومي ج ٢ ص ٥٤٩.

لأن نظرة صاحبه، موضوعية. فهو ليس من المعارضين للتفسير العلمي،  
وليس من المؤيدين له مطلقاً.

وقد شرح كلمات وعبارات تعريفه ليصير واضحاً جلياً، فقال:

"ولا شك أن وصفه بـ((اجتهاد المفسر)) يدخل فيه التفسير العلمي المقبول  
والمرفوض، لأن المجتهد قد يخطئ وقد يصيب. وقولنا "الربط" ليشمل ما هو  
تفسير وما هو من قبيله كالاستئناس بالآية في قضية من قضاياها ونحو ذلك،  
وقولنا "العلم التجريبي" يخرج بقية العلوم الكلامية والفلسفية ونحوها. وقولنا  
"على وجه" لبيان ثمرته، وقولنا "يدل على مصدره" نقصد به أنه إذا ما ثبت هذا  
التوافق بين نصوص القرآن الكريم وحقائق العلوم ولم يقع أي تعارض بين نص  
قرآني وحقيقة علمية مهما كانت جدتها وحدثتها فإنه لا يمكن أن يقول مثل  
هذه النصوص بشر قبل اكتشافها بقرون ولا بد من أن يكون المتكلم بها هو  
موجد هذه الحقائق ومكونها وهو الله سبحانه وتعالى، وقولنا "وصلاحيته  
لكل زمان ومكان" نقصد به أنه صالح لكل عصر لا تأتي عليه الأيام ولا  
الحدثان بما يبطل شيئاً منه فهو صالح لكل عصر وأوان..<sup>(١)</sup>

### موقف العلماء قديماً وحديثاً من التفسير العلمي

أولاً: موقف العلماء قديماً من التفسير العلمي:

اختلف العلماء السابقون تجاه التفسير العلمي إلى اتجاهين: اتجاه مؤيد  
وآخر معارض، وإليكم كل اتجاه على حدة.

(١) اتجاهات التفسير لفهد الرومي ج ٢ ص ٥٤٩، ٥٥٠.

## ١. الاتجاه المؤيد للتفسير العلمي قديماً

إن أبرز علماء الاتجاه المؤيد للتفسير العلمي في العصور المتقدمة، هم: الإمام الغزالي<sup>(١)</sup>، والإمام فخر الدين الرازي<sup>(٢)</sup> والإمام الزركشي<sup>(٣)</sup>، والإمام السيوطي<sup>(٤)</sup>، فقد تكلموا في بعض كتبهم عن التفسير العلمي، ونصوا على ضرورة الاهتمام به والرجوع إليه، معتبرين أن القرآن الكريم حوى كل شيء، وتناول كل العلوم، وإليكم ما ذكره هؤلاء الأئمة في هذا المجال.

## الإمام الغزالي:

نصَّ أبو حامد الغزالي على أن العلوم كلها راجعة إلى القرآن الكريم وكل ما أشكل فيه على العلماء والنظار واختلف فيه الناس في النظريات والمعقولات، فعلمها وحلها موجود في كتاب الله. ومما ذكره قوله:

((.... العلوم كلها داخلة في أفعال الله - عز وجل - وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها، والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن، أما مجرد ظاهره، فالتفسير لا يشير إلى ذلك، بل كل ما أشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن إليه رموز، ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها.))<sup>(٥)</sup>

(١) سبقت ترجمته ٣٥.

(٢) سبقت ترجمته ص ٣٠.

(٣) سبقت ترجمته ص ١٦٦.

(٤) سبقت ترجمته ص ٣٢.

(٥) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي مج ١ ص ٣٤١ ط ١ س ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م. مط دارالكتب العلمية بيروت - لبنان.

الإمام الرازي<sup>(١)</sup>:

أنكر الرازي على من يعارض إدخال علم الهيئة والنجوم في تفسير كتاب الله تعالى، ووصفه بالجهل والحماقة واعتبر ما ذكره فاسداً ورد عليه بخمس حجج، وقد ذكر ذلك أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. فقال:

(...) وربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال إنك أكثرت في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم، وذلك على خلاف المعتاد! فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته، وتقريره من وجوه: الأول: أن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وكيفية أحوال الضياء والظلام، وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها، والتأمل في أحوالها جائزاً لما ملأ الله كتابه منها. والثاني: أنه تعالى قال: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾<sup>(٣)</sup> فهو تعالى حث على التأمل في أنه كيف بناها ولا معنى لعلم الهيئة إلا التأمل في أنه كيف بناها وكيف خلق كل واحد منها. والثالث: أنه تعالى قال: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

(١) سبقت ترجمته ص ٣٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٣) سورة ق، الآية: ٦.

أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فبين أن عجائب الخلقه وبدائع الفطرة في أجرام السموات أكثر وأعظم وأكمل مما في أبدان الناس، ثم أنه تعالى رغب في التأمل في أبدان الناس بقوله: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢) فما كان أعلى شأنًا وأعظم برهانًا منها أولى بأن يجب التأمل في أحوالها ومعرفة ما أودع الله فيها من العجائب والغرائب. والرابع: أنه تعالى مدح المتفكرين في خلق السموات والأرض فقال: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾ (٣) ولو كان ذلك ممنوعاً منه لما فعل. والخامس: أن من صنف كتاباً شريفاً مشتملاً على دقائق العلوم العقلية والنقلية بحيث لا يساويه كتاب في تلك الدقائق، فالمعتقدون في شرفه وفضيلته فريقان: منهم من يعتقد كونه كذلك على سبيل الجملة من غير أن يقف على ما فيه من الدقائق واللطائف على سبيل التفصيل والتعيين، ومنهم من وقف على تلك الدقائق على سبيل التفصيل والتعيين، واعتقاد الطائفة الأولى وإن بلغ إلى أقصى الدرجات في القوة والكمال إلا أن اعتقاد الطائفة الثانية يكون أكمل وأقوى وأوفى. وأيضاً فكل من كان وقوفه على دقائق ذلك الكتاب ولطائفه أكثر كان اعتقاده في عظمة ذلك المصنف وجلالته أكمل.

إذا ثبت هذا فنقول: من الناس من اعتقد أن جملة هذا العالم محدث وكل محدث فله محدث، فحصل له بهذا الطريق إثبات الصانع تعالى وصار من زمرة المستدلين، ومنهم من ضم إلى تلك الدرجة البحث عن أحوال العالم العلوي والعالم السفلي على سبيل التفصيل فيظهر له في كل نوع من أنواع هذا العالم

(١) سورة غافر، الآية: ٥٧.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

حكمة بالغة وأسرار عجيبة، فيصير ذلك جارياً مجرى البراهين المتواترة والدلائل المتوالية على عقله، فلا يزال ينتقل كل لحظة ولمحة من برهان إلى برهان آخر، ومن دليل إلى دليل آخر، فلكثرة الدلائل وتواليها أثر عظيم في تقوية اليقين وإزالة الشبهات. فإذا كان الأمر كذلك ظهر أنه تعالى إنما أنزل هذا الكتاب لهذه الفوائد والأسرار لا لتكثير النحو الغريب والاشتقاقات الخالية عن الفوائد والحكايات الفاسدة، ونسأل الله العون والعصمة.<sup>(١)</sup>

الإمام الزركشي<sup>(٢)</sup>:

يرى الزركشي أن القرآن الكريم يحوي علم الأولين والآخرين، ويمكن لمن فهمه الله تعالى وتدبر في كتابه أن يستخرج منه كل شيء يريد، فقال تحت فصل: في القرآن علم الأولين والآخرين ما يلي:

(و) في القرآن علم الأولين والآخرين وما من شيء إلا ويمكن استخراج منه لمن فهمه الله تعالى حتى إن بعضهم استنبط عمر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين من قوله تعالى في سورة المنافقين: ﴿وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾<sup>(٣)</sup> فإنها رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده.

وقوله تعالى مخبراً عن عيسى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ﴾<sup>(٤)</sup> إلى قوله ﴿أُبَعْتُ حَيًّا﴾<sup>(٥)</sup> ثلاث وثلاثون كلمة وعمره ثلاث وثلاثون سنة...<sup>(٦)</sup>

(١) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي مج ٧ ج ١٤ ص ٩٩، ١٠٠. ط ١ س ١٤١١هـ - ١٩٩٠م مط: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

(٢) سبقت ترجمته ص ١٦٦.

(٣) سورة المنافقين، الآية: ١١.

(٤) سورة مريم، الآية: ٣٠.

(٥) سورة مريم، الآية: ٣٣.

(٦) البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي. تحقيق أبي الفضل إبراهيم ج ٢ ص ١٨١، ١٨٢ ط ٢ مط عيسى البابي الحلبي وشركاؤه. بدون تاريخ.



الإمام السيوطي<sup>(١)</sup>:

جعل الإمام السيوطي في إتقانه النوع الخامس والستين خاصاً بالعلوم المستتبطة من القرآن الكريم. ويرى أن الله - عز وجل - قد ذكر كل شيء في كتابه، بدليل قوله تعالى: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾<sup>(٣)</sup>.

كما استدل بما ورد عن بعض العلماء في هذا المقام، فنقل عن ابن أبي الفضل المرسي<sup>(٤)</sup> ما ذكره في تفسيره بأن القرآن الكريم قد جمع علم الأولين والآخرين.<sup>(٥)</sup>

## ٢- الاتجاه المعارض للتفسير العلمي قديماً:

إن أبرز العلماء المعارضين للتفسير العلمي قديماً هو الإمام الشاطبي<sup>(١)</sup> رحمه الله، فقد تعرض في موافقاته لنقد أصحاب الاتجاه العلمي في تفسير كتاب الله تعالى لأنهم - حسب ما ذكر - قد أضافوا إلى القرآن الكريم كل علم يُذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعيات، والرياضيات، والمنطق، وعلم الحروف وغيرها... ثم أورد أدلتهم ورد عليها، فقال باختصار:

- (١) سبقت ترجمته ص ٣٢.
- (٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.
- (٣) سورة النحل، الآية: ٨٩.
- (٤) هو محمد بن عبد الله بن محمد أبي الفضل السلمي المرسي. أبو عبد الله شرف الدين عالم بالأدب والتفسير والحديث. ضريير. ولد في مرسية بالأندلس سنة ٥٧٠هـ-١١٧٤م. وسكن المدينة ثم انتقل إلى مصر وتوفي وهو متوجهاً إلى دمشق سنة ٦٥٥هـ-١٢٥٧م من آثاره المشهورة: التفسير الكبير والكافي في النحو. انظر الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٢٢٣.
- (٥) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. مج ٤ من ص ٢٤ إلى ص ٣٧. ط س ١٤١٨هـ-١٩٩٧م. المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت - لبنان.
- (٦) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللحفي الغرناطي الشهير بالشاطبي. أصولي حافظ. كان من أئمة المالكية. من كتبه: الموافقات في أصول الشريعة. توفي سنة ٧٩٠هـ-١٣٨٨م. انظر الأعلام للزركلي ج ١ ص ٧١.

## (المسألة الرابعة:

ما تقرر من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها - وهم العرب -

ينبني عليه قواعد:

منها: أن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحدّ، فأضافوا إليه كل علم يُذكر للمتقدمين أو المتأخرين؛ من علوم الطبيعيات، والتعاليم: والمنطق، وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهاها....

وربما استدلو على دعواهم بقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾<sup>(٢)</sup> ونحو ذلك، وبفواتح السور - وهي مما لم يعهد عند العرب - وبما نقل عن الناس فيها، وربما حُكي من ذلك عن علي بن أبي طالب<sup>(٣)</sup> رضي الله عنه وغيره أشياء.

فأما الآيات فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبد، أو المراد بالكتاب في قوله: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ اللوح المحفوظ. ولم يذكرها فيها ما يقتضي تضمنه لجميع العلوم النقلية والعقلية.

وأما فواتح السور، فقد تكلم الناس فيها بما يقتضي أن للعرب بها عهداً، كعدد الجمل الذي تعرّفوه من أهل الكتاب، حسبما ذكره أصحاب

(١) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٣) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم أبو الحسن. ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح. فربي في حجر النبي صلى الله عليه وسلم، وزوجه بنته فاطمة، وهو رابع الخلفاء الراشدين. بويج بالخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان سنة ٣٥هـ، وقتل سنة ٤٠هـ. حيث دامت خلافته خمس سنين. انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر مج ٢ ج ٤ ص ٢٦٩-٢٧١. دارالكتب العلمية بيروت - لبنان. بدون تاريخ.

السير، أو هي من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى، وغير ذلك. وأما تفسيرها بما لا عهد به فلا يكون، ولم يدعه أحد ممن تقدم، فلا دليل فيها على ما ادّعوا، وما ينقل عن عليّ أو غيره في هذا لا يثبت، فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه، كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه. ويجب الاقتصار - في الاستعانة على فهمه - على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة، فبه يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية. فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل عن فهمه، وتقول على الله ورسوله فيه. والله أعلم، وبه التوفيق.<sup>(١)</sup>

ثانياً: موقف العلماء من التفسير العلمي حديثاً.

اختلف العلماء في التفسير العلمي حديثاً كما اختلفوا في ذلك قديماً، فهناك من أيد هذا الاتجاه العلمي في التفسير، وتحمس له، وكتب فيه ودعا إليه، وهناك من عارضه من أساسه. وإليك آراء كل فريق على حدة.

١- آراء بعض العلماء المؤيدين للتفسير العلمي حديثاً

رأي طنطاوي جوهرى<sup>(٢)</sup>:

يعتبر طنطاوي جوهرى رأس المؤيدين للتفسير العلمي للقرآن في العصر الحديث، وأبرز المنادين به، حيث بنى تفسيره كله للقرآن الكريم على هذا الجانب، واعتبر أن معظم العلماء والمفسرين القدامى قد اهتموا بالمسائل الفقهية، ولم يهتموا بالمسائل العلمية، بالرغم من أن الآيات التي تتحدث عن الفقه قليلة مقارنة بالآيات التي تتحدث صراحة عن العلم. فيقول:

(١) الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي مج ١ ج ٢ من ص ٦٠ إلى ص ٦٢. بتصرف ط ٣ س ١٤٢٤هـ-

٢٠٠٣م. مط: دارالكتب العلمية بيروت - لبنان.

(٢) سبقت ترجمته ص ٢٣٨.

((لماذا أُلّف علماء الإسلام عشرات الألوف من الكتب الإسلامية في علم الفقه... وعلم الفقه ليس له في القرآن إلا آيات قلائل لا تصل مائة وخمسين آية؟ فلماذا كثر التأليف في علم الفقه، وقَلَّ جداً في علوم الكائنات التي لا تخلو منها سورة؟ بل هي تبلغ ٧٥٠ آية صريحة، وهناك آيات أخرى دلالتها تقرب من الصراحة. فهل يجوز في عقل أو شرع أن يبرع المسلمون في علم آياته قليلة ويجهلوا علماً آياته كثيرة جداً؟ إن آباءنا برعوا في الفقه، فلنبرع نحن الآن في علم الكائنات.. لنقم به لترقى الأمة". فهذا الذي ينظر نظراً سطحياً لآيات النظر في العالم نراه لم يكتف في البيع والهبة والميراث والحج والصلاة بالنظر السطحي، بل نراه في الوضوء الذي هو شرط من شروط الصلاة، لم يكتف بالنظر الظاهري. بل ازداد البحث فيه جداً في مئات المجلدات المؤلفة في المذاهب الأربعة وغيرها. أفلا ينظر المسلمون اليوم إلى علوم الدين الحقة وهي علوم الكائنات، علوم معرفة الله، إن علم الفقه لحفظ الأمم وعلم الكائنات لمعرفة الله وحياة الأمم، وما به الحياة مقدم على ما به حفظ الحياة، إذ لا حفظ للحياة ولا عبادة لله إلا بعد ثبوت الحياة.))<sup>(١)</sup>

وأجده يوجه نداءً إلى الأمة الإسلامية ويحثها فيه على ضرورة التعمق في العلم، ويعتبر أن دراسة العلوم في التفسير فرض عين، ودراسة علم الفرائض فرض كفاية، وينبه على ضرورة الاهتمام، والبحث في العلوم الكونية مثل ما اهتم الآباء بآيات الميراث.

كما يعتبر أن الزمان الذي يعيش فيه هو زمان العلوم وزمان ظهور نور الإسلام!! وزمان الانقلاب وظهور الحقائق، ويصف فقهاء المسلمين الذين لم ينشغلوا بدراسة مختلف العلوم في الآيات القرآنية بالجهلاء المغرورين وصغار الفقهاء!!<sup>(٢)</sup>

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم لطنطاوي جوهري مج ١٣ ج ٢٥ ص ٦٣. ط ١ س ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م دارالكتب العلمية. بيروت - لبنان.

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم لطنطاوي جوهري مج ٢ ج ٣ ص ٢٣، ٢٤.

والحقيقة أن هذه مبالغة من طرف طنطاوي جوهرى تجاه فقهاء المسلمين دفعه إليها حمسه وتعصبه لهذا الاتجاه العلمي.

كما أجده في تفسيره لقوله تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾<sup>(١)</sup> يحث علماء الإسلام على النظر بعمق في سر ترتيب مفردات القرآن الكريم ليحصلوا على العلوم، ويذكر أن الفقهاء قديماً قد أطنبوا في ترتيب أعضاء الوضوء، ويستفهم لماذا لا يفكر علماء الإسلام في هذا الزمان - مثلاً - في ترتيب هذه الجملة القرآنية المتضمنة للسموات والأرض والظلمات والنور في الآية الأولى من سورة الأنعام، ويذكر أنه إذا كان العلماء القدماء قد اعتنوا بالأعمال، فعلى علماء المستقبل أن يعتنوا ويهتموا بالعلوم الطبيعية فيقول: (لابد من معرفة سبب ترتيب هذه الأربعة وهي: السموات والأرض والظلمات والنور. وهل للكشف الحديث أثر في هذا الترتيب؟ وإذا كنا نرى الأئمة رضي الله عنهم في سورة المائدة قد أطنبوا في ترتيب أعضاء الوضوء، حتى إن الشافعي<sup>(٢)</sup> أوجب الترتيب فيها غسلًا، لترتيبها في القرآن ذكرًا، فمن الجهالة أن لا يفكر علماء الإسلام في هذا الزمان في هذه المذكورات الأربعة، ومعلوم أن العلم مقدم على العمل، وإذا كانت عناية القدماء بالأعمال فلتكن عناية علماء المستقبل بالعلوم أي العلوم الطبيعية، ويقولون: لم ذكرت السموات فالأرض فالظلمة فالنور، كما ذكر الوجه فاليدان فالرأس فالرجلان...)<sup>(٣)</sup>

(١) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٢) سبقت ترجمته ص ٨٢.

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم مج ٢ ج ٤ ص ٤، ٥.

والحقيقة أن طنطاوي جوهرى قد توسع كثيراً في ذكر سر ترتيب كلمات هذه الآية من الناحية العلمية، وذكر أن مجيء السموات والأرض والظلمات والنور على هذا الترتيب في الآية هو ما جاء به العلم الطبيعي والفلكي وعلم طبقات الأرض.<sup>(١)</sup>

رأى محمد الطاهر ابن عاشور:

يعتبر ابن عاشور من المؤيدين للتفسير العلمي، والمساهمين في بيانه، ومن المعترضين على من لا يقول به.

وقد بين في مقدمته الرابعة من مقدمات تفسيره علاقة مقاصد الآيات القرآنية بالمسائل العلمية، ومما ذكره في ذلك قوله: ((وأن بعض مسائل العلوم قد تكون أشد تعلقاً بتفسير آي القرآن كما نرض مسألة كلامية لتقرير دليل قرآني مثل برهان التمانع لتقرير معنى قوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِاهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾<sup>(٢)</sup>

... فهذا كونه من غايات التفسير واضح وكذا قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا

إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾<sup>(٣)</sup> فإن القصد منه

الاعتبار بالحالة المشاهدة فلو زاد المفسر ففصل تلك الحالة وبين أسرارها وعللها بما هو مبين في علم الهيئة كان قد زاد المقصد خدمة...<sup>(٤)</sup>

(١) انظر الجواهر لطنطاوي جوهرى مج ٢ ج ٤ ص ١٣ وما بعدها.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

(٣) سورة ق، الآية: ٦.

(٤) التحرير والتنوير ج ١ ص ٤٠، ٤١.

وقد رد ابن عاشور على الشاطبي<sup>(١)</sup> في رفضه للتفسير العلمي، واعتبر أن ما ذهب إليه مبني على أساس واهٍ من ستة وجوه فقال:

((وأما أبو إسحاق الشاطبي فقال في الفصل الثالث من المسألة الرابعة: (لا يصح في مسلك الفهم والإفهام إلا ما يكون عاما لجميع العرب. فلا يتكلف فيه فوق ما يقدرون عليه))<sup>(٢)</sup> وقال في المسألة الرابعة من النوع الثاني: (ما تقرر من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها وهم العرب تتبني عليه قواعد منها: أن كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف وأشباهاها وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح فإن السلف الصالح كانوا أعلم بالقرآن وبعلمه وما أودع فيه ولم يبلغنا أن أحدا منهم تكلم في شيء من هذا سوى ما ثبت فيه من أحكام التكاليف وأحكام الآخرة. نعم تضمن علوما من جنس علوم العرب وما هو على معهودها مما يتعجب منه أولو الأبواب ولا تبلغه إدراكات العقول الراجحة) الخ.<sup>(٣)</sup>

وهذا مبني على ما أسسه من كون القرآن لما كان خطابا للأميين وهم العرب فإنما يعتمد في مسلك فهمه وإفهامه على مقدرتهم وطاقاتهم وأن الشريعة أمية. وهو أساس واه لوجوه ستة: الأول أن ما بناه عليه يقتضي أن القرآن لم يقصد منه انتقال العرب من حال إلى حال وهذا باطل لما قدمناه قال تعالى:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾<sup>(٤)</sup>

(١) سبقت ترجمته ص ٢٤٤.

(٢) الموافقات للشاطبي مج ١ ج ٢ ص ٦٥.

(٣) المرجع السابق مج ١ ج ٢ ص ٦٠، ٦١.

(٤) سورة هود، الآية: ٤٩.

الثاني أن مقاصد القرآن راجعة إلى عموم الدعوة وهو معجزة باقية فلا بد أن يكون فيه ما يصلح لأن تتناوله أفهام من يأتي من الناس في عصور انتشار العلوم في الأمة. الثالث أن السلف قالوا: إن القرآن لا تتقضي عجائبه يعنون معانيه ولو كان كما قال الشاطبي لانقضت عجائبه بانحصار أنواع معانيه. الرابع أن من تمام إعجازه أن يتضمن من المعاني مع إيجاز لفظه ما لم تف به الأسفار المتكاثرة. الخامس أن مقدار أفهام المخاطبين به ابتداء لا يقضي إلا أن يكون المعنى الأصلي مفهوما لديهم فأما ما زاد على المعاني الأساسية فقد يتهيأ لفهمه أقوام وتحجب عنه أقوام ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. السادس أن عدم تكلم السلف عليها إن كان فيما ليس راجعا إلى مقاصده فنحن نساعد عليه، وإن كان فيما يرجع إليها فلا نسلم وقوفهم فيها عند ظواهر الآيات بل قد بينوا وفصلوا وفرعوا في علوم عنوا بها ولا يمنعنا ذلك أن نقتفي على آثارهم في علوم أخرى راجعة لخدمة المقاصد القرآنية أو لبيان سعة العلوم الإسلامية، أما ما وراء ذلك فإن كان ذكره لإيضاح المعنى فذلك تابع للتفسير أيضاً؛ لأن العلوم العقلية إنما تبحث عن أحوال الأشياء على ما هي عليه، وإن كان فيما زاد على ذلك فذلك ليس من التفسير لكنه تكملة للمباحث العلمية واستطراد في العلم لمناسبة التفسير ليكون متعاطى التفسير أوسع قريحة في العلوم))<sup>(١)</sup>

(١) التحرير والتنوير ج ١ ص ٤٢، ٤٣.



رأي عبد الحميد بن باديس<sup>(١)</sup>:

يعتبر الشيخ عبد الحميد بن باديس من الفريق المؤيد للتفسير العلمي للقرآن الكريم، وقد حاول في تفسيره لكتاب الله العزيز أن يبرز الوجه العلمي لإعجاز القرآن، ويدعو الناس إلى العلم، والتعمق في فهم الحقائق، ومعرفة الآيات الكونية، فقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>.

((قد دعانا الله إلى العلم ورغبنا فيه في غير ما آية، وأعلمنا أنه خلق لنا ما في السموات وما في الأرض جميعاً. وأمرنا بالنظر فيما خلقه لنا وأعلمنا هنا أن في هذه المخلوقات أسراراً بينها القرآن واشتمل عليها، وكان ذلك من حجته العلمية على الخلق فكان في هذا ترغيب لنا في التقصي في العلم والتعمق في البحث لنطلع على كل ما نستطيع الاطلاع عليه من تلك الأسرار، أسرار آيات الأكوان والعمران، وآيات القرآن فنزداد علماً وعرفاناً، ونزيد الدين حجة وبرهاناً، ونجني من هذا الكون جلائل ودقائق النعم، فيعظم شكرنا للرب الكريم المنعم.))<sup>(٣)</sup>

وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحُونًا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّنُهُ تَفْصِيلاً﴾<sup>(٤)</sup>.

((وقد تقرر في علم الهيئة أن القمر جرم مظلم يأتيه نوره من الشمس، واتفق علماء الفلك في العصر الحديث بعد الاكتشافات والبحوث العلمية أن

(١) سبقت ترجمته، ص ٢٢.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦.

(٣) تفسير ابن باديس، ص ٢١٢، ٢١٣. ط س ١٩٩١م. مط: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغبة - الجزائر.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٢.

جرم القمر - كالأرض - كان منذ أحقاب طويلة وملايين السنين، شديد الحمى والحرارة ثم برد، فكانت إضاءته في أزمان حموه وزالت لما برد.

لنقف خاشعين متذكرين أمام معجزة القرآن العلمية:

ذلك الكتاب الذي جعله الله حجة لنبهه صلى الله عليه وسلم، وبرهاننا

لدينه على البشر مهما ترقوا في العلم، وتقدموا في العرفان.

فإن ظلام جرم القمر لم يكن معروفاً، أيام نزول الآية عند الأمم إلا أفراداً قليلين من علماء الفلك. وإن حمى جرمه أولاً، وزواله بالبرودة ثانياً، ما عرف إلا في هذا العهد الأخير. والذي تلا هذه الآية وأعلن هذه الحقائق العلمية منذ نحو أربعة عشر قرناً نبي أمي. من أمة أمية. كانت في ذلك العهد أبعد الأمم عن العلم. فلم يكن ليعلم هذا ويقوله إلا بوحي من الله الذي خلق الخلائق وعلم حقائقها!! (...))<sup>(١)</sup>.

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أجده يستند إلى ما اكتشفه العلم الحديث، ويؤكد ما ذكرته الآية من أن الزوجية في كل شيء مما خلقه الله تعالى وحده لا شريك له، ويبين أن الأزواج منها ما هو معروف منذ قديم الزمان كالليل والنهار، والحر والبرد، ومنها ما لم يكن معروفاً فيما مضى، ولكن اكتشفه العلم الحديث بما مهد الله له من أسباب كالجزء الموجب والجزء السالب في القوة الكهربائية والذرة، وهذا كله - عند الشيخ ابن باديس - يُعدُّ معجزة من المعجزات العلمية للقرآن الكريم انكشفت بإذنه تعالى بعد مرور الأزمان وتقدم الإنسان في العلم والعمران. فقال:

(١) تفسير ابن باديس، ص ٦٠، ٦١.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

## (آية كونية في الآية القرآنية:

من الأزواج ما هو ظاهر مشاهد معلوم من قديم مثل السماء والأرض، والليل والنهار، والحر والبرد، والذكر والأنثى في الحيوان، وبعض النبات. ومنها ما كشفه العلم بما مهد الله له من أسباب كالجزم الموجب والجزء السالب في القوة الكهربائية وفي الذرة التي هي أصل التكوين، فلا فردية إلا لخالق هذه الأزواج كلها الذي أنبأنا بها قبل أن تصل إلى تمام معرفتها العقول فكان من معجزات القرآن العلمية التي يفسرها الزمان بتقدم الإنسان في العلم والعمران<sup>(١)</sup>.

رأي أحمد مصطفى المراغي<sup>(٢)</sup>:

يعتبر الشيخ أحمد مصطفى المراغي من المؤيدين للتفسير العلمي للقرآن الكريم حيث فسر آيات كثيرة تفسيراً علمياً مبنياً على ما توصل إليه العلم الحديث من حقائق ثابتة أو مما اكتشفه العلماء من نظريات علمية. وبالتالي فإنك - عندما تقرأ تفسيره - تجده في بعض المواطن يستتبط من الآيات القرآنية إرشادات لأبناء الأمة الإسلامية وعلمائها، يحثهم فيها على ضرورة الاهتمام بالبحث العلمي في طباع الأحياء، وأجزاء الكون، وخفايا الكائنات، لزيادة الإيمان بالله وبيان إعجاز القرآن الكريم من الوجه العلمي للوصول إلى أن القرآن هو كلام الله العليم الخبير.

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ

(١) تفسير ابن باديس، ص ٤٦٢، ٤٦٣.

(٢) هو أحمد بن مصطفى المراغي مفسر مصري من العلماء، تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩م وتوفي بالقاهرة سنة

١٣٧١-١٩٥٢م. من آثاره المشهورة: تفسير المراغي وعلوم البلاغة. انظر الأعلام للزركلي ج ١ ص ٢٥٨.

بِحَنَاحِهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ.﴾<sup>(١)</sup> يقول:

(وهذه الآية ونحوها ترشدنا إلى البحث في طباع الأحياء لنزداد علماً بسُنن الله وأسرارهِ في خلقهِ، ونزداد بآياته فيها إيماناً وحكمة وكمالاً وعلماً، ونعتبر بحال المكذبين بها الذين لم يستفيدوا مما فضلهم الله به على الحيوان فكانوا أضل من جميع أنواعه التي لا تجني على نفسها ما يجنيه الكافر على نفسه.)<sup>(٢)</sup> وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعَزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ

وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٣)</sup> يقول:

(.... وفي ذلك إشارة إلى أن في الوجود أشياء لا تدركها الأبصار. وقد أثبت العلم الحديث بواسطة الآلات التي تكبر الأشياء أضعافاً مضاعفة (المكروسكوبات) أن هناك أشياء لا يمكن رؤيتها إلا إذا كبرت عن حقيقتها آلاف المرات كالجراثيم (المكروبات) ولم تكن تخطر على البال في عصر التنزيل، وقد ظهرت للناس الآن فهي من روائع الإعجاز العظيمة الدالة على أنه من كلام العليم الخبير.)<sup>(٤)</sup>

ويُبين في موضع آخر بأن العلم يُصدِّق ما أخبر الله تعالى، مضيفاً بأن ذلك سيتضح وسيتحقق بتقدم السنين والأعوام. فيقول:

(والزمان كفيل بتأييد قضايا الكتاب الكريم مهما طال عليها الأمد، وكلما تقدم العلم صدق من أخبر به.)<sup>(٥)</sup>

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٢) تفسير المراغي مج ٣ ج ٧ ص ١١٨. مط: دار الفكر بيروت - لبنان. بدون تاريخ.

(٣) سورة يونس، الآية: ٦١.

(٤) تفسير المراغي مج ٤ ج ١١ ص ١٢٨.

(٥) تفسير المراغي مج ١ ج ٣ ص ٣٠.

رأي حنفي أحمد<sup>(١)</sup>:

يعتبر حنفي أحمد من المؤيدين للتفسير العلمي للقرآن الكريم في العصر الحديث، وقد ألف في ذلك كتاباً بعنوان: التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن دعا فيه إلى استخدام العقل والنظر في الآيات الكونية للقرآن الكريم. ويرى أن هذه الآيات الكونية وما تنطوي عليه من معانٍ دقيقة، تدل دلالة واضحة على أنها موجهة إلى أصحاب العقول والعلماء العارفين بالعلم الحديث، للقيام بكشفها وبيان مكنونها، ومما ذكره في مقدمته لهذا الكتاب قوله:

((لقد جاء الحديث في القرآن عن الكائنات كما جاء غيره من الأحاديث والأنباء مناسبا لجميع الناس على اختلاف درجات عقولهم وأفهامهم فكان ولا يزال لهم جميعاً من ظاهره معان واضحة سهلة تصور لهم صنعة الخالق كما يشاهدونها وتبين لهم ما فيها من آيات القدرة العظيمة لدلائل العلم الواسع مع التوجيه الحكيم إلى غايات محدودة، ورحمات مقصودة لكي يتعرفوا منها بالتعقل والتبصر في غير عناء على خالق الخلق جل وعلا وعلى كمال صفاته وأفعاله، إذ الصنعة دليل لا شك فيه على قدرة الصانع وصفاته ولكي يؤمنوا بعد التعرف عليه بصدق وعده ووعيده. كان هذا ولا يزال هو الغرض العام المقصود من ورود الحديث عن الكائنات في القرآن.

ولكن المتأملين في هذا البحث من أهل العلم والخبرة بالكائنات يرون في ألفاظه وعباراته فوق معانيها الظاهرة معاني أخرى دقيقة تنطوي على أصول وجوامع من العلم الواسع الدقيق عن الكائنات الذي لم يكن معروفاً للناس من قبل ولم يتعرفوا عليه إلا تدريجاً بعد انتشار العلم الحديث بينهم في القرنين

(١) باحث مصري معاصر من أشهر كتبه: التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن.

الأخيرين. وتتكشف هذه المعاني الدقيقة لهؤلاء المتأملين من أصحاب العقول الراجحة على ضوء علمهم الخاص إما من صريح النص حيناً وإما من إشارات ورموز فيه حيناً آخر.

لقد كانت دعوة القرآن دعوة علمية قائمة على تحرير العقول من الأوهام، وإطلاق عقال الفكر وحثه على النظر في صحف الكون، لذلك نرى الكثير من آيات القرآن تنتهي بمثل قوله تعالى:

﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup> وبقوله ﴿ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>

وبقوله ﴿ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>

وإن ما تنطوي عليه الآيات الكونية من معان دقيقة ليدل على أنها موجهة إلى أهل النظر والبحث بصفة خاصة وأنهم هم المقصودون بأمر كشفها ومعرفتها لأنهم يملكون بعلمهم وسيلة معرفتها دون سواهم كما لا يملك معرفة بلاغة الكلام إلا البلغاء ولا يميز الجوهر الثمين من غيره إلا الخبراء.

لذلك بقي الحديث عن الكونيات منذ تنزيله لا يعرف منه سوى ظاهره.

وهذا ولا شك يفي ببلوغ الغرض العام دون الخاص المقصود منه كما قدمنا.

ومن الغريب أنه على الرغم من ذبوع العلم الحديث وتقدمه العظيم في النصف الأول من القرن الحالي فإنه لم يعرف إلى الآن من دقائق معاني حديث القرآن عن الكائنات سوى نذر قليل وقبس ضئيل، ويرجع السبب في ذلك إلى عوامل شتى أهمها في رأينا وراثه العقيدة التي كانت ولا تزال سائدة في الأذهان بأن القرآن رسالة هداية وإرشاد لا شأن لها بأصول العلوم الكونية. وأن حديثه عن

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٨.

(٣) سورة يونس، الآية: ٢٤.

الكائنات لا يحتاج في فهمه إلا لمجرد التعقل والخبرة العادية، وأنه بذلك لا يحوي دقائق أو تفاصيل عن طبائع الكائنات تتطلب علماً خاصاً لإبانتهَا ودركها.

وقد زاد من رسوخ هذه العقيدة الموروثة في أذهان أهل العلم والمتعلمين رؤيتهم هذا الحديث مفرق الأجزاء بين السور والآيات المختلفة على غير ما هو معروف ومألوف لديهم في تصنيف الكتب العلمية فظنوا بذلك أنه لا علاقة ولا رابطة بين أجزاء هذا الحديث في الموضوع الواحد، وغاب عنهم أن هذا التفريق إنما هو مقصود في القرآن لحكمة بالغة في التنزيل بما سنبينه في المقدمة، وأن هذه الآيات أو الأجزاء المفرقة في الموضوع الواحد مثلها مثل الجزئيات والحقائق العلمية التي يقررها البحث العلمي متفرقة أولاً ثم يكون منها بعد ذلك بالجمع والاستقراء والتطبيق الأصول والقواعد العامة.

لقد استبعد أهل العلم والفكر وجود علم مفصل عن الكائنات في القرآن فغاب عنهم بسبب ذلك مفتاح طريق البحث فيه ألا وهو جميع آياته المفرقة وتبويبها على حسب موضوعاتها ثم بحثها بحثاً كاملاً<sup>(١)</sup> وقال في موضع آخر:

((جاء القرآن معجزاً في بلاغة أسلوبه وسُمُو معانيه وجوامع كلمه، وجاء معجزاً بما قصه من سير الأنبياء والمرسلين السابقين، التي ما كان يعلمها سوى علماء أهل الكتاب، وجاء معجزاً بما تضمن من تشريعات حكيمة ومثل عليا تتفق مع طبائع البشر في كل مكان وزمان تكمياً لفطرتهم وضمناً لسعادتهم، وجاء معجزاً بما حوى من آيات العلم والمعرفة الصحيحة عن الجانب المادي من الكون مما لم يكن للناس علمٌ به قبل نزوله أو بعده حتى جاء العلم

(١) التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن لحنفي أحمد، ص ٥، ٦، ٧ ط ٣ مط دار المعارف. مصر. بدون تاريخ.

الحديث بوسائل بحثه الدقيق المستتدة إلى الخبرة والمشاهدة منذ أكثر من قرنين من الزمان فكشف عن كثير منها وأماط اللثام عن حقائقها ولم تتعارض حقائقه معها في شيء ما...

ولما كان القرآن منزلاً للناس كافةً في كل زمان ومكان من أهل العربية وغيرهم، ويصعب على غير العرب إدراك معجزته الكبرى في بلاغته وأسلوبه كان لهم من معجزاته الأخرى التي أوضحناها آنفاً عن طريق ترجمة معانيه ما يمكنهم من إدراك إعجازه ويلزمهم الحجة بصدق دعواه إذ يفي نقل المعاني دون النص الأصلي بالغرض المقصود في هذا الشأن.<sup>(١)</sup>

## ٢- المعارضون للتفسير العلمي حديثاً

إذا كان هناك جماعة من العلماء مؤيدين للتفسير العلمي ومدافعين عنه، فإن هناك بالمقابل جماعة أخرى من أهل العلم تعارض هذا الاتجاه وتعتبره مخالفاً للغرض الذي من أجله أنزل الله تعالى القرآن الكريم. ومن هؤلاء المعارضين: الشيخ محمود شلتوت<sup>(٢)</sup>، والدكتور محمد حسين الذهبي<sup>(٣)</sup>، والدكتور محمد لطفي الصباغ<sup>(٤)</sup> والدكتور عبد المجيد المحتسب<sup>(٥)</sup>...

(١) التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن لحنفي أحمد ص ١٧.

(٢) هو محمود شلتوت: فقيه مفسر مصري ولد في منية بني منصور بالبحيرة سنة ١٣١٠هـ-١٨٩٣م. وتخرج بالأزهر سنة ١٩١٨م. وعين شيخاً للأزهر سنة ١٣٥٨هـ إلى أن توفي سنة ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م. من آثاره المشهورة: التفسير، وهذا هو الإسلام. انظر الأعلام للزركلي ج ٧ ص ١٧٣.

(٣) سبقت ترجمته ص ٥٦.

(٤) سبقت ترجمته ص ٢٣٦.

(٥) الأستاذ الدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب معاصر. من أشهر مؤلفاته: اتجاهات التفسير في العصر الراهن.



وحتى يتضح اتجاههم جيداً، ينبغي عليّ أن أسوق ملخصاً لبعض أقوالهم وآرائهم.

رأي الشيخ محمود شلتوت<sup>(١)</sup>:

يعتبر الشيخ محمود شلتوت من أبرز المعارضين للتفسير العلمي في العصر الحديث، وقد صرح برأيه في مقدمة تفسيره، حيث اعتبر نظرة هؤلاء الذين يتهجون نهج التفسير العلمي للقرآن الكريم نظرة خاطئة من ثلاث جهات:

أ - من جهة أن القرآن كتاب هداية، لم ينزله تعالى ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم وأنواع المعارف.

ب - من جهة أن أصحاب هذا الاتجاه يلجئون إلى تأويل القرآن الكريم تأويلاً متكلفاً يتنافى مع الإعجاز القرآني.

ج - ومن جهة أن العلوم لا تعرف الثبات ولا القرار فتجعل القرآن متعرضاً للدوران مع نتائج هذه العلوم إن طبقناه عليها.

ومما ذكره قوله:

(تفسير القرآن على مقتضى النظريات العلمية:

وأما الناحية الثانية: فإن طائفة أخرى هي طائفة المثقفين الذين أخذوا بطرف من العلم الحديث، وتلقنوا أو تلقفوا شيئاً من النظريات العلمية والفلسفية والصحية وغيرها، أخذوا يستندون إلى ثقافتهم الحديثة، ويفسرون آيات القرآن على مقتضاها.

نظروا في القرآن فوجدوا الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ

مِنْ شَيْءٍ ﴾<sup>(٢)</sup> فتأولوها على نحو زين لهم أن يفتحوا في القرآن فتحاً جديداً،

(١) سبقت ترجمته ص ٢٥٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

ففسروه على أساس من النظريات العلمية المستحدثة، وطبقوا آياته على ما وقعوا عليه من قواعد العلوم الكونية، وظنوا أنهم بذلك يخدمون القرآن، ويرفعون من شأن الإسلام، ويدعون له أبلغ دعاية في الأوساط العلمية والثقافية. نظروا في القرآن على هذا الأساس، فأفسد ذلك عليهم أمر علاقتهم بالقرآن، وأفضى بهم إلى صور من التفكير لا يريدها القرآن، ولا تتفق مع الغرض الذي من أجله أنزله الله، فإذا مرت بهم آية فيها ذكر للمطر، أو وصف للسحاب، أو حديث عن الرعد أو البرق، تهللوا واستبشروا وقالوا: هذا هو القرآن يتحدث إلى العلماء الكونيين، ويصف لهم أحدث النظريات العلمية عن المطر والسحاب وكيف ينشأ وكيف تسوقه الرياح. وإذا رأوا القرآن يذكر الجبال أو يتحدث عن النبات والحيوان وما خلق الله من شيء، قالوا: هذا حديث القرآن عن علوم الطبيعة وأسرار الطبيعة، وإذا رأوه يتحدث عن الشمس والقمر والكواكب والنجوم، قالوا: هذا حديث يثبت لعلماء الهيئة والفلكيين أن القرآن كتاب علمي دقيق!<sup>(١)</sup>

وبعد هذا الذي ذكره راح يبين جوانب اعتبرها خاطئة في هذا الاتجاه، فقال:

#### (جوانب الخطأ في هذا الاتجاه:

هذه النظرة للقرآن خاطئة من غير شك، لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف. وهي خاطئة من غير شك؛ لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل

(١) تفسير القرآن الكريم لمحمود شلتوت ص ١١ ط ٧ س ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م. مط: دار الشروق بيروت - لبنان.

القرآن تأويلاً متكلفاً يتنافى مع الإعجاز، ولا يسيغه الذوق السليم. وهي خاطئة، لأنها تعرض القرآن الكريم للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير، فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غداً من الخرافات. فلو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة. لعرضناه للتقلب معها وتحمل تبعات الخطأ فيها، ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفاً حرجاً في الدفاع عنه. فلندع للقرآن عظمته وجلالته، ولنحفظ عليه قدسيته ومهابته، ولنعلم أن ما تضمنه من الإشارة إلى أسرار الخلق وظواهر الطبيعة إنما هو لقصد الحث على التأمل والبحث والنظر، ليزداد الناس إيماناً مع إيمانهم. وحسبنا أن القرآن لم يصادم - ولن يصادم - حقيقة من حقائق العلوم تطمئن إليها العقول.<sup>(١)</sup>

رأي الدكتور محمد حسين الذهبي:<sup>(٢)</sup>

يعتبر الدكتور محمد حسين الذهبي - هو الآخر - من المعارضين للتفسير العلمي والمنكرين له. وقد صرح برأيه عندما تكلم عن التفسير العلمي في كتابه "التفسير والمفسرون" حيث تعرض لذكر بعض آراء المؤيدين لهذا الاتجاه من التفسير قديماً، ثم ردَّ عليهم برأي الإمام الشاطبي<sup>(٣)</sup>، وبسط أدلته في إنكاره للتفسير العلمي، وقام بترجيح مذهبه، وانتصر له وأيده واعتبر الحق بجانبه، ثم دعمه بأدلة أخرى من ثلاث نواحٍ: من الناحية اللغوية، ومن الناحية

(١) تفسير القرآن الكريم لمحمود شلتوت ص ١٣، ١٤.

(٢) سبقت ترجمته ص ٥٦.

(٣) سبقت ترجمته ص ٢٤٤.

البلاغية، ومن الناحية الاعتقادية.<sup>(١)</sup>

ومما ذكره في إنكاره للتفسير العلمي قوله:

((ويبدو لنا أن أنصار هذه الفكرة - فكرة التفسير العلمي - لم يقولوا بها، ولم يعملوا على تأييدها إلا بعد أن نظروا إليها كوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم. وبيان صلاحيته للحياة، وتمشييه معها على اختلاف أحوالها وتطور أزمانها. ولكن إعجاز القرآن غني عن أن يُسلك في بيانه هذا المسلك المتكلف، الذي قد يُذهب بالإعجاز، وهناك من ألوان الإعجاز غير هذا ما يشهد للقرآن بأنه كتاب الله المنزّل على محمد صلى الله عليه وسلم.

وإذا كان أرباب هذا المسلك في التفسير يستندون إلى ما تناولته بعض آيات القرآن من حقائق الكون ومشاهده، ودعوة الله لهم بالنظر في كتاب الكون وآياته التي بُهّأ في الآفاق وفي أنفسهم، إذا كانوا يستندون إلى مثل هذا في دعواهم أن القرآن قد جمع علوم الأوّلين والآخرين، فهم مخطئون ولا شك، وذلك لأن تناول القرآن لحقائق الكون ومشاهده، ودعوته إلى النظر في ملكوت السموات والأرض وفي أنفسهم، لا يُراد منه إلا رياضة وجدانات الناس، وتوجيه عامتهم وخاصتهم إلى مكان العظة والعبرة، ولفتهم إلى آيات قدرة الله ودلائل وحدانيته، من جهة ما لهذه الآيات والمشاهد من روعة في النفس وجلال في اللب، لا من جهة ما لها من دقائق النظريات وضوابط القوانين، فليس القرآن كتاب فلسفة أو طب أو هندسة.

وليعلم أصحاب هذه الفكرة أن القرآن غني عن أن يعتز بمثل هذا التكلف، الذي يوشك أن يخرج به عن هدفه الإنساني الاجتماعي، في إصلاح

(١) انظر التفسير والمفسرون للذهبي ج ٢ من ص ٣٤٩ إلى ص ٣٦١.

الحياة، ورياضة النفس، والرجوع بها إلى الله تعالى. وليعلم أصحاب هذه الفكرة أيضاً، أن من الخير لهم ولكتابهم أن لا ينحوا بالقرآن هذا المنحى في تفسيرهم، رغبة منهم في إظهار إعجاز القرآن وصلاحيته للتمشي مع التطور الزمني، وحسبهم أن لا يكون في القرآن نص صريح يصادم حقيقة علمية ثابتة، وحسب القرآن أنه يمكن التوفيق بينه وبين ما جدَّ ويجدُّ من نظريات وقوانين علمية، تقوم على أساس من الحق، وتستند إلى أصل من الصحة.<sup>(١)</sup>

#### رأي الدكتور محمد لطفي الصباغ:

بعد أن عرّف الدكتور محمد لطفي الصباغ بالتفسير العلمي، تطرق إلى بيان رأيه فيه، فذكر أن هذا التفسير يعتمد على التوسع في مدلول الكلمات، والآيات القرآنية، وأن أصحابه يعتقدون أن الإعجاز القرآني إنما يتحقق بالإعجاز العلمي! كما اعتبر أن سبب بروز هذا الجانب التفسيري في العصر الحديث هو نتيجة انبهار أصحابه بالحضارة الأوربية، ثم صرح برأيه، معتبراً هذا الاتجاه من التفسير غير سديد ولا يمكن الاعتماد عليه، لأن العلم في قلق وتغيير دائم.

ومما ذكره في هذا المقام قوله:

(ويتماد هذا التفسير على التوسع في مدلول الكلمات، والآيات القرآنية، والاستيحاء من الكلمة منقطة عن سياقها في الآية أحياناً، والاعتماد على الإشارات من هنا ومن هناك أحياناً أخرى، ويذهب القائلون به

(١) التفسير والمفسرون للذهبي ج ٢ ص ٣٦١، ٣٦٢.

إلى أن الإعجاز إنما يتحقق في الإعجاز العلمي، ويقررون بأسلوب خطابي أن كثيراً من النظريات العلمية الحديثة التي تفتق عنها الذهن البشري المعاصر بعد أجيال من الخبرة والمعرفة، وركام من التجارب، قد سبق إليها القرآن قبل بضعة عشر قرناً وأشار إليها، ويحاولون الاستدلال بتحميل الألفاظ فوق ما تحمل ويتكفون لذلك ويتمحلون.

كان الاهتمام بهذا اللون من التفسير نتيجة لانبهار نفر منا بضياء الحضارة الأوروبية، التي فتحنا أعيننا على مخترعاتها وثمرات علومها، فذهب هذا نفر يتلمس إشارات ذلك في القرآن، ويدعو إلى فهم القرآن على ضوء النظريات الحديثة، كأن ما وصلت إليه هذه الحضارة حقائق ثابتة.

ومن أبرز هؤلاء الشيخ طنطاوي جوهرى<sup>(١)</sup> في تفسيره الذي سنتحدث عنه بعد قليل.

والحق أن هذا الاتجاه من التفسير غير سديد، وذلك لأن العلم في قلق وتغيير دائم، وتطور مستمر، ينقض اليوم ما أقره بالأمس، والحقائق العلمية تبقى ثابتة في نظر العلماء حتى تدحضها حقائق أخرى، أما الفرضيات والنظريات فهي منذ أول وهلة في نظرهم لا تعد من الحقائق في شيء.

فكيف يجوز في المنهج الصحيح أن يحتكم في آيات الله التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها إلى تلك النظريات القلقة، والحقائق المعرضة للتغيير<sup>(٢)</sup>؟

رأي الدكتور عبد المجيد المحتسب:

يعتبر الدكتور عبد المجيد المحتسب - هو كذلك - من المنكرين للتفسير العلمي - حديثاً - إذ يرى أن القرآن الكريم ليس كتاب علم مثل الذرة

(١) سبقت ترجمته ص ٢٣٨.

(٢) لمحات في علوم القرآن للدكتور محمد لطفي الصباغ ص ٢٩٣، ٢٩٤.

والكيمياء والفيزياء والهندسة والفلك، بل هو كتاب هداية ورحمة، فلا ينبغي إخضاع الآيات القرآنية للعلوم الكونية والطبيعية وغيرها... ومما ذكره في هذه المسألة قوله:

(إنني أنكر نزعة التفسير العلمي للقرآن الكريم ولا أسوِّغ إخضاع الآيات القرآنية للعلوم الكونية والطبيعية ألبتة، ولا أوافق الذين يستخرجون النظريات العلمية من الآيات القرآنية، لأن القرآن الكريم ليس كتاب علم مثل الكيمياء والذرة والهندسة والفلك والفيزياء وغير ذلك، وإنما هو كتاب أنزله الله تعالى على رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ليكون هدىً ورحمة للناس. هو كتاب الإسلام الذي يشتمل على العقيدة الإسلامية التي ينبثق عنها نظام ينظّم علاقة الإنسان بخالقه "العبادات" وينظّم علاقة الإنسان بنفسه "المطعمومات والملبوسات" وعلاقته بغيره من بني الإنسان "المعاملات").<sup>(١)</sup>

وبعد ما صرح بإنكاره للتفسير العلمي للقرآن الكريم، راح يدلل على ما ذهب إليه بأربعة أدلة أسهب في ذكرها وبيانها.<sup>(٢)</sup>

#### رأبي في التفسير العلمي:

بعد أن عرفنا آراء المؤيدين والمعارضين للتفسير العلمي قديماً وحديثاً وبعد أن وقفنا على أدلة كل فريق من هذين الفريقين المتعارضين، يجدر بي الآن أن أبين رأبي في التفسير العلمي. فأقول:

إن رأبي وسط بين المؤيدين والمعارضين، فلا أؤيده مطلقاً ولا أعارضه مطلقاً، بل أقبله بشروط وهي:

- ١- أن يفسر القرآن الكريم بحقائق علمية لا تقبل التبديل والتغيير.
- ٢- ألا نقطع برأبي في تفاصيل ما يعرض له القرآن من الكونيات إلا إن

(١) اتجاهات التفسير في العصر الراهن للدكتور عبدالمجيد المحتسب ص ٣١٤. ط ٢ س ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م. منشورات مكتبة النهضة الإسلامية. عمان - الأردن.

(٢) انظر اتجاهات التفسير في العصر الراهن لعبدالمجيد المحتسب من ص ٣١٤ إلى ص ٣٢٣.

- كان لنا عليه دليل وبرهان لا شك فيه ولا نكران.<sup>(١)</sup>
- ٣- ألا تطفئ مباحث التفسير العلمي على أهم خاصيتين للقرآن الكريم وهما هدايته وإعجازه.
- ٤- أن تذكر تلك الأبحاث على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة العلمية ويلفتهم إلى جلال القرآن ويحركهم إلى الانتفاع بالكون.<sup>(٢)</sup>
- ٥- أن تستغل هذه الأبحاث العلمية في إثبات وحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته وإضافة أمثلة جديدة للإعجاز العلمي في القرآن الكريم.<sup>(٣)</sup>

### تفردات ابن عاشور في التفسير العلمي

يُعدُّ الطاهر بن عاشور أحد العلماء المؤيدين للتفسير العلمي، والمدافعين عنه في العصر الحديث - كما سبق لي أن بينت ذلك قبل قليل -<sup>(٤)</sup>. وقد اهتم في تفسيره كثيراً بهذا الجانب، خاصة وأنه عاش في عصر تطورت فيه العلوم، وازدهرت فيه التكنولوجيا؛ فاستعان بالاكشافات العلمية على تفسير بعض الآيات القرآنية تفسيراً علمياً تفرد به عن سبقه من كبار المفسرين كالزمخشري وابن عطية والبيضاوي. وهذه التفردات هي:

الأول: قوله بدوران الأرض حول الشمس بدليل قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ

نَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

عند تفسير ابن عاشور لهذه الآية اعتبر أنها دليل على تحرك الأرض ودورانها حول الشمس وأن هذا الحدث واقع في الدنيا وليس في اليوم الآخر حين ينفخ في

(١) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ الزرقاني مج ٢ ص ٣٥٧، ٣٥٨.

(٢) انظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري للدكتور فهد الرومي ج ٢ ص ٦٠٤.

(٣) الإعجاز العلمي نتيجة من نتائج التفسير العلمي للقرآن الكريم، وبين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي عموم وخصوص، فكل إعجاز علمي هو تفسير علمي للقرآن الكريم، وليس كل تفسير علمي إعجازاً علمياً.

(٤) انظر البحث ص ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١.

(٥) سورة النمل، الآية: ٨٨.



الصور كما ذهب إليه جمهور المفسرين.<sup>(١)</sup>

وقد أورد ما ذكره جمهور المفسرين عند تفسيرهم لهذه الآية ورد عليهم،  
ومما ذكره في ذلك قوله:

(الذي قاله جمهور المفسرين: إن الآية حكّت حادثاً يحصل يوم ينفخ في  
الصور فجعلوا قوله ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ عطفاً على ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي  
الصُّورِ ﴾<sup>(٢)</sup> أي ويوم ترى الجبال تحسبها جامدة الخ.. وجعلوا الرؤية بصرية ومر  
السحاب تشبيهاً لتنتقلها بمر السحاب في السرعة وجعلوا اختيار التشبيه بمرور  
السحاب مقصوداً منه إدماج تشبيه حال الجبال حين ذلك المرور بحال السحاب  
في تخلخل الأجزاء وانتفاشها فيكون من معنى قوله ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ  
الْمَنْفُوشِ ﴾<sup>(٣)</sup> وجعلوا الخطاب في قوله ﴿ تَرَى ﴾ لغير معين ليعم كل من يرى

- (١) انظر - مثلاً - التفاسير التالية. إضافة إلى تفاسير الأئمة الثلاثة التي سأذكرها بعد قليل.
- بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي. تحقيق: الدكتور محمود مطرجي ج ٢ ص ٥٩٥.  
دارالفكر. بيروت - لبنان. بدون تاريخ.
- لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ج ٥ ص ١٦٠.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. تح: هشام سمير البخاري ج ١٣ ص ٢٤٢ ط س ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م. ن:  
دار عالم الكتب الرياض - المملكة العربية السعودية.
- تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج ٧ ص ٨٠. دار الفكر بيروت - بدون تاريخ.
- تفسير روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي ج ٦ ص ٣٧٥. دار إحياء التراث  
العربي بيروت. بدون تاريخ.
- مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي ج ٢٤ ص ١٨٩.
- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري. تح: أحمد محمد شاكر ج ١٩ ص ٥٠٦. ط س ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.  
مؤسسة الرسالة.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير. تح: سامي بن محمد سلامة ج ٦ ص ٢١٦. ط س ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.  
دار طيبة للنشر والتوزيع.
- معالم التنزيل للبغوي. ج ٦ ص ١٨٣.
- (٢) سورة النمل، الآية ٨٧.
- (٣) سورة القارعة، الآية: ٥.

وجعلوا معنى هذه الآية في معنى قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ ﴾<sup>(١)</sup> فلما أشكل أن هذه الأحوال تكون قبل يوم الحشر لأن الآيات التي ورد فيها ذكر دك الجبال ونسفها تشير إلى أن ذلك في انتهاء الدنيا عند القارعة وهي النفخة الأولى أو قبيلها فأجابوا بأنها تندك حينئذ ثم تسير يوم الحشر لقوله ﴿ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾<sup>(٢)</sup> إلى أن قال ﴿ يَوْمَ يَذِيَّتْبُعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ﴾<sup>(٣)</sup> لأن الداعي هو إسرافيل...<sup>(٤)</sup>

ثم أتى ابن عاشور بما أورده الماوردي<sup>(٥)</sup> في تفسيره للآية السابقة<sup>(٦)</sup> حين ذكر أن الآية مثل للدنيا يظن الناظر إليها أنها ثابتة كالجبال وهي آخذة حظها في الزوال، أو مثل للإيمان تحسبه ثابتا في القلب وعمله صاعد إلى السماء، أو مثل للنفس عند خروج الروح، والروح تسير إلى العرش، وأن الآية في عمومها مثل ضربه الله وليس بخبر.<sup>(٧)</sup> ثم رد عليه مصرحاً ببعد هذه التأويلات الثلاثة.<sup>(٨)</sup> وبعد هذا أورد ابن عاشور رده على جمهور المفسرين في تفسيرهم لهذه الآية، وأتى بتفسيره الذي يراه صحيحاً حيث جعل تفسير الآية على احتمالين؛

(١) سورة الكهف، الآية ٤٧.

(٢) سورة طه، الآية: ١٠٥.

(٣) سورة طه، الآية: ١٠٨.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١٩ ص ٣١٧.

(٥) هو علي بن محمد حبيب أبو الحسن الماوردي. أقضى قضاة عصره، من العلماء الباحثين. ولد في البصرة سنة ٣٦٤هـ-٩٧٤م. ونسبته إلى بيع ماء الورد. وانتقل إلى بغداد وتوفي بها سنة ٤٥٠هـ-١٠٥٨م من آثاره: أدب الدنيا والدين والأحكام السلطانية، وتفسير القرآن. انظر الأعلام للزركلي ج ٤ ص ٢٢٧.

(٦) الآية: ٨٨ من سورة النمل.

(٧) انظر النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي ج ٤ ص ٢٣٠. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان. بدون تاريخ.

(٨) انظر التحرير والتنوير ج ١٩ ص ٣١٨.

إما أنها وقعت موقع الجملة المعترضة وإما أنها معطوفة على قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا

جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ﴾<sup>(١)</sup>.

فقال:

(وليس في كلام المفسرين شفاء لبيان اختصاص هذه الآية بأن الرائي يحسب الجبال جامدة ولا بيان وجه تشبيه سيرها بسير السحاب ولا توجيه التذييل بقوله تعالى ﴿صَنَّعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فلذلك كان لهذه الآية وضع دقيق ومعنى بالتأمل خليق فوضعها أنها وقعت موقع الجملة المعترضة بين المجمل وبيانه من قوله ﴿فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup> إلى قوله ﴿مَنْ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَرْعٍ يَوْمِئِذٍ ءَامِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup> بأن يكون من تخلل دليل على دقيق صنع الله تعالى في أثناء الإنذار والوعيد إدماجا وجمعا بين استدعاء للنظر وبين الزواجر والنذر كما صنع في جملة ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

أو هي معطوفة على جملة ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ﴾ وجملة ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾<sup>(٥)</sup> معترضة بينهما لمناسبة ما في الجملة المعطوف عليها من الإيماء إلى تمثيل الحياة بعد الموت ولكن هذا استدعاء لأهل العلم والحكمة لتتوجه أنظارهم إلى ما في الكون من دقائق الحكمة وبديع

(١) سورة النمل، الآية: ٨٦.

(٢) سورة النمل، الآية: ٨٧.

(٣) سورة النمل، الآية: ٨٩.

(٤) سورة النمل، الآية: ٨٦.

(٥) سورة النمل، الآية: ٨٧.

الصنعة. وهذا من العلم الذي أودع في القرآن ليكون معجزة من الجانب العلمي يدركها أهل العلم كما كان معجزة للبلغاء من جانبه النظمي كما قدمناه في الجهة الثانية من المقدمة العاشرة.

فإن الناس كانوا يحسبون أن الشمس تدور حول الأرض فينشأ من دورانها نظام الليل والنهار ويحسبون الأرض ساكنة. واهتدى بعض علماء اليونان إلى أن الأرض هي التي تدور حول الشمس في كل يوم وليلة دورة تتكون منها ظلمة نصف الكرة الأرضية تقريبا وضياء النصف الآخر وذلك ما يعبر عنه بالليل والنهار ولكنها كانت نظرية مرموقة بالنقد وإنما كان الدال عليها قاعدة أن الجرم الأصغر أولى بالتحرك حول الجرم الأكبر المرتبط بسيره وهي علة إقناعية لأن الحركة مختلفة المدارات فلا مانع من أن يكون المتحرك الأصغر حول الأكبر في رأي العين وضبط الحساب وما تحققت هذه النظرية إلا في القرن السابع عشر بواسطة الرياضي (غاليلي) الإيطالي.<sup>(١)</sup>

والقرآن يدمج في ضمن دلائله الجمة وعقب دليل تكوين النور والظلمة دليلا رمز إليه رمزا فلم يتناوله المفسرون أو تسمع لهم ركزا.

وإنما ناط دلالة تحرك الأرض بتحريك الجبال منها لأن الجبال هي الأجزاء الناتئة من الكرة الأرضية فظهور تحرك ظلالمها متناقصة قبل الزوال إلى منتهى نقصها ثم آخذة في الزيادة بعد الزوال. ومشاهدة تحرك تلك الظلال تحركا يحاكي دبيب النمل أشد وضوحا للراصد وكذلك ظهور تحرك

(١) هو جاليليو جاليلي عالم فلكي وفيلسوف وفيزيائي، ولد في بيزا في إيطاليا في ١٥ فبراير ١٥٦٤م. وقد كان ماهراً في الرياضيات وهو أول من طبق الطرق التجريبية في البحوث العلمية. وفي سنة ١٩٠٦م صنع منظارا وبه استطاع أن يصل إلى أن الأرض تدور حول الشمس وليس العكس، وبهذا الاكتشاف وغيره خالف غاليلي الكتاب المقدس والكنيسة فوضع في الإقامة الجبرية في بيته إلى أن مات سنة ١٦٤٢م. ثم قدمت الكنيسة اعتذارا له سنة ١٩٨٣م.

قممها أمام قرص الشمس في الصباح والمساء أظهر مع كون الشمس ثابتة في مقرها بحسب أرصاد البروج والأنواء.

ولهذا الاعتبار غير أسلوب الاستدلال الذي في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ ﴾<sup>(١)</sup> فجعل هنا بطريق الخطاب ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ ﴾. والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم تعليماً له لمعنى يدرك هو كنهه ولذلك خص الخطاب به ولم يعمم كما عمم قوله ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ ﴾ في هذا الخطاب وادخار لعلماء أمته الذين يأتون في وقت ظهور هذه الحقيقة الدقيقة. فالنبي - صلى الله عليه وسلم - أطلع الله على هذا السر العجيب في نظام الأرض كما أطلع إبراهيم - عليه السلام - على كيفية إحياء الموتى اختص الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - بعلم ذلك في وقته وأتمنه على علمه بهذا السر العجيب في قرآنه ولم يأمره بتبليغه إذ لا يتعلق بعلمه للناس مصلحة حينئذ حتى إذا كشف العلم عنه من نقابه وجد أهل القرآن ذلك حقا في كتابه فاستلوا سيف الحجة به وكان في قرابه.

وهذا التأويل للآية هو الذي يساعد قوله ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ ﴾ المقتضي أن الرائي يراها في هيئة الساكنة وقوله ﴿ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ إذ هذا التأويل بمعنى الجامدة هو الذي يناسب حالة الجبال إذ لا تكون الجبال ذائبة.

وقوله ﴿ وَهِيَ تَمُرُّ ﴾ الذي هو بمعنى السير ﴿ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ أي مرا واضحا لكنه لا يبين من أول وهلة. وقوله بعد ذلك كله ﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ المقتضي أنه اعتبار بحالة نظامها المألوف لا بحالة انخرام النظام لأن خرم النظام لا يناسب وصفه بالصنع المتقن ولكنه يوصف بالأمر العظيم أو

(١) سورة النمل، الآية: ٨٦.

نحو ذلك من أحوال الآخرة التي لا تدخل تحت التصور.<sup>(١)</sup> وقد رجعت إلى الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في تفاسيرهم لهذه الآية؛ فوقفت على أنهم فسروها بما فسرها به جمهور المفسرين حيث ربطوها بما قبلها وذكروا أن الآية تحدثت عن حادث يحصل يوم القيامة عقب النفخ في الصور<sup>(٢)</sup>، وليس في الدنيا كما بينه ابن عاشور، وبالتالي فإن ابن عاشور قد تفرد عنهم بذلك بل تفرد في هذه المسألة عن جمهور المفسرين. والحق أن ما ذكره ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية في منتهى النفاسة، وتفسيره يتماشى مع ما توصل إليه العلم الحديث.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور منصور محمد حسب النبي<sup>(٣)</sup>:

((ولقد أشار القرآن الكريم إلى حركة الأرض السنوية حول الشمس بآية كريمة تكاد تكون صريحة في الدلالة على الحركة الانتقالية للأرض في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>(٤)</sup>)

وليس عجيباً أن يفوت المفسرين جميعاً<sup>(٥)</sup> المعنى العلمي الذي تحتويه هذه الآية لأنهم لم يكونوا يعرفون أن للأرض حركة ما يومية أو سنوية. ولكن الآن ونحن نعيش عصر العلم وقد تكشفت لنا حركة الأرض حول الشمس

(١) التحرير والتنوير ج ١٩ من ص ٣١٧ إلى ص ٣٢٠.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري مج ٣ ص ٣٧٢. وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٤ ص ٢٧٣. وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٤ ص ١٦٩.

(٣) هو الأستاذ الدكتور منصور محمد حسب النبي أستاذ ورئيس قسم الطبيعة بكلية البنات بجامعة عين شمس بمصر. مصري معاصر.

(٤) سورة النمل، الآية: ٨٨.

(٥) ولكن لم يفت هذا المعنى العلمي للآية الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور كما بينت سابقاً.

نجد أن هذه الآية معجزة علمية قرآنية تقرر أن الجبال ليست ثابتة ولكنها تمر مر السحاب. فالسحاب كما هو معروف لا يتحرك بذاته ولكنه ينتقل محمولا على الرياح، وكذلك الجبال يراها الإنسان ويظنها جامدة في مكانها مع أنها تمر مسرعة لأنها محمولة بواسطة الأرض التي تجري في مدارها حول الشمس. ولقد أخطأ المفسرون حينما اعتقدوا أن هذه الآية تشير إلى زوال الجبال يوم القيامة ومن هنا صرفوا المعنى عما تحتويه الآية من الإشارة إلى ظاهرة كونية عظيمة فيها من إتقان الصنع ما يدل على جلال حكمة الله وقدرته سبحانه طبقاً لقوله تعالى: ﴿صَنَّ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup>

الثاني: قوله بأن مماثلة الأرض للسماوات في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾<sup>(٢)</sup> راجعة إلى المماثلة في الخلق العظيم، خلافاً لجمهور المفسرين الذين جعلوا المماثلة في العدد السبع:

عند تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ ذكر أن قوله تعالى ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ عطف على ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾، وأن المعطوف يحتمل وجهين: إما أن يكون ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ﴾ على أن يكون ﴿وَمِنَ﴾ حرفاً مزيداً للتوكيد، وتكون المماثلة في دلالة خلق الأرض على عظيم قدرة الله تعالى، وإما أن يكون المعطوف ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ ويكون قوله: ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ بيانا للمثل، والمماثلة حينئذ إما أن تكون في الكروية وإما أن

(١) الكون والإعجاز العلمي للقرآن للدكتور منصور محمد حسب النبي ص ١٦٦، ١٦٧. دارالفكر العربي، بدون تاريخ.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

تكون في العدد<sup>(١)</sup>، ثم رجح الوجه الأول فقال:

(ومماثلة الأرض للسماوات في دلالة خلقها على عظيم قدرة الله تعالى، أي أن خلق الأرض ليس أضعف دلالة على القدرة من خلق السماوات لأن لكل منهما خصائص دالة على عظيم القدرة.

وهذا أظهر ما تُؤوّلُ به الآية.

وفي إفراد لفظ ﴿الأرض﴾ دون أن يُؤتى به جمعاً كما أتى بلفظ

السماوات إيدان بالاختلاف بين حالتهما)<sup>(٢)</sup>

وبعد هذا، أورد ابن عاشور رأي الجمهور وعقب عليه، واعتبر الحديث الصحيح الذي ينص على سبع أرضين في قوله صلى الله عليه وسلم "من ظلم قيد شبر طُوفه من سبع أرضين"<sup>(٣)</sup> خاصة بشأن من شؤون الآخرة، وأن العدد سبع يجوز أن يكون للمبالغة في مضاعفة العدد. فقال:

(وجمهور المفسرين<sup>(٤)</sup> جعلوا المماثلة في عدد السبع وقالوا: إن الأرض سبع طبقات فمنهم من قال هي سبع طبقات مُبسطة تفرق بينها البحار. وهذا مروى عن

(١) انظر التحرير والتنوير ج ٢٨ ص ٣٠٤.

(٢) المرجع السابق ج ٢٨ ص ٣٠٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب بدء الخلق. باب ما جاء في سبع أرضين وقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ سورة الطلاق/١٢ ج ٣ ص ١١٦٧، ١١٦٨، حديث رقم ٣٠٢٣. ط ٣ س ١٤٠٧-١٩٩٧م دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق - سوريا.

(٤) انظر - مثلاً - التفاسير التالية: إضافة إلى تفاسير الأئمة الثلاثة التي سأذكرها بعد قليل.

- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري. تح: أحمد محمد شاكر ج ٢٣ ص ٤٦٩. (مصدر سابق).

- معالم التنزيل للبغوي. ج ٨ ص ١٥٨.

- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. ج ١٨ ص ١٧٤.

- تفسير النسفي. تح: مروان محمد الشعار ج ٤ ص ٣٩٢ ط س ٢٠٠٥. دار النفائس بيروت - لبنان.



ابن عباس<sup>(١)</sup> من رواية الكلبي<sup>(٢)</sup> عن أبي صالح<sup>(٣)</sup> عنه، ومنهم من قال هي سبع طباق بعضها فوق بعض وهو قول الجمهور. وهذا يقرب من قول علماء طبقات الأرض (الجيولوجيا)، من إثبات طبقات أرضية لكنها لا تصل إلى سبع طبقات.

وفي «الكشاف» «قيل ما في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه»<sup>(٤)</sup> اهـ. وقد علمت أنها لا دلالة فيها على ذلك...

وأنت قد تبينت أن أفراد الأرض مشعر بأنها أرض واحدة وأن المماثلة في قوله: ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ راجعة إلى المماثلة في الخلق العظيم، وأما الحديث فإنه في شأن من شؤون الآخرة وهي مخالفة للمتعارف، فيجوز أن يطوق الغاصب بالمقدار الذي غصبه مضاعفاً سبع مرات في الغلظ والثقل، على أن عدد السبع يجوز أن يراد به المبالغة في المضاعفة. ولو كان المراد طبقات معلومة لقال: طوقه من السبع الأرضين بصيغة التعريف.<sup>(٥)</sup>

ثم ذكر ابن عاشور أنه على احتمال قبول كلام جمهور المفسرين من أن المماثلة تكون في عدد السبع، فإن العدد حينئذ يرجع إلى سبع قارات، ذكرها بأسمائها مخالفاً في ذلك المعنى الاصطلاحي التي سُميت به هذه القارات في كتب الجغرافيا<sup>(٦)</sup>، فقال:

(١) سبقت ترجمته ص ١٠٩.

(٢) سبقت ترجمته ص ٢٠٠.

(٣) سبقت ترجمته ص ٢٠١.

(٤) الكشاف للزمخشري مج ٤ ص ٥٤٨.

(٥) التحرير والتنوير ج ٢٨ ص ٣٠٥.

(٦) القارة هي أكبر وحدة من كتل اليابسة. والقارات هي: أوروبا، وآسيا وأفريقيا، وأمريكا الشمالية، وأمريكا الجنوبية، وأستراليا، والقارة المتجمدة الجنوبية وهناك من يجعل أوروبا وآسيا قارة واحدة باسم أوراسيا. وتبلغ مساحة هذه القارات بما فيها من الجزر المحيطة بها حوالي ٢٩٪ من المساحة الكلية. لسطح الأرض. انظر الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة للدكتور ياسين صلاواتي ج ٦ ص ٢٦٩٠.

(وعلى مجازة تفسير الجمهور لقوله: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ من المماثلة في عدد السبع، فيجوز أن يقال: إن السبع سبع قطع واسعة من سطح الأرض يفصل بينها البحار نسميها القارات ولكن لا نعني بهذه التسمية المعنى الاصطلاحي في كتب الجغرافيا القديمة أو الحديثة بل هي قارات طبيعية كان يتعذر وصول سكان بعضها إلى بعضها الآخر في الأزمان التي لم يكن فيها تنقل بحري وفيما بعدها مما كان ركوب البحر فيها مهولاً! وهي أن آسيا مع أوروبا قارة، وإفريقيا قارة، وأستراليا قارة، وأميركا الشمالية قارة، وأميركا الجنوبية قارة، وجروولندا في الشمال، والقارة القطبية الجنوبية. ولا التفات إلى الأجزاء المتفرقة من الأرض في البحار، وتكون ﴿مِنَ﴾ تبعيضية لأن هذه القارات الاصطلاحية أجزاء من الأرض.<sup>(١)</sup>

وقد رجعت إلى الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في تفاسيرهم لهذه الآية، فوجدتهم قد جعلوا المماثلة المذكورة في الآية راجعة إلى عدد السبع. فقال الزمخشري: (قيل: ما في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه...)<sup>(٢)</sup>

وقال ابن عطية: (... وأما الأرض فالجمهور على أنها سبع أرضين، وهو ظاهر هذه الآية، وأن المماثلة إنما هي في العدد، ويستدل بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من غصب شبراً من أرض طوقه من سبع أرضين »<sup>(٣)</sup> (...)<sup>(٤)</sup>

(١) التحرير والتنوير ج ٢٨ ص ٣٠٥، ٣٠٦.

(٢) الكشاف للزمخشري مج ٤ ص ٥٤٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه. بلفظ ((من ظلم من الأرض شيئاً طوقه من سبع أرضين)) كتاب المظالم والغصب. باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض ج ٢ ص ٨٦٦. حديث رقم ٢٣٢٠. وأخرجه مسلم بلفظ "من أخذ شبراً من الأرض طوقه من سبع أرضين". انظر صحيح مسلم. كتاب المساقاة والمزارعة. باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها. ص ٧٠٤. حديث رقم ٤١٣٤.

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية مج ٥ ص ٣٢٧.

وقال البيضاوي: ﴿ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ أي: وخلق مثلهن في العدد من الأرض...<sup>(١)</sup>

وانطلاقاً مما سبق يتضح لنا أكثر أن ابن عاشور قد خالف الأئمة الثلاثة: الزمخشري، وابن عطية، والبيضاوي، بل خالف جمهور المفسرين، فتفرد عنهم جميعاً فيما ذهب إليه بأن المماثلة في الآية السابقة راجعة إلى المماثلة في الخلق العظيم، وغير راجعة إلى المماثلة في العدد.

والحق أن مخالفة ابن عاشور لجمهور المفسرين في تفسيره لهذه الآية، ليس دقيقاً بل يعد خاطئاً، لأن جمهور المفسرين بنوا تفسيرهم على ما ورد صراحة في الكتاب والسنة الصالحة للحجية بدون تأويل، لأن المماثلة في العدد مصرح بها في آية سورة الطلاق وفي الحديث الصحيح الذي ذكرته قبل قليل. فلماذا يلجأ الشيخ ابن عاشور إلى التأويل في الوقت الذي لا يحتاج فيه إلى ذلك؟

وأيضاً فإن ما ذكره بأن كلام الجمهور الذي ينص على المماثلة في العدد "يقرب من علماء طبقات الأرض (الجيولوجيا) من إثبات طبقات أرضية لكنها لا تصل إلى سبع طبقات."<sup>(٢)</sup> يجعلني أحكم على قوله هذا بالخطأ الظاهر، لأنه ردّ قول جمهور المفسرين المعتمد فيه على القرآن والحديث الصحيح بسبب أن علماء الجيولوجيا أثبتوا بعض طبقات الأرض، ولم يصلوا إلى سبع طبقات!! بمعنى أن الشيخ ابن عاشور لم يعتمد المماثلة في العدد بين الأرض والسماء لأن علماء طبقات الأرض لم يثبتوا ذلك، وكان النتيجة العلمية - في نظر ابن عاشور - هي الحَكَم وهي التي يقاس عليها، وهذا غير صحيح،

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٥ ص ٢٢٣.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٨ ص ٣٠٥.

فإن النتائج العلمية تابعة للنصوص القرآنية وليس العكس.

كذلك فإن البحث العلمي ما يزال مستمرا ولم يتوقف في عصر من العصور، وما لم يتوصل إليه العلماء بالأمس أو اليوم، فبالإمكان التوصل إليه في المستقبل.

وفي هذا الصدد يذكر الدكتور منصور محمد حسب النبي المتخصص في علم الطبيعة - أن مماثلة الأرض للسموات المنصوص عليها في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ راجعة إلى المماثلة في العدد مستدلاً على ذلك بالكتاب والسنة، مبينا أن العلماء لم يتوصلوا بعد إلى الكشف عن سبع أرضين، ولكن البحث العلمي ما يزال مستمراً. فقال:

(واليوم ونحن نعيش عصر الفضاء حيث يلهث العلم وراء البحث عن الحياة على الكواكب الأخرى في المجموعة الشمسية أو على كواكب النجوم الأخرى في هذا الكون الفسيح! يجب علينا أن نعيد التأمل في الآيات القرآنية الخاصة بهذا الموضوع لعنا نستطيع أن نصل إلى التفسير الصحيح من خلال ما يحتويه القرآن من إشارات تومض في العقل كبرق خاطف والتي قد فات فهمها على المفسرين القدماء بينما تتضح معانيها لنا في هذا العصر! وإذا كان القرآن قد سبق العلم الحديث بتقرير حقائق كونية لم يكشفها العلم إلا بعد عصر القرآن بقرون، فلا غرابة في أن يخبرنا ويخبر الإنسانية التي أنزل لهدايتها بحقائق لم يكشف عنها العلماء إلى اليوم مثل وجود حياة في السماء تشبه الحياة على الأرض، ومثل وجود سبع أرضين وسبع سموات كما في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾<sup>(١)</sup> ...

ويتضح هذا المعنى الذي يفيد بأن هناك أرضين سبعا عندما نقرأ قول الرسول الكريم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في الحديثين الصحيحين الشريفين التاليين:

((من ظلم قيدَ شبرٍ من الأرض طوّقه من سبعِ أرضين..))<sup>(١)</sup>

وقول الرسول الكريم:

((اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأراضين السبع وما أقللن))<sup>(٢)</sup>  
 مما يفيد بأن لكل أرض سماء تعلوها. فاللغة تقول إن السماء ما علا الأرض وأن هناك مقابلة بينهما كما يتضح من بديعيات قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأُ أَقْلِعِي﴾<sup>(٣)</sup>.

والعلم لا يعرف إلى الآن ما هي السموات السبع ولكننا نستطيع أن نفهم من الآيات القرآنية أن هناك غير السماء المقابلة لأرضنا ست سموات أخرى وأن هناك غير أرضنا ست أرضين، ولكل أرض سماؤها وأن هذه الأرضين والسموات يتنزل بينهن الأمر الإلهي وأن هذا الأمر الإلهي المشار إليه في آية سورة الطلاق لابد أن يكون موجها إلى كائنات عاقلة موجودة على هذه الأرضين الأخرى التي قد يتمكن العلماء في المستقبل من الكشف عنها إذا آن الأوان لتعلم الإنسانية ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾<sup>(٤)</sup> ومما يؤيد هذا التفسير الذي يتوقع وجود الحياة في السموات كما في أرضنا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِمُ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ

(١) حديث صحيح سبق تخريجه ص ٢٧٥.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين. كتاب المناسك. ج ١ ص ٤٤٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. دارالمعرفة بيروت - لبنان بدون تاريخ.

(٣) سورة هود، الآية: ٤٤.

(٤) سورة الطلاق، الآية ١٢.

دَابَّةٌ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿١﴾... ﴿٢﴾

بقي لي أن أقول: إن ما ذكره ابن عاشور - مجازة لجمهور المفسرين - بأن المماثلة بين الأرض والسماء تكمن في العدد السبع، وذكر في ذلك سبع قارات وسمائها.

فهذا كله ما لا يباه العقل ولكن يحتاج إلى دليل أو حقيقة علمية توصل إليها العلم الحديث.

وإذا كان ابن عاشور قد اعتمد أو استأنس برواية الكلبي<sup>(٣)</sup> عن أبي صالح<sup>(٤)</sup> عن ابن عباس<sup>(٥)</sup> التي تنص على أن الأرض سبع طبقات منبسطة تفرق بينها البحار، فهذه الرواية ساقطة، والكلبي مجروح لا يعتمد عليه عند أهل العلم.<sup>(٦)</sup>

الثالث: قوله بأن الأرض كروية بدليل قوله تعالى: ﴿يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾<sup>(٧)</sup>

عند تفسير ابن عاشور لهذه الآية بين حقيقة التكوير واعتبر أن مادته آتية من اسم الكرة، واستدل بتكوير الليل على النهار على كروية الأرض. ومما ذكره في ذلك قوله:

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٩.

(٢) الكون والإعجاز العلمي للقرآن للدكتور منصور محمد حسب النبي ص ٣٥٣، ٣٥٤.

(٣) سبقت ترجمته ص ٢٠٠.

(٤) سبقت ترجمته ص ٢٠١.

(٥) سبقت ترجمته ص ١٠٩.

(٦) ورد عن سفيان الثوري، أن محمد بن السائب الكلبي قال له: ما حدثت عني عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب فلا تروه. وعن يحيى بن معين قال: الكلبي ليس بشيء.

انظر الجرح والتعديل لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ج ٧ ص ٢٧٠. رقم ١٤٧٨. ط ١ س ١٢٧١هـ-١٩٥٢م. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد - الدكن - الهند.

(٧) سورة الزمر، الآية: ٥.

(والتكوير حقيقته: اللف والليُّ، يقال: كَوَّرَ العمامةَ على رأسه إذا لواها ولفَّها، ومثَّلت به هنا هيئة غشيان الليل على النهار في جزء من سطح الأرض وعكسُ ذلك على التعاقب بهيئة كَوَّرَ العمامة، إذ تغشى الليَّةُ الليَّةَ التي قبلها. وهو تمثيل بديع قابل للتجزئة بأن تشبه الأرض بالرأس، ويشبه تعاور الليل والنهار عليها بلف طيات العمامة، ومما يزيده إبداعاً إيثار مادة التكوير الذي هو معجزة علمية من معجزات القرآن المشار إليها في المقدمة الرابعة والموضحة في المقدمة العاشرة، فإن مادة التكوير جائية من اسم الكرة، وهي الجسم المستدير من جميع جهاته على التساوي، والأرض كروية الشكل في الواقع وذلك كان يجهله العرب وجمهور البشر يومئذٍ فأوماً القرآن إليه بوصف العَرَضين اللذين يعتريان الأرض على التعاقب وهما النور والظلمة، أو الليل والنهار، إذ جعل تعاورهما تكويراً لأن عَرَض الكرة يكون كروياً تبعاً لذاتها، فلما كان سياق هذه الآية للاستدلال على الإلهية الحقِّ بإنشاء السموات والأرض اختياراً للاستدلال على ما يتبع ذلك الإنشاء من خلق العَرَضين العظيمين للأرض مادةً التكوير دون غيرها من نحو الغشيان الذي عبر به في قوله تعالى: ﴿يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾<sup>(١)</sup>، لأن تلك الآية مسوقة للدلالة على سعة التصرف في المخلوقات لأن أولها ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾<sup>(٢)</sup> فكان تصوير ذلك بإغشاء الليل النهار خاصة لأنه دل على قوة التمكّن من تغييره أعراض مخلوقاته، ولذلك اقتصر على تغيير أعظم عَرَض وهو النور بتسليط الظلمة عليه، لتكون هاته الآية لمن يأتي من المسلمين الذين يطلعون على علم الهيئة فتكون معجزة عندهم.<sup>(٣)</sup>

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٣) التحرير والتنوير ج ٢٤ ص ١٩، ٢٠.

وقد رجعت إلى الأئمة الثلاثة الزمخشري، وابن عطية والبيضاوي عند تفسيرهم لهذه الآية فوجدتهم قد سكتوا عن بيان ما تشير إليه الآية من الناحية العلمية<sup>(١)</sup> مما يؤكد أن ابن عاشور قد تفرد عنهم ببيان ذلك. والحق أن ما ذهب إليه ابن عاشور يؤكد البحث العلمي. وفي هذا الصدد يقول الدكتور منصور محمد حسب النبي<sup>(٢)</sup> تحت عنوان كروية الأرض:

((لم يكن التوصل إلى كروية الأرض أمراً سهلاً ميسوراً وخاصة أن الاعتماد على الحواس وحدها دون التدقيق في الظواهر كان دائماً يعطي الإنسان انطباعاً بأن الأرض مستوية السطح. ولقد توصل العلم الحديث بالدليل التجريبي وبالتصوير من سفن الفضاء بأن الأرض كروية تقريباً فتأمل قول الله تعالى: ﴿يَكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾<sup>(٣)</sup>)

فما السر في استخدام لفظ يكور دون لفظ يبسط الليل والنهار مادامت الأرض منبسطة ظاهرياً... أو يغير الليل والنهار، أو أي لفظ آخر... إنك لو جئت بشيء ولففته حول كرة فتقول أنك كورت هذا الشيء. وحيث إن الغلاف الجوي للأرض يحيط بالأرض مشدوداً إليها بقوة الجاذبية من جميع الجهات فإن هذا الغلاف يأخذ شكل الأرض، وحيث إن ضوء النهار ينشأ بالتشتت على ذرات وجسيمات هذا الغلاف فإن النهار والليل متكوران على الأرض وبهذا فإن الآية الكريمة تشير إلى كروية الأرض بدليل كروية غلافها الجوي بنهاره أو ليله، وكذلك تشير إلى عملية التبادل بين النهار والليل نتيجة دوران الأرض حول نفسها وأن الليل والنهار موجودان في نفس الوقت حول الكرة الأرضية.

(١) انظر الكشاف للزمخشري مج ٤ ص ١٠٨، ١٠٩. وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٤ ص ٥١٩. وانظر

أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٥ ص ٣٧.

(٢) سبق تعريفه ص ٢٧٣.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥.



فنصف الأرض المواجه للشمس يكون نهارا والنصف الآخر يكون ليلا، ولن يسبق أحدهما الآخر. فعندما تدور الأرض حول نفسها يصبح النهار ليلا ويصبح الليل نهارا وهكذا يتعاقبان كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾<sup>(١)</sup> ((...))<sup>(٢)</sup>

الرابع: قوله بأن نور النجوم مكتسب من أشعة الشمس وطمسه يقتضي طمس نور الشمس.

عند تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾<sup>(٣)</sup>

ذكر أن معظم النجوم تكتسب نورها من الشمس وأن انطماس نورها راجع إلى انطماس نور الشمس فقال:

(وطمس النجوم: زوال نورها، وأن معظم ما يلوح للناس من النجوم سببه انعكاس أشعة الشمس عليها حين احتجاب ضوء الشمس على الجانب المظلم من الأرض، فطمس النجوم يقتضي طمس نور الشمس، أي زوال التهابها بأن تبرد حرارتها، أو بأن تعلق سطحها طبقة رمادية بسبب انفجارات من داخلها، أو بأن تتصادم مع أجرام سماوية أخرى لاختلال نظام الجاذبية فتندك وتتكسر قطعاً فيزول التهابها.)<sup>(٤)</sup>

وقد رجعت إلى الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في تفسيرهم لهذه الآية؛ فوجدتهم قد سكتوا عن بيان مصدر نور النجوم<sup>(٥)</sup>، مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم بذلك.

(١) سورة يس، الآية: ٤٠.

(٢) الكون والإعجاز العلمي للقرآن للدكتور منصور محمد حسب النبي ص ١٥٨، ١٥٩. بتصرف.

(٣) سورة المرسلات، الآية: ٨.

(٤) التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ٣٩٢.

(٥) انظر الكشاف للزمخشري مج ٤ ص ٦٦٥.

وانظر: المحرر الوجيز لابن عطية مج ٥ ص ٤١٧.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٥ ص ٢٧٤.

والحق أن ما ذكره ابن عاشور لا يوافق ما أثبتته العلم الحديث، لأن ما ثبت علمياً ينص على أن نور النجم هو نتيجة الطاقة الموجودة في باطن النجم نفسه، وليس هو نتيجة انعكاس أشعة الشمس عليه كما ذهب إلى ذلك ابن عاشور. وفي هذا الصدد يقول الدكتور منصور حسب النبي:

(يولد النجم عادة عندما تتراكم كميات كثيفة من الغاز والتراب الكوني البارد من الفضاء الكوني بفعل الجاذبية ويظل هذا التراكم مستمرا لفترة قد تمتد من ١٠ إلى ٥٠٠ مليون سنة حسب كتلة النجم يبدأ بعدها التفاعل النووي لأن ازدياد التراكم يؤدي أولاً إلى تقلص النجم نتيجة ازدياد الجاذبية فترتفع درجة الحرارة والضغط في باطن النجم تماماً كما ترتفع درجة حرارة غاز وضغطه عندما ينكمش حجمه! وتصبح الكرة النجمية متوهجة ذاتياً لتعلن عن ميلاد نجم جديد طاقته ناشئة أساساً من انكماشه التجاذبي. وبهذا يبدأ النجم مرحلة الطفولة ويتركب عادة من الأيدروجين مخلوطاً بكمية صغيرة من الهيليوم وشوائب بسيطة من العناصر الثقيلة.

وعندما يتزايد الضغط وترتفع درجة الحرارة إلى ملايين الدرجات في باطن النجم يبدأ فوراً التفاعل النووي الاندماجي حيث يندمج الأيدروجين مكوناً هيليوم وتنتج الطاقة التي تتطلق من المركز إلى سطح النجم على هيئة أشعة جاما<sup>(١)</sup> فيسخن السطح إلى آلاف الدرجات ويتوهج وتتطلق منه الطاقة الضوئية المرئية وغير المرئية وتتحدد بذلك قوة إضاءة النجم ولون سطحه الذي يعتمد على مساحة سطحه ودرجة حرارته<sup>(٢)</sup>).

(١) هي أشعة كهرومغناطيسية، تم اكتشافها سنة ١٩٠٠م على يد العالم الفرنسي: فيلارد. وهي نتاج للتفاعلات النووية التي غالباً ما تحدث في الفضاء. انظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا على شبكة الانترنت [www.wikipedia.org/wiki](http://www.wikipedia.org/wiki)

(٢) الكون والإعجاز العلمي للقرآن للدكتور منصور محمد حسب النبي ص ٢٨٠، ٢٨١.

وانطلاقاً مما سبق يتضح جلياً أن ما ذهب إليه ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية حينما ذكر أن النجوم تأخذ نورها من أشعة الشمس، يعد تفسيراً خاطئاً وتفرداً مرجوحاً، بعيداً عما توصل إليه العلم الحديث.

الخامس: بيانه كيفية وأسباب انفجار الماء أو خروجه من الصخور.

عند تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ...﴾<sup>(١)</sup>.

ذكر أن الآية قد أشارت إلى طريقتين في انفجار الماء أو خروجه من الصخور، ونصَّ على أن هذا يوافق ما تقرر في علم الجغرافيا الحديثة الذي يثبت كيفية وأسباب انفجار الماء من الصخور الكلسية<sup>(٢)</sup>، وخروجه من الصخور غير الكلسية ومما ذكره في ذلك قوله:

(وقد أشارت الآية إلى أن انفجار الماء من الأرض من الصخور منحصر في هذين الحالين وذلك هو ما تقرر في علم الجغرافيا الطبيعية أن الماء النازل على الأرض يخرق الأرض بالتدرج لأن طبع الماء النزول إلى الأسفل جريا على قاعدة الجاذبية فإذا أضغط عليه بثقل نفسه من تكاثره أو بضاغط آخر من أهوية الأرض تطلب الخروج حتى إذا بلغ طبقة صخرية أو صلصالية طفا هناك فالحجر الرملي يشرب الماء، والصخور والصلصال لا يخرقها الماء إلا إذا كانت الصخور مركبة من مواد كلسية وكان الماء قد حمل في جريته أجزاء من معدن الحامض الفحمي فإن له قوة على تحليل الكلس فيحدث ثقبا في الصخور الكلسية حتى يخرقها فيخرج منها نابعا كالعيون. وإذا اجتمعت

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٤.

(٢) الصخور الكلسية: هي التي تتكون من كربونات الكالسيوم.

العيون في موضع نشأت عنها الأنهار كالنيل النابع من جبال القمر، وأما الصخور غير الكلسية فلا يفتتها الماء ولكن قد يعرض لها انشقاق بالزلازل أو بفلق الآلات فيخرج منها الماء إما إلى ظاهر الأرض كما نرى في الآبار وقد يخرج منها الماء إلى طبقة تحتها فيختزن تحتها حتى يخرج بحالة من الأحوال السابقة. وقد يجد الماء في سيره قبل الدخول تحت الصخر أو بعده منفذا إلى أرض ترابية فيخرج طافيا من سطح الصخور التي جرى فوقها. وقد يجد الماء في سيره منخفضات في داخل الأرض فيستقر فيها ثم إذا انضمت إليه كميات أخرى تطلب الخروج بطريق من الطرق المتقدمة ولذلك يكثُر أن تتفجر الأنهار عقب الزلازل).<sup>(١)</sup>

وقد رجعت إلى الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في تفاسيرهم لهذه الآية، فوقفنا على عدم تعرضهم إلى ما أثبتته العلم الحديث في كيفية وأسباب خروج الماء وتدفقه من الصخور<sup>(٢)</sup>، مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم بتفسيره لهذه الآية تفسيراً علمياً.

والظاهر أن ما ذكره ابن عاشور يتماشى مع الاكتشافات العلمية الحديثة فقد أثبت العلم الحديث أن الصخور تقوم بدور أساسي في تجميع المياه الجوفية وتخزينها، وأن خروجها من الأرض منحصر في الحالتين اللتين ذكرهما القرآن الكريم.

فإما أن تتفجر، وإما أن تخرج بدون انفجار. وهذا بدوره يرجع إلى نوعية الصخور.

فالصخور نوعان - كما بين ابن عاشور ووافق على ذلك العلم الحديث -

(١) التحرير والتنوير ج ١ ص ٥٤٧، ٥٤٨.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ١٥٦، ١٥٧.

وانظر: المحرر الوجيز لابن عطية مج ١ ص ١٦٧.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ١ ص ٨٨.

فإما أن تكون صخوراً صلبة لا يستطيع الماء أن ينفذ منها، وبسببها تتجمع المياه في داخل الأرض، ثم تتفجر منها الأنهار بعد امتلائها. وإما أن تكون صخوراً تراسبية كلسية أو طباشيرية فتتشرب الماء وتخزنه، ثم يخرج منها على شكل عيون لوجود فتحات صغيرة جداً أو شقوق.<sup>(١)</sup>

السادس والسابع والثامن: بيانه لحكمة تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير. عند تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup>

بين حكمة تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير من الناحية العلمية.

#### ١- بيانه لحكمة تحريم الميتة:

قال ابن عاشور:

(واعلم أن حكمة تحريم الميتة فيما أرى هي أن الحيوان لا يموت غالباً إلا وقد أصيب بعلة، والعلل مختلفة وهي تترك في لحم الحيوان أجزاء منها فإذا أكلها الإنسان قد يخالط جزءاً من دمه جراثيم الأمراض مع أن الدم الذي في الحيوان إذا وقفت دورته غلبت فيه الأجزاء الضارة على الأجزاء النافعة ولذلك شرعت الذكاة لأن المذكي مات من غير علة غالباً ولأن إراقة الدم الذي فيه تجعل لحمه نقياً مما يخشى منه أضرار).<sup>(٣)</sup>

وقال في موضع آخر:

((والميتة الحيوان الذي زالت منه الحياة والموت حالة معروفة تنشأ عن

(١) انظر منتديات القرآن الكريم على شبكة الانترنت.

.www.quransite.com/vb/showthread.php?t=19815.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٣.

(٣) التحرير والتنوير ج ٢ ص ١١٦.

وقوف حركة الدم باختلال عمل أحد الأعضاء الرئيسية أو كلها. وعلة تحريمها أن الموت ينشأ عن علل يكون معظمها مضرا بسبب العدوى وتمييز ما يُعدي عن غيره عسير، ولأن الحيوان الميت لا يُدرى غالبا مقدار ما مضى عليه في حالة الموت، فربما مضت مدة تستحيل معها منافع لحمه، ودمه مضاراً، فنيط الحكم بغالب الأحوال وأضبظها.))<sup>(١)</sup>

## ٢- بيانه لحكمة تحريم الدم:

قال ابن عاشور:

((وحكمة تحريم الدم أن شربه يورث ضراوة في الإنسان فتغلظ طباعه ويصير كالحيوان المفترس وهذا مناف لمقصد الشريعة لأنها جاءت لإتمام مكارم الأخلاق وإبعاد الإنسان عن التهور والهمجية ولذلك قيد في بعض الآيات بالمسفوح أي المهراق، لأنه كثير لو تناوله الإنسان اعتاده ولو اعتاده أورثه ضراوة، ولذا عفت الشريعة عما يبقى في العروق بعد خروج الدم المسفوح بالذبح أو النحر.))<sup>(٢)</sup>

وقال في موضع آخر:

((والظاهر أن علة تحريمه القذارة: لأنه يكتسب رائحة كريهة عند لقائه الهواء ... أو لأنه يحمل ما في جسد الحيوان من الأجزاء المضرة التي لا يحاط بمعرفتها، أو لما يحدثه تعود شرب الدم من الضراوة التي تعود على الخلق الإنساني بالفساد.))<sup>(٣)</sup>

## ٣- بيانه لحكمة تحريم لحم الخنزير:

قال ابن عاشور:

((وحكمة تحريم لحم الخنزير أنه يتناول القاذورات بإفراط فتشأ في

(١) المصدر السابق، ج ٥ ص ٢١.

(٢) التحرير والتنوير ج ٢ ص ١١٧.

(٣) المصدر السابق، ج ٥ ص ٢١. بتصرف.

لحمه دودة مما يقتاته لا تهضمها معدته فإذا أصيب بها آكله قتلته.<sup>(١)</sup>  
وقال في مكان آخر:  
(وعلة تحريم الخنزير أن لحمه يشتمل على جراثيم مضرّة لا تقتلها حرارة النار عند الطبخ، فإذا وصلت إلى دم آكله عاشت في الدم فأحدثت أضراراً عظيمة منها مرض الديدان التي في المعدة).<sup>(٢)</sup>  
وقد رجعت إلى الأئمة الثلاثة: الزمخشري، وابن عطية، والبيضاوي في تفاسيرهم للآيات الأربع في القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>، والتي تتحدث عن تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير... فوجدتهم قد سكتوا عن بيان علة أو حكمة تحريم هذه المذكورات<sup>(٤)</sup>؛ مما يؤكد أن ابن عاشور قد تفرد عنهم ببيانها.  
ولكن هل ما ذكره ابن عاشور يُعد صواباً من الناحية العلمية، ويتوافق مع أبحاث وتجارب أهل التخصص في المجال الطبي؟  
الحق أن ما ذكره ابن عاشور في حكمة تحريم الميتة ولحم الخنزير يتماشى مع ما بينه الطب، إلا أن ما ذكره في علة تحريم الدم لا يعد كلاماً دقيقاً.  
فهو حينما ذكر بأن الجراثيم تغزو لحم الميتة بعد مدة من فقدانها للحياة، وأن دم الحيوان إذا توقفت دورته غلبت فيه الأجزاء الضارة على النافعة فيصير فاسداً ومضراً لآكله...  
فهذا الذي بينه يتماشى مع ما ذكره المتخصصون في المجال الطبي.

(١) المصدر السابق، ج ٢ ص ١١٨.

(٢) المصدر السابق، ج ٥ ص ٢٢.

(٣) الآيات الأربع في القرآن الكريم التي تتحدث عن تحريم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير .. هي:

أ. سورة البقرة، الآية: ١٧٣. ب. سورة المائدة، الآية: ٣. ج. سورة الأنعام، الآية: ١٤٥.

د. سورة النحل، الآية: ١١٥.

(٤) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ٢١٣، ص ٥٩١. مج ٢ ص ٧٢، ص ٦١٥.

وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ١ ص ٢٣٩، ٢٤٠، مج ٢ ص ١٥٠، ١٥١. ص ٣٥٦، ٣٥٧. مج ٣ ص ٤٢٨.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ١ ص ١١٩، مج ١ ج ٢ ص ١١٤. ص ١٨٦، ١٨٧. مج ١ ج ٣ ص ٢٤٣.

يقول الدكتور عبدالحميد دياب<sup>(١)</sup> والدكتور أحمد قرقوز<sup>(٢)</sup> تحت عنوان: الحكمة في تحريم أكل الميتة.

(فساد لحم الميتة: تتعرض الميتة لتغيرات عديدة، فبعد ساعة من الموت يرسب دم الحيوان إلى الأجزاء المنخفضة من جسمه مشكلة ما يسمى بالزرقة الرُّمّية وبعد ٣ - ٤ ساعات يحدث التيبس الرمي وهو عبارة عن تصلب عضلات الجسم وتوترها بسبب تكوّن أحماض خاصة، كحمض الفوسفور وحمض اللبن، وحمض الفورميك. وبعدها تعود القلوية للعضلات فيزول التيبس وتغزو الجراثيم الجثة فتتكاثر أول الأمر الجراثيم الهوائية ثم اللاهوائية فتؤدي لتعفن الجثة، ومن جراثيم التعفن، عصيات كولي Ecoli والمتقلبات الاعتيادية، والمكورات الدقيقة البيض تؤدي هذه الجراثيم لتفسخ الجثة، وينتج عنها مركبات ذات رائحة كريهة، وأثر سام، وينتج غازات تؤدي لانتفاخ الجثة بعد عدة ساعات. إن انحباس الدم يسرع التعفن، ويزيد من تكاثر الجراثيم.)<sup>(٣)</sup>

ويقول الدكتور الجميلي<sup>(٤)</sup> - عند كلامه عن علة تحريم الميتة - (إنها تضر بالصحة لاحتباس الدم فيها وتزاحم الميكروبات عليها وهي تهدد الإنسان بالحتف والدمار.)<sup>(٥)</sup>

كذلك فإن ابن عاشور حينما ذكر أن حكمة تحريم لحم الخنزير ترجع إلى ما في هذا الحيوان من دودة خطيرة تنتج عما يأكله من القاذورات، ولا تهضمها معدته، فإذا أكل الإنسان لحم الخنزير فإن تلك الدودة تنتقل

(١) هو الدكتور عبدالحميد دياب طبيب معاصر لم أقف له على ترجمة خاصة في كتب التراجم أو على شبكة الانترنت.

(٢) هو الدكتور أحمد قرقوز. طبيب معاصر لم أقف له على ترجمة خاصة في كتب التراجم أو على شبكة الانترنت.

(٣) مع الطب في القرآن الكريم. رسالة أعدت لنيل إجازة دكتور في الطب. تأليف الدكتور عبدالحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز، ص ١٣٣، ١٣٤ ط ٧ س ١٤٠٤هـ مط: أمير قم إيران ومؤسسة علوم القرآن. دمشق.

(٤) هو الدكتور السيّد الجميلي. طبيب مصري معاصر.

(٥) الإعجاز الطبي في القرآن للدكتور السيّد الجميلي ص ١١٣. ط س ١٤١٠هـ-١٩٩٠م دار ومكتبة الهلال



إليه، وقد تؤدي إلى قتله تماماً.

فإن هذا أيضاً يتماشى مع ما أثبتته الطب.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبدالحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز:

(الحكمة في تحريم لحم الخنزير ولسه:

إن ما كشفه العلم من أضرار لحم الخنزير والأمراض التي يسببها للإنسان كثيرة، ولا يعلم أحد الأضرار التي قد تكتشف بعد اليوم، وعلينا ألا ننسى أن ما سنعرضه من مقاصد صحية في تحريمه لم تكن معروفة منذ مئات السنين، يوم امتنع المسلمون عن أكله ولسه، ويمكن تصنيف الأمراض التي يسببها الخنزير إلى:

أ - أمراض ينقلها الخنزير بقذوراته، وهي:

- ١- الزحار الزرقى: تسببه طفيلة الزقيات الكولونية **Balantidiumcole** تعيش في أمعاء الخنزير الذي يعتبر أهم مصادر العدوى. ينتشر المرض عالمياً ويكثر في الأماكن التي تنتشر فيها تربية الخنازير وتداولها.
- ٢- الداء البريمي اليرقاني النزفي (داء وايل): وهو ينتقل للإنسان عن طريق الماء الملوث ببول الخنزير أو الكلاب أو الجردان، أما الداء البريمي نموذج **Romoma** فمستودعه الأساسي هو الخنزير.
- ٣- شريطية السمك العريضة: وهي تصيب الإنسان، يبلغ طولها (٣-١٠م) ويلعب الخنزير دور العائل الخازن في دورة حياتها.
- ٤- الأميبيا النسيجية **Entameba Histolytica** وتسبب للإنسان الزحار الأميبي، يلعب الخنزير فيها دور العائل العادي...

ب - أمراض سببها الوحيد أكل لحم الخنزير وهي:

- ١- شريطية لحم الخنزير أو الشريطية المسلحة **Taenia Solium** طولها (٢-٣م) تصيب الإنسان لتناوله لحم الخنزير غير المطهي جيداً...

٢- الشعيرية الحلزونية *Trichinella Spiralis* وهي دودة شعيرية صغيرة طولها (٥-٣مم) تصيب الإنسان نتيجة تناول لحم الخنزير النيئ أو غير المطهي جيداً "ويأخذه الإنسان عادة في صورة سجق" وهذه الدودة تسبب الأضرار التالية:

- تخريش والتهاب جدار الأمعاء، بسبب مهاجمة أنثى الدودة الشعيرية لها مسببة أعراضاً شبيهة بالتسمم الغدائي.  
- طفح جلدي وشرجي.

- أهم ضرر يكون بسبب استقرار يرقات الدودة في العضلات مسببة آلاماً شديدة، وصعوبة تنفس ومضغ وكلام، وقد تسبب الموت بسبب شلل العضلات التنفسية أو إصابة القلب.. منتشرة عالمياً، ولكنها أكثر انتشاراً في أمريكا وكندا وأوروبا أي في المناطق التي لا يُحرّم فيها أكل لحم الخنزير...<sup>(١)</sup>

وأما ذكره ابن عاشور في حكمة تحريم الدم حينما رأى أن شربه يورث ضراوة في الإنسان، فتغلظ طباعه ويصبح كالحيوان المفترس.

أو لما فيه من قذارة نتيجة رائحته الكريهة... فكلامه في هذا الجانب غير دقيق؛ لأن الحكمة التي استخلصها علماء الطب في تحريم الدم ترجع لما فيه من السموم والفضلات والجراثيم.

يقول الدكتور عبد الحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز:

((حكمة تحريم الدم:

الدم يحمل سموماً وفضلات، لأن من وظائفه حمل فضلات الجسم وسمومه، ونتائج أفعال الهدم *Catabolism* لطرحها إما عن طريق الكلية أو التعرق، ومن أهم هذه المواد البولية *Urea* وحمض البول *Uric acid*

(١) مع الطب في القرآن الكريم تأليف الدكتور عبد الحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز، ص ١٣٨، ١٣٧، ١٣٩.

والكرياتينين، كما يحمل غاز الكربون CO2 لطرحة عن طريق الرئتين، وينقل بعض السموم من الأمعاء إلى الكبد لتعديلها.

والأخطر من ذلك أن تناول كمية معتدلة من الدم عن طريق الفم يؤدي لامتصاص نتائج الدم الاستقلابية وهذا يؤدي لارتفاع كبير في نسبة البولة الدموية Uremia التي هي الناتج الأخير لاستقلاب البروتينات، وهذا يؤدي إلى اعتلال دماغي يتظاهر بالسبات.<sup>(١)</sup> وقالوا أيضاً:

((الدم وسط صالح لنمو شتى الجراثيم، وتستفيد معامل علم الجراثيم Bacteriology من هذه الناحية في صنع مزارع دموية Blood-agar للحصول على مستعمرات جرثومية للدراسة).<sup>(٢)</sup>

التاسع: بيانه لحكمة تحريم المنخنقة والموقودة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع. عند تفسير محمد الطاهر ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ... ﴾<sup>(٣)</sup>

ذكر حكمة تحريم المنخنقة والموقودة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع، من الناحية العلمية. فقال:

(إن الموت بانحباس النفس يفسد الدم باحتباس الحوامض الفحمية الكائنة فيه فتكون أجزاء اللحم المشتملة على الدم مضرّة لأكله).<sup>(٤)</sup>

(١) مع الطب في القرآن الكريم تأليف الدكتور عبد الحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز، ص ١٣٥.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٤) التحرير والتنوير ج ٥ ص ٢٢، ٢٣.

وقد رجعت إلى الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في تفاسيرهم لهذه الآية؛ فوجدتهم قد سكتوا عن بيان الحكمة العلمية لتحريم المنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع.<sup>(١)</sup> مما يؤكد على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم ببيان ذلك.

والظاهر أن ما ذكره ابن عاشور يتماشى مع ما ذكره أهل التخصص في علم الطب.

فقد ورد في حكمة تحريم الموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع أن: (الرضوض تسبب انتشار الدم تحت الجلد وفي الأنسجة مما يزيد احتمال وصول الجراثيم وتكاثرها، هذا إضافة لضرر انحباس الدم).<sup>(٢)</sup> العاشر: قوله بأن العلقة التي يخلق منها الإنسان تكون سابحة في الدم، وسميت بذلك لشبهها بالعوالق السابحة في الماء.

عند تفسير الطاهر بن عاشور لقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾<sup>(٣)</sup>

ذكر بأن العلقة تكون سابحة في سائل من الدم، وقد سميت بعلقة لشبهها بالعوالق التي تسبح في الماء، فقال:

((ومن إعجاز القرآن العلمي ذكر العلقة لأن الثابت في العلم الآن أن الإنسان يتخلق من بويضة دقيقة جدا لا ترى إلا بالمرآة المكبرة أضعافا تكون في مبدإ ظهورها كروية الشكل سابحة في دم حيض المرأة فلا تقبل التخلق حتى تحالطها نطفة الرجل فتمتزج معها فتأخذ في التخلق إذا لم يعقها عائق

(١) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ٥٩١.

وانظر: المحرر الوجيز لابن عطية مج ٢ ص ١٥٠، ١٥١.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ٢ ص ١١٤.

(٢) انظر مع الطب في القرآن الكريم تأليف الدكتور عبد الحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز، ص ١٣٥.

(٣) سورة العلق، الآية: ٢.

كما قال تعالى ﴿ مُخَلَّقةٌ وَغَيْرِ مُخَلَّقةٍ ﴾<sup>(١)</sup> فإذا أخذت في التخلق والنمو امتد تكورها قليلا فشابهت العلقة التي في الماء مشابهة تامة في دقة الجسم وتلونها بلون الدم الذي هي سابحة فيه وفي كونها سابحة في سائل كما تسبح العلقة...<sup>(٢)</sup>

وقد رجعت إلى الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في تفاسيرهم لهذه الآية وغيرها من الآيات التي تتحدث عن العلقة<sup>(٣)</sup>، فوجدتهم قد سكتوا عن بيان الإعجاز العلمي الذي أشارت إليه هذه الآية<sup>(٤)</sup> مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم ببيان ذلك.

ولكن ابن عاشور حينما ذكر أن العلقة تكون سابحة في الدم وهي شبيهة بالعوالق التي تسبح في الماء فكلامه في هذا لا يتماشى مع ما أقره العلم الحديث، لأن العلقة لا تكون سابحة في الدم بل هي: (ما يتعلق بجدار الرحم في أول مرحلة من مراحل تكوين الجنين بعد تلقيح بويضة الأنثى بنطفة الرجل. والعلقه هي كل ما يعلق، فالحيوانات المنوية تشبه فراخ الضفدع، وهو ما يسميه العامة بالعلق، وهو يعلق بالحشائش، وهو صغير كما يعلق الحيوان المنوي بالبويضة، وهما يتشابهان في الشكل والحركة، وهذا ما أكدته المجاهر المتقدمة.)<sup>(٥)</sup>

(١) سورة الحج، الآية: ٥.

(٢) التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٣٨٧.

(٣) سورة الحج، الآية: ٥. سورة غافر، الآية: ٦٧.

(٤) سورة العلق، الآية: ٢.

وانظر الكشاف للزمخشري مج ٣ ص ١٤١. مج ٤، ص ١٧٣، ص ٧٦٦.

وانظر: المحرر الوجيز لابن عطية مج ٤ ص ١٠٧، ١٠٨، ص ٥٦٨، مج ٥، ص ٥٠١، ٥٠٢.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٤ ص ٦٥. مج ٢ ج ٥ ص ٦٣، ص ٣٢٥.

(٥) الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين العلم والكون والإيمان. تأليف: الدكتور أحمد عبده عوض عبده ص ٢٣٧. المكتبة القيمة للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة. بدون تاريخ.

((ولا يدرك روعة التصوير القرآني لهذه المرحلة<sup>(١)</sup> بالعلقة إلا من شاهد تلك الخلية وهي عالقة علوقاً وليس التصاقاً. بواسطة تلك الأذرع التي غرستها داخل الغشاء المخاطي للرحم.))<sup>(٢)</sup>

وانطلاقاً من كل ما ذكر في مبحث التفسير العلمي، يتضح جلياً أنه ليس كل ما تناوله ابن عاشور في هذا الجانب من التفسير يُعدُّ صواباً، بل فيه الصحيح وفيه الخطأ، مما يدفعنا إلى التريث في كل ما نقرأ في ميدان التفسير العلمي ذلك أن الحقائق القرآنية نهائية قاطعة مطلقة أما حقائق البحث العلمي الإنساني فقد تكون غير نهائية وغير قاطعة وهي مقيدة بحدود التجارب والظروف، والأدوات.<sup>(٣)</sup>



- 
- (١) المقصود منها: مرحلة العلقة وهي المرحلة الثانية من مراحل تكوين الجنين داخل الرحم. انظر معجزة خلق الإنسان بين الطب والقرآن تأليف الدكتور نبيه عبدالرحمن عثمان ص ٥٩، ٦٠، ٦١. ط س ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي. مكة المكرمة.
- (٢) المرجع السابق ص ٦١.
- (٣) انظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير للدكتور فهد الرومي ج ١ ص ٢٨٠. ط ٣ س ١٤٠٧هـ - مؤسسة الرسالة. بيروت - لبنان.

## المبحث الثالث

## تفردات ابن عاشور في بيان مراد بعض الآيات القرآنية

إن الملاحظ على الشيخ ابن عاشور في تفسيره: التحرير والتنوير أنه يستعمل عقله كثيراً، فهو لا يتبع جمهور المفسرين فيما اتفقوا عليه إلا إذا كان مقتنعاً بقناعة علمية تامة بما ذهبوا إليه، وفسروا به القرآن الكريم.

ولذا نجده في تفسيره يجوز أشياء لا يخالف فيها الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي فقط، بل يخالف فيها جمهور المفسرين.

وقد وقفت في تفسيره على أربعة تفردات بين فيها مراد بعض الكلمات في بعض الآيات القرآنية بياناً يحتاج إلى مناقشة وتقويم. وهذه التفردات هي:

الأول: قوله بأن البيوت المذكورة في قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ \* رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ... ﴾<sup>(١)</sup>

هي صوامع الرهبان وأديرتهم، وأن الرجال المذكورين في الآية هم الرهبان الذين انقطعوا للعبادة.

عند تفسير الطاهر بن عاشور لقوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾<sup>(٢)</sup>

ذكر أن المفسرين قد ترددوا في تعلق الجار والمجرور من قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾

﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾، (فقيل قوله ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ من تمام التمثيل، أي فيكون ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾

(١) سورة النور، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٢) سورة النور، الآيات: ٣٦، ٣٧، ٣٨.

متعلقاً بشيء مما قبله. فقيل يتعلق بقوله ﴿يُوقَدُ﴾<sup>(١)</sup> أي يوقد المصباح في بيوت. وقيل هو صفة لمشكاة، أي مشكاة في بيوت وما بينهما اعتراض.<sup>(٢)</sup> ثم اعترض ابن عاشور على جمهور المفسرين الذين اعتبروا المراد بالبيوت المساجد، وذكر أن ذلك لا يستقيم، وجوز أن يكون المراد بالبيوت صوامع الرهبان. فقال:

(ثم قيل: أريد بالبيوت المساجد. ولا يستقيم ذلك إذ لم يكن في مساجد المسلمين يوماً مصابيح وإنما أحدثت المصابيح في المساجد الإسلامية في خلافة عمر بن الخطاب<sup>(٣)</sup> فقال له علي<sup>(٤)</sup>: نور الله مضجعتك يا بن الخطاب كما نورت مسجدنا. وروي أن تميم الداري<sup>(٥)</sup> أسرج المسجد النبوي بمصابيح جاء بها من الشام ولكن إنما أسلم تميم سنة تسع، أي بعد نزول هذه الآية. وقيل البيوت مساجد بيت المقدس وكانت يوماً بيعاً<sup>(٦)</sup> للنصارى. ويجوز عندي على هذا الوجه أن يكون المراد بالبيوت صوامع الرهبان وأديرتهم وكانت معروفة في بلاد العرب في طريق الشام يمرون عليها وينزلون عندها في ضيافة رهبانها...)<sup>(٧)</sup>

(١) سورة النور، كلمة من الآية: ٣٥.

(٢) التحرير والتنوير ج ١٨ ص ١٩٦.

(٣) سبقت ترجمته ص ٢٠٦.

(٤) سبقت ترجمته ٢٤٥.

(٥) هو تميم بن أوس بن خارجة الداري. أبو رقية. صحابي. كان نصرانياً وأسلم سنة ٩هـ. وكان يسكن المدينة ثم انتقل منها إلى الشام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ومات بفلسطين سنة ٤٠هـ-٦٦٠م. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر. بهامش الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر. ج ١ ص ١٨٤. مط: مكتبة المثنى بغداد. بدون تاريخ.

وانظر الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٨٧

(٦) يقال: البيعة بالكسر: متعبد النصارى. انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٦٥٠.

(٧) التحرير والتنوير ج ١٨ ص ١٩٦.



ثم ذكر ابن عاشور أن الرجال المذكورين في هذه الآية هم الرهبان الذين انقطعوا للعبادة، وأن تخصيصهم بالتسبيح بسبب أن الرهبان كانوا رجالاً، وأن الثناء عليهم، لأنهم كانوا على إيمان صحيح!!  
فقال:

((وتخصيص التسبيح بالرجال لأن الرهبان كانوا رجالاً.

وأريد بالرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله: الرهبان الذين انقطعوا للعبادة وتركوا الشغل بأمور الدنيا، فيكون معنى: ﴿لَا تَلْهِمُهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾: أنهم لا تجارة لهم ولا بيع من شأنهما أن يلهيهم عن ذكر الله... والثناء عليهم يومئذ لأنهم كانوا على إيمان صحيح إذ لم تبلغهم يومئذ دعوة الإسلام ولم تبلغهم إلا بفتوح مشارف الشام بعد غزوة تبوك<sup>(١)</sup>، وأما كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل<sup>(٢)</sup> فإنه لم يُذع في العامة. وكان الرهبان يتركون الكوى مفتوحة ليظهر ضوء صوامعهم وقد كان العرب يعرفون صوامع الرهبان وأضواءها في الليل))<sup>(٣)</sup>  
وقد رجعت إلى الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في تفاسيرهم لهذه الآيات السابقة، فوجدتهم قد رجحوا أن يكون المراد بالبيوت المساجد، ومما ذكره في ذلك ما يلي:

- (١) وقعت غزوة تبوك في رجب السنة التاسعة للهجرة. انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق وتعليق محمد رياض البجائي ج ٢ ص ٩٧٠ ط ١ س ١٤٢٥-٢٠٠٤م. دار الأخيار للنشر والتوزيع. الرياض. المملكة العربية السعودية.
- (٢) هو فلافيوس أغسطس هرقل. ولد سنة ٥٧٥م. وكان امبراطورا بزنطيا. حكم منذ اكتوبر ٦١٠م حتى فبراير ٦٤١م. وهو الإمبراطور البزنطي الذي عاصر نبي الإسلام محمدا صلى الله عليه وسلم. ومات سنة ٦٤١م. انظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا على شبكة الانترنت [www.wikipedia.org/wiki](http://www.wikipedia.org/wiki).
- (٣) التحرير والتنوير ج ١٨ ص ١٩٧.

قال الزمخشري: (في بيوت متعلق بما قبله. أي كمشكاة في بيوت الله وهي المساجد).<sup>(١)</sup>

وقال ابن عطية: (وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِاللَّغْدِ وَالْأَصَالِ...﴾)<sup>(٢)</sup> يقوي أنها المساجد).<sup>(٣)</sup>

وقال البيضاوي: (في بيوت متعلق بما قبله أي كمشكاة في بعض بيوت أو توقد في بعض بيوت... والمراد بها المساجد لأن الصفة ثلاثتها...)<sup>(٤)</sup> وانطلاقاً مما ذكره هؤلاء الأئمة الثلاثة يتضح جلياً أن ابن عاشور قد تفرد عنهم بمخالفته لهم في بيان المراد بالبيوت حين قال: (ويجوز عندي على هذا الوجه أن يكون المراد بالبيوت صوامع الرهبان وأديرتهم...)<sup>(٥)</sup>

والحق أن ما ذكره الأئمة الثلاثة هو مذهب جمهور المفسرين. قال الطبري<sup>(٦)</sup> - بعد ما أورد روايات عن ابن عباس<sup>(٧)</sup> ومجاهد<sup>(٨)</sup> ... تتص على أن المراد بالبيوت في الآية السابقة هي المساجد.

(وقوله: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: لا يشغل هؤلاء الرجال الذين يصلون في هذه المساجد - التي أذن الله أن ترفع بذكر الله فيها وإقام الصلاة - تجارة ولا بيع).<sup>(٩)</sup>

(١) الكشاف للزمخشري مج ٣ ص ٢٣٦، ٢٣٧.

(٢) سورة النور، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ج ٤ ص ١٨٥.

(٤) أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٤ ص ١٠٨، ١٠٩.

(٥) التحرير والتنوير ج ١٨ ص ١٩٦.

(٦) سبقت ترجمته ص ٦٦.

(٧) سبقت ترجمته ص ١٠٩.

(٨) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي. تابعي مفسر من أهل مكة. أخذ التفسير عن ابن عباس ولد سنة

٢٧٨هـ-٦٤٢م. وتوفي سنة ١٠٤هـ-٧٢٢م. انظر الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٢٧٨.

(٩) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري. تحقيق أحمد محمد شاكر ج ١٩ ص ١٨٨.

وقال الخازن<sup>(١)</sup>: (قوله عز وجل: ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ أي ذلك المصباح يوقد في بيوت، والمراد بالبيوت جميع المساجد، بيوت الله في الأرض تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض... ﴿ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ بالغداة والعشي. قال أهل التفسير: أراد به الصلاة المفروضة فالتى تؤدى بالغداة صلاة الفجر، والتي تؤدى بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين، لأن اسم الأصيل يقع على هذا الوقت كله...<sup>(٢)</sup>

وذكر القرطبي<sup>(٣)</sup> اختلاف العلماء في المراد بالبيوت المذكورة في الآية على خمسة أقوال، ورجح القول الذي ينص على أنها المساجد. علماً بأنه لا يوجد - من بين هذه الأقوال الخمسة - قول واحد يذكر بأنها صوامع الرهبان.<sup>(٤)</sup>

ورجح الرازي<sup>(٥)</sup> أن المراد بالبيوت في هذه الآية هي المساجد لأنه تعالى (وصفها بالذكر والتسبيح والصلاة وذلك لا يليق إلا بالمساجد...)<sup>(٦)</sup>

وذكر ابن كثير<sup>(٧)</sup> أن المراد بالبيوت في قوله ﴿ فِي بُيُوتٍ أذنَ اللهُ أن تُرْفَعَ ﴾ هي المساجد.<sup>(٨)</sup>

(١) هو علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن. عالم بالتفسير والحديث، ومن فقهاء الشافعية، ولد ببغداد سنة ٦٧٨هـ. وسكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسة السميساطية. وتوفي بحلب سنة ٧٤١هـ. من تصانيفه المشهورة: لباب التأويل في معاني التنزيل في التفسير. يعرف بتفسير الخازن. انظر الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٥.

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ج ٥ ص ٧٩، ٨٠.

(٣) سبقت ترجمته ص ٣١.

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. تحقيق هشام سمير البخاري ج ١٢ ص ٢٦٤.

(٥) سبقت ترجمته ص ٣٠.

(٦) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ج ٢٤ ص ٤٠١.

(٧) سبقت ترجمته ص ١٣٩.

(٨) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير تحقيق سامي بن محمد سلامة ج ٦ ص ٦٢.

وقال: (فقوله ﴿رَجَالٌ﴾ فيه إشعار بهمهم السامية ونياتهم وعزائمهم العالية التي بها صاروا عماراً للمساجد، التي هي بيوت الله في أرضه، ومواطن عبادته وشكره، وتوحيده وتنزيهه).<sup>(١)</sup>

أما ما ذكره ابن عاشور بأنه لم يكن في مساجد المسلمين حين نزلت هذه الآية مصابيح، وأن المصابيح أحدثت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقط، فكلامه غير صحيح؛ لأن إنارة المسجد النبوي - مثلاً - بدأت بعد بنائه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت نتيجة مشاعل من جريد النخل وأسرجة توقد بالزيت.

وبعد السنة التاسعة للهجرة استغني عن استعمال المشاعل من جريد النخل وبقيت الإنارة بواسطة الأسرجة موزعة في أنحاء المسجد.<sup>(٢)</sup>

كذلك فإن ما ذكره ابن عاشور في تخصيص التسييح بالرجال لأن الرهبان كانوا رجالاً ليس دقيقاً، فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا رجالاً. قال تعالى: ﴿رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>

وأرى أن سبب التصريح بذكر الرجال في هذه الآية، لإخراج النساء، لأن صلاة النساء في بيوتهن أفضل لهن من المساجد.

(١) المرجع السابق ج ٦ ص ٦٢.

(٢) انظر عرض تاريخي موجز لعمارة المسجد النبوي عبر التاريخ على شبكة الانترنت في موقع المدينة المنورة عبر التاريخ. [www.al3ez.net/mag/main.page.htm](http://www.al3ez.net/mag/main.page.htm)

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

وأيضاً فإن سبب نزول هذه الآية يدل على أن الرجال المذكورين فيها هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليسوا الرهبان. فقد (روي عن ابن عمر<sup>(١)</sup>) أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فقام وأغلقوا حوانيتهم، ودخلوا المساجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه الآية ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ...﴾<sup>(٢)</sup>(٣)

وبناء على ما سبق بيانه يتضح جلياً ويتأكد أن ما ذهب إليه جمهور المفسرين في تفسيرهم للآيات السابقة هو الراجح وأن الوجه الذي فسره به ابن عاشور هذه الآيات مرجوح.

**الثاني: تأويله لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٤)</sup> على أنه من قول المؤمنين وليس من قول المشركين خلافاً لجمهور المفسرين.<sup>(٥)</sup>**

- 
- (١) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي. أبو عبد الرحمن. أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم. وأدرك يوم فتح مكة وهو ابن عشرين سنة. وكان من أهل الورع والعلم. وكثير الاتباع لآثار النبي صلى الله عليه وسلم. توفي سنة ٧٣هـ. انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج ٢ من ص ٣٤٧ إلى ص ٣٥٠، رقم ٤٨٣٤. مط: مكتبة المثنى بغداد. بدون تاريخ..
- (٢) سورة النور، الآية: ٣٧.
- (٣) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ج ٥ ص ٨٠، ٨١.
- وانظر المحرر الوجيز لابن عطية ج ٤ ص ١٨٥.
- (٤) سورة الدخان، الآية: ١٢.
- (٥) انظر - مثلاً - التفاسير التالية: إضافة إلى تفاسير الأئمة الثلاثة التي سأذكرها لاحقاً:
- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، تح: أحمد محمد شاكر ج ٢٢ ص ١٩.
  - تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تح: سامي بن محمد سلامة ج ٧ ص ٢٥٠.
  - تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج ٨ ص ٣٠.
  - لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ج ٦ ص ١٤٤.
  - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تح: هشام سمير البخاري ج ١٦ ص ١٣٢.
  - تفسير اللباب لابن عادل ج ١٧ ص ٣١٧.
  - تفسير النسفي، تح: مروان محمد الشعار ج ٤ ص ١٨٦.
  - مفاتيح الغيب للرازي ج ٢٧ ص ٢٠٧.

عند تفسير ابن عاشور للآية السابقة ذكر أنها جملة معترضة بين قوله تعالى: ﴿ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿ أُنَى لَهُمُ الذِّكْرَى ﴾<sup>(٢)</sup>، وأن الذين دعوا الله أن يكشف عنهم العذاب هم: المؤمنون، وليس المشركين كما ذهب إليه جمهور المفسرين. ومما ذكره في ذلك قوله:

((هذه جملة<sup>(٣)</sup> معترضة بين جملة ﴿ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، وجملة ﴿ أُنَى لَهُمُ الذِّكْرَى ﴾ فهي مقول قول محذوف. وحملها جميع المفسرين على أنها حكاية قول الذين يغشاهم العذاب بتقدير يقولون: ربنا اكشف عنا العذاب، أي هو وعد صادر من الناس الذين يغشاهم العذاب بأنهم يؤمنون إن كشف عنهم العذاب أي فيكون مثل قوله تعالى في سورة الزخرف ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> أي إن دعوت ربك اتبعناك ويكون بمعنى قوله في سورة الأعراف ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ لَيْسَ كَشَفْتَنَا عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

مما تسمح به تراكيب الآية وسياقها أن يكون القول المحذوف مقدرًا بفعل أمر أي قولوا لتلقين المسلمين أن يستعيذوا بالله من أن يصيبهم ذلك العذاب إذ كانوا والمشركين في بلد واحد كما استعاذ موسى عليه السلام

(١) سورة الدخان الآية: ١١.

(٢) سورة الدخان الآية: ١٣.

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ سورة الدخان، الآية: ١٢.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٤٩.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٣٤.

بقوله : ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾<sup>(١)</sup>. وفيه إيماء إلى أن الله سيخرج المؤمنين من مكة قبل أن يحلّ بأهلها هذا العذاب ، فهذا التلقين كالذي في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِن تَابْنَا إِنَّنَا مُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>. وعليه فجملة ﴿ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ تعليل لطلب دفع العذاب عنهم ، أي إنا متلبسون بما يدفع عنا عذاب الكافرين ، وفي تلقينهم بذلك تنويه بشرف الإيمان ، وأسلوب الكلام جارٍ على أن جملة ﴿ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ تعليل لطلب كشف العذاب عنهم لما يقتضيه ظاهر استعمال حرف (إنّ) من معنى الإخبار دون الوعد ، ومن التعليل دون التأكيد ، ولما يقتضيه اسم الفاعل في زمن الحال دون الاستقبال ، ولأن سياقه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بترقب إعانة الله إياه على المشركين ، كما كان يدعو «أعني عليهم بسبع كسني يوسف»<sup>(٣)</sup> فمقتضى المقام تأمينه من أن يصيب العذاب المسلمين وفيهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وظاهر مادة الكشف تقتضي إزالة شيء كان حاصلًا في شيء إلا أن الكشف هنا لما لم يكن مستعملًا في معناه الحقيقي كان مجازه محتملاً أن يكون مستعملًا في منع حصول شيء يُخشى حصوله كما في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾<sup>(٤)</sup> فإن قوم يونس لم يحل بهم عذاب فزال عنهم

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الاستسقاء. باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "اجعلها عليهم

سنين كسني يوسف" ج ١ ص ٣٤١، ٣٤٢، حديث رقم ٩٦٢. ورقم ٤٤٩٦.

- وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار. باب الدخان ص ١٢١٨، ١٢١٩. حديث

رقم ٧٠٦٦. ط ٢ س ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م. دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض.

(٤) سورة يونس، الآية: ٩٨.

ولكنهم تُوعدوا به فبادروا بالإيمان فنجاهم الله منه.))<sup>(١)</sup>

وقد رجعت إلى الأئمة الثلاثة في تفسيرهم للآية السابقة<sup>(٢)</sup> فوجدتهم قد جعلوا تلك الآية حكاية قول الذين يغشاهم العذاب بتقدير: يقولون: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup> أو قائلين على أنه منصوب على الحال. وهم المشركون.

قال الزمخشري: (و ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup> إلى قوله: ﴿مُؤْمِنُونَ﴾ منصوب المحل بفعل مضمر، وهو: يقولون، ويقولون: منصوب على الحال، أي: قائلين ذلك. ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ موعدة بالإيمان إن كشف عنهم العذاب.)<sup>(٥)</sup>

وقال ابن عطية: (... علم الله أن قولهم في حال الشدة ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ إنما هو عن غير حقيقة منهم، فدل على ذلك بقوله: ﴿أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى﴾<sup>(٦)</sup>، أي من أين لهم أن يتذكروا وهم قد تركوا الذكرى وراء ظهورهم بأن جاءهم رسول مبين، وهو محمد عليه السلام فكفروا به.)<sup>(٧)</sup>

وقال البيضاوي: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ مقدر بقول وقع حالاً و ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ وعد بالإيمان إن كشف العذاب عنهم. ﴿أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ من أين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحالة. ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾<sup>(٨)</sup> يبين

(١) التحرير والتنوير ج ٢٥ ص ٣١٧، ٣١٨.

(٢) سورة الدخان، الآية: ١٢.

(٣) سورة الدخان، الآية: ١٢.

(٤) سورة الدخان، الآية: ١١.

(٥) الكشاف للزمخشري مج ٤ ص ٢٦٦.

(٦) سورة الدخان، الآية: ١٣.

(٧) المحرر الوجيز لابن عطية مج ٥ ص ٧٠.

(٨) سورة الدخان، الآية: ١٣.



لهم ما هو أعظم منها في إيجاب الإذكار من الآيات والمعجزات. ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَّجْنُونٌ﴾<sup>(١)</sup>. أي قال بعضهم يعلمه غلام أعجمي لبعض ثقيف وقال آخرون إنه مجنون.<sup>(٢)</sup>

وانطلاقاً مما فسر به هؤلاء الأئمة الثلاثة الآية السابقة يتأكد لديّ أن ابن عاشور قد تفرد عنهم بمخالفتهم فيما ذهب إليه، حينما جعل القول في الآية من كلام المؤمنين وليس من كلام المشركين. بل إن ابن عاشور قد تفرد بتأويله هذا عن جمهور المفسرين - كما سبقت الإشارة إلى ذلك. والذي يظهر لي أن تفرده هذا مرجوح وأن كلام الجمهور - بما فيهم الأئمة الثلاثة - هو الراجح بدلالة السياق القرآني، وسبب النزول.

أولاً: دلالة السياق القرآني:

إن المتأمل في السياق القرآني يرى أن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup> مرتبط بما قبله وبما بعده. فقبله قوله تعالى: ﴿فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ \* يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

وبعده قوله تعالى: ﴿أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ \* ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَّجْنُونٌ \* إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا \* إِنَّكُمْ عَائِدُونَ \* يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الدخان، الآية: ١٤.

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٥ ص ١٠٠.

(٣) سورة الدخان، الآية: ١٢.

(٤) سورة الدخان، الآيتان: ١٠، ١١.

(٥) سورة الدخان، الآيات: من ١٣ إلى ١٦.

وإن جمهور المفسرين قد جعلوا ﴿أَنْ لَّهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾<sup>(١)</sup> جواباً عن قول المشركين ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>..

قال الطبري<sup>(٣)</sup> عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَنْ لَّهُمُ الذِّكْرَىٰ﴾: (من أي وجه لهؤلاء المشركين التذکر من بعد نزول البلاء بهم، وقد تولوا عن رسولنا حين جاءهم، مدبرين عنه، لا يتذكرون بما يُتلى عليهم من كتابنا، ولا يتعظون بما يعظهم به من حججنا، ويقولون: إنما هو مجنون علم هذا الكلام.)<sup>(٤)</sup>

### ثانياً: سبب النزول:

قال السيوطي<sup>(٥)</sup>: (أخرج البخاري<sup>(٦)</sup> عن ابن مسعود<sup>(٧)</sup> قال: إن قریشاً لما استعصوا على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم قحط حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهية الدخان من الجهد فأنزل الله ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٨)</sup> فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل<sup>(٩)</sup> يا رسول الله استسق الله لمضر<sup>(١٠)</sup> فإنها قد هلكت، هلكت، فاستسقى فسقوا فنزلت ﴿إِنْ كُمْرًا يَدُودًا﴾<sup>(١١)</sup> فلما أصابتهم الرفاهية عادوا

(١) سورة الدخان، الآية: ١٢.

(٢) سبقت ترجمته ص ٦٦.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري يتح أحمد محمد شاكر ج ٢٢ ص ١٩.

(٤) سبقت ترجمته ص ٣٢.

(٥) سبقت ترجمته ص ٣٢.

(٦) سبقت ترجمته، ص ١٣٨.

(٧) سورة الدخان، الآية: ١٠.

(٨) في الصحيحين فأتاه أبو سفيان فقال. انظر صحيح البخاري كتاب الاستسقاء باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "اجعلها عليهم سنين كسني يوسف" ج ١ ص ٣٤١، ٣٤٢ حديث رقم ٩٦٢. وانظر صحيح مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب: الدخان ص ١٢١٨، ١٢١٩. حديث رقم ٧٠٦٦.

(٩) من أمهات القبائل العربية العدنانية، والمراد بها هنا قریش. انظر الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة للدكتور ياسين صلاواتي مج ٧ ص ٣٢٦٣.

(١٠) سورة الدخان، الآية: ١٥.

إلى حالهم فأنزل الله ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾<sup>(١)</sup> يعني يوم بدر.<sup>(٢)</sup>

وبالنظر في هذا السبب لنزول الآيات القرآنية يتضح جلياً أن النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا على المشركين - حينما بالغوا في السخرية منه ولم يستجيبوا لدعوة القرآن، وأن الله قد أجاب دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم، فعذب المشركين بالقحط حتى أكلوا العظام، وأصبحوا - من شدة الجوع - ينظرون إلى السماء فيرون ما بينهم وبينها كهيئة الدخان؛ فطلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله ليكشف عنهم العذاب ... والقصة ثابتة في الصحيحين<sup>(٣)</sup>، وهي تدل دلالة واضحة على أن المشركين هم الذين دعوا الله لكشف العذاب عنهم حين قالوا: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، فرد عليهم الله تعالى بقوله: ﴿أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الدخان، الآية: ١٦.

(٢) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي. ضبطه وصححه أحمد عبد الشافي ص ١٧٣. مط: دارالكتب العلمية بيروت - لبنان. بدون تاريخ.

(٣) عن مسروق قال: دخلت على عبدالله فقال: "إن من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم، إن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [سورة ص: ٨٦]. إن قريشاً لما غلبوا النبي صلى الله عليه وسلم واستعصوا عليه، قال: "اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف" فأخذتهم سنة أكلوا فيها العظام والميتة من الجهد، حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع، قالوا: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢] فقبل له: إن كشفنا عنهم عادوا، فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا، فانتقم الله منهم يوم بدر، فذلك قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ﴾ إلى قوله جل ذكره ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: من الآية ١٠ إلى ١٦]. انظر صحيح البخاري. كتاب التفسير باب ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢] ص ٦٨٣. حديث رقم ٤٨٢٢. وانظر صحيح مسلم. كتاب صفة القيامة والجنة والنار. باب: الدخان. ص ١٢١٨، ١٢١٩. حديث رقم ٧٠٦٦ ط ٢ س ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م، دارالسلام للنشر والتوزيع. الرياض.

(٤) سورة الدخان، الآية: ١٢.

(٥) سورة الدخان، الآية: ١٣.

الثالث: قوله بأن المنادي الذي ينادي من مكان قريب في قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾<sup>(١)</sup>

هو ضمضم بن عمرو الغفاري<sup>(٢)</sup>. والمكان القريب هو بطن الوادي، ويوم

الخروج هو خروج المشركين لبدر.

وذلك خلافا لجمهور المفسرين<sup>(٣)</sup> الذين جعلوا الآية تتحدث عن يوم

القيامة يوم الخروج من القبور.

عند تفسير الطاهر بن عاشور لقوله تعالى: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ...﴾<sup>(٤)</sup>

إلى قوله ﴿وَالْيَنَّا الْمَصِيرُ﴾<sup>(٥)</sup>

أتى بكلام جمهور المفسرين الذين اعتبروا أن هذا الحدث سيقع يوم

القيامة يوم الخروج من الأرض حينما (ينادي منادٍ أي من الملائكة وهو الذي

ينفخ النفخة الثانية فتتكوّن الأجساد وتحل فيها أرواح الناس للحشر).<sup>(٦)</sup>

(١) سورة ق، الآيتان: ٤١، ٤٢.

(٢) هو ضمضم بن عمرو الغفاري. استأجره أبو سفيان، فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشا يستنفرهم إلى

أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة. وكان ذلك قبيل غزوة بدر سنة ٢هـ. وقد اشتهر اسم ضمضم بن عمرو بهذه الحادثة ولم يعرف عنه غيرها. انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري مج ١ ج ٢ ص ٢٧٠. ط ١ المطبعة الحسينية المصرية بدون تاريخ.

(٣) انظر - إضافة إلى تفاسير الأئمة الثلاثة، التي سأذكرها بعد قليل - التفاسير التالية: جامع البيان في

تأويل القرآن. للإمام الطبري بتحقيق أحمد محمد شاكر. ج ٢٢ ص ٣٨١.

- تفسير القرن العظيم للإمام ابن كثير. تح: سالم بن محمد سلامة ج ٧ ص ٤١١.

- تفسير البحر المحيط للإمام أبي حيان الأندلسي ج ٨ ص ١١٨.

- مفاتيح الغيب للإمام الرازي ج ٢٨ ص ١٥٧، ١٥٨.

- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. تح: هشام سمير البخاري ج ١٧ ص ٢٧.

- تفسير النسفي. تح: مروان محمد الشعار ج ٤ ص ٢٦١.

(٤) سورة ق، الآية: ٤١.

(٥) سورة ق، الآية: ٤٣.

(٦) التحرير والتنوير ج ٢٦ ص ٢٧٥.

ثم أتى بتفسيره المخالف لجمهور المفسرين معتبرا أن هذا الحدث قد وقع في الدنيا يوم الخروج إلى بدر مصدرا لكلامه بقوله: (وعندي) فقال:

(وعندي أن هذه الآيات من قوله: ﴿وَأَسْتَمِعُ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ إلى قوله ﴿الْمَصِيرُ﴾ مكان قريب هي مع ما تفيده من تسليية الرسول صلى الله عليه وسلم مبشر بطريقة التوجيه البديعي إلى تهديد المشركين بعذاب يحلّ بهم في الدنيا عقب نداء يفرعهم فيلقون إثره حتفهم، وهو عذاب يوم بدر فخطب النبي صلى الله عليه وسلم بترقب يوم يناديهم فيه منادٍ إلى الخروج وهو نداء الصرخ الذي صرخ بأبي جهل<sup>(١)</sup> ومن معه بمكة بأن عير قريش وفيها أبو سفيان<sup>(٢)</sup> قد لقيها المسلمون ببدر وكان المنادي ضمضم بن عمرو الغفاري<sup>(٣)</sup> إذ جاء على بعيره فصرخ ببطن الوادي: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه فتجهز الناس سراعا وخرجوا إلى بدر. فالمكان القريب هو بطن الوادي فإنه قريب من مكة.

والخروج: خروجهم لبدر، وتعريف اليوم بالإضافة إلى الخروج لتحويل أمر ذلك الخروج الذي كان استئصال ساداتهم عقبه. وتكون جملة ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي

(١) هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي. أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم في صدر الإسلام. وأحد سادات قريش في الجاهلية. أدرك الإسلام، وكان يقال له: أبو الحكم. فدعاه المسلمون أبا جهل. قتل يوم غزوة بدر سنة ٢هـ - ٦٢٤م. انظر الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٨٧.

(٢) هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو سفيان القرشي الأموي مشهور باسمه وكنيته. وهو والد معاوية. وأحد سادات قريش في الجاهلية، ورأس المشركين يوم أحد ويوم الأحزاب. أسلم عام الفتح وشهد حنيناً والطائف، وأبلى بلاءً حسناً ففقد عينيه. مات في خلافة عثمان رضي الله عنه. في ٣١هـ وقيل ٣٢هـ وقيل غير ذلك. انظر الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر مج ٢ ج ٣ ص ٢٣٧، ٢٣٨، رقم ٤٠٤١.

(٣) سبقت ترجمته ص ٣١١.

وَنُعِيتُ ﴿ وَعِيدَا بَأْنَ اللّٰهٖ يَمِيتُ سَادَتَهُمْ وَأَنَّهُ يَبْقَىٰ مِنْ قَدَرِّ إِسْلَامِهِ فِيمَا بَعْدُ فَهُوَ يَحْيِيهِ إِلَىٰ يَوْمِ أَجْلِهِ. <sup>(١)</sup>﴾

وقد رجعت إلى الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي؛ فوجدتهم قد فسروا الآيات السابقة على أنها حدث يقع يوم الحشر.

فقال الزمخشري: ﴿ وَأَسْتَمِعُ ﴾ يعني واستمع لما أخبرك به من حال يوم القيامة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به والمحدث عنه...

﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ أي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور، والمنادي:

إسرافيل. <sup>(٢)</sup>

وقال ابن عطية: (قوله تعالى: ﴿ وَأَسْتَمِعُ ﴾ بمنزلة وانتظر وذلك أن محمداً

صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بأن يستمع في يوم النداء لأن كل من فيه يستمع وإنما الآية في معنى الوعيد للكفار...

﴿ الصَّيْحَةُ ﴾ صيحة المنادي، و﴿ الْخُرُوجُ ﴾ هو من القبور. ويومه هو يوم

القيامة، ويوم الخروج في الدنيا هو يوم العيد. <sup>(٣)</sup>

وقال البيضاوي: ﴿ وَأَسْتَمِعُ ﴾ لما أخبرك به من أحوال القيامة، وفيه

تهويل وتعظيم للمخبر به. ﴿ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ ﴾ إسرافيل أو جبريل عليهما

السلام... ﴿ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ بحيث يصل نداؤه إلى الكل على سواء.

﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ من القبور، وهو من أسماء يوم القيامة وقد يقال

(١) التحرير والتنوير ج ٢٦ ص ٢٧٦.

(٢) الكشاف للزمخشري مج ٤ ص ٣٨٣.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية مج ٥ ص ١٧٠.

للعيد).<sup>(١)</sup>

وانطلاقاً مما ذكر يتضح جلياً أن ابن عاشور قد تفرد عن الزمخشري وابن عطية البياضوي، بل تفرد عن جمهور المفسرين، بما فسر به هذه الآيات من سورة (ق).

ولكن الذي يظهر لي أن مخالفة ابن عاشور لجمهور المفسرين وتفرده عنهم بما ذهب إليه في تفسيره لهذه الآيات تفرد مرجوح؛ لأن السياق القرآني يدل دلالة واضحة على أن الحدث الذي تتحدث عنه هذه الآيات سيكون يوم القيامة، خاصة وأن قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سَرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup> والذي جاء مباشرة عقب الآيات السابقة ﴿وَأَسْتَمِعُ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ إلى قوله ﴿وَالْيَنَّا الْمَصِيرُ﴾<sup>(٣)</sup> يدل ويؤكد أيضاً على أن النداء والمنادي والمنادى ويوم الخروج كلها من أحوال يوم القيامة، وليس من أحوال الدنيا كما ذكر ابن عاشور.

الرابع: قوله بأن المراد بالبحر المسجور هو البحر الأحمر

عند تفسير الطاهر بن عاشور لقوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾<sup>(٤)</sup> ذكر

أن المراد بالبحر المذكور في الآية هو البحر الأحمر فقال:

(والبحر: يجوز أن يراد به البحر المحيط بالكرة الأرضية. وعندي: أن

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٥ ص ١٤٤.

(٢) سورة ق، الآية: ٤٤.

(٣) سورة ق، الآيات: ٤١-٤٣.

(٤) سورة الطور، الآية: ٦.

المراد بحر القلزم، وهو البحر الأحمر...<sup>(١)</sup>

وقد رجعت إلى الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في تفاسيرهم لهذه الآية؛ فوقفنا على عدم تسميتهم لهذا البحر بالبحر الأحمر.

فقال الزمخشري: (والبحر المسجور: المملوء وقيل الموقد من قوله تعالى:

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾<sup>(٢)</sup>.)<sup>(٣)</sup>

وقال ابن عطية: (والجمهور على أنه بحر الدنيا ويؤكد ذلك قوله تعالى:

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾<sup>(٤)</sup>.)<sup>(٥)</sup>

وقال البيضاوي: ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾: أي المملوء وهو المحيط، أو الموقد

من قوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾<sup>(٦)</sup>.)<sup>(٧)</sup>

وانطلاقاً مما فسر به هؤلاء الأئمة الثلاثة البحر المسجور يتضح جلياً أن

ابن عاشور قد تفرد عنهم بتعيينه لهذا البحر حين حدده بالبحر الأحمر.

والظاهر أن ابن عاشور لم يتفرد عن الزمخشري وابن عطية والبيضاوي

فقط بل تفرد عن جمهور المفسرين الذين نصوا على أن البحر المذكور في الآية

هو بحر الدنيا المعروف والمشاهد، دون تحديد جهته أو اسمه.

(١) التحرير والتنوير ج ٢٧ ص ٥٥.

(٢) سورة التكويد، الآية: ٦.

(٣) الكشاف للزمخشري مج ٤ ص ٣٩٨.

(٤) سورة التكويد، الآية: ٦.

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية مج ٥ ص ١٨٦، ١٨٧.

(٦) سورة التكويد، الآية: ٦.

(٧) أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٥ ص ١٥٢.



قال أبو حيان الأندلسي<sup>(١)</sup>: (والجمهور: على أن البحر المقسم به هو بحر الدنيا، ويؤيده: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾<sup>(٢)</sup>.)<sup>(٣)</sup>

وقال ابن كثير<sup>(٤)</sup> في تفسيره لقوله ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورِ﴾<sup>(٥)</sup>: (وقال الجمهور الجمهور هو هذا البحر.)<sup>(٦)</sup> يعني بحر الدنيا.

وقال الألوسي<sup>(٧)</sup>: ((والجمهور على أن المراد به بحر الدنيا، وبه أقول.))<sup>(٨)</sup>  
أقول.))<sup>(٨)</sup>

والحق أن ما ذهب إليه ابن عاشور في هذه المسألة مرجوح، لأن تعيين اسم البحر المذكور في الآية بالبحر الأحمر تخصيص بلا دليل.



- 
- (١) سبقت ترجمته ص ٥.  
(٢) سورة التكويد، الآية: ٦.  
(٣) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج ٨ ص ١٤٤.  
(٤) سبقت ترجمته ص ١٣٩.  
(٥) سورة التكويد، الآية: ٦.  
(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٧ ص ٤٢٩.  
(٧) سبقت ترجمته ص ٣٠.  
(٨) روح المعاني للألوسي مج ١٤ ج ٢٧ ص ٢٨. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت - لبنان. بدون تاريخ.

## المبجَّات الأربع

## تفردات ابن عاشور باستنباط قواعد تفسيرية

## من القرآن الكريم عن طريق الاستقراء

## تمهيد:

قبل أن أبين القواعد التفسيرية التي استنبطها ابن عاشور وتفرد بها عن غيره من كبار المفسرين، يجدر بي ابتداءً أن أعرف بالقواعد التفسيرية، وأبين المراد بالاستقراء.

## أولاً: تعريف القواعد التفسيرية

أ) تعريف القواعد لغة<sup>(١)</sup>:

القواعد جمع قاعدة، والقاعدة أصل الأس. والقواعد الأساس، وقواعد البيت أساسه، والقاعدة ما يقعد عليه الشيء أي يستقر ويثبت.

وفي التنزيل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾<sup>(٢)</sup> وقال

تعالى: ﴿فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) انظر لسان العرب لابن منظور مج ٣ ص ٤٤٣. فصل القاف. الفعل: قعد.

وانظر كتاب التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٥٦٩.

وانظر كتاب الكليات للكفوي ص ١١٧٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ٢٦.

**ب) تعريف القاعدة اصطلاحاً:**

(هي قضايا كلية منطبقة على جميع جزئياتها)<sup>(١)</sup> وعرفها الدكتور خالد السبت<sup>(٢)</sup> بقوله: (هي حكم كلي يتصرف به على أحكام جزئياته)<sup>(٣)</sup> ثم ذكر محترزات التعريف، ومما قاله في ذلك:

١- قولنا: حكم كلي: لا يرد عليه أن كثيراً من القواعد لها استثناءات وأحكام تندُّ عنها، لأن العبرة بالأغلب، والنادر والشاذ لا يخرم القاعدة...

٢- قولنا: (يتعرف به) هذا التعبير أدق من تعبير بعضهم ب: ينطبق لأن استخراج الحكم المندرج تحت القاعدة لا يكون أمراً بدهياً، بل يحتاج إلى إعمال ذهن وشيء من التفكير والتأمل.

٣- قولنا: (على أحكام جزئياته) ولم نقل على جميع جزئياته لأن كثيراً من القواعد أغلبية، وذلك لوجود مستثنيات خارجة عنها...<sup>(٤)</sup>

**ج- تعريف التفسير لغة واصطلاحاً:**

سبق لي أن عرّفت به في مبحث: تفردات ابن عاشور في التفسير الفقهي، فلا داعي لإعادته الآن تجنباً للتكرار.

**د- تعريف القواعد التفسيرية باعتبارها لقباً على فن معين من العلم:**

القواعد التفسيرية هي (الأحكام الكلية التي يتوصل بها إلى استنباط

(١) كتاب التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٥٦٩.

(٢) هو خالد بن عثمان السبت من المملكة العربية السعودية. رئيس قسمي الدراسات القرآنية والإسلامية في كلية المعلمين بالرياض. (معاصر).

(٣) قواعد التفسير جمعاً ودراسة لخالد بن عثمان السبت ج ١ ص ٣٠. ط ١ س ١٤٢١ هـ دار ابن عفان.

(٤) المرجع السابق ج ١ من ص ٢٣ إلى ص ٢٥.

معاني القرآن العظيم ومعرفة الاستفادة منها.)<sup>(١)</sup>

وقد وضع الدكتور السبب محترزات هذا التعريف، فقال:

(التعبير بكلي صحيح ولا حاجة لاستبداله بأغلبى مثلاً، لأن الأول يتضمن هذا المعنى وزيادة، لأن القواعد التي تدرج تحتها جميع الجزئيات تسمى كلية، وكذلك تلك القواعد لها استثناءات تسمى كلية، فالكلية هنا نسبية وهذا الأمر يشمل قواعد الفقه والأصول والنحو وسائر القواعد الاستقرائية...) <sup>(٢)</sup>

وقال: (قولنا: التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم: القواعد التي لا يتوصل بها إلى الاستنباط من القرآن كـ بعض قواعد الأصول واللغة التي لا تمت لموضوعنا، وكقواعد المنطق والهندسة مثلاً...  
وقولنا: ومعرفة كيفية الاستفادة منها: يدخل القواعد الترجيحية، وهذا القيد يذكر أيضاً في تعريف أصول الفقه ليدخل به باب: التعارض والترجيح.)<sup>(٣)</sup>

## ثانياً: تعريف الاستقراء

أ - تعريف الاستقراء لغة<sup>(٤)</sup>:

الاستقراء لغة: مأخوذ من القرء بمعنى الجمع والضم. يقال: قرئت الماء في

(١) المرجع السابق ج ١ ص ٣٠.

(٢) قواعد التفسير جمعاً ودراسة لخالد بن عثمان السبب ج ١ ص ٢٤.

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٣٠.

(٤) انظر الصحاح للجوهري ج ١ ص ٥٠. الفعل: قرأ.

وانظر لسان العرب لابن منظور مج ١ ص ١٥٧. فصل القاف. الفعل: قرأ.

الحوض - وإن كان قد ألزم الياء - فهو: جمعت. ويقال قرأت الشيء قرآنا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض ومعنى القرآن: الجمع. وسُمي قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها.

### ب- تعريف الاستقراء اصطلاحاً

(هو: تتبع جزئيات الشيء، فالتام منه هو الاستقراء بالجزئي على الكلي نحو: (كل جسم متحيز) فإنه لو استقرت جميع جزئيات الجسم من جماد وحيوان ونبات لوجدتها متحيزة، وهذا الاستقراء دليل يقيني، فيفيد اليقين... والناقص هو الاستقراء بأكثر الجزئيات نحو (كل حيوان يحرك فكه الأسفل عند المضغ). وهذا الاستقراء دليل ظني فلا يفيد إلا الظن.)<sup>(١)</sup>

وقد بذل ابن عاشور جهداً كبيراً في تفسيره للقرآن الكريم ووفى بما ذكره في مقدمة تفسيره حين قال: (فجعلت حقاً علي أن أبدي في تفسير القرآن نكتا لم أر من سبقني إليها.)<sup>(٢)</sup>

والذي يغوص في بيانه لكتاب الله سيقف مرات عديدة على الجديد، لأن الاقتصار على إعادة القديم - كما يرى ابن عاشور - هو تعطيل لفيض القرآن الذي ما له من نفاذ<sup>(٣)</sup>.

والملاحظ أن ابن عاشور - إلى جانب اهتمامه الكبير في تفسيره باللغة

(١) كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري ص ١٤٦.

وانظر التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبدالرؤوف المناوي. تح: الدكتور محمد رضوان الداية ص ٦٠.

(٢) التحرير والتنوير ج ١ ص ٧.

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٧.

والنحو ومباحث علوم القرآن والمسائل الفقهية والعلمية وغيرها... أجده يستعمل في تفسيره أسلوب الاستقراء الذي يعتمد فيه على الصبر وطول النفس في البحث العلمي.

وقد تمكن بهذا الأسلوب من استنباط بعض القواعد التفسيرية التي تفرد بها عن غيره من كبار المفسرين. وقد وقفت على ثلاث قواعد وهي:

**القاعدة الأولى:** قوله بأن القرآن الكريم إذا ذكر فيه اسم الإشارة (هؤلاء) دون وجود مشار إليه في الكلام فهو يعني به مشركي العرب، وأن القرآن الكريم قد عناهم بهذا في نحو أحد عشر موضعاً.

تتبع محمد الطاهر ابن عاشور كلمة (هؤلاء) في القرآن الكريم؛ فوجدها تشير - إن لم يكن معها مشار إليه مذكور - إلى مشركي العرب في أحد عشر موضعاً، واعتبر ذلك مما اهتدي إليه وتفرد به، ولم ير من نبه عليه قبله.

وقد تتبعت تفسيره التحرير والتوير؛ فوقفت على المواضع كلها التي نبه عليها بصورة إجمالية، سأذكرها بالتفصيل ليكون القارئ الكريم على بينة منها. وهذه المواضع هي:

١- قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾<sup>(١)</sup> قال:

(وقد اصطلح القرآن على إطلاق إشارة ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ مُراداً بها المشركون

(١) سورة النساء، الآية: ٤١.

وهذا معنى ألهمنا إليه استقريناه فكان مطابقاً. <sup>(١)</sup>

٢- وقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَتُّؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَّسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> قال:

(والإشارة في قوله ﴿ هَتُّؤُلَاءِ ﴾ إلى المشركين من أهل مكة... وقد تفصيت

مواقع آي القرآن فوجدته يعبر عن مشركي قريش كثيراً بكلمة ﴿ هَتُّؤُلَاءِ ﴾ كقوله: ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَتُّؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> ولم أر من نبه عليه من قبل. <sup>(٤)</sup>

٣- وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ <sup>(٥)</sup> قال:

(وقد تكرر في القرآن إطلاق الرجوع على إقلاع المشركين عن الشرك

كقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ \* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي

فَأِنَّهُ سَيِّدِي \* وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ \* لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ <sup>(٦)</sup> أي يرجعون عن

الشرك، وهو تعريض بالعرب، لأنهم المشركون من عقب إبراهيم، وبقرينة

قوله: ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَتُّؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ <sup>(٧)</sup> فإني

(١) التحرير والتنوير ج ٤ ص ١٤٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨٩.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٢٩.

(٤) التحرير والتنوير ج ٦ ص ٢٠٣، ٢٠٤.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٧٤.

(٦) سورة الزخرف، الآية: ٢٦-٢٨.

(٧) سورة الزخرف، الآية: ٢٦.

استقرت من اصطلاح القرآن أنه يشير بهؤلاء إلى العرب.<sup>(١)</sup>

٤- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَتُولَاءِ ﴾<sup>(٢)</sup> قال:

(والإشارة بـ ﴿ هَتُولَاءِ ﴾ إلى مشركي قريش، وقد تتبع اصطلاح القرآن

فوجدته عناهم باسم الإشارة هذا في نحو أحد عشر موضعاً وهو مما ألهمت إليه

ونبّهت عليه عند قوله تعالى: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَتُولَاءِ شَهِيدًا ﴾<sup>(٣)</sup> في سورة النساء.<sup>(٤)</sup>

٥- وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَتُولَاءِ ﴾<sup>(٥)</sup> قال:

(و ﴿ هَتُولَاءِ ﴾ إشارة إلى حاضر في الذهن وهم المشركون الذين أكثر

الحديث عليهم. وقد تتبع مواقع أمثال اسم الإشارة هذا في القرآن فرأيته يُعنى

به المشركون من أهل مكة...)<sup>(٦)</sup>

٦- وقال ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَتُولَاءِ وءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ

طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ﴾<sup>(٧)</sup>

(وقد استقرت أن القرآن إذا ذكرت فيه هذه الإشارة دون وجود مشار

(١) التحرير والتنوير ج ٨ ص ٣٤٩.

(٢) سورة هود، الآية: ١٠٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤١.

(٤) التحرير والتنوير ج ١١ ص ٣٣٣.

(٥) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٦) التحرير والتنوير ج ١٣ ص ٢٠٣.

(٧) سورة النساء، الآية: ٤٤.



إليه في الكلام فهو يعني بها كفار قريش.<sup>(١)</sup>

٧- وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَتُؤُلَاءِ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فُؤَاقٍ﴾<sup>(٢)</sup>

(و﴿هَتُؤُلَاءِ﴾ إشارة إلى كفار قريش لأن تجدد دعوتهم ووعيدهم

وتكذبيهم يوماً فيوماً جعلهم كالحاضرين، فكانت الإشارة مفهوماً منها أنها

إليهم. وقد تتبع اصطلاح القرآن فوجدته إذا استعمل (هؤلاء) ولم يكن معه

مشار إليه مذكور: أنه يريد به المشركين من أهل مكة كما نبهت عليه فيما

مضى غير مرة.<sup>(٣)</sup>

٨- وفي تفسيره لهذه الآية ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَتُؤُلَاءِ وَاَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ

مُبِينٌ﴾<sup>(٤)</sup> قال:

(و﴿هَتُؤُلَاءِ﴾ إشارة إلى غير مذكور في الكلام، وقد استقرت أن

مصطلح القرآن أن يريد بمثله مشركي العرب. ولم أر من اهتدى للتمييز

عليه....)<sup>(٥)</sup>

٩- وقال في موضع آخر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِ يَا قَوْمِ إِنَّ هَتُؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا

يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٦)</sup>

(١) التحرير والتنوير ج ١٧ ص ٥٦.

(٢) سورة ص، الآية: ١٥.

(٣) التحرير والتنوير ج ٢٣ ص ١٢٤، ١٢٥.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٢٩.

(٥) التحرير والتنوير ج ٢٥ ص ٢٤١، ٢٤٢.

(٦) سورة الزخرف، الآية: ٨٨.

والإشارة بـ ﴿هَتُولَاءِ﴾ إلى المشركين من أهل مكة كما هي عادة القرآن غالباً ووصفهم بأنهم قوم لا يؤمنون أدل على تمكن عدم الإيمان منهم من أن يقول: هؤلاء لا يؤمنون.<sup>(١)</sup>

١٠- وقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَتُولَاءِ لَيَقُولُونَ \* إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

﴿هَتُولَاءِ﴾ حيثما ذكر في القرآن غير مسبوق بما يصلح أن يشار إليه: مُرادٌ به المشركون من أهل مكة كما استتبطناه وقدمنا الكلام عليه عند قوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَتُولَاءِ﴾<sup>(٣)</sup>.<sup>(٤)</sup>

١١- وقال في الموضع الحادي عشر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَتُولَاءِ تُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾<sup>(٥)</sup>

(وقد استقرت من القرآن أنه إذا أطلق (هؤلاء) دون سبق ما يكون مشاراً إليه فالمقصود به المشركون).<sup>(٦)</sup>

والملاحظ أنني قارنت هذه المواضع كلها مع ما ذكر في تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي عند تفسيرهم لتلك الآيات الإحدى

(١) التحرير والتنوير ج ٢٥ ص ٣٠٤.

(٢) سورة الدخان، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٨٩.

(٤) التحرير والتنوير ج ٢٥ ص ٣٣٢.

(٥) سورة الإنسان، الآية: ٢٧.

(٦) التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ٣٧٧.

عشرة؛ فوقفت على عدم تشبيهم على ما نبه عليه ابن عاشور<sup>(١)</sup>، مما يدل قطعاً على أن صاحب التحرير والتوير قد تفرد عنهم بتشبيهه على ذلك. والحق أن ما توصل إليه ابن عاشور ونبه عليه عن طريق الاستقراء - مستعيناً بدلالة السياق القرآني - يعد قاعدة تفسيرية من مبتكراته، وأن كتاب الله بحر لا ساحل له، ومجال خصب للعلماء الذين يسخرون همهم وعقولهم للكشف عن دقائق الأمور والدرر النفيسة.

**الثانية: حصره التزيين المذموم في القرآن الكريم في ثلاثة أنواع:**

عند تفسير الطاهر بن عاشور لقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾<sup>(٢)</sup>

ذكر أنه استقرأ مواقع التزيين المذموم، فحصرها في ثلاثة أنواع. فقال: (والتزيين جعل الشيء زِيناً أو الاحتجاج لكونه زيناً، لأن التفعيل يأتي للجعل ويأتي للنسبة كالتعليم، والتفسيق والتزكية، والزِين شدة الحسن... وقد استقرت مواقع التزيين المذموم فحصرتها في ثلاثة أنواع: الأول: ما ليس بزِين أصلاً لا ذاتاً ولا صفة، لأن جميعه ذم وأذى ولكنه زُيِّن للناس بأوهام وخواطر شيطانية وتخيلات شعرية كالخمر.

(١) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ٥٠٢، مج ٢ ص ٤١، ص ١٧١، ص ٣١٥، ص ٦٠٣، مج ٣ ص ١١٦، مج ٤ ص ٧٤، ص ٢٤٠، ص ٢٦١، ص ٢٧١، ص ٦٦٢.  
وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٢ ص ٥٥، ص ٣١٨، ص ٤٧٦، مج ٣ ص ٢٠٩، ص ٤١٥، مج ٤ ص ٨٤، ص ٤٩٥، ٤٩٦، مج ٥ ص ٥٢، ص ٦٧، ٧٥، ص ٤١٥.  
وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ٢ ص ٧٥، ص ١٧١، مج ١ ج ٣ ص ٤٢، ص ١٥٠، ص ٢٣٧، مج ٢ ج ٤ ص ٥٢، مج ٢ ج ٥ ص ٢٦، ص ٩٠، ص ٩٨، ص ١٠٢، ص ٢٧٣.  
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٢.

الثاني: ما هو زين حقيقة لكن له عواقب تجعله ضرا وأذى كالزنا.

الثالث: ما هو زين لكنه يحف به ما يصيره ذمياً كنجدة الظالم.<sup>(١)</sup>

وقد رجعت إلى الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في تفسيرهم للآية السابقة؛ فوجدتهم قد سكتوا عن حصر التزيين المذموم في القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>، مما يؤكد أن ابن عاشور قد تفرد عنهم بحصر ذلك وبيانه. والظاهر أن ما ذكره ابن عاشور في منتهى الصحة والقبول لأن الزينة قسمان: زينة مباحة، مقبولة، وزينة مذمومة.

والزينة المقبولة المباحة هي التي عناها الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ

اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾<sup>(٣)</sup>

وأما الزينة المذمومة فهي التي توقع صاحبها في المحذور الشرعي. وهي التي لا تخرج عن الأنواع الثلاثة التي ذكرها ابن عاشور.

القاعدة الثالثة: قوله بأن أسلوب الحوار في القرآن الكريم يُحكى بلفظ (قال) دون حروف العطف إلا إذا كان الكلام قصد الإخبار، أو جرى في أوقات أو أمكنة مختلفة. ذكر الطاهر بن عاشور في مقدمة تفسيره أنه استقرأ من أساليب القرآن الكريم، إذا حكى القرآن المحاورات والمجاوبات حكاها بلفظ قال دون

(١) التحرير والتنوير ج ٢ ص ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ٢٥٢.

وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ١ ص ٢٨٤، ٢٨٥.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ١ ص ١٣٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

استعمال حروف العطف إلا إذا انتقل الكلام من محاوراة إلى أخرى.<sup>(١)</sup>  
وقد بيّن هذا الأسلوب أكثر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ

إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(٢)</sup> إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ يَتَّعَدُمُ أَنْبِعُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ...﴾<sup>(٣)</sup>

فقال في تفسير قوله: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ﴾<sup>(٤)</sup>

(هذا جواب الملائكة عن قول الله لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

فالتقدير فقالوا على وزن قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾<sup>(٥)</sup>

وفُصل الجواب ولم يعطف بالفاء أو الواو جرياً به على طريقة متبعة في القرآن في حكاية المحاورات وهي طريقة عربية...

وقال رؤبة بن العجاج<sup>(٦)</sup>:

قالت بنات العم يا سلمى وإن كان فقيراً مُعدماً قالت وإن<sup>(٧)</sup>

وإنما حذفوا العاطف في أمثاله كراهية تكرير العاطف بتكرير أفعال

القول فإن المحاوراة تقتضي الإعادة في الغالب فطردوا الباب فحذفوا العاطف في

(١) انظر التحرير والتنوير ج ١ ص ١٢٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

(٦) هو رؤبة بن عبدالله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي. أبو محمد. شاعر من الفصحاء المشهورين ومن

مخضرمي الدولتين: الأموية والعباسية كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة وكانوا

يحتجون بشعره. توفي سنة ١٤٥هـ-٧٦٢م. انظر الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٣٤.

(٧) أي وإن كان كذلك رضيته زوجاً لي.

الجميع وهو كثير في التنزيل وربما عطفوا ذلك بالفاء لنكتة تقتضي مخالفة الاستعمال وإن كان العطف بالفاء هو الظاهر والأصل، وهذا مما لم أسبق إلى كشفه من أساليب الاستعمال العربي.

ومما عطف بالفاء قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ يَنْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ <sup>ط</sup> أَفَلَا تَتَّقُونَ \* فَقَالَ الْمَلَأُ <sup>(١)</sup> ﴾ في سورة المؤمنين وقد يعطف بالواو أيضاً كما في قوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ <sup>ط</sup> أَفَلَا تَتَّقُونَ \* وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ <sup>(٢)</sup> ﴾ الخ في سورة المؤمنون وذلك إذا لم يكن المقصود حكاية التحاور بل قصد الإخبار عن أقوال جرت أو كانت الأقوال المحكية مما جرى في أوقات متفرقة أو أمكنة متفرقة. ويظهر ذلك لك في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ <sup>(٣)</sup> ﴾ إلى قوله: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى ﴾ <sup>(٤)</sup> ثم قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ ﴾ <sup>(٥)</sup> ثم قال: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup>

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ٣٢، ٣٣.

(٣) سورة غافر، الآية: ٢٥.

(٤) سورة غافر، الآية: ٢٦.

(٥) سورة غافر، الآية: ٢٧.

(٦) سورة غافر، الآية: ٢٨.

(٧) التحرير والتنوير ج ١ ص ٣٨٧. بتصرف.

وقال ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا

مَا عَلَّمْتَنَا ﴾<sup>(١)</sup>

(جرد (قالوا) من الفاء لأنه محاورة كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿ قَالُوا

أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَتَّبِعُكُمْ أَنبِيُّهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾<sup>(٤)</sup>

قال:

(لما دخل هذا القول في جملة المحاورة جردت الجملة من الفاء أيضاً كما تقدم في نظائره لأنه وإن كان إقبالاً بالخطاب على غير المخاطبين بالأقوال التي قبله فهو بمثابة خطاب لهم لأن المقصود من خطاب آدم بذلك أن يظهر عقبه فضله عليهم في العلم من هاته الناحية فكان الخطاب بمنزلة أن يكون مسوقاً إليهم لقوله عقب ذلك: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾<sup>(٥)</sup><sup>(٦)</sup>

وقد رجعت إلى الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في تفاسيرهم للآيات

السابقة من سورة البقرة، فوجدتهم قد سكتوا عما كشف عنه ابن عاشور<sup>(٧)</sup>

(١) سورة البقرة، الآية: ٣١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٣) التحرير والتنوير ج ١ ص ٣٩٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٣.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٣٣.

(٦) التحرير والتنوير ج ١ ص ٤٠٢، ٤٠٣.

(٧) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ من ص ١٢٨ إلى ص ١٣٠.

وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ١ من ص ١١٦ إلى ص ١٢٣.

وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ١ من ص ٦٧ إلى ص ٧٠.

مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم بذلك.  
والحق أن ما ذكره ابن عاشور في منتهى النفاسة، حيث استطاع أن  
يكشف لنا بالتأمل والاستقراء عن سر من أسرار الأسلوب القرآني عند تناوله  
لموضوع ما عن طريق الحوار.





## المبحث الخامس

### تفردات ابن عاشور في تفسير القرآن بحوادث تاريخية

اهتم الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره بذكر الحوادث التاريخية، ويرى أن للتاريخ أهمية كبيرة في تعليم الأمم لما فيه من فوائد وعبر. وفي هذا الصدد يقول: (إن القرآن يأتي بذكر الحوادث التاريخية تعليماً للأمة بفوائد ما في التاريخ، ويختار لذلك ما هو من تاريخ أهل الشرائع، لأنه أقرب للغرض الذي جاء لأجله القرآن)<sup>(١)</sup>.

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

(وفي الآية دلالة على أهمية علم التاريخ لأن فيه فائدة السير في الأرض وهي معرفة أخبار الأوائل)<sup>(٣)</sup>

وقد تتبع الحوادث التاريخية التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره للقرآن الكريم، وقارنتها بما جاء في تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي، فوقفت على أربعة تفردات تفرد بها ابن عاشور عنهم. وهذه التفردات هي:

الأول: مخالفته لجمهور المفسرين في بيان القول الذي بدله بنو إسرائيل

حينما أمروا بدخول القرية مستعينا على ذلك بأحداث التاريخ:

(١) التحرير والتنوير ج ٢، ص ٤٦٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٧.

(٣) التحرير والتنوير ج ٣، ص ٢٢٧.

عند تفسير محمد الطاهر ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ<sup>١</sup> وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ \* فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ذكر أن المفسرين تحيروا في تفسير هاتين الآيتين وأتوا بكلام غير مقنع، ثم جاء بتفسيره الذي يراه صحيحاً، ومنطبقاً على التاريخ الصريح، ومما ذكره في ذلك قوله:

(ولعلم المخاطبين بما عنته هذه الآية اختصر فيها الكلام اختصاراً ترك كثيراً من المفسرين فيها حيارى، فسلكوا طرائق في انتزاع تفصيل المعنى من مجملها فما أتوا على شيء مقنع، وكنت تجد أقوالهم هنا إذا التأم بعضها بنظم الآية<sup>(٢)</sup> لا يلتئم بعضه الآخر، وربما خالف جميعها ما وقع في أيام آخر.

والذي عندي من القول في تفسير هاته الآية أنها أشارت إلى قصة معلومة تضمنتها كتبهم وهي أن بني إسرائيل لما طوحت بهم الرحلة إلى بركة فاران<sup>(٣)</sup> نزلوا بمدينة قادش<sup>(٤)</sup> فأصبحوا على حدود أرض كنعان<sup>(٥)</sup> التي هي الأرض

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٥٨-٥٩.

(٢) ذلك أن الآية لم تعين اسم القرية ولا عامل حطة ولا مفعوله، وأجملت في الذين بدلوا وفي القول ما هو، وفي الذي قيل لهم، والقصد من ذلك تجنب ثقل إعادة الأمر المعلوم فإن بني إسرائيل المخاطبين كانوا يعلمون ذلك والمسلمين بالمدينة كانوا يتلقونه مفضلاً من النبي صلى الله عليه وسلم ومن مسلمي أهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام.

(٣) فاران: هي الحجاز حالياً. وهي من أسماء مكة. أنظر معجم البلدان لياقوت الحموي مج ٤ ص ٢٢٥.

(٤) مدينة قادش: من أهم المواقع الأثرية القديمة في القطر العربي السوري، وقد كانت لها أهمية كبيرة في العصر الآرامي. كما ازدهرت في العصر الروماني تحت اسم لاوديسا. وتقع غرب حمص في طريق طرطوس. انظر الموقع الإلكتروني على شبكة الانترنت:

[www.syriatourism.org/index.php?module](http://www.syriatourism.org/index.php?module)

(٥) تسمى الأراضي المنخفضة وهي جنوب سوريا وفلسطين، انظر الموسوعة الحرة على شبكة الانترنت. [www.wikipedia.org/wiki](http://www.wikipedia.org/wiki)

المقدسة التي وعدها الله بني إسرائيل وذلك في أثناء السنة الثانية بعد خروجهم من مصر فأرسل موسى اثني عشر رجلاً ليتجسسوا أرض كنعان من كل سبط رجل وفيهم يوشع بن نون<sup>(١)</sup> وكالب بن بفتة<sup>(٢)</sup> فصعدوا وأتوا إلى مدينة حبرون<sup>(٣)</sup> فوجدوا الأرض ذات خيرات وقطعوا من عنبها ورماتها وتينها ورجعوا لقومهم بعد أربعين يوماً وأخبروا موسى وهارون وجميع بني إسرائيل وأروهم ثمر الأرض وأخبروهم أنها حقاً تفيض لبناً وعسلاً غير أن أهلها ذوو عزة ومدنها حصينة جداً فأمر موسى كالباً فأنصت إلى موسى وقال إننا نصعد ونمتلكها وكذلك يوشع أما العشرة الآخرون فأشاعوا في بني إسرائيل مذمة الأرض وأنها تأكل سكانها وأن سكانها جبابرة فخافت بنو إسرائيل من سكان الأرض وجبنوا عن القتال فقام فيهم يوشع وكالب قائلين لا تخافوا من العدو فإنهم لقمة لنا والله معنا، فلم يصغ القوم لهم وأوحى الله لموسى أن بني إسرائيل أساءوا الظن بربهم وأنه مهلكهم فاستشفع لهم موسى فعفا الله عنهم ولكنه حرمهم من الدخول إلى الأرض المقدسة أربعين سنة يتيهون فلا يدخل لها أحد من الحاضرين يومئذ إلا يوشعاً وكالباً وأرسل الله على الجواسيس العشرة المثبطين وباء أهلكتهم.

فهذه الآية تنطبق على هذه القصة تمام الانطباق لاسيما إذا ضمت لها آية سورة المائدة: ﴿يَنْقُومِ آدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ إلى قوله

- (١) هو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام وكان قائداً لإسرائيل بعد موت موسى عليه السلام. انظر الموسوعة الحرة [www.wikipedia.org/wiki](http://www.wikipedia.org/wiki).
- (٢) هو أحد الجواسيس الذين أرسلهم موسى عليه السلام إلى فلسطين، ويسمى بالعربية ذوالكفل وهو ابن عم يوشع بن نون، انظر المصدر السابق. [Wikipedia.org/wiki%9%](http://Wikipedia.org/wiki%9%).
- (٣) حبرون هي مدينة الخليل حالياً وتقع على بعد ٣٨ كلم من القدس على طريق بئر السبع وهي مشهورة بأشجار الزيتون والعنب والتين. وفيها دفنت سارة زوجة إبراهيم عليه السلام، انظر معجم البلدان لياقوت الحموي مج ٢ ص ٢١٢.

﴿الْفٰسِقِينَ﴾<sup>(١)</sup> فقوله: ﴿اَدْخُلُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ الظاهر أنه أراد بها ((حبرون)) التي كانت قريبة منهم والتي ذهب إليها جواسيسهم وأتوا بثمارها، وقيل: أراد من القرية الجهة كلها قاله القرطبي<sup>(٢)</sup> عن عمرو بن شبة<sup>(٣)</sup> فإن القرية تطلق على المزرعة لكن هذا يبعده قوله: ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ وإن كان الباب يطلق على المدخل بين الجبلين وكيفما كان ينتظم ذلك مع قوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ يشير إلى الثمار الكثيرة هناك. وقوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ يتعين أنه إشارة إلى ما أشاعه الجواسيس العشرة من مذمة الأرض وصعوبتها وأنهم لم يقولوا مثل ما قال موسى حيث استتصت الشعب بلسان كالب بن بفضة ويوشع ويدل لذلك قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا﴾<sup>(٤)</sup> أي من الذين قيل لهم ادخلوا القرية وأن الرجز الذي أصاب الذين ظلموا هو الوباء الذي أصاب العشرة الجواسيس، وينتظم ذلك أيضاً مع قوله في آية المائدة ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خٰسِرِينَ \* قَالُوا يٰمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾<sup>(٥)</sup> إلخ وقوله: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخٰفُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾<sup>(٦)</sup> فإن الباب

(١) سورة المائدة، من الآية ٢١ إلى الآية ٢٥.

(٢) سبقت ترجمته ص ٣١.

(٣) هو عمر بن شبة وليس (عمرو) واسمه زيد بن عبيدة بن ربيعة النميري. أبو زيد. شاعر، راوية، مؤرخ، حافظ للحديث، من أهل البصرة، ولد سنة ١٧٢هـ - ٧٨٩م وتوفي بسمراء سنة ٢٦٢هـ - ٨٧٢م. له تصانيف كثيرة منها: كتاب الكتاب، والنسب وأخبار المدينة، وتاريخ البصر.. انظر الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٤٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٦٢.

(٥) سورة المائدة، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

يناسب القرية. وقوله: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾<sup>(١)</sup> فهذا هو التفسير الصحيح

المنطبق على التاريخ الصريح<sup>(٢)</sup>

والظاهر أن الذي خالف فيه ابن عاشور المفسرين للآيتين السابقتين هو مخالفته لهم في مفهوم معنى التبديل في قوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا

غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup>

فابن عاشور جعل التبديل في القول راجعاً إلى الكذب الذي نطق به الجواسيس العشرة حينما أشاعوا في بني إسرائيل مذمة القرية التي أمروا أن يدخلوها ومذمة سكانها وأنهم جبابرة، مما أدخل الخوف في بني إسرائيل وجبنوا عن القتال، في حين أن الأرض التي أمروا أن يدخلوها كانت تفيض لبناً وعسلاً، وأن أهلها ذوو عزة ومدنها حصينة. كما أخبر بذلك يوشع وكالب.

فتحريف الحقيقة - إذن - هو التبديل في القول عند ابن عاشور.

ولكن جمهور المفسرين<sup>(٤)</sup> جعلوا التبديل إما راجعاً إلى تبديل لفظة

((حطة)) بغيرها، كما هو ظاهر القرآن، وهو الغالب عندهم، وإما تبديل ما

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٦.

(٢) التحرير والتنوير ج ١ ص ٤٩٦، ٤٩٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٥٩.

(٤) انظر - مثلاً - التفاسير التالية:

الكشاف للزمخشري مج ١ ص ١٤٥، ١٤٦.

المحرر الوجيز لا بن عطية مج ١ ص ١٥١.

أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ص ٨٢.

جامع البيان في تأويل القرآن للطبري. تح: أحمد محمد شاكر ج ٢ ص ١١٢.

تفسير القرآن العظيم لا بن كثير. تح: سامي بن محمد سلامة. ج ١ ص ٢٧٣.

تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. ج ١ ص ٢١٦.

مفاتيح الغيب للرازي. ج ٣ ص ٥٢٢.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. تح: هشام سمير البخاري ج ٧ ص ٣٠٤.

أمروا به من التوبة والاستغفار بطلب ما يرغبون فيه من شهوات الدنيا. والحق أن ما ذكره ابن عاشور في تفسيره للآية السابقة، واعتبره (هو التفسير الصحيح المنطبق على التاريخ الصريح) <sup>(١)</sup> ليس دقيقاً، وأن تفسير الجمهور هو الصحيح المنطبق على الحديث النبوي الصريح الذي استشهدوا به، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: ((قيل لبني إسرائيل: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ <sup>(٢)</sup> فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاهم وقالوا: حبة في شعرة)) <sup>(٣)</sup>

والظاهر أن ابن عاشور لم يطلع على هذا الحديث الصحيح الذي فسر به النبي صلى الله عليه وسلم لفضة التبديل الواردة في الآية، وإذا كان قد اطلع عليه، فإنه لا يحق له التأويل مادام الحديث واضحاً في دلالاته. علماً بأن أصح طريقة في تفسير القرآن الكريم هي أن يفسر القرآن بالقرآن، فإن لم يكن هناك من القرآن ما يفسر القرآن فلا بد من الرجوع إلى السنة لأنها شارحة له، وموضحة لما فيه <sup>(٤)</sup>.

وبهذا يتضح جلياً أن اعتماد ابن عاشور على التاريخ في تفسير هذه الآية مرجوح وأن تفسير الجمهور بما فيهم الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية

(١) التحرير والتنوير ج ١ ص ٤٩٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة. كتاب التفسير. باب: ((وقولوا حطة)) ج ٤ ص ١٧٠١. حديث رقم ٤٣٦٥ ورقم ٣٢٢٢. وأخرجه مسلم في صحيحه، بزيادة لفضة (الباب) أي: فدخلوا الباب يزحفون... كتاب التفسير باب: في تفسير آيات متفرقة. ص ١٣٠٤. حديث رقم ٧٥٢٣. ط ٢ ص ١٤٢١هـ، أبريل ٢٠٠٠م دار السلام للنشر والتوزيع. الرياض.

(٤) انظر مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٢٩. المكتبة العلمية، لاهور - باكستان. بدون تاريخ.

والبيضاوي هو الراجح لأن الحديث الصحيح حجة قوية، وهو يقدم على التاريخ في الاستدلال والترجيح، فيجب المصير إليه وطرح ما عداه من الأقوال.

الثاني: بيانه لقصة عظيمة من تاريخ بني إسرائيل أشار إليها القرآن:

عند تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ هُمْ أَرْبَعٌ لَنَا مَلِكٌ نَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝﴾<sup>(١)</sup>

ذكر بأن هذه الآية قد أشارت إلى قصة عظيمة من تاريخ بني إسرائيل، وهي فترة انتقال حكم بني إسرائيل من النظام الشورى إلى النظام الملكي. فقال:

(وهذه الآية أشارت إلى قصة عظيمة من تاريخ بني إسرائيل، لما فيها من العلم والعبرة، فإن القرآن يأتي بذكر الحوادث التاريخية تعليماً للأمة بفوائد ما في التاريخ، ويختار لذلك ما هو من تاريخ أهل الشرائع، لأنه أقرب للغرض الذي جاء لأجله القرآن. هذه القصة هي حادث انتقال نظام حكومة بني إسرائيل من الصبغة الشورية، المعبر عنها عندهم بعصر القضاة إلى الصبغة الملكية، المعبر عنها بعصر الملوك وذلك أنه لما توفى موسى عليه السلام في حدود سنة ١٣٨٠ قبل الميلاد المسيحي، خلفه في الأمة الإسرائيلية يوشع بن نون<sup>(٢)</sup>، الذي عهد له موسى في آخر حياته بأن يخلفه فلما صار أمر بني إسرائيل إلى يوشع جعل

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٦.

(٢) سبقت ترجمته ص ٣٣٤.

لأسباط بني إسرائيل حكماً يسوسونهم ويقضون بينهم، وسماهم القضاة فكانوا في مدن متعددة، وكان من أولئك الحكام أنبياء، وكان هنالك أنبياء غير حكام، وكان كل سبط من بني إسرائيل يسيرون على ما يظهر لهم، وكان من قضاتهم وأنبيائهم صمويل بن القانة<sup>(١)</sup>، من سبط أفرايم، قاضياً لجميع بني إسرائيل، وكان محبوباً عندهم، فلما شاخ وكبر وقعت حروب بين بني إسرائيل حتى إن تابوت العهد، الذي سيأتي الكلام عليه، أسره الفلسطينيون، وذهبوا به إلى (أشدود)<sup>(٢)</sup> بلادهم وبقي بأيديهم عدة أشهر، فلما رأت بنو إسرائيل ما حل بهم من الهزيمة، ظنوا أن سبب ذلك هو ضعف صمويل عن تدبير أمورهم، وظنوا أن انتظام أمر الفلسطينيين، لم يكن إلا بسبب النظام الملكي، وكانوا يومئذ يتوقعون هجوم ناحاش<sup>(٣)</sup>: ملك العمونيين عليهم أيضاً، فاجتمعت إسرائيل وأرسلوا عرفاءهم من كل مدينة، وطلبوا من صمويل أن يقيم لهم ملكاً يقاتل بهم في سبيل الله، فاستاء صمويل من ذلك، وحذرهم عواقب حكم الملوك ((إن الملك يأخذ بنيكم لخدمته وخدمة خيله ويتخذ منكم من يركض أمام مراكبه، ويسخر منكم حراثين لحرثه، وعملة لعدد حربيه، وأدوات مراكبه، ويجعل بناتكم عطارات وطباخات وخبازات، ويصطفي من حقولكم، وكرومكم، وزياتينكم،

(١) هو الابن الثاني للنبي يوسف عليه السلام. انظر الموسوعة الحرة على شبكة الانترنت [www.ar.wikipedia.org/wiki](http://www.ar.wikipedia.org/wiki).

(٢) كانت تعرف بإسدود. وهي مدينة ساحلية فلسطينية تقع على البحر الأبيض المتوسط شمال مدينة المجدل بناها الكنعانيون الذين سكنوا فلسطين حوالي ٣٠٠٠ قبل الميلاد. احتلتها القوات الإسرائيلية ضمن المدن التي احتلتها عام ١٩٤٨م، وأسست مكانها مدينة يهودية إسرائيلية اسمها أشدود سنة ١٩٦٨. ومساحتها ٦٠ كلم. انظر الموسوعة الحرة على شبكة الانترنت [www.ar.wikipedia.org/wiki/%d8](http://www.ar.wikipedia.org/wiki/%d8).

(٣) ناحاش: اسم معناه: حنش أوحية. وهو اسم ملك عمون. عاش زمن داود عليه السلام، وقد كانت بينهما عداوة وحروب ثم تصالحا. ولما مات ناحاش أرسل داود وفدا يعزي ابنه حانون. انظر قاموس الكتاب المقدس. شرح كلمة: ناحاش. على شبة الانترنت [http://st-akla.org/full\\_free.coptic-books](http://st-akla.org/full_free.coptic-books).



أجودها فيعطئها لعبيده، ويتخذكم عبيداً، فإذا صرختم بعد ذلك في وجه ملككم لا يستجيب الله لكم، فقالوا: لابد لنا من ملك لنكون مثل سائر الأمم، وقال لهم: هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ ﴾ إلخ. وكان ذلك في أوائل القرن الحادي عشر قبل المسيح. (١)

وقد رجعت إلى الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في تفسيرهم للآية السابقة، فوقفوا على سكوتهم عن بيان القصة التاريخية التي أشارت إليها الآية، مما يبين أن ابن عاشور قد تفرد عنهم ببيانها (٢). والظاهر أن ما ذكره ابن عاشور من بيان تاريخي في تفسيره لهذه الآية، قد زاد في توضيحها، وأوقفنا على حدث تاريخي هام ينبغي معرفته، وأخذ العبر والفوائد منه.

الثالث: قوله بأن ذا القرنين هو ملك من ملوك الصين، اسمه: تسينشي هوانفتي (٣) أو تسين شي هوانق تي.

عند تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿ وَدَسَّأُونَاكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا \* إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ (٤)

(١) التحرير والتنوير، ج ٢ ص ٤٦٥، ٤٦٦.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري مج ١ ص ٢٨٧. وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ١ ص ٣٣٠، ٣٣١. وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ١ ص ١٤٩، ١٥٠.

(٣) هو تسين شي أو تشين شي هوانغ الإمبراطور الصيني ولد سنة ٢٥٩ ق.م وفي عام ٢٢١ ق.م وضع حداً للنزاعات ولحكام الممالك المتحاربة التي دامت أكثر من ٢٥٠ عاماً. وأسس أول دولة إقطاعية موحدة في تاريخ الصين. ونظم أكثر من ٣٠٠ ألف شخص لمدة بضعة عشر عاماً لبناء سور الصين العظيم الذي يمتد أكثر من ٥٠٠٠ كلم في شمال الصين... توفي سنة ٢١٠ ق.م. انظر ترجمته على شبكة الانترنت <http://en.invest.china.cn/arabic/99856.htm>.

(٤) سورة الكهف، الآيتان: ٨٣، ٨٤.

اعترض على من قال: إن ذا القرنين هو الإسكندر المقدوني<sup>(١)</sup>. وذكر أن الظاهر عنده هو: أحد ملوك الصين اسمه: تسينشي هوانيفتي. فقال:

((وأحسب أن لتركيب القصة المذكورة في هذه السورة على اسم اسكندر المقدوني أثراً في اشتها نسيبة السد إليه. وذلك من أوهام المؤرخين في الإسلام.

ولا يعرف أن مملكة إسكندر كانت تبلغ في الغرب إلى عين حمئة، وفي الشرق إلى قوم مجهولين عراة أو عديمي المساكن، ولا أن أمته كانت تلقبه بذي القرنين. وإنما انتحل هذا اللقب له لما توهموا أنه المعني بذي القرنين في هذه الآية؛ فمنحه هذا اللقب من مخترعات مؤرخي المسلمين، وليس رسم وجهه على النقود بقرنين مما شأنه أن يلقب به. وأيضاً فالإسكندر كانت أخباره مشهورة لأنه حارب الفرس والقبط وهما أمّتان مجاورتان للأمة العربية....

فالذي يظهر لي أن ذا القرنين كان ملكاً من ملوك الصين لوجوه:

أحدها: أن بلاد الصين اشتهر أهلها منذ القدم بأنهم أهل تديير وصنائع.

الثاني: أن معظم ملوكهم كانوا أهل عدل وتديير للمملكة.

الثالث: أن من سماتهم تطويل شعر رؤوسهم وجعلها في ضفيرتين فيظهر

وجه تعريفه بذي القرنين.

(١) هو الإسكندر الأكبر أو الإسكندر المقدوني. ولد في بيلا العاصمة القديمة لمقدونيا سنة ٣٥٦ ق.م. وهو ابن فيليبوس الثاني ملك مقدونيا. وكان أرسطو معلمه الخاص. وبعد ما أغتيل أبوه سنة ٣٣٦ ق.م، اعتلى العرش. وقهر امبراطورية الفرس. ووصل إلى بابل وعسكر هناك في بلدة تدعى سوسة على نهر الفرات وهناك أصيب بمرض الحمى فمات على أثره وذلك سنة ٣٢٣ ق.م. انظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا <http://ar.wikipedia.org/wiki/%d8>، وانظر الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة للدكتور ياسن

الرابع: أن سُداً ورَدَمًا عظيمًا لا يعرف له نظير في العالم هو موجود بين بلاد الصين وبلاد المغول، وهو المشهور في كتب الجغرافيا والتاريخ بالسور الأعظم، وسيرد وصفه.

الخامس: ماروت أم حبيبة<sup>(١)</sup> عن زينب بنت جحش<sup>(٢)</sup> رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ليلة فقال: ((ويل للعرب من شرّ قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج هكذا))<sup>(٣)</sup> وأشار بعقد تسعين (أعني بوضع طرف السبابة على طرف الإبهام). وقد كان زوال عظمة سلطان العرب على يد المغول في بغداد فتعين أن يأجوج ومأجوج هم المغول<sup>(٤)</sup> وأن الردم المذكور في القرآن هو الردم الفاصل بين بلاد المغول وبلاد الصين، وبانيه ملك من ملوكهم، وأن وصفه في القرآن بذي القرنين توصيف لا تلقيب فهو مثل التعبير عن شاول ملك إسرائيل

(١) هي رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية. صحابية وهي من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهي أخت معاوية. ولدت سنة ٢٥ ق.هـ. وتوفيت بالمدينة سنة ٤٤هـ-٦٦٤م. وكانت من فصيحات قريش، ومن نوات الرأي والحصانة، انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر مج ٤ ج ٨ ص ٨٤، ٨٥. وانظر الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٣٣.

(٢) هي زينب بنت جحش الأسدية أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهي بنت خمس وثلاثين سنة وماتت سنة عشرين وهي بنت خمسين. وقيل سنت ٥٣ سنة. وكانت قبل زواجها بالنبي صلى الله عليه وسلم عند مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه. وفيها نزلت: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ الأحزاب: ٣٧، انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر مج ٤ ج ٨ ص ٩٢، ٩٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الفتن. باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ويل للعرب من شرّ قد اقترب. ج ٦ ص ٢٥٨٩ حديث رقم ٦٦٥. ورقم ٣٤٠٣ ورقم ٦٧١٦. وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الفتن وأشراف الساعة. باب اقتراب الفتن وفتح رجم يأجوج ومأجوج. ص ١٢٤٦، ١٢٤٧ حديث رقم ٧٢٣٥، ٧٢٣٦، ٧٢٣٧، ٧٢٣٩.

(٤) المغول: شعب آسيوي منتشر على الخصوص في منغوليا، وفي القسم الجنوبي من وسط سيبيريا وداخل الاتحاد السوفياتي (السابق) حيث يعرفون بالمغول البوريات، وينتسب إليهم أيضا الكالمك. والخصائص المعروفة بالمغولية: انصراف العينين، وبروز عظم الوجنتين، واصفرار لون البشرة. انظر الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة للدكتور ياسين صلاواتي مج ٧ ص ٣٢٩٠.

باسم طالوت<sup>(١)</sup>. وهذا الملك هو الذي بنى السدّ الفاصل بين الصين ومنغوليا<sup>(٢)</sup>. واسم هذا الملك (تسينشي هوانفتي) أو (تسين شي هوانق تي)<sup>(٣)</sup>. وكان موجوداً في حدود سنة سبع وأربعين ومائتين قبل ميلاد المسيح فهو متأخر عن إسكندر المقدوني<sup>(٤)</sup> بنحو قرن. وبلاد الصين في ذلك العصر كانت متدنية بدين (كنفيشيوس)<sup>(٥)</sup> المشرع المصلح، فلا جرم أن يكون أهل شريعته صالحين. وهذا الملك يؤخذ من كتب التاريخ أنه ساءت حالته في آخر عمره وأفسد كثيراً وقتل علماء وأحرق كتباً، والله أعلم بالحقيقة وبأسبابها. ولما ظن كثير من الناس أن ذا القرنين المذكور في القرآن هو إسكندر ابن فيليبوس نخلوه بناء السدّ. وزعموه من صنعه كما نخلوه لقب ذي القرنين. وكل ذلك بناء أوهام على أوهام ولا أساس لواحد منهما ولا علاقة لإسكندر المقدوني بقصة ذي القرنين المذكورة في هذه السورة<sup>(٦)</sup>. وقد رجعت إلى الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في

- 
- (١) هو أحد ملوك بني إسرائيل واسمه في سفر صمويل: شاول بن قيس. من سبط بنيامين وكان شاباً جميلاً عالماً، وأطول بني إسرائيل. وهو الذي حارب جيش جالوت وانتصر عليه حيث تمكن داود عليه السلام من قتل جالوت. انظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا، [www.ar.wikipedia.org/wiki/%d8%](http://www.ar.wikipedia.org/wiki/%d8%).
- (٢) جمهورية تقع وسط آسيا، تحد غرباً وجنوباً وشرقاً بالصين، وشمالاً بروسيا الاتحادية. انظر الموسوعة العربية الميسرة الموسعة للدكتور ياسين صلاواتي مج ٧ ص ٣٣٥٣.
- (٢) سبقت ترجمته ص ٣٤٠.
- (٤) سبقت ترجمته ص ٣٤١.
- (٥) حكيم وأخلاقي صيني يعرف بالصينية ب: كنج فو - تسي. ولد في ولاية "لو" الاقترابية بالصين سنة ٥٥١ ق.م. وشغل منصباً حكومياً، كما حدث هو وأتباعه على الإصلاح الاجتماعي، وسعى إلى وضع نظام أخلاقي وسياسي ابتغاءاً للسلام والعدالة والسلم العالمي. وقد نسجت حوله مجموعة من الأساطير. توفي سنة ٤٧٩ ق.م. انظر الموسوعة العربية الميسرة الموسعة للدكتور ياسين صلاواتي مج ٦ ص ٢٨٩١.
- (٦) التحرير والتنوير ج ١٥ ص ١٢٤، ١٢٥.

تفسيرهم للآية السابقة فوجدتهم قد سموا ذا القرنين بالإسكندر المقدوني<sup>(١)</sup> وبهذا الاسم سماه كذلك جمهور المفسرين<sup>(٢)</sup>.  
 مما يدل على أن ابن عاشور قد خالفهم جميعا وتفرد عنهم بتعيينه لاسم وبلد ذي القرنين، حينما ذكر أنه: أحد ملوك الصين، واسمه تسينشي هوانفتي<sup>(٣)</sup> أو تسين شي هو انق تي.  
 والحق أن الذي أثبتته البحث العلمي في تعيين شخصية ذي القرنين ومكان السد الذي أقامه: يخالف ما ذكره ابن عاشور وما ذكره أيضا جمهور المفسرين بما فيهم الأئمة الثلاثة.  
 فقد أثبت البحث العلمي حديثا أن ذا القرنين هو كورش<sup>(٤)</sup> أو خورش الإيراني.

- (١) انظر الكشاف للزمخشري مج ٢ ص ٧١٤. وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٣ ص ٥٣٨. وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ١ ج ٣ ص ٢٩١.
- (٢) انظر - مثلا- التفاسير التالية:  
 جامع البيان في تأويل القرآن للطبري. تح: أحمد محمد شاكر. ج ١٨ ص ١٠٥.  
 تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج ٦ ص ١٥٦.  
 لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ج ٤ ص ٢٢٨.  
 مفاتيح الغيب للرازي ج ٢١ ص ٤٩٥.  
 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. تح: هشام سمير البخاري ج ١١ ص ٤٥.  
 تفسير النسفي. تح: مروان محمد الشعار ج ٣ ص ٤٠.
- (٣) سبقت ترجمته ص ٣٤٠.
- (٤) هو كورش الثاني الكبير ملك فارس من سنة ٥٥٠ ق.م إلى سنة ٥٢٩ ق.م، ويعتبر المؤسس الفعلي لإمبراطورية الأخمينيين الفارسية. قضى على مملكة الميديين وضمها إلى إمبراطوريته سنة (٥٥٠ ق.م)، وهزم كريسوس (قارون) آخر ملوك ليديا سنة ٥٤٩ ق.م، وفتح بابل سنة ٥٣٩ ق.م، ومن ثم أنهى الأسر البابلي. استولى على سوريا وفلسطين وسيطر على جميع البلاد الواقعة بين بحر إيجه ونهر السند. ولد سنة ٥٨٥ ق.م وتوفي سنة ٥٢٩ ق.م. انظر الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة للدكتور ياسين صلاواتي مج ٦ ص ٢٩١٥.

وأن الذي ذهب إلى ذلك هو الشيخ أبو الكلام آزاد<sup>(١)</sup>، والشيخ أبو الأعلى المودودي<sup>(٢)</sup>. وقد أورد الشيخ أبو الكلام آزاد آراء العلماء الذين سبقوه في تعيين شخصية ذي القرنين، ومكان السد الذي بناه، وفندها بأدلة قوية. وقد (عنى بالرد على من يقول بأنه الاسكندر المقدوني<sup>(٣)</sup>.... بأنه لا يمكن أن يكون هو المقصود بالذكر في القرآن الكريم، إذ لا تعرف له فتوحات بالمغرب، كما لم يعرف عنه أنه بنى سداً، ثم إنه ما كان مؤمناً بالله بل وثنياً، ولا شقيقاً عادلاً مع الشعوب المغلوبة، وتاريخه مدون معروف. كما عنى بالرد على من يقول بأنه عربي يمني<sup>(٤)</sup>... بأن سبب النزول هو سؤال اليهود للنبي عليه الصلاة والسلام عن ذي القرنين<sup>(٥)</sup>. لتعجيزه وإحراجة. ولو كان عربياً من اليمن لكان هناك احتمال قوي لدى اليهود - على الأقل - أن يكون عند قريش علم به، وبالتالي عند النبي صلى الله عليه وسلم - فيصبح قصد اليهود تعجيز الرسول عليه الصلاة والسلام غير وارد ولا محتمل. لكنهم كانوا متأكدين حين سألوه بأنه لم يصله خبر عنه، وكانوا ينظرون لذلك عجزه عن الرد...

- (١) هو أحمد المكنى محي الدين بن خير الدين، أبو الكلام آزاد -الهندي الأب- العربي الأم والثقافة. مفسر، من خطباء المسلمين وزعمائهم في الهند أيام حركتها التحريرية. ولد بمكة سنة ١٣٠٢هـ - ١٨٨٥م. وتوفي بالهند سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م. من أعظم آثاره ترجمة معاني القرآن و تفسيره. انظر الأعلام للزركلي ج ١ ص ١٢٢.
- (٢) هو أبو الأعلى المودودي قائد ثوري إسلامي، مفسر. ولد في مدينة أورانج آباد إحدى توابع ولاية حيدر آباد الدكن الهندية. وقد تأثر في شبابه بأفكار الزعيم المسلم أبي الكلام آزاد. وبدأ نشاطه بإعداد كتابه الأول: الجهاد في الإسلام، وفي سنة ١٩٤١م أسس الجماعة الإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية. توفي سنة ١٩٧٩م. انظر الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة للدكتور ياسين، صلاواتي مج ١ ص ١٥١.
- (٣) سبقت ترجمته ص ٣٤١.
- (٤) انظر - مثلاً- مفاتيح الغيب للرازي ج ٢١ ص ٤٩٥.
- (٥) انظر أسباب النزول للواحدي تخريج وتدقيق عصام عبدالمحسن الحميدان ص ٢٩٨، ط س ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

ثم قال آزاد: (والحاصل أن المفسرين لم يصلوا إلى نتيجة مقنعة في بحثهم عن ذي القرنين. القدماء منهم لم يحاولوا التحقيق، والمتأخرون حاولوه، ولكن كان نصيبهم الفشل، ولا عجب فالطريق الذي سلكوه، كان طريقاً خاطئاً، لقد صرحت الآثار بأن السؤال كان من قبل اليهود - وجهوه مباشرة أو أوعزوا لقريش بتوجيهه - فكان لائقاً بالباحثين أن يرجعوا إلى أسفار اليهود، ويبحثوا هل يوجد فيها شيء يلقي الضوء على شخصية ذي القرنين. إنهم لو فعلوا ذلك لفاضوا بالحقيقة.

خطر لي في بالي لأول مرة هذا التفسير لذي القرنين وأنا أطلع سفر دانيال، تم اطلعت على ما كتبه مؤرخو اليونان فرجح عندي هذا الرأي، ولكن شهادة أخرى خارج التوراة لم تكن قد قامت بعد، إذ لم يوجد في كلام مؤرخي اليونان ما يُلقى الضوء على هذا اللقب، ثم بعد سنوات لما تمكنت من مشاهدة آثار إيران القديمة من مطالعة مؤلفات علماء الآثار فيها زال الحجاب، إذ ظهر كشف أثري قضى على سائر الشكوك، فتقرر لدي بلا ريب أن المقصود بذي القرنين ليس إلا "كورش" نفسه، فلا حاجة بعد ذلك أن نبحث عن شخص آخر غيره.

إنه تمثال على القامة الإنسانية ظهر فيه كورش وعلى جانبه جناحان، كجناحي العقاب، وعلى رأسه قرنان كقرني الكبش، فهذا التمثال يثبت بلا شك أن تصور ذي القرنين كان قد تولد عند كورش، ولذلك نجد الملك في التمثال وعلى رأسه قرنان أي أن التصور الذي أوجده اليهود للملك المنقذ لهم: "كورش" كان قد شاع وعرف حتى لدى كورش نفسه على أنه الملك ذو القرنين... أي ذو التاج المثبت على ما يشبه القرنين كما يتبين من صورة التمثال، سواء قلنا إنه صنع في عهده نفسه أو في عهد خلفائه.

وقد حدد آزاد الصفات التي ذكرها القرآن لذي القرنين ورجع للمصادر

اليونانية؛ فوجدها متلاقية تماماً مع القرآن الكريم، وكان هذا دليلاً قوياً آخر على صحة ما وصل إليه من تحديد لشخصية ذي القرنين تحديداً لا يرقى إليه شك... ثم يحدد مكان السد بأنه في البقعة الواقعة بين بحر الخزر (قزوين) والبحر الأسود حيث توجد سلسلة جبال القوقاز بينهما، وتكاد تفصل بين الشمال والجنوب إلا في ممر كان يهبط منه المغيرون من الشمال والجنوب، وفي هذا الممر بنى كورش سده كما فصله القرآن الكريم وتحدثت عنه كتب الآثار والتاريخ. ويؤكد آزاد كلامه بأن الكتابات الأرمنية -وهي كشهادة محلية- تسمي هذا الجدار أو هذا السد من قديم باسم: بهلك غورائي أو كابان غورائي، ومعنى الكلمتين واحد وهو مضيق غورش أو ممر غورش، وغور هو اسم غورش أو كورش.

ويضيف آزاد فوق هذا شهادة أخرى لها أهميتها أيضاً وهي شهادة لغة جورجيا التي هي القوقاز بعينها، فقد سمي هذا المضيق باللغة الجورجية منذ الدهور الغابرة باسم ((الباب الحديدي))...

وقد تعرض لدفع ما قيل بأن المراد بالسد هو سد الصين لعدم مطابقتها مواصفات سد الصين لمواصفات سد ذي القرنين ولأن هذا بني سنة ٢٦٤ ق.م، بينما بني سد ذي القرنين في القرن السادس قبل الميلاد.<sup>(١)</sup>

وقد تناول الشيخ أبو الأعلى المودودي<sup>(٢)</sup> في تفسيره شخصية ذي القرنين ومجمل ما ذكره في ذلك أن المفسرين والمؤرخين يطلقون - من قديم الزمان -

(١) ترجمان القرآن باللغة الأردنية لأبي الكلام آزاد مج ٢ من ص ٣٩٩ إلى ص ٤٣٠، ط س ١٩٧٢م. دار النشر: إسلامي أكاديمي ناشران كتب أردو بازار لاهور- باكستان. ترجمة وتعليق على شبكة الإنترنت الموسوعة الحرة ويكيبيديا. [www.ar.wikipedia.org/wiki/%d8%](http://www.ar.wikipedia.org/wiki/%d8%). وانظر تأملات في شخصية ذي القرنين دراسة تحليلية بقلم الأستاذ امتياز علي عرشي في ضوء ما كتبه العلامة أبو الكلام آزاد. من ص ١٠ إلى ٩٧. ط ٢ س ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م. مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

(٢) سبقت ترجمته ص ٣٤٥.



اسم الإسكندر المقدوني<sup>(١)</sup> على ذي القرنين، ولكن الصفات والخصائص التي ذكرها القرآن في ذي القرنين تثبت غير ذلك.

في حين أن هناك من المعاصرين<sup>(٢)</sup> من ذكر أن ذا القرنين هو خورش<sup>(٣)</sup> الإيراني.

وهذا هو الأقرب إلى الصحة، وأن ما ورد في القرآن الكريم يدلنا على أربعة أمور:

**الأول:** لقب ذي القرنين كان جواباً لسؤال اليهود في مكة المكرمة

ومن هنا يجب أن نرجع إلى الأدبيات الإسرائيلية حتى نعرف من هو: ذو القرنين.

**الثاني:** يدل القرآن على أن ذا القرنين كان زعيماً كبيراً. وامتدت

فتوحاته من الشمال إلى الجنوب ومن المشرق إلى المغرب.

**الثالث:** يدل القرآن الكريم على أن هذا القائد عمل سدا ليعصون بلدة من

يأجوج ومأجوج، فلا بد من معرفة يأجوج ومأجوج<sup>(٤)</sup> حتى نعرف شخصية ذي القرنين.

**الرابع:** يدل القرآن على أنه كان حاكماً عادلاً وأنه كان موحداً لأن

القرآن الكريم قد أبرز هذه الخصائص.

وهذه الأمور الأربعة تكاد تكون علامات قوية لإثبات أن ذا القرنين هو

خورش الإيراني، فهي تنطبق عليه، ولا تنطبق على أي شخص آخر غيره.

ولكن تعيينه بالاسم بأن نقول إن ذا القرنين هو خورش ما يزال يحتاج إلى

أدلة أخرى...<sup>(٥)</sup>

(١) سبقت ترجمته ص ٣٤١.

(٢) منهم أبو الكلام آزاد، وقد سبقت ترجمته ص ٣٤٥.

(٣) سبقت ترجمته ص ٣٤٤.

(٤) سبق التعريف بهم ص ٣٤٢ هامش ٤.

(٥) انظر تفهيم القرآن لأبي الأعلى المودودي باللغة الأوردية، مج ٣ من ص ٤٢ إلى ص ٤٩. ط ١١ س ١٩٨١م.

مكتبة تعمیر إنسانیت موجی دروازہ. لاهور - پاکستان. ترجمة خاصة لزميلي الدكتور: مصباح الله عبد الباقي. أستاذ التفسير المساعد بالجامعة الإسلامية العالمية. إسلام آباد - باكستان.

وانطلاقاً من كل ما ذكر يترجح عندي أكثر أن أقرب شخصية تتطبق عليها، مواصفات ذي القرنين هي شخصية خورش<sup>(١)</sup> أو كورش الإيراني كما بيّن ذلك أبو الكلام آزاد<sup>(٢)</sup> وتابعه أبو الأعلى المودودي<sup>(٣)</sup> بتحفظ. والتحفظ وعدم الجزم في تعيين اسم ذي القرنين أنسب، لأن المقصود من ذكره في القرآن الكريم هو أخذ العبرة من قصته، لا من اسمه.

وأما الأدلة الخمسة التي قدمها ابن عاشور لإثبات أن ذا القرنين هو أحد ملوك الصين، فالأربعة الأولى منها لا تنهض أمام ما ذكره آزاد.

وأما الدليل الخامس والمتمثل في الحديث الصحيح ((ويل للعرب من شر قد اقترب...))<sup>(٤)</sup> فإنه لا يدل دلالة قطعية على أن الشر الذي اقترب يتمثل في زوال عظمة سلطان العرب على يد المغول في بغداد، كما ذهب إلى ذلك ابن عاشور، ليعين (أن يأجوج ومأجوج هم المغول وأن الردم المذكور في القرآن هو الردم الفاصل بين بلاد المغول وبلاد الصين وبانيه ملك من ملوكهم)<sup>(٥)</sup>.

بل إن الحديث يدل على أن الشر الذي اقترب يتمثل في الفتن التي وقعت بين الصحابة - رضي الله عنهم - ابتداءً من مقتل عثمان<sup>(٦)</sup> - رضي الله عنهم - والتي استمرت بعد ذلك.

(١) سبقت ترجمته ص ٣٤٤.

(٢) سبقت ترجمته ص ٣٤٥.

(٣) سبقت ترجمته ص ٣٤٥.

(٤) حديث صحيح سبق تخريجه ص ٣٤٢.

(٥) التحرير والتنوير ج ١٥ ص ١٢٥.

(٦) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي. ولد بعد عام الفيل بست سنين على الصحيح. ثالث الخلفاء الراشدين. بويغ بالخلافة بعد مقتل عمر رضي الله عنهما. توفي شهيداً سنة ٣٥هـ. انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج ٦ ص ٣٩١. رقم ٥٤٤٠.

قال ابن حجر<sup>(١)</sup> في شرحه للحديث السابق: (خص العرب بذلك لأنهم كانوا حينئذٍ معظم من أسلم، والمراد بالشر ما وقع بعده من قتل عثمان ثم توالى الفتن حتى صارت العرب بين الأمم كالقصعة بين الأكلة<sup>(٢)</sup>).

الرابع: استشهاده بالتاريخ لبيان شدة الخسارة التي لحقت بقوم إبراهيم - عليه السلام - حينما أرادوا إحراقه

عند تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

تعرض لبيان شدة الخسارة التي لحقت بقوم إبراهيم - عليه السلام - حينما أرادوا به كيدا، وعزموا على قتله بالحرق. ومما ذكره في ذلك قوله: (وأما شدة الخسارة التي اقتضاها اسم التفضيل فهي بما لحقهم عقب ذلك من العذاب إذ سلط الله عليهم عذاباً كما دلّ عليه قوله تعالى في سورة الحج ﴿ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾<sup>(٤)</sup>. وقد عدّ فيهم قوم إبراهيم، ولم أر من فسر ذلك الأخذ بوجه مقبول. والظاهر أن الله سلط عليهم الأشوريين<sup>(٥)</sup> فأخذوا بلادهم، وانقرض ملكهم وخلفهم الآشوريون، وقد

(١) سبقت ترجمته ص ٧٨.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني كتاب الفتح. باب: يأجوج ومأجوج. ج ١٣ ص ١٠٧. دار المعرفة، بيروت - لبنان. بدون تاريخ.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٧٠.

(٤) سورة الحج، الآية: ٤٤.

(٥) هم قوم ساميون. استوطنوا القسم الشمالي من العراق منذ الألف الثالث قبل الميلاد. وكان أمراؤهم يتحينون الفرص للاستقلال بمدنهم عن حكم الدولة المسيطرة في جنوب العراق وهي دولة البابليين. برزوا كقوة منافسة في الشرق القديم في بدايات الألف الأول قبل الميلاد حين استطاع ملكهم أداد نيراري الثاني إخضاع الأقاليم المجاورة وتحالف مع بابل، وبه بدأت الفتوحات الآشورية التي أسست صرح أعظم إمبراطورية في تاريخ الشرق القديم.

انظر الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة للدكتور ياسين صلاواتي مج ١ ص ٤٦٣.  
وانظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا على شبكة الانترنت [www.ar.wikipedia.org/wiki](http://www.ar.wikipedia.org/wiki).

أثبت التاريخ أن العيلاميين من أهل السوس<sup>(١)</sup> تسلطوا على بلاد الكلدان<sup>(٢)</sup> في حياة إبراهيم في حدود سنة ٢٢٨٦ قبل المسيح<sup>(٣)</sup>.

وقد رجعت إلى الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في تفسيرهم لهذه الآية؛ فوجدتهم قد سكتوا عن الاستشهاد بالتاريخ لبيان شدة الخسارة التي لحقت بقوم إبراهيم عليه السلام<sup>(٤)</sup>، مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم ببيانها.

والحق أن ما ذكره ابن عاشور زاد معنى الآية بياناً ووضوحاً، وتبين لنا أن الرجوع إلى التاريخ والاستشهاد به في تفسير القرآن الكريم مهم جداً، خاصة إذا كان الحدث التاريخي صحيحاً موثقاً به.



- 
- (١) مدينة تقع في إقليم الأحواز في إيران. تعد إحدى أقدم مدن العالم واسمها القديم: شوشان أو شوشون بلغة العيلاميين (قوم ساميون من جزيرة العرب). وتعرف اليوم بالفارسية باسم سوسة وفي كثير من المراجع العربية باسم السوس. انظر الموسوعة الحرة على شبكة الانترنت. [www.wikipedia.org/wiki/](http://www.wikipedia.org/wiki/)
- (٢) الكلدان قوم من الأقوام السامية القديمة الذين يتحدثون باللغة الرامية وسكنوا بلاد الرافدين. انظر المراجع السابق [www.ar.wikipedia.org/wiki/](http://www.ar.wikipedia.org/wiki/).
- (٣) التحرير والتنوير ج ١٧ ص ٧٨.
- (٤) انظر الكشاف للزمخشري مج ٣ ص ١٢٢، ١٢٣. وانظر المحرر الوجيز لابن عطية مج ٤ ص ٨٩. وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج ٢ ج ٤ ص ٥٦.



## الفصل الرابع

### مزايا تفردات الطاهر بن عاشور والمآخذ عليها

ويشتمل على تمهيد ومبحثين :

#### المبحث الأول

مزايا تفردات ابن عاشور

#### المبحث الثاني

المآخذ على تفردات ابن عاشور



## تَهْيِئَاتُ:

إنه بالرغم من المنازل العلمية العالية التي يصل إليها العلماء، وبالرغم من الصفات الحميدة التي يتحلون بها، إلا أنهم غير معصومين، يصيبون ويخطئون، فمن اجتهد منهم وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد<sup>(١)</sup>.  
كما أن الحكم عليهم وتقييم علومهم ليس بالأمر الهين والبسيط، إذ ينبغي علينا معرفة حياتهم بالتفصيل، ودراسة ما كتبوه وألفوه دراسة علمية متأنية. ثم لابد من التزام الدقة والموضوعية التامة في تقييم ما يُكتب عنهم من مدح أو قدح.

وقد صاحبتُ الشيخ الطاهر بن عاشور من خلال تفسيره عدة سنين، وتمكنت - بتوفيق الله تعالى - من الوقوف على تفرداته - التي توصل إليها - ودراستها دراسة علمية منهجية، تمكنت - من خلالها - من معرفة مزاياها والمآخذ التي أخذت عليها.  
وهذا ما سأبينه من خلال هذين المبحثين إن شاء الله، علماً بأنني سأذكر هذه المميزات والمآخذ باختصار تجنباً لتكرار ما ذكرته في صلب الموضوع.

(١) وذلك مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: ((إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ص ١٠٠٩ حديث رقم ٧٣٥٢. ط ١ س ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م. مكتبة الرشد ناشرون - الرياض.

## المبحث الأول

## مزايا تفردات ابن عاشور

امتازت تفردات ابن عاشور في تحريره عن الزمخشري في كشافه وابن عطية في محرره والبيضاوي في أنواره بما يلي:

أولاً: أعطت هذه التفردات التي أتى بها ابن عاشور قيمة علمية كبيرة لتفسيره، ووفت بما وعد به صاحبها حين قال في مقدمته لتحريره: ( فجعلت حقا

علي أن أبدي في تفسير القرآن نكتا لم أر من سبقني إليها<sup>(١)</sup> )

ثانياً: ومن مزايا هذه التفردات أنها دفعت مقولة من قال: إن القدامى قد استأثروا بالعلم كله، ولم يتركوا شيئاً لمن بعدهم، وإن الجديد لا يأتي بجديد، فإن ابن عاشور استطاع أن يأتي بالجديد ويكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير.

ثالثاً: أثبتت هذه التفردات أن الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور عالم كبير في اللغة والنحو والبلاغة والتفسير وعلوم القرآن والأحكام الفقهية... حيث استطاع أن يأتي بالجديد ويخالف فرسان هذه الفنون وينفرد عنهم.

رابعاً: ومن مزايا هذه التفردات أيضاً أنها أثبتت أن ابن عاشور عالم معتدل غير متعصب لمذهبه المالكي، حيث خالف مذهبه في معالجته لبعض المسائل الفقهية أكثر من مرة<sup>(٢)</sup>.

خامساً: أثبتت هذه التفردات أن لابن عاشور اطلاعاً واسعاً على المسائل العلمية المتعلقة بالكون والطب والإنسان، وقد كشفت هذه التفردات عن جانب

(١) التحرير والتنوير ج ١ ص ٧.

(٢) انظر هذا البحث تحت عنوان تفردات ابن عاشور الفقهية من ص ٢١٦ إلى ص ٢٣٥.

مهم من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

سادساً: أضافت هذه التفردات بعض قواعد التفسير عن طريق الاستقراء ليستفيد منها العلماء والباحثون وطلاب العلم المهتمون بدراسة كتاب الله عز وجل<sup>(٢)</sup>.

سابعاً: أثبتت بعض هذه التفردات أن للتاريخ أهمية كبرى في تفسير القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>.

ثامناً: امتازت بعض هذه التفردات بالدقة والوضوح، وقوة الأدلة والحجج والبراهين<sup>(٤)</sup>.



(١) انظر هذا البحث تحت عنوان تفردات ابن عاشور في التفسير العلمي من ص ٢٦٧ إلى ص ٢٩٧.

(٢) انظر هذا البحث تحت عنوان: تفردات ابن عاشور باستنباط قواعد تفسيرية عن طريق الاستقراء من ص ٣٢٢ إلى ص ٣٣١.

(٣) انظر هذا البحث من ص ٣٣٢ إلى ص ٣٥١.

(٤) انظر هذا البحث - مثلاً - ص ١٢٤، ١٢٥، ١٥٣، ص ١٨١ ص ٢٦٧ ص ٣٢٢.



## المبحث الثاني

## المآخذ على تفردات ابن عاشور

إنه بالرغم من المزايا التي امتازت بها تفردات ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير إلا أن هناك بعض المآخذ سجلتها، وهي كما يلي:

أولاً: استعمل ابن عاشور كلمات قاسية عند كشفه عن بعض تفرداته، وصف بها العلماء الذين سبقوه، بالغفلة<sup>(١)</sup>، والبعد عن المراد<sup>(٢)</sup>...

ثانياً: يلاحظ على ما ادعاه ابن عاشور -حينما فرق بين كلمتي: الدخول والولوج- أنه تفرد بذلك عن غيره ممن سبقه من العلماء ادعاء غير دقيق.

فهو حينما قال: (ولم أجد فيما رأيت من كلام المفسرين ولا من أهل اللغة من أفصح عن معنى الدخول في مثل هذه الآية،<sup>(٣)</sup> وما ذكروا إلا معنى الولوج إلى المكان مثل ولوج البيوت والمدن وهو الحقيقة.

والذي أراه أن الدخول كثر إطلاقه على دخول خاص وهو اقتحام الجيش أو المغيرين أرضاً أو بلداً لغزو أهله...<sup>(٤)</sup>)

فكلامه هذا غير ظاهر لأن البحث العلمي أثبت لنا أن الزمخشري وابن عطية والبيضاوي لم يقتصروا في تفسيرهم للآية السابقة على بيان الدخول بمعنى الولوج للبيوت والمدن، بل فسروها أيضاً بمباغثة العدو ومفاجأته في الهجوم، والدخول عليه بقوة<sup>(٥)</sup>.

مما يدل على أن ما ادعاه ابن عاشور ليس دقيقاً.

(١) انظر هذا البحث مثلاً ص ١٠٨، ص ١١٥، ص ١١٧.

(٢) انظر هذا البحث مثلاً ص ٩٩، ص ١٣٠، ص ١٣٦، ص ٢٩٩.

(٣) هي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُلِّمُوا الْفِتْنَةَ لَأَنزَلْنَا بِهَا إِلًّا يَسِيرًا﴾ الأحزاب: الآية ١٤.

(٤) التحرير والتنوير ج ٢١ ص ٢٠٩.

(٥) انظر هذا البحث من ص ١٠٢ إلى ص ١٠٦.

ثالثاً: أثبت البحث العلمي الذي سلكته أن بعض تفردات ابن عاشور مرجوحة، وهذا مأخذ كبير سجلته عليه، حيث لم تقف هذه التفردات المرجوحة أمام الأدلة القوية لأئمة اللغة وجمهور المفسرين بما فيهم الزمخشري وابن عطية والبيضاوي<sup>(١)</sup>.

رابعاً: من المآخذ على تفرداته، تلك الفتاوى التي أفتى بها مخالفاً فيها جمهور العلماء مثل قوله بجواز نكاح المتعة للضرورة<sup>(٢)</sup>. وجواز تغيير خلق الله للزينة والحسن إن لم يكن فيه حظ من طاعة الشيطان<sup>(٣)</sup>!!

خامساً: ومن المآخذ أيضاً على تفرداته: تأويله للأحاديث الصحيحة التي لا تحتاج إلى تأويل، وذلك ليجعلها تتماشى مع قناعاته العلمية، كتأويله لحديث لعن الواصلات والمتمصبات والمتفلجات للحسن، حيث جعل الغرض منه النهي عن سمات كانت تعد من سمات العواهر في عهده صلى الله عليه وسلم، أو من سمات المشركات، وذكر أنه لو كان هذا الحديث عاماً لما بلغ حد اللعن. بمعنى أنه جعل الحديث خاصاً بناس معينين في زمن معين!!<sup>(٤)</sup>

وتأويله أيضاً للحديث الصحيح في سحر النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق لبيد بن الأعصم<sup>(٥)</sup>، ليصل بذلك إلى إنكار السحر إن كان مجرد عقْد وخبوط<sup>(٦)</sup>.



(١) انظر هذا البحث مثلاً من ص ١٠٧ إلى ص ١١٢ ومن ص ١٢١ إلى ص ١٢٣.

(٢) انظر هذا البحث من ص ٢٢٦ إلى ص ٢٢٩.

(٣) انظر هذا البحث من ص ٢٣٠ إلى ص ٢٣٥.

(٤) انظر البحث ص ٢٣٠، ٢٣١.

(٥) سبقت ترجمته ص ٤٦.

(٦) انظر البحث ص ٤٥، ٤٦.



وتشتمل على:

أولاً: نتائج البحث.

ثانياً: التوصيات.

## أولاً: نتائج البحث

ختاماً لهذا البحث الذي قد تمَّ بعون الله عز وجل وفضله. أقدم تلخيصاً لأهم النتائج التي توصلت إليها، وهي:

- ١- أن مجموع التفردات التي تفرد بها ابن عاشور في تحريره عن الزمخشري في كشافه وابن عطية في محرره والبيضاوي في أنواره بلغت تسعة وستين تفرداً.
- ٢- أن هذه التفردات فيها الراجح وفيها المرجوح.
- ٣- بلغت التفردات الراجعة ثمانية وأربعين تفرداً.
- ٤- وبلغت التفردات المرجوحة واحداً وعشرين تفرداً.
- ٥- تناولت هذه التفردات الموضوعات التالية: اللغة، والنحو، والبلاغة، والمناسبات، وأسباب النزول والنسخ، والتفسير الفقهي، والتفسير العلمي، ومراد بعض الآيات القرآنية، وقواعد التفسير، والتاريخ.
- ٦- استعمل الشيخ ابن عاشور المنهج الاستقرائي في استنباط تفرداته الخاصة بقواعد التفسير.
- ٧- توصلت من خلال هذا البحث إلى أن الشيخ ابن عاشور ليس عالماً بالتفسير وعلوم القرآن فحسب، بل هو عالم أيضاً باللغة والنحو، والصرف، والبلاغة والفقهاء، وغيرها من العلوم التي يحتاج إليها المفسر.
- ٨- أن الشيخ ابن عاشور له اطلاع واسع بعلوم الكون والطب والجغرافيا، وقد وظَّفَ هذه العلوم في تفسيره للقرآن الكريم.
- ٩- أن التحرير والتتوير موسوعة علمية جمع فيه صاحبه العلوم الشرعية والعربية وبعض العلوم العصرية.
- ١٠- أن هذا التفسير فيه اهتمام كبير بالجانب اللغوي والنحوي والبلاغي.

- ١١- أن جل هذه التفردات التي وقفت عليها لم تكن فقط عن الزمخشري وابن عطية والبيضاوي بل هي أيضا تفردات عن جمهور العلماء والمفسرين.
- ١٢- أن ما أتى به ابن عاشور من تفردات، برهن بها للعلماء والباحثين أن المتأخر بإمكانه أن يأتي بما لم يأت به المتقدم، وأن باب الاجتهاد ما يزال مفتوحاً، وأن التدبر والتفكر في كتاب الله سبيل مهم للكشف عن المستور ودقائق الأمور.
- ١٣- توصلت من خلال هذا البحث إلى أن ما ادعاه ابن عاشور في مقدمة تفسيره، حينما ذكر أنه سيأتي بنكت علمية لم يسبق إليها<sup>(١)</sup>، ادعاء صحيح، فقد كشف بحثنا العلمي بكل موضوعية عن عدد هائل من هذه النكت التي تفرد بها ابن عاشور ولم يسبق إليها.
- ولكن ما ذكره حينما قال عن تفسيره: (فيه أحسن ما في التفاسير وأحسن مما في التفاسير)<sup>(٢)</sup> كلام غير دقيق وفيه مبالغة، حيث أثبت البحث العلمي المبني على المقارنة والتقويم أن واحداً وعشرين تفرداً من تفردات ابن عاشور مرجوحة، وأن ما جاء في تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي، وجمهور المفسرين هي الراجحة، وبالتالي فهي الأحسن مما ذكره ابن عاشور في تفسيره.
- ١٤- أن كلاً من ابن عاشور والزمخشري وابن عطية، والبيضاوي أئمة أجلاء، وعلماء أفاضل سخرؤا كل حياتهم لخدمة العلم، وقضوا السنين في تفسير كتاب الله تعالى، وتعتبر تفاسيرهم من أهم مصادر التفسير التي لا يمكن الاستغناء عنها أو عن أحدها.

(١) انظر التحرير والتنوير، ج ١، ص ٧.

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٨.

١٥- أن تفسير القرآن الكريم وأسرار الآيات بحر محيط لا ساحل له. وأنه مهما اجتهد المفسرون وتفانوا في شرح الآيات، فإن آيات الإعجاز وأسرار هذا الكتاب لا تنتهي. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أُخْرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: التوصيات:

بعد هذه النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث فإنني أوصي إخواني الباحثين والأساتذة وطلاب العلم بما يلي:

- ١- أن يهتموا - عموماً - بدراسة كتب التراث لعلمائنا الأمجاد، وتحققها، وإبرازها إلى عالم الطباعة والنشر، ففيها علوم غزيرة، وأسرار دفيئة، وجوانب قيمة لإصلاح الأمة وحل مشاكلها.
- ٢- التعريف بجهود هؤلاء الأئمة الأعلام من سلفنا الصالح والتأسي بهم، والحدو حذوهم في العمل، وبذل الجهد في تفسير كتاب الله تعالى، والتفاني من أجل إظهار أسرارهِ ودقائقهِ، وإخراجها للناس ثمرات يانعة.
- ٣- أوصي باعتماد تدريس تفسير: "التحرير والتتوير" لابن عاشور في الكليات الإسلامية بمرحلة الدراسات العليا، وذلك لما فيه من علوم غزيرة ومنافع عالية، خاصة وأن الشيخ ابن عاشور كان يلقي منه محاضرات لطلاب الدراسات العليا بجامع الزيتونة بتونس.
- ٤- أوصي الباحثين، وطلاب العلم باقتناء هذا التفسير القيم ودراسته باستمرار، مع أخذ الحيطة والحذر من المآخذ التي سجلت عليه، كتلك التفردات المرجوحة التي أثبتتها في هذا البحث أو المآخذ الأخرى التي كتبت عليه من طرف الباحثين الآخرين.

(١) سورة لقمان: الآية ٢٧.

٥- أوصي نفسي وأهل العلم جميعاً بالعمل بما جاء في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، لنفوز بالسعادة في الدارين - وندخل - بإذنه تعالى - جنة النعيم.

وأسأل الله تعالى أن يتقبل عملي هذا ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين.  
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنَّا مُسِيئِينَ أَوْ أخطَانًا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup> آمين.

إسلام آباد: الثلاثاء ٨ صفر ١٤٣٠هـ - ٣ فبراير ٢٠٠٩م.



# الفهارس

- أولاً : فهرس الآيات القرآنية.
- ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية.
- ثالثاً : فهرس الأعلام المترجم لهم.
- رابعاً : فهرس المصادر والمراجع.
- خامساً : فهرس الموضوعات.



## أولاً: فهرس الآيات القرآنية

م	الآية	مرقم الآية	الصفحة
الفاحة			
١	مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ	٤	٤٢
البقرة			
٢	ذَلِكَ الّكْتَبِ	٢	٨٥
٣	وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا ...	٨	٤٥
٤	مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا	١٧	١٧٥
٥	صُمُّ بِكُمْ عُمِّي	١٨	١٧٥
٦	أَوْ كَصَيْبٍ	١٩	١٧٥
٧	إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا	٢٦	١٧٣
٨	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ	٣٠	٣٣٠-٣٢٨
٩	قَالُوا سُبْحَانَكَ	٣٢	٣٣٠
١٠	قَالَ يَتَّادُمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ	٣٣	٣٣٠-٣٢٩
١١	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ	٣٤	٣٢٨
١٢	يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِي	٤٠	١٢٩
١٣	وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ	٥٨	٣٣٧-٣٣٣
١٤	فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا	٥٩	٣٣٦-٣٣٣
١٥	وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ	٧٤	٢٨٦

م	الآية	مرقم الآية	الصفحة
١٦	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ	٨٣	١٩٠
١٧	تُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا	٩١	١٧٧-١٧٦
١٨	قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ	٩٤	١٧٧
١٩	ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ	١٠٥	١٧٧
٢٠	مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا	١٠٦	٢٠٦-١٧٨-١٧٦
٢١	أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ	١٠٨	١٧٧
٢٢	فَأَيْنَمَا تُولُونَ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ	١١٥	١٩٧
٢٣	وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ	١٢٧	٣١٨
٢٤	تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا	١٥٧	١٧٨
٢٥	إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ	١٧٣	٢٨٨
٢٦	وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ	١٨٥	١٦٢
٢٧	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ	١٨٩	١٩٦
٢٨	فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ	١٩٦	١٦٢
٢٩	الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ	١٩٧	٢٢٣
٣٠	زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا	٢١٢	٣٢٦
٣١	يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ	٢١٥	١٩٦
٣٢	أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ	٢٤٦	٣٣٨
٣٣	لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ	٢٥٦	١٧٩
٣٤	رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا	٢٨٦	٣٦٢-٣٠٦

م	الآية	رقم الآية	الصفحة
آل عمران			
٣٥	هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ	٦	١٢١
٣٦	زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ	١٤	١٤٨
٣٧	شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ	١٨	١٤٠
٣٨	يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً	١١٨	١٩٥
٣٩	قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ	١٣٧	٣٣٢
٤٠	وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ	١٩١	٢٤٢
النساء			
٤١	وَأَنفُوا لِلنِّسَاءِ صَدَقْنِهِنَّ نِحْلَةً	٤	١٨٠
٤٢	وَالَّتِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَدْحَشَةُ	١٥	١٨٠
٤٣	وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ	٢٤	٢٣٨
٤٤	وَأَعْبُدُوا اللَّهَ	٣٦	١٩٠
٤٥	فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ	٤١	٣٢٢-٣٢١
٤٦	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا	٥١	١٨١
٤٧	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ	٥٨	١٨١
٤٨	لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ	٩٥	١٠٨-١٠٧
٤٩	أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ	٨٢	١٧٢
٥٠	لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ	١١٨	٢٣٠
٥١	وَلَأُمْنِيَنَّهُمْ وَلَا مَرْتَهُمُ	١١٩	٢٣٠

م	الآية	رقم الآية	الصفحة
المائدة			
٥٢	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ	٢٠	١٠٣-١٠٥
٥٣	يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ	٢١	١٠٣-١٠٥-٣٣٥
٥٤	قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ	٢٢	٣٣٥
٥٥	قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ	٢٣	١٠٣-١٠٤-١٠٥-١٠٦-٣٣٥
٥٦	قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا	٢٤	١٠٣
٥٧	قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ	٢٦	٣٣٦
٥٨	وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ	٥١	١١٣
الأنعام			
٥٩	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ	١	٢٤٨
٦٠	وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الْإِيلِ وَالنَّهَارِ	١٣	١٤٦
٦١	وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ	٣٨	٢٤٤-٢٤٥-٢٥٥-٢٦٠
٦٢	فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ	٨٩	٣٢٢-٣٢٥
٦٣	وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى	٩٤	٩١
٦٤	فَدَفَّضْنَا الْأَيْدِي لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ	٩٧	٢٥٧
الأعراف			
٦٥	قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ	٣٢	٣٢٧

م	الآية	مرقم الآية	الصفحة
٦٦	إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ	٥٤	٢٨٢-٢٤١
٦٧	كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ	٧٦	١١٦-١١٥-١١٤
٦٨	وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ	١٣٤	٣٠٦
٦٩	أَتَاهِكُنَّا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا	١٥٥	٣٠٦
٧٠	فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا	١٦٢	٣٣٥
٧١	وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ	١٧٤	٣٢٣
الأنفال			
٧٢	وَلِيَّبِلَى الْمُؤْمِنِينَ	١٧	١١٧
٧٣	قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ	٢١	١٢٤
٧٤	إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ	٢٢	١٢٤
٧٥	وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ	٢٣	١٢٤
٧٦	وَيَمْكُرُونَ	٣٠	١٢٧
٧٧	لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا	٣١	١٥١
٧٨	هُوَ الَّذِي آيَدَكَ بِبَصِيرَةٍ	٦٢	١٤٠
٧٩	يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ	٦٤	١٤٠
٨٠	وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا	٦٦	١٢٥
التوبة			
٨١	فَأَقِنُوا الْمُشْرِكِينَ	٥	١٣٢

م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٨٢	وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ	٢٣	١١٤
٨٣	قَنِيلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...	٢٩	١٢٩
٨٤	وَقَنِيلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً	٣٦	١٣٢
٨٥	وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ	٧١	١٤٠
٨٦	وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ	٨٦	١٤٣
٨٧	وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ	١٢٤	١٤٥-١٤٣
٨٨	وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ	١٢٥	١٤٥-١٤٣
يونس			
٨٩	لِقَوْمٍ يَنْفَكَرُونَ	٢٤	٢٥٧
٩٠	وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ	٦١	٢٥٥
٩١	إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ	٩٦	١٨٢
٩٢	وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ	٩٧	١٨٢
٩٣	إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ	٩٨	٣٠٧
هود			
٩٤	وَلَيْنَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ	٨	١٨٣
٩٥	يَتَأْرَضُونَ أَبْلَعِي مَاءَكَ	٤٤	٢٨٠
٩٦	تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ	٤٩	٢٥٠
٩٧	فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ	١٠٩	٣٢٣

م	الآية	رقم الآية	الصفحة
يوسف			
٩٨	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا	٢	٩٦
٩٩	وَأَسْتَبَقُوا الْبَابَ	٢٥	٤٧
الرعد			
١٠٠	اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ	٨	١٤٦
١٠١	وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ	١٠	١٤٦
١٠٢	أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا	٣١	١٥١
إبراهيم			
١٠٣	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا	٥	١٨٤
١٠٤	رَبِّيًا أَعْرِفْ لِي وَلَوْلَدِي ...	٤١	أ
النحل			
١٠٥	فَأَنقَى اللَّهُ بَنِيَنَّهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ	٢٦	٣١٨
١٠٦	وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ	٨٩	٣٢٣-٢٤٥-٢٤٤
١٠٧	فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ	٩٨	١٥٩
الإسراء			
١٠٨	وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ	١١	١٨٥
١٠٩	وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ	١٢	٢٥٢
١١٠	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ	٢٣	١٩٠
١١١	وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا	١٥	٢٠٥
١١٢	قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ	٤٢	١٨٦

م	آية	رقم الآية	الصفحة
١١٣	قُلْ كُونُوا حِجَارَةً	٥٠	١٨٦
١١٤	قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا	٥١	١٨٦
١١٥	وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	٥٣	١٨٦
١١٦	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ	٨٥	١٩٦
الكهف			
١١٧	وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا	٢٣	١٩٥
١١٨	إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ	٢٤	١٩٥
١١٩	وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ	٤٧	٢٦٩
١٢٠	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ	٨٣	١٩٦-٣٤٠
١٢١	إِنَّا مَكَّانًا لَهُ فِي الْأَرْضِ	٨٤	٣٤٠
مريم			
١٢٢	قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ	٣٠	٢٤٣
١٢٣	أُبْعْتُ حَيًّا	٣٣	٢٤٣
١٢٤	لَئِنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ	٤٦	١٣٣
١٢٥	وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَيْ ذَا مَا مِثُّ	٦٦	١٨٥
١٢٦	أَوْلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ	٦٧	١٨٥
١٢٧	وَيَأْتِينَا فَرْدًا	٨٠	٩١
طه			
١٢٨	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا	١٠٥	٢٦٩



م	آية	رقم الآية	الصفحة
١٢٩	يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ	١٠٨	٢٦٩
الأنبياء			
١٣٠	لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِلهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا	٢٢	٢٤٩
١٣١	وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً	٣٥	١١٧
١٣٢	بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ وءَابَاءَهُمْ	٤٤	٣٢٤
١٣٣	وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ	٧٠	٣٥٠
١٣٤	وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ	٨٣	١٠٩
الحج			
١٣٥	مُخَلَّفَةٍ وَعَيْرٍ مَّخْلُوقَةٍ	٥	٢٩٦
١٣٦	فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ	٤٤	٣٥٠
١٣٧	إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ	٧٣	١٧٤-١٧٦
المؤمنون			
١٣٨	وَالَّذِينَ هُمْ لِأَقْرَبِهِمْ حَافِظُونَ	٥	٢٢٧
١٣٩	إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ	٦	٢٢٧
١٤٠	فَمَنْ أبتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ	٧	٢٢٧
١٤١	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ	٢٣	٣٢٩
١٤٢	فَقَالَ الْمَلَأُ	٢٤	٣٢٩
١٤٣	فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ	٣٢	٣٢٩

م	الآية	رقم الآية	الصفحة
١٤٤	وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ	٣٣	٣٢٩
١٤٥	قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ	١١٢	١٤٧
١٤٦	قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ	١١٣	١٤٧
١٤٧	قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا	١١٤	١٤٧
١٤٨	أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا	١١٥	١٤٨
النور			
١٤٩	فِي مَبُوتِ أذنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ	٣٦	٣٠١-٢٩٨
١٥٠	رِجَالٌ لَا لُئْهِمْ بِجَنَّةٍ وَلَا بَيْعٍ	٣٧	٣٠٤-٢٩٨
١٥١	وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ	٣٨	٢٩٨
الفرقان			
١٥٢	تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ	١	١٥٤
١٥٣	الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	٢	١٥٤
١٥٤	قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ	٦	٢٥٢-١٧٢
١٥٥	وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ	٣٣	٢١١
١٥٦	وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا	٥٤	١٨٧
١٥٧	قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ	٦٠	١٥٥
الشعراء			
١٥٨	إِنْ نَشَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ	٤	١٩٩

م	آية	رقم الآية	الصفحة
النمل			
١٥٩	الْمُرِوْا أَنَا جَعَلْنَا اللَّيْلَ	٨٦	٢٧٠-٢٧٢
١٦٠	وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ	٨٧	٢٦٨-٢٧٠
١٦١	وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً	٨٨	٢٦٧-٢٧٣
١٦٢	مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعِ يَوْمِذٍ ءَامِنُونَ	٨٩	٢٧٠
العنكبوت			
١٦٣	مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ	٤١	١٧٤-١٧٦
لقمان			
١٦٤	الْم	١	١٥٤
١٦٥	تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ	٢	١٥٤
١٦٦	وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ	٢٧	٣٦١
السجدة			
١٦٧	وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى	١٣	١٥١
الأحزاب			
١٦٨	يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ	١٣	١٠٣
١٦٩	وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا	١٤	١٠٢ - ١٠٤
١٧٠	رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ	٢٣	٣٠٣

م	آية	رقم الآية	الصفحة
فاطر			
١٧١	وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ	١٤	١٥٠-١٤٩
يس			
١٧٢	وَلَا أَلَيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ	٤٠	٢٨٤
١٧٣	وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ	٤٨	١٨٥
ص			
١٧٤	وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ	١٥	٣٢٤
الزمر			
١٧٥	يُكْوَرُ أَيْلَ عَلَى النَّهَارِ	٥	٢٨٣-٢٨١
١٧٦	قُلْ يَتَّبِعُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا	١٠	١٨٨
غافر			
١٧٧	قَالُوا أَقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ	٢٥	٣٢٩
١٧٨	وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَى...	٢٦	٣٢٩
١٧٩	وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ	٢٨	٢٣٩
١٨٠	وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا	٣٥	١٤٠-١٣٩
١٨١	أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ	٥٠	١٢٦
١٨٢	لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ	٥٧	٢٤٢
فصلت			
١٨٣	أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	٣٤	١١١

م	آية	رقم الآية	الصفحة
الشورى			
١٨٤	وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ	٢٩	٢٨١
الزخرف			
١٨٥	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ	٢٦	٣٢٢
١٨٦	إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي	٢٧	٣٢٣
١٨٧	وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً	٢٨	٣٢٢
١٨٨	بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ	٢٩	٣٢٤-٣٢٢
١٨٩	وَقَالُوا يَتَّبِعُهُ السَّاحِرُ	٤٩	٣٠٥
١٩٠	وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ	٨٨	٣٢٥
الدخان			
١٩١	فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ	١٠	٣٠٩-٣٠٨
١٩٢	هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ	١١	٣١١-٣٠٩-٣٠٧-٣٠٥
١٩٣	رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ	١٢	٣١٠-٣٠٩-٣٠٨-٣٠٧-٣٠٤
١٩٤	أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى	١٣	٣١٠-٣٠٩-٣٠٨-٣٠٧-٣٠٥
١٩٥	ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ	١٤	٣٠٩-٣٠٨
١٩٦	إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا	١٥	٣١١-٣٠٩
١٩٧	إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ	١٦	٣١٠-٣٠٩
١٩٨	إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى	٣٤	٣٢٥
١٩٩	إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى	٣٥	٣٢٥

م	الآية	رقم الآية	الصفحة
الأحقاف			
٢٠٠	وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ	١٥	١٨٨
٢٠١	وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهِ أَفِ لَكُمَّا	١٧	١٨٩
٢٠٢	إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ	١٨	١٨٩
٢٠٣	وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا	٢٩	١٣٩
٢٠٤	يَنْقُومِنَّا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ	٣١	١٣٩
محمد			
٢٠٥	وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ	٣٨	١١٤
ق			
٢٠٦	أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ	٦	٢٤٩-٢٤١
٢٠٧	يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ	٤١	٣١٤-٣١٢-٣١١
٢٠٨	يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ	٤٢	٣١٤-٣١١
٢٠٩	وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ	٤٣	٣١٤-٣١١
٢١٠	يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا	٤٤	٣١٤
الذاريات			
٢١١	وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ	٢	٢٤٢
٢١٢	وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ	٤٩	٢٥٣
الطور			
٢١٣	وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ	٦	٣١٤

م	آية	رقم الآية	الصفحة
النجم			
٢١٤	وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى	٤٣	١٤١
الرحمن			
٢١٥	الرَّحْمَنُ	١	١٥٥
٢١٦	عَلَّمَ الْقُرْآنَ	٢	١٥٥
٢١٧	خَلَقَ الْإِنْسَانَ	٣	١٣٦
٢١٨	أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ	٨	١٣٦
٢١٩	لِلْأَنَامِ	١٠	١٣٦
٢٢٠	فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ	١٣	١٣٨-١٣٧-١٣٦-١٣٥
٢٢١	خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ	١٤	١٣٨-١٣٧
٢٢٢	وَخَلَقَ الْجَانَّ	١٥	١٣٨-١٣٧
٢٢٣	سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ	٣١	١٣٨-١٣٦
٢٢٤	يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ	٣٤	١٣٨
المجادلة			
٢٢٥	قَدْ سَمِعَ اللَّهُ	١	١٩٨
٢٢٦	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا	١١	١٩٠
المتحنة			
٢٢٧	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ	٦	١١٢

م	آية	رقم الآية	الصفحة
الصف			
٢٢٨	سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ	١	١٩١
الجمعة			
٢٢٩	يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ	١	١٥٥
المنافقون			
٢٣٠	وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا	١١	٢٤٣
الطلاق			
٢٣١	اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ	١٢	٢٧٩-٢٧٤
الملك			
٢٣٢	تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ	١	١٥٦
المدثر			
٢٣٣	وَلَا تَمَنَّيَنَّ تَسْتَكْبِرُ	٦	١٩٢
القيامة			
٢٣٤	إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ	١٧	١٦١-١٥٩
٢٣٥	فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَعِ قُرْآنَهُ	١٨	١٦١
الإنسان			
٢٣٦	إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ	٢٧	٣٢٥
المرسلات			
٢٣٧	فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ	٨	٢٨٤



م	آية	رقم الآية	الصفحة
النازعات			
٢٣٨	يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا	٤٢	١٩٦
التكوير			
٢٣٩	وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ	٦	٣١٥
العلق			
٢٤٠	خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ	٢	٢٩٥
القارعة			
٢٤١	وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ	٥	٢٦٨
الفلق			
٢٤٢	وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ	٤	٢٠٢
٢٤٣	وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ	٥	١٩٣



## ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

م	الحديث أو طرفه	مرقم الصفحة المخرج فيها
١	أتاني داعي الجن فذهبت معهم	١٣٨
٢	إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب	٣٥٣
٣	إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه	٢٢١
٤	أعني عليهم بسبع كسني يوسف	٣٠٦
٥	إن قريشاً لما استحصوا على النبي	٣١٠
٦	إن الله أنزل الداء والدواء	٢١٨
٧	إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها	٢٢٠
٨	إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم	٢١٨
٩	إنه ليس بدواء ولكنه داء	٢١٨
١٠	حبلى الله المتين وهو الذكر الحكيم	٢١٠
١١	رفع القلم عن ثلاثة	٢٠٥
١٢	زجر النبي صلى الله عليه وسلم أن تصل المرأة بشعرها شيئاً	٢٣٥
١٣	سحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى أنه ليخيل إليه	٢٠٣
١٤	فلن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل	٢٢٧
١٥	قيل لبني إسرائيل ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾	٣٣٧
١٦	كان فيما يَتلى الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما	٢٠٧
١٧	لا ضرر ولا ضرار	١١٠-١٠٧
١٨	لعن الله الواشمات والمستوشمات	٢٣١
١٩	لعن الله الواشمة والمستوشمة	٢٣١
٢٠	اللهم أعني عليهم بسبع كسبي يوسف	٣١١

م	الحديث أو طرفه	مرقم الصفحة المخرج فيها
٢١	اللهم رب السماوات السبعة وما أظللن	٢٨٠
٢٢	من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه	٨٩
٢٣	من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين	٢٧٥
٢٤	من غصب شبرا من أرض طوقه من سبع أرضين	٢٧٧
٢٥	من لا يشكر الناس لا يشكر الله	ج
٢٦	ويل للعرب من شر قد اقترب	٣٤٢
٢٧	يا أيها الناس إنني قد كنت أذنت لكم	٢٢٧



## ثالثا: فهرس الأعلام

رقم الصفحة المترجم له فيها	الاسم	م
٥٣	إبراهيم بن السري الزجاج	١
٣٩	إبراهيم بن عمر البقاعي	٢
٢٤٤	إبراهيم بن موسى الشاطبي	٣
٣٤٥	أبو الأعلى المودودي	٤
٢٠٨	أبي بن كعب	٥
١٩٧	أحمد بن تيمية	٦
٣٤	أحمد بن الحسين أبو الطيب المتنبى	٧
٧٨	أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	٨
٦٦	أحمد بن عمار المهدي	٩
١٢٠	أحمد بن فارس	١٠
٥٩	أحمد بن محمد ابن خلكان	١١
١٩٩	أحمد بن محمد الثعلبي	١٢
٣١	أحمد بن محمد شهاب الدين الخفاجي	١٣
١٨	أحمد بن محمد المرزوقي	١٤
١٢٢	أحمد بن محمد النحاس	١٥
١٢٣	أحمد بن يوسف السمين	١٦
٣٤٥	أحمد محيي الدين أبو الكلام آزاد	١٧
٢٥٤	أحمد مصطفى المراغي	١٨
٣٤١	الإسكندر المقدوني	١٩

رقم الصفحة المترجم له فيها	الاسم	م
٣٣	إسماعيل بن حماد الجوهري	٢٠
١٣٩	إسماعيل بن كثير أبو الفداء	٢١
٢٢٠	أم زفر الحبشية	٢٢
٢٧	امرؤ القيس	٢٣
١٩٨	أوس بن الصامت	٢٤
٩٨	أيوب بن موسى أبو البقاء الكفوي	٢٥
٢٠١	بادام أبو صالح	٢٦
٢٧	بشار بن برد	٢٧
٣٤٠	تسين شي	٢٨
٢٩٩	تميم الداري	٢٩
٢٣٤	جابر بن عبد الله	٣٠
٢٧١	جاليلي	٣١
٣٣	جمال الدين ابن منظور	٣٢
٢٧	حبيب بن أوس أبو تمام	٣٣
١٧٤	الحسن البصري	٣٤
٥٤	الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي	٣٥
٦٤	الحسين أبو علي بن سكرة	٣٦
٣٥	الحسين أبو علي بن سينا	٣٧
٦٤	الحسين بن محمد أبو علي الغساني	٣٨
٣١	الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني	٣٩
٣٠	الحسين بن محمد الطيبي	٤٠

رقم الصفحة المترجم له فيها	الاسم	م
٦٧	الخليل بن أحمد الفراهيدي	٤١
٣٤٤	خورش أوكورش	٤٢
١٩٨	خولة بنت ثعلبة	٤٣
٣٢٨	رؤية بن عبد الله العجاج	٤٤
٣٤٢	رملة بنت أبي سفيان	٤٥
٢٦	زياد بن معاوية النابغة الذبياني	٤٦
٣٤٢	زينب بنت جحش	٤٧
٢٠	سالم بوحاجب	٤٨
١٩	صالح الشريف	٤٩
٣١٢	صخر بن حرب أبو سفيان	٥٠
٥٠	الضبي الأصبهاني أبو مضر	٥١
٣١١	ضمام بن عمرو الغفاري	٥٢
٢١٨	طارق بن سويد	٥٣
٣٤٣	طالوت	٥٤
٢٣٨	طنطاوي جوهري	٥٥
٤٦	عائشة بنت أبي بكر الصديق	٥٦
٦٣	عبد الحق بن عطية	٥٧
٨١	عبد الحكيم السياليكوتي	٥٨
٢٢	عبد الحميد بن باديس	٥٩
٣٢	عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي	٦٠
٧٨	عبد الرحمن بن أحمد عضد الدين الإيجي	٦١

رقم الصفحة المترجم له فيها	الاسم	م
٦٥	عبد الرحمن بن محمد بن حبش	٦٢
١٩٩	عبد الرحمن بن مسلم أبو مسلم الخراساني	٦٣
١٦٣	عبد الفتاح القاضي	٦٤
١٨	عبد القاهر الجرجاني	٦٥
١٨٩	عبد الكريم بن هوازن القشيري	٦٦
٥٢	عبد الله بن أبي قحافة أبو بكر الصديق	٦٧
٤٣	عبد الله بن عامر	٦٨
١٠٩	عبد الله بن عباس	٦٩
٣٠٤	عبد الله بن عمر	٧٠
٧٦	عبد الله بن عمر البيضاوي	٧١
١٦٠	عبد الله بن كثير	٧٢
١٦٦	عبد الله بن محمد أبو بكر النيسابوري	٧٣
١٣٨	عبد الله بن مسعود	٧٤
١١٨	عبد الله بن مسلم بن قتيبة	٧٥
٥٤	عثمان بن جني	٧٦
٣٤٩	عثمان بن عفان	٧٧
٣٤	عثمان بن عمر بن الحاجب	٧٨
١٦٨	عز الدين بن عبد السلام	٧٩
٢٤٥	علي بن أبي طالب	٨٠
٦٥	علي بن أحمد أبو الحسن الشقوري	٨١
١٧٣	علي بن أحمد أبو الحسن الواحدي	٨٢

رقم الصفحة المترجم له فيها	الاسم	م
٣٣	علي بن أحمد بن حزم	٨٣
١٣٩	علي بن أحمد المهائمي	٨٤
٣٢	علي بن أحمد الواحدي	٨٥
١١٠	علي بن إسماعيل بن سيده	٨٦
١٦٠	علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري	٨٧
١٦٠	علي بن حازم اللحياني	٨٨
١٨٩	علي بن الحسن بن عساكر	٨٩
٥٣	علي بن عيسى الرماني	٩٠
٥١	علي بن محمد أبو الحسن الأديب	٩١
٢٦٩	علي بن محمد أبو الحسن الماوردي	٩٢
٣٠٢	علي بن محمد الخازن	٩٣
٢١	عمر ابن الشيخ	٩٤
٢٠٦	عمر بن الخطاب	٩٥
٣٣٥	عمر بن شبة	٩٦
١٩٥	عمرو بن أم مكتوم	٩٧
٥٤	عمرو بن بحر. الجاحظ	٩٨
٣٤	عمرو بن عثمان. سيبويه	٩٩
٣١٢	عمرو بن هشام أبو جهل	١٠٠
٢١٨	عويمر أبو الدرداء	١٠١
٤٤	عيسى بن مينا بن قالون المدني	١٠٢
٦٤	غالب بن عبد الرحمن بن عطية	١٠٣



رقم الصفحة المترجم له فيها	الاسم	م
٢٣٧	فهد الرومي	١٠٤
١٧٤	قتادة بن دعامة	١٠٥
٦٩	قعب بن هلال السمال	١٠٦
٢٣٤	كالب بن بفة	١٠٧
١٢٨	كعب بن الأشرف	١٠٨
٢٤٣	كنفيشيوس	١٠٩
٤٦	لبيد بن الأعصم	١١٠
٣٢	مالك بن أنس	١١١
١٥٩	المبارك بن محمد ابن الأثير	١١٢
٥٣	مجاهد بن جبر	١١٣
٥٠	المحسن بن محمد بن كرامة	١١٤
٣٥	محمد أبو بكر بن العربي	١١٥
٣٣	محمد بن أبي القاسم ابن رشد	١١٦
٥٠	محمد بن أبي القاسم البقالي	١١٧
٦٤	محمد بن أحمد بن أبي جمرة	١١٨
١١٤	محمد بن أحمد الأزهري	١١٩
٣١	محمد بن أحمد القرطبي	١٢٠
٨٢	محمد بن إدريس الشافعي	١٢١
٣٢	محمد بن إسماعيل البخاري	١٢٢
٩٠	محمد بن الحسن بن دريد	١٢٣
٢٠٠	محمد بن السائب الكلبى	١٢٤

رقم الصفحة المترجم له فيها	الاسم	م
٣٤	محمد بن الطيب الباقلائي	١٢٥
٦٦	محمد بن جرير الطبري	١٢٦
٣١	محمد بن خليفة الأبي	١٢٧
٣٠	محمد بن عبد الرحمن القزويني	١٢٨
١٦١	محمد بن عبد العظيم الزرقاني	١٢٩
١٦٦	محمد بن عبد الله الزركشي	١٣٠
٢٤٤	محمد بن عبد الله المرسي	١٣١
١٦٨	محمد بن علي الشوكاني	١٣٢
٣٠	محمد بن عمر فخر الدين الرازي	١٣٣
٣١	محمد بن محمد أبو السعود	١٣٤
٣٥	محمد بن محمد الغزالي أبو حامد	١٣٥
٣١	محمد بن محمد بن عرفة	١٣٦
١٢٨	محمد بن مسلمة الأوسي	١٣٧
٢٦	محمد بن يحيى القرايفي	١٣٨
٥٤	محمد بن يزيد المبرد	١٣٩
٣٣	محمد بن يعقوب الفيروز آبادي	١٤٠
٢١	محمد بن يوسف	١٤١
٥	محمد بن يوسف أبو حيان	١٤٢
٢٤	محمد الحبيب ابن الخوجة	١٤٣
٥٦	محمد حسين الذهبي	١٤٤
٦٩	محمد السميغ	١٤٥

رقم الصفحة المترجم له فيها	الاسم	م
٢٣٥	محمد صديق خان	١٤٦
٣	محمد الطاهر ابن عاشور	١٤٧
٨	محمد عبده	١٤٨
٢٣	محمد الفاضل ابن عاشور	١٤٩
٢٣٦	محمد لطفي الصباغ	١٥٠
٣٠	محمود بن عبد الله الألويسي	١٥١
٤٩	محمود بن عمر الزمخشري	١٥٢
٣٠	محمود بن مسعود قطب الدين الشيرازي	١٥٣
٢٥٩	محمود شلتوت	١٥٤
٢٢٠	مسروق بن الأجدع	١٥٥
٣٠	مسعود بن عمر التفتازاني	١٥٦
٣٢	مسلم بن الحجاج	١٥٧
٥٥	مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة	١٥٨
١٧١	مصطفى مسلم	١٥٩
٦٧	معمر بن المثنى أبو عبيدة التيمي	١٦٠
٦٦	مكي بن أبي طالب	١٦١
٥١	الموفق بن أحمد أبو المؤيد	١٦٢
٣٣٩	ناحاش	١٦٣
٤٤	نافع بن عبد الرحمن	١٦٤
٢١٨	وائل بن حجر	١٦٥
٦٧	يحيى بن زياد الفراء	١٦٦

رقم الصفحة المترجم له فيها	الاسم	م
٢٣٣	يحيى بن شرف النووي	١٦٧
٣٤	يوسف بن أبي بكر السكاكي	١٦٨
٢٣٤	يوشع بن نون	١٦٩



## رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: كتب التفسير وعلوم القرآن.

١	الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ط س ٤١٨هـ المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت - لبنان.
٢	اتجاهات التفسير في العصر الراهن للدكتور عبد المجيد بن عبد السلام المحتسب ط ٢ س ٤٠٠هـ-١٩٨٠م. منشورات مكتبة النهضة الإسلامية عمان - الأردن.
٣	اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري للدكتور فهد الرومي ط ١ س ٤٠٧هـ-١٩٨٦م. بدون ذكر اسم المطبعة ومكان الطبع.
٤	أثر الدلالات اللغوية عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير للدكتور مشرف بن أحمد جمعان الزاهراني رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن سنة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م من جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية (مخطوطة).
٥	أحكام القرآن لابن العربي تح: علي محمد البجاوي دار الفكر بدون تاريخ
٦	أحكام القرآن للجصاص تح: محمد الصادق قمحاوي ن: دار المصحف. شركة ومكتبة ومطبعة عبدالرحمن محمد. القاهرة - مصر. بدون تاريخ.
٧	إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود ط ٤ س ٤١٤هـ. دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.
٨	أسباب النزول للسيوطي دراسة وتحقيق حامد أحمد الطاهر ط ١ س ٤٢٣هـ-٢٠٠٢م دار الفجر للتراث القاهرة - مصر.
٩	أسباب النزول للواحي دار نشر الكتب الإسلامية لاهور - باكستان. بدون تاريخ.

١٠	الإسرائئليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد أبي شهبة	ط٤ س ١٤٠٨هـ. مكتبة السنة الدار السلفية لنشرالعلم القاهرة - مصر.
١١	الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين العلم والكون والإيمان للدكتور أحمد عبده عوض عبده	المكتبة القيمة للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة. بدون تاريخ.
١٢	أصول التفسير وقواعده لخالد عبد الرحمن العك	دار النفائس بدون تاريخ
١٣	الإعجاز الطبي في القرآن للدكتور السيد الجميلي	ط س ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان
١٤	إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس	ط ٢ سنة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
١٥	إعراب القرآن الكريم وبيانه للدرويش	ط س ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع دمشق وبيروت. واليمامة للطباعة والنشر والتوزيع دمشق وبيروت.
١٦	الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل لبهجة عبد الواحد صالح	ط ١ س ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م دار الفكر للنشر والتوزيع عمان - الأردن.
١٧	أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي	ط ١ س ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان.
١٨	بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي: تح: الدكتور محمود مطرجي	دار الفكر بيروت - لبنان. بدون تاريخ
١٩	البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي تح: عبد الرزاق المهدي	ط١ س ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م. دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان.
٢٠	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني	نشر مكتبة ابن تيمية القاهرة - مصر. بدون تاريخ

٢١	البرهان في علوم القرآن للزركشي	دار التراث القاهرة - مصر بدون تاريخ. ط ٢. مط: عيسى البابي الحلبي وشركاؤه بدون تاريخ
٢٢	البيان في إعراب غريب القرآن لابن الأنباري	دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر بيروت - لبنان. بدون تاريخ.
٢٣	تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة	ط ٣ س ١٤٢١هـ. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
٢٤	التحرير والتتوير للطاهر بن عاشور	ط ١ س ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م مؤسسة التاريخ العربي بيروت - لبنان.
٢٥	التحرير والتتوير ومنهج الشيخ ابن عاشور فيه للشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة	مجلة الأصل ط س ١٩٨١م. ن: دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس
٢٦	تفسير ابن باديس للشيخ عبدالحميد بن باديس	ط س ١٩٩١م. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة الرغاية - الجزائر.
٢٧	التفسير ورجاله لمحمد الفاضل ابن عاشور تذييل محمد الحبيب ابن الخوجة	ط س ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م. دار سحنون للنشر والتوزيع. تونس.
٢٨	تفسير جامع البيان لمعين الدين محمد ابن عبد الرحمن الحسيني	ط ٢ س ١٣٩٧هـ. دار نشر الكتب الإسلامية - باكستان.
٢٩	تفسير روح البيان لإسماعيل حقي الاستانبولي	دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان. بدون تاريخ.
٣٠	التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن. لحنفي أحمد	ط ٣. مط: دار المعارف مصر. بدون تاريخ.
٣١	تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين النيسابوري	ط ١ س ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
٣٢	تفسير القرآن العظيم لابن كثير	طبعتان: ط ١ س ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. مؤسسة الريان. الضاحية - الكويت. ط ٢ س ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. دار طبية للنشر والتوزيع.

٣٣	تفسير القرآن الكريم لمحمود شلتوت ط ٧ س ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م. دار الشروق. بيروت - لبنان.
٣٤	تفسير اللباب لابن عادل الدمشقي دار الكتب العلمية بيروت - لبنان. بدون تاريخ.
٣٥	تفسير المراغي دار الفكر بيروت - لبنان بدون تاريخ.
٣٦	تفسير النسفي تحقيق: مروان محمد الشعار ط س ٢٠٠٥م. دار النفائس بيروت - لبنان.
٣٧	التفسير ورجالته لمحمد الفاضل ابن عاشور تذييل محمد الحبيب ابن الخوجة ط س ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م. دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس.
٣٨	التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي ط ٧ س ١٤٢١هـ. الناشر: مكتبة وهبة القاهرة - مصر.
٣٩	تناسق الدرر في تناسب السور لجلال الدين السيوطي ط س ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م. عالم التراث. دمشق - سوريا.
٤٠	جامع البيان في تأويل القرآن للطبري تح: أحمد محمد شاكر ط ١ س ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م. مؤسسة الرسالة.
٤١	الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ط س ١٣٨٠هـ ١٩٦١م. ن: مؤسسة مناهل العرفان بيروت - لبنان.
٤٢	الجواهر في تفسير القرآن الكريم لطنطاوي جوهري ط ١ س ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م. بدون ذكر اسم المطبعة ومكان الطبع.
٤٣	دراسات في علوم القرآن للدكتور فهد الرومي ط ١ س ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م. مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض.
٤٤	الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأحمد يوسف المعروف بالسامين الحلبي تح: الدكتور أحمد محمد الخراط ط ١ س ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م. دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.
٤٥	روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني للألوسي ط س ١٤١٧هـ-١٩٩٧م. دار الفكر بيروت - لبنان.



٤٦	الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير للدكتورة هيا ثامر مفتاح العلي	ط ١ س ٤١٤هـ-١٩٩٤م. دار الثقافة الدوحة - قطر.
٤٧	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني. تح: الدكتور عبدالرحمن عميرة	ط ١ س ١٤١٥هـ-١٩٩٤م. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة - مصر.
٤٨	الفريد في إعراب القرآن المجيد لحسين بن أبي العز الهمداني تح: الدكتور فهمي حسن النمر والدكتور فؤاد علي	ط ١ س ١٤١١هـ. دار الثقافة الدوحة - قطر.
٤٩	في رحاب القرآن للدكتور محمد سالم محسن	ط ١ س ٤٠٠هـ-١٩٨٠م مكتبة الكلية الأزهرية القاهرة - مصر.
٥٠	قواعد التفسير جمعاً ودراسة لخالد ابن عثمان السبت	ط ١ س ١٤٢١هـ - دار ابن عفان.
٥١	كتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان للطبيي. تح: الدكتور هادي عطية مطر.	ط ١ س ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م. عالم الكتب بيروت - لبنان.
٥٢	الكشاف للزمخشري	ط ٣ س ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
٥٣	الكشف والبيان للثعلبي دراسة وتحقيق: أبو محمد بن عاشور	ط ١ س ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م. دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.
٥٤	الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم للدكتور منصور محمد حسب النبي	دار الفكر العربي بدون تاريخ.
٥٥	لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن	ط ١ س ١٤١٥هـ. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٥٦	لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير للدكتور محمد بن لطفي الصباغ	ط ٣ س ١٤١٠هـ. الكتب الإسلامي بيروت - لبنان.
٥٧	مباحث في التفسير الموضوعي للدكتور مصطفى مسلم	ط ٣ س ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م دار القلم دمشق - سوريا.
٥٨	مباحث في علوم القرآن لمناع القطان	ط ٧ س ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان.
٥٩	مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى	ط ٢ س ١٤٠١هـ-١٩٨١م مؤسسة الرسالة. بيروت - لبنان.
٦٠	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق بن عطية	ط ١ س ١٤٢٣هـ. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
٦١	مدرسة التفسير في الأندلس لمصطفى إبراهيم الميشيني	ط ١ س ١٤٠٦هـ. مؤسسة الرسالة. بيروت - لبنان.
٦٢	معالم التنزيل للبغوي ضبطه وصححه عبد السلام محمد علي شاهين	ط ١ س ١٤١٥هـ-١٩٩٥م. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٦٣	مع الطب في القرآن الكريم للدكتور عبدالحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز	ط ٧ س ١٤٠٤هـ. مط: أمير قم - إيران. ومؤسسة علوم القرآن. دمشق.
٦٤	مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي	طبعتان: ط ١ س ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. - ط ١ س ١٤١١هـ - ١٩٩٠م. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
٦٥	مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية	المكتبة العلمية لاهور - باكستان بدون تاريخ.
٦٦	مناهل العرفان في علوم القرآن لعبد العظيم الزرقاني	ط ٣ س ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. دار الفكر. بيروت - لبنان.

رسالة ماجستير من كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية. إسلام آباد (لم تطبع بعد).	٦٧	منهج البيضاوي في تفسيره (دراسة مقارنة) لنور عبد جدول الندوي
ط ٣. دار المعارف القاهرة - مصر. بدون تاريخ. ط ٣ س ١٤٠٧هـ. مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.	٦٨	منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه للدكتور مصطفى الصاوي الجويني
ط ٣ س ١٤٠٧هـ. مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.	٦٩	منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير للدكتور فهد الرومي
ط ١ س ١٤١٥هـ-١٩٩٥م. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.	٧٠	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي
دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. بدون تاريخ	٧١	النكت والعيون للماوردي

## ثالثاً: كتب الحديث وعلومه.

دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.	١	الجامع الصحيح للترمذي
ط ١ س ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.	٢	السراج الوهاج في كشف مطالب مسلم بن الحجاج. شرح مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري. تأليف محمد صديق حسن خان
ط س ١٤١٥هـ-١٩٩٥م. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الرياض.	٣	سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني
ط ١ س ١٤٢٠هـ. دار السلام للنشر والتوزيع الرياض - المملكة العربية. - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بدون تاريخ.	٤	سنن ابن ماجه
ط ١ س ١٣٧١هـ-١٩٥٢م. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.	٥	سنن أبي داود

٦	صحيح البخاري	ط ١ س ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م. مكتبة الرشد. ناشرون، الرياض - المملكة العربية السعودية. ط ٣ س ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع دمشق - سوريا.
٧	صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند للألباني	ط ٣ س ١٤٠٨ هـ. ن: مكتب التربية العربي لدول الخليج. الرياض - المملكة العربية السعودية.
٨	صحيح سنن أبي داود باختصار السند للألباني	ط ١ س ١٤٠٩ هـ. مكتبة التربية لدول الخليج. الرياض - المملكة العربية السعودية.
٩	صحيح مسلم	المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع استانبول - تركيا. بدون تاريخ. وط: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان. بدون تاريخ.
١٠	صحيح مسلم بشرح النووي	ط ٣ س ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م. الفاروق الحديثة للطباعة والنشر القاهرة.
١١	فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني	مؤسسة مناهل العرفان بيروت - لبنان. مكتبة الغزالي دمشق - سوريا. بدون تاريخ.
١٢	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى	ط ٣ س ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م. دار الكتاب العربي بيروت - لبنان.
١٣	المستدرك على الصحيحين للحاكم	دار المعرفة. بيروت - لبنان. بدون تاريخ.
١٤	مسند الإمام أحمد	ط ٢ س ١٣٩٨ م. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بيروت - لبنان.
١٥	مصنف ابن أبي شيبة	ط ٢ س ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م. مكتبة الرشد. ناشرون. المملكة العربية السعودية.
١٦	النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير	مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع قم. إيران. بدون تاريخ.
١٧	نيل الأوطار للشوكاني	ط س ١٩٧٣ م. دار الجيل بيروت - لبنان.

رابعاً: كتب الفقه وأصوله.

ط ٤ س ١٤١٤هـ. مؤسسة الكتب الثقافية بيروت - لبنان. ط ٣ س ١٤١٤هـ - ١٩٩٢م. دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.	إرشاد الفحول إلى علم الأصول للشوكاني: تحقيق: محمد سعد البدرى	١
ط ١ س ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م. دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت - لبنان.	البحر الرائق شرح كنز الدقائق لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود الحنفي تأليف ابن نجيم الحنفي. تح: أحمد عزو عناية الدمشقي	٢
ط ١ س ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.	حاشية الدسوقي لابن عرفة الدسوقي المالكي على الشيخ الكبير لأبي البركات أحمد بن محمد العدوي الشهير بالدردير	٣
ط ١ س ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان.	رد المحتار على الدر المختار المعروف بحاشية ابن عابدين لمحمد أمين بن عابدين الدمشقي. تح: محمد صبحي حسن حلاق وعامر حسين	٤
دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع الذمام. المملكة العربية السعودية بدون تاريخ.	الغاية القصوى في دراية الفتوى للبيضاوي دراسة وتعليق علي محيي الدين	٥
ط ٢ س ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. دار الفكر سوريا - دمشق.	الفقه الإسلامي وأدلته. تأليف: الدكتور وهبة الزحيلي	٦
ط ١ س ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.	فيض الإله المالكي في حل ألفاظ عمدة السالك لعمر بن محمد بركات البقاعي	٧
ط س ١٤١٢هـ - ١٩٩١م. دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية.	مجموع فتاوى ابن تيمية	٨

٩	المحلى لابن حزم	منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت - لبنان. بدون تاريخ.
١٠	المدونة الكبرى للإمام مالك	ط ١ س ٤٠٦هـ-١٩٨٦م. دار الفكر بيروت- لبنان.
١١	المغني لابن قدامة	ط ١ س ٤١٠هـ-١٩٩٢م. هجر للطباعة والتوزيع والإعلان. القاهرة - مصر.
١٢	الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي	ط ٣ س ٤٢٤هـ-٢٠٠٣م. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
١٣	ميزان الأصول في نتائج العقول للسمرقندي. تح: الدكتور محمد زكي عبد البر.	ط ١ س ٤٠٤هـ-١٩٨٤م إدارة إحياء التراث الإسلامي. الدوحة - قطر.
١٤	نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لابن أبي العباس الشهير بالشافعي الصغير	ن: المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ بدون تاريخ.

خامساً: كتب اللغة والتراجم

١	أدباء العرب في العصر العباسية لبطرس البستاني	مط: دار الجيل بيروت - لبنان. بدون تاريخ.
٢	أساس البلاغة للزمخشري. تح: عبد الرحيم محمود	بدون ذكر المطبعة ولا تاريخ الطبع.
٣	أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري	طبعان: ط ١ س ٢٨٦هـ. مط: جمعية المعارف المصرية. مط: مكتبة ابن تيمية القاهرة مصر. بدون تاريخ.
٤	الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني	مط: مكتبة المثني بغداد - العراق. بدون تاريخ.
٥	الأعلام لخير الدين الزركلي	طبعان: ط ١ س ٢٠٥م. دار العلم للملايين بيروت-لبنان. مط: دار العلم للملايين بيروت لبنان. بدون تاريخ.
٦	أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام لعمر رضا كحالة	ط ٥ س ٤٠٤هـ-١٩٨٤م. مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

٧	بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي. تح: محمد عبد الرحيم	ط ١ س ١٤٢٥هـ. دار الفكر بيروت - لبنان.
٨	تاج العروس من جواهر القاموس للزيدي. تح: الدكتور عبدالعزيز مطر	ط س ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م. مطبعة حكومة الكويت.
٩	التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية لمحمد محيي الدين عبد الحميد	ط س ٤٠٩هـ-١٩٨٩م. مكتبة السنة. الدار السلفية لنشر العلم القاهرة.
١٠	تذكرة الحفاظ للذهبي	ط ٣ دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان. بدون تاريخ.
١١	تراجم الأعلام لمحمد الفاضل ابن عاشور	ط س ١٩٧٠م. مط: الدار التونسية للنشر تونس
١٢	تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني	ط ١ س ٤١٤هـ-١٩٩٣م. الفاروق الحديثة للطباعة والنشر القاهرة - مصر.
١٣	تهذيب اللغة للأزهري تح: إبراهيم الأبياري	مطابع سجل العرب بدون تاريخ
١٤	التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي. تح: الدكتور محمد رضوان الداية	ط ١ س ١٤١٠هـ. ن: دار الفكر المعاصر. دار الفكر بيروت - لبنان.
١٥	الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي	ط ١ س ١٢٧١هـ-١٩٥٢م. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد- الدكن - الهند.
١٦	جمهرة اللغة لابن دريد	ط ١ س ٤٠٥هـ. مؤسسة دار الهجرة. قم-إيران.
١٧	حاشية الدسوقي وبهامشه متن مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري	منشورات الرضا ومنشورات زاهدي قم - إيران. بدون تاريخ.
١٨	الخصائص لابن جني	ط ٣ س ١٣٥٦هـ-١٩٨٦م الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩	دائرة المعارف الإسلامية	دار الفكر بدون تاريخ
٢٠	سير أعلام النبلاء للذهبي	ط ٧ س ١٤١٠هـ-١٩٩٠م مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.
٢١	شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن مخلوف	دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت. بدون تاريخ.

٢٢	شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي	منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت - لبنان. بدون تاريخ.
٢٣	الصحاح للجوهري. تح: أحمد عبد الغفور عطار	طبعان: دار الكتاب العربي بمصر. بدون تاريخ. ط ٤ س ٤٠٧هـ-١٩٨٧م. دار العلم للملايين. بيروت - لبنان.
٢٤	الطبقات الكبرى لابن سعد	دار صادر بيروت - لبنان. بدون تاريخ.
٢٥	طبقات المفسرين للداوودي	دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. بدون تاريخ.
٢٦	فوات الوفيات والذيل عليها لمحمد بن شاهر الكتبي تح: الدكتور إحسان عباس	دار صادر بيروت - لبنان. بدون تاريخ.
٢٧	القاموس القويم للقرآن الكريم لإبراهيم أحمد عبد الفتاح	ط س ٤٠٤هـ-١٩٨٣م. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.
٢٨	القاموس المحيط للفيروز آبادي	ط ١ س ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت- لبنان.
٢٩	كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي. تح: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي	ط ١ س ١٤٠٥هـ. مؤسسة دار الهجرة قم - إيران.
٣٠	كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي. تح: عدنان درويش	ط ٣ س ١٤١٩هـ-١٩٩٨م. دار النشر: مؤسسة الرسالة. بيروت - لبنان.
٣١	كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة	منشورات مكتبة المشى بيروت - لبنان. بدون تاريخ.
٣٢	لسان العرب لابن منظور	طبعان: دار صادر بيروت - لبنان. بدون تاريخ ط ١ س ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
٣٣	لسان الميزان لابن حجر العسقلاني	ط ٢ س ١٤٢٦هـ. ن: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر. القاهرة - مصر.



٣٤	المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده	ط ١ س ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.
٣٥	المطول شرح تلخيص المفتاح لسعد الدين التفتازاني صححه وعلق عليه: أحمد عزوعناية.	ط ١ س ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م. دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
٣٦	معجم الأدباء لياقوت الحموي تح: الدكتور إحسان عباس	ط ١ س ١٤١٣هـ-١٩٩٣م. دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان.
٣٧	معجم البلدان لياقوت الحموي	ط س ١٣٩٧هـ. دار صادر بيروت - لبنان.
٣٨	معجم تفاسير القرآن الكريم تأليف: الدكتور عبد القادر زمامة والدكتور فاضل عبد النبي والدكتور عبد الوهاب التازي سعود والدكتور محمد الكتاني	منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو. ط س ١٤١٧هـ. - ١٩٩٧م. مط: إيديال. الدار البيضاء - المغرب.
٣٩	معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م لكامل سلمان الجبوري	ط ١ س ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
٤٠	معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة	دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان. بدون تاريخ
٤١	معجم القراءات القرآنية للدكتور أحمد مختار عمر والدكتور عبد العال سالم مكرم	ط ١ س ١٤١٢هـ-١٩٩١م. مط: أمير، إيران.
٤٢	معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر لعادل نويهض	مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر. بدون تاريخ.
٤٣	المعجم المفصل في اللغويين العرب. للدكتور إميل بديع يعقوب	ط ١ س ١٤١٨هـ-١٩٩٧م. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٤٤	معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس. تحقيق وضبط: عبد السلام هارون	ط س ٤٠٤هـ. ن: مكتب الإعلام الإسلامي طهران - إيران.
٤٥	مفتاح العلوم للسكاكي	ط ١ س ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
٤٦	المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني. تحقيق وضبط محمد سيد الكيلاني	ط س ٤١٨هـ-١٩٦١م. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
٤٧	المفسرون حياتهم ومنهجهم للسيد محمد علي أيازي	ط ١ س ٤١٤هـ. مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي. طهران - إيران.
٤٨	الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة للدكتور ياسين صلاواتي	ط ١ س ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. مؤسسة التاريخ العربي بيروت - لبنان.
٤٩	ميزان الاعتدال للذهبي تح: علي محمد البجاوي وفتيحة علي البجاوي	دار الفكر العربي بيروت - لبنان. بدون تاريخ.
٥٠	النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين يوسف الأتابكي	المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. بدون تاريخ.
٥١	النحو الوافي لعباس حسن	ط ١ س ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م. أوندادشن للطباعة والنشر. دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.
٥٢	نفع الطيب عن غصن الأندلس الرطيب للمقري	ط ١ س ١٤١٥هـ. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
٥٣	وفيات الأعيان لابن خلكان	طبعتان: ط ٢ منشورات الرضا. قم - إيران. بدون تاريخ. ط س ١٣٩٧هـ. دار صادر بيروت - لبنان.

## سادساً: مصادر ومراجع أخرى

١	ابن باديس حياته وآثاره جمع ودراسة الدكتور عمار الطالبی	ط ٢ س ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م. مط: دار الغرب الإسلامی بیروت - لبنان.
٢	إحیاء علوم الدین لأبی حامد الغزالی	ط ١ س ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م. دار الکتب العلمیة - بیروت - لبنان.
٣	تأملات فی شخصیة ذی القرنین دارسة تحلیلیة بقلم الأستاذ امتیاز علی عرشى فی ضوء ما کتبه العلامة أبو الکلام آزاد	ط ٢ س ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م. مؤسسة الرسالة بیروت - لبنان.
٤	السیرة النبویة لابن هشام تح وتع: محمد ریاض البجائی	ط ١ س ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م. دار الأخیار للنشر والتوزیع. الریاض - المملكة العربیة السعودیة.
٥	شرح العقیدة الطحاویة لابن أبی العز الحنفی	ط ٩ س ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. المکتب الإسلامی بیروت - لبنان.
٦	الشیخ عبد الحمید بن بادیس رائد الإصلاح الإسلامی والتربیة فی الجزائر. للدكتور ترکی رابح	ط ٥ س ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. مط: المؤسسة الوطنیة للاتصال والنشر والإشهار. الجزائر.
٧	مقالات الإسلامیین لأبی الحسن الأشعری. تح: محمد محیی الدین عبد الحمید	ط ١ س ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م. مکتبة النهضة المصریة - القاهرة.
٨	مقدمة ابن خلدون. تحقیق وفهرسة سعید محمود عقیل	ط ١ س ١٤٢٦هـ. دار الجیل للنشر والطباعة والتوزیع. بیروت - لبنان.



## خامسا: فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	تقرير لجنة المناقشة .....
ب	الإهداء .....
ج	كلمة شكر وثناء .....
١٤-١	<b>المقدمة</b> .....
٤	<b>أولا: أهمية الموضوع وأسباب اختياري له</b> .....
٦	<b>ثانيا: أهداف البحث</b> .....
٧	<b>ثالثا: الدراسات السابقة</b> .....
٩	<b>رابعا: بيان خطة البحث</b> .....
١١	<b>خامسا: منهجي في كتابة البحث وبيان الخطوات المتبعة فيه</b> .....
	<b>التمهيد</b>
	<b>أولا: التعريف بالأئمة المفسرين: ابن عاشور والزمخشري وابن عطية والبيضاوي، وبيان مناهجهم في تفاسيرهم باختصار</b> .....
٨٩-١٦	١- التعريف بابن عاشور وبيان منهجه في تحريره .....
١٧	٢- التعريف بالزمخشري وبيان منهجه في كشفه .....
٤٩	٣- التعريف بابن عطية وبيان منهجه في محرره .....
٦٣	٤- التعريف بالبيضاوي وبيان منهجه في أنواره .....
٧٦	<b>ثانيا: معنى كلمة تفرد وبيان السر في الاقتصار على الأئمة الثلاثة في الرسالة</b> .....
٩٣-٩٠	معنى كلمة تفرد .....
٩٠	السر في الاقتصار على الأئمة الثلاثة في الرسالة .....
٩٣	

الصفحة	الموضوع
١٥٦-٩٥	<b>الفصل الأول:</b> تضردات الطاهر بن عاشور اللغوية والنحوية والبلاغية في تفسيره التحرير والتنوير.....
٩٦	تَهْيِئَاتُ
١١٩-٩٨	<b>المبحث الأول:</b> تضردات ابن عاشور اللغوية.....
٩٨	<b>الأول:</b> بيانه للفرق بين كلمتي: العداوة والبغضاء ومناقشته في ذلك.....
١٠٢	<b>الثاني:</b> تفرقه بين كلمتي: الدخول والولوج ومناقشته في ذلك.....
١٠٧	<b>الثالث:</b> تفرقه بين كلمتي: الضرر والضرر ومناقشته في ذلك.....
١١٢	<b>الرابع:</b> بيانه لمعنى الفعل (تولى).....
١١٤	<b>الخامس:</b> بيانه لـ«لحمل» بمعنى المطاردة والهجوم ومناقشته في ذلك.....
١١٧	<b>السادس:</b> تصريفه للفعل: (يُبلِي).....
١٤٢-١٢٠	<b>المبحث الثاني:</b> تضردات ابن عاشور النحوية.....
١٢١	<b>الأول:</b> اعتباره فتحة (كيف) فتحة نصب لا فتحة بناء ومناقشته في ذلك.....
١٢٤	<b>الثاني:</b> إعرابه لموقع جملة (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ) الأنفال / ٢٣.....
١٢٥	<b>الثالث:</b> مخالفته للمفسرين في إعراب جملة (وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ سَعَةً) الأنفال / ٦٦.....
١٢٦	<b>الرابع:</b> إعرابه للواو في قوله تعالى: (أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلِكُمْ) غافر / ٥٠.....
١٢٧	<b>الخامس:</b> إعرابه لموقع الواو في قوله: (وَيَتَكُورُونَ) الأنفال / ٣٠.....
١٢٩	<b>السادس:</b> تقديره لمعطوف في تفسير قوله تعالى (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.....) التوبة / ٢٩ ومناقشته في ذلك.....
١٣٢	<b>السابع:</b> مخالفته لجمهور المفسرين بعطف جملة إنشائية على جملة خبرية.....

الصفحة	الموضوع
١٣٥	<b>الثامن:</b> مخالفته لجمهور المفسرين في ضمير المتنى في قوله تعالى: (فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ أ تُكذِّبِينَ) الرحمن/١٣ ومناقشته في ذلك.....
١٣٩	<b>التاسع:</b> بيانه لفائدة عطف (وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا) غافر/٣٥ على ما قبلها.....
١٤١	<b>العاشر:</b> بيانه لفائدة ضمير الفصل (هو) في قوله تعالى (وَأَنَّهُ هُوَ أَصْحَكَ وَأَبْكَى) النجم/٤٣.....
١٥٦-١٤٢	<b>المبحث الثالث:</b> تفردات ابن عاشور البلاغية.....
١٤٣	<b>الأول:</b> بيانه لوجه النظم والبلاغة في قوله تعالى: (وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً... التوبة/٨٦.....
١٤٦	<b>الثاني:</b> بيانه للكناية في قوله تعالى: (وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ... الأنعام/١٣.....
١٤٧	<b>الثالث:</b> بيانه للكناية في قوله تعالى: (قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ... المؤمنون/١١٢.....
١٤٨	<b>الرابع:</b> بيانه للإيجاز في قوله تعالى (رُؤِوسَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ) آل عمران/١٤.....
١٤٩	<b>الخامس:</b> بيانه للإيجاز والتركيب في قوله تعالى: (وَلَا يُؤْتِيكَ مِثْلَ خَبِيرٍ) فاطر/١٤.....
١٥١	<b>السادس:</b> بيانه للاحتباك في قوله تعالى: (لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا) الأنفال/٣١.....
١٥٣	<b>السابع:</b> بيانه لبراعة الاستهلال في القرآن الكريم.....
٢١٠-١٥٧	<b>الفصل الثاني:</b> تفردات الطاهر بن عاشور في مباحث علوم القرآن.....
١٥٨	<b>تمهيداً</b> .....
١٦٥	<b>المبحث الأول:</b> تفردات ابن عاشور في المناسبات بين الآيات.....
١٩٤	<b>المبحث الثاني:</b> تفرد ابن عاشور في أسباب النزول.....
٢٠٤	<b>المبحث الثالث:</b> تفرد ابن عاشور في النسخ.....
٣٥١-٢٠٩	<b>الفصل الثالث:</b> تفردات الطاهر بن عاشور التفسيرية.....

الصفحة	الموضوع
٢١٠	تَهْيِئَاتُ
٢٣٥-٢١١	المَبْحَثُ الْأَوَّلُ: تفردات ابن عاشور في التفسير الفقهي
٢١٦	الأول: قوله بجواز التداوي بالمحرمات قياساً على أكل المضطر والرد عليه.....
٢٢٣	الثاني: قوله بأن الفسوق في مدة الإحرام مفسد للحج والرد عليه.....
٢٢٦	الثالث: قوله بجواز نكاح المتعة عند الضرورة والرد عليه.....
٢٣٠	الرابع: قوله بجواز تغيير خلق الله للزينة والحسن إن لم يكن فيه حظ من طاعة الشيطان والرد عليه.....
٢٩٧-٢٣٦	المَبْحَثُ الثَّانِي: تفردات ابن عاشور في التفسير العلمي
٢٣٩	تَهْيِئَاتُ تعريف التفسير العلمي وبيان موقف العلماء قديماً وحديثاً منه.....
٢٦٦	رأبي في التفسير العلمي.....
٢٦٧	التفرد الأول: قوله بدوران الأرض حول الشمس بدليل قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ تَكُرُّ مَرًّا السَّحَابِ...) النمل/٨٨.....
٢٧٤	الثاني: قوله بأن مماثلة الأرض للسموات راجعة إلى المماثلة في الخلق العظيم خلافاً لجمهور المفسرين الذين جعلوا المماثلة في العدد السبع ومناقشته في ذلك.....
٢٨١	الثالث: قوله بأن الأرض كروية بدليل قوله تعالى: (يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ) الزمر/٥.....
٢٨٤	الرابع: قوله بأن نور النجوم مكتسب من أشعة الشمس، وطمسه يقتضي طمس نور الشمس، ومناقشته في ذلك.....
٢٨٦	الخامس: بيانه لكيفية وأسباب انفجار الماء أو خروجه من الصخور.....
٢٨٨	السادس والسابع والثامن: بيانه لحكمة تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير.....
٢٩٤	التاسع: بيانه لحكمة تحريم المنخقة والموقودة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع.....

الصفحة	الموضوع
٢٩٥	<b>العاشر:</b> قوله بأن العلقة التي يخلق منها الإنسان تكون سابحة في الدم وسميت بذلك لشبهها بالعوالق السابحة في الماء ومناقشته في ذلك .....
٣١٧-٢٩٨	<b>المبحث الثالث:</b> تضردات ابن عاشور في بيان مراد بعض الآيات القرآنية .....
٢٩٨	<b>الأول:</b> قوله بأن البيوت المذكورة في قوله تعالى: (فِي بُيُوتٍ أُزِّنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ ...) النور ٣٦-٣٧ هي صوامع الرهبان وأديرتهم، وأن الرجال المذكورين في الآية هم الرهبان الذين انقطعوا للعبادة. والرد عليه .....
٣٠٥	<b>الثاني:</b> تأويله لقوله تعالى: (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) الدخان / ١٢ على أنه من قول المؤمنين وليس من قول المشركين خلافا لجمهور المفسرين والرد عليه .....
٣١١	<b>الثالث:</b> قوله بأن المنادي الذي ينادي من مكان قريب في قوله تعالى: (يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادُ مِنْ مَكَّانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ) ق/ ٤١، ٤٢ هو ضمضم بن عمرو الغفاري والمكان القريب هو بطن الوادي ويوم الخروج هو خروج المشركين ليدر. والرد عليه .....
٣١٥	<b>الرابع:</b> قوله بأن المراد بالبحر المسجور هو البحر الأحمر والرد عليه .....
٣٣١-٣١٧	<b>المبحث الرابع:</b> تضردات ابن عاشور باستنباط قواعد تفسيرية من القرآن الكريم عن طريق الاستقراء .....
٣١٧	<b>قَبْلُ يُنَادِ</b> .....
٣٢١	<b>القاعدة الأولى:</b> قوله بأن القرآن الكريم إذا ذكر فيه اسم الإشارة (هؤلاء) - دون وجود مُشَار إليه في الكلام فهو يعني به مشركي العرب، وأن القرآن الكريم قد عناهم بذلك في نحو أحد عشر موضعاً .....
٣٢٦	<b>القاعدة الثانية:</b> قوله بأن التزيين المذموم المذكور في القرآن الكريم منحصر في ثلاثة أنواع .....
٣٢٧	<b>القاعدة الثالثة:</b> قوله بأن أسلوب الحوار في القرآن الكريم يُحكى بلفظ (قال) دون حرف العطف إلا إذا كان الكلام قصد الإخبار، أو جرى في أوقات أو أمكنة مختلفة .....



الصفحة	الموضوع
٣٥١-٣٢٢	<b>المبحث الخامس:</b> تفردات ابن عاشور في تفسير القرآن بحوادث تاريخية.....
٣٢٢	الأول: مخالفته لجمهور المفسرين في بيان القول الذي بدله بنو إسرائيل حينما أمروا بدخول القرية مستعيناً على ذلك بأحداث التاريخ. ومناقشته في ذلك.....
٣٣٨	الثاني: بيانه لقصة عظيمة من تاريخ بني إسرائيل أشار إليها القرآن.....
٣٤٠	الثالث: قوله بأن ذا القرنين هو ملك من ملوك الصين اسمه: تسينشي هوانفتي أو تسين شي هوانق تي. ومناقشته في ذلك.....
٣٥٠	الرابع: استشهاده بالتاريخ لبيان شدة الخسارة التي لحقت بقوم إبراهيم - عليه السلام - حينما أرادوا إحراقه.....
٣٥٧-٣٥٢	<b>الفصل الرابع:</b> مزايا تفردات الطاهر بن عاشور والمآخذ عليها.....
٣٥٣	تمهيد.....
٣٥٤	المبحث الأول: مزايا تفردات ابن عاشور.....
٣٥٦	المبحث الثاني: المآخذ على تفردات ابن عاشور.....
٣٦٢-٣٥٨	<b>الخاتمة</b> .....
٣٥٩	أولاً: نتائج البحث.....
٣٦١	ثانياً: التوصيات.....
٣٦٣	<b>الفهارس</b> .....
٣٦٤	أولاً: فهرس الآيات القرآنية.....
٣٨١	ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.....
٣٨٣	ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.....
٣٩٢	رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.....
٤٠٧	خامساً: فهرس الموضوعات.....

